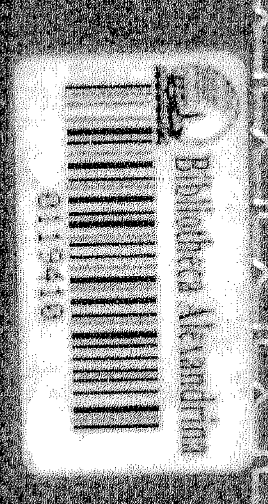
تهذيب الرياسة وترتيب السياسة

للإمام أبي عبد الله محمد بن علي القلعي

المتوفى سنة ٦٣٠ هـ

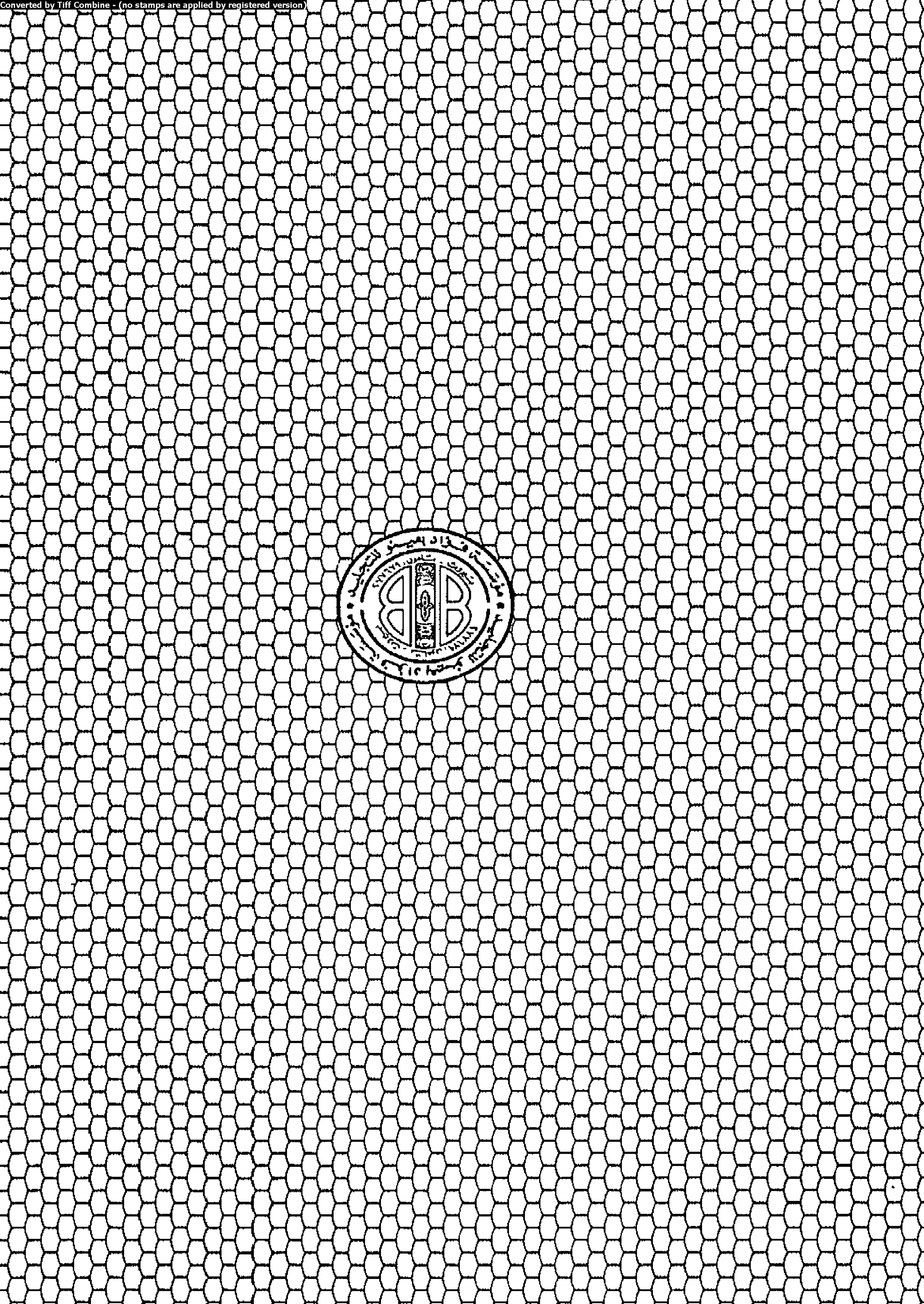
تحقيق

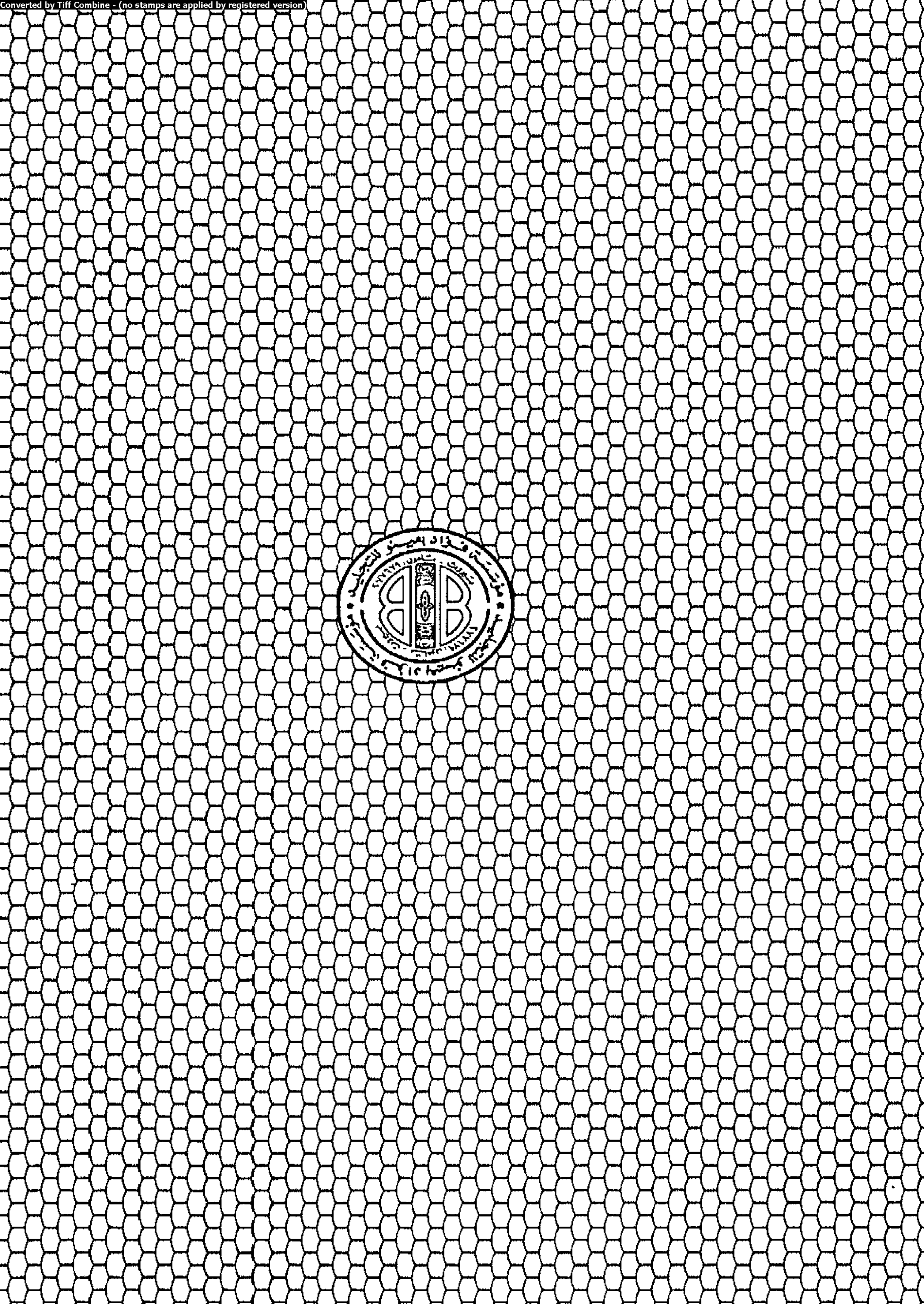
إبراهيم يوسف مصطفى عجو



مكتبة المنار

الأردن - الزرقاء







تهذيب الرياسة وترتيب السياسة

الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

شارع الفاروق - بجانب جمعية المركز الإسلامي

مكتبة المنار هاتف ٨٣٦٥٩ - ص.ب ٨٤٢ الزرقاء - الأردن

تهذيب الرّياسة وترتيب السّياسة

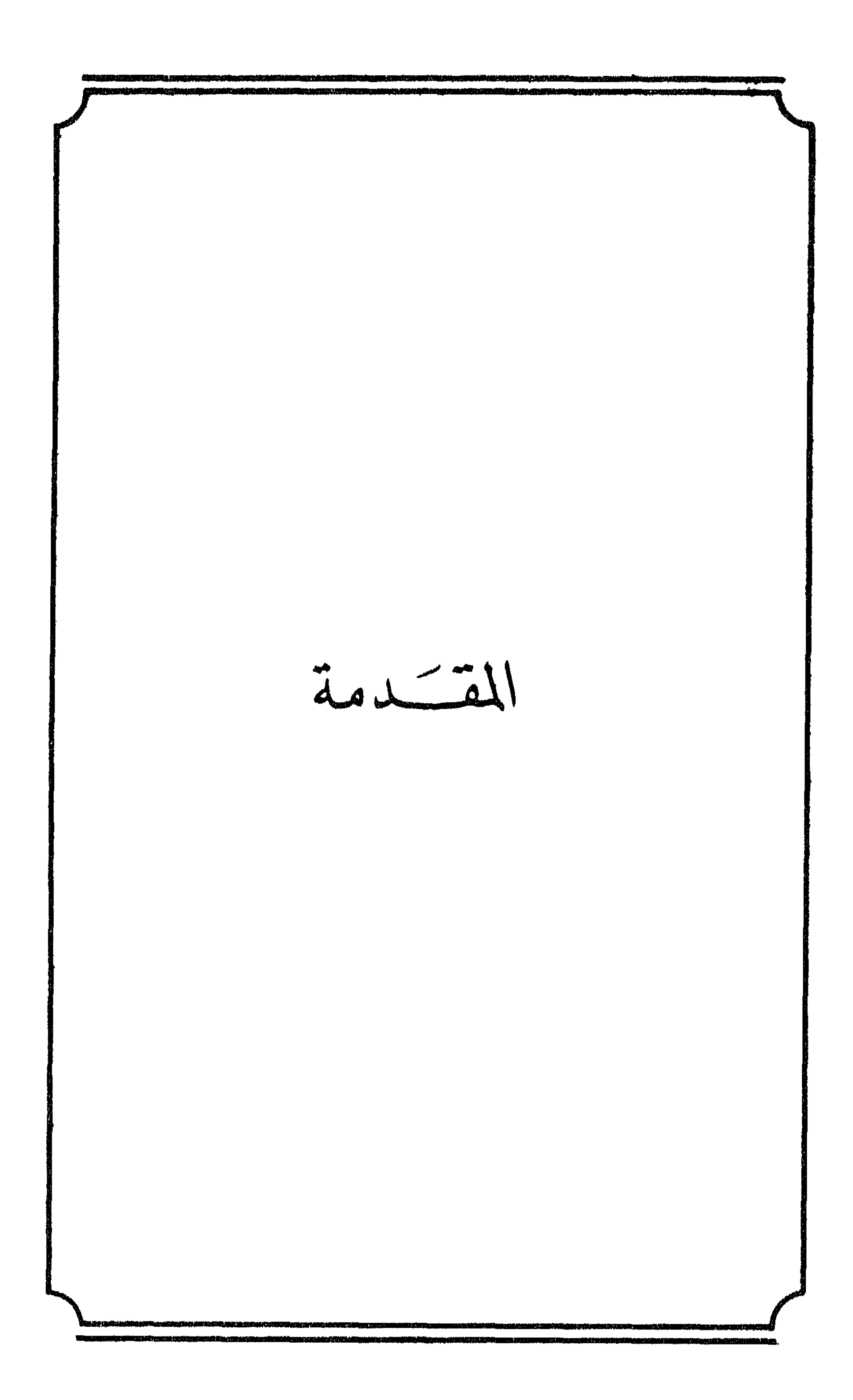
للإمام أبي عبد الله محمّد بن علي القلعي
المتوفى سنة ٦٣٠ هـ

تحقيق
إبراهيم يوسف مصطفى عجو

مكتبة المنار
الأردن - الزرقاء




بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربِ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على المبعوثِ رحمةً للعالمينَ مَنْ يهدِ اللهُ فهو المهتدِ ومنْ يضللْ فلن تجدَ له ولياً مرشدا وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحده لا شريكَ له وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه أرسلَه بالهدى ودينِ الحقِ ليظهرَهُ على الدينِ كلِّهِ فبلغ الرسالة وأدى الأمانةَ ونصحَ الأمةَ وجاهدَ في اللهِ حقَ الجهادِ. صلى اللهُ عليه وعلى آلهِ وصحبهِ والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ.

وبعدُ...

منْ عظيمِ فضلِ اللهِ على المسلمينَ أن أكملَ لهم دينَهم وأتمَّ نعمتَه عليهم وبعثَ فيهم محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً وقائداً ورسمَ لهم المنهجَ القويمَ في كافةِ نواحي الحياةِ سياسيِّها واقتصاديِّها، اجتماعيِّها وفكريِّها، عسكريِّها وإداريِّها، فلم يكنْ الإسلامُ يوماً شعائرَ تعبديةً وحسبُ، بل جمعَ جمعاً بديعاً لم يُسبقْ إليه بينَ الروحِ والمادةِ، بينَ العقيدةِ والقانونِ، بينَ العبادةِ والقيادةِ.

وتُمثِّلُ الدولةُ التي قادها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم النموذجَ العمَلي الفريدَ في تطبيقِ منهجِ اللهِ والالتزامِ التامِ الكاملِ بشرعِ اللهِ. ومِنْ

تمامِ النعمةِ أن يُطبق الإسلامُ كاملاً بجميعِ تشريعاتِه سواءٌ التعبديةُ منها والسياسيةُ والاقتصاديةُ في عصرِ النبوةِ لتظهرَ عظمةُ هذا الدينِ وعدالتُهُ وسهولةُ تطبيقه على مرِّ الأعصارِ وتوالي الدهورِ. فإذا كان المسلمونَ اليومَ مطالبينَ بإعادةِ عزِهم وإحياءِ مجدِهم وبعثِ تُراثِهم وَوَصْلِ حاضرِهم بماضيهم فما عليهم إلاّ أن يعودوا إلى دينِهم يستمدونَ منه الهدى ويستلهمونَ آياتِ الرشادِ وها هي آياتُ اللهِ تدعوهم وتوضحُ لَهُمُ الطريقَ.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا استَجِيبُواْ للَّهِ ولِلرَّسُولِ إذَا دَعَاكُم لِمَا يُحِييكُم واعلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إلَيهِ تُحشَرُونَ﴾. (سورة الأنفال: آية ٢٤).

ولقد اعتنى أئمةُ الإسلامِ على مر العصورِ في إبرازِ النواحي التنظيميةِ والسياسيةِ في الإسلامِ، بل كانت عنايتُهم بها تسيرُ جنباً إلى جنبٍ مع عنايتِهم بالعباداتِ وفقهِهَا يَدلُّنا على ذلك ما تركوه لنا من تراثٍ ضخم في النُّظُمِ والتشريعاتِ تزخرُ بالتفردِ والأصالةِ والتقدمِ الحضاريِّ والعلميِّ فجزاهم اللهُ أحسنَ الجزاءِ.

لكن بعضَ هذه المؤلفاتِ والكنوزِ العلميةِ التي قدمَ لنا فيها سلفُنا الصالحُ ثمرةَ جهودِهم لا زالتْ مبعثرةً في دورِ الكتبِ ومتاحفِ المخطوطاتِ وما أحوجَ المسلمينَ اليومَ في صحوتِهم وَتَطلُّعِهم إلى المجدِ أن يبعثوا هذه الكنوزَ ويحييوا ذاكَ التراثَ فيعيدوا لهذهِ الأمةِ مكانتَها القياديةَ بينَ الأممِ.

ولإيماني التامِ أن بصلاحِ الحياةِ السياسيةِ يكون صلاحُ هذهِ الأمةِ وبعدالةِ سياستِها وبسيرِها على هدي ربها تسعدُ ونأمنُ وهذا ما حدا بي ودَفَعَني إلى أن يكونَ الموضوعُ الذي أتقدمُ به لنيلِ درجةِ الماجستيرِ موضوعاً سياسياً فبحثْتُ في المكتباتِ الإسلاميةِ فوجدتُ بغيتي في كتابِ «تهذيبِ

الرياسةِ وترتيب السياسةِ» للإمامِ الجليلِ أبي عبد الله محمدِ بنِ عليٍ القلعي المتوفى سنة ٦٣٠هـ. هذا الكتابُ الذي يعالجُ الحياةَ السياسيةَ للدولةِ الإسلاميةِ وقد جعله مؤلفُهُ في قسمينِ قسمٌ نظريٌ بيَّن فيه أهميةَ القيادةِ وعظيمَ دورِها وانه لا يمكن الاستغناء عنها كما يبين ما يجب أن يتوافر في هذه القيادة على تنوع مسؤولياتِها من صفاتٍ لا يستغني عنها مسؤولٌ يبتغي رضاءَ اللهِ وعزةَ أمتهِ، كما بيَّن ما يجبُ على الإمةِ تُجاهَ وليِّ أمرِها مِنْ طاعةٍ في معروفٍ وموالاةٍ ومناصحةٍ.

وقسمٌ تطبيقيٌ، أوردَ فيه أخبارُ الخلفاءِ والملوكِ ووزرائِهم وعمالِهم وأمرائِهم الدالةَ على العدلِ والسؤددِ والعفوِ وقبولِ النصحِ من الناصحينَ، وهو بذلك يضعُ الأسسَ الواضحةَ النظريةَ والعمليةَ للحكامِ لكي يَستَنيروا بها فيما يضطلعونَ به من مهامٍ.

وأضْفَى المؤلفُ على مؤلفِه طابعاً أخلاقياً ليربطَ بينَ علمِ الأخلاقِ والسياسةِ وهو بذلكَ يدلِّلُ على أن السياسةَ لا تنفصلُ عن الخلقِ الطيبِ والعملِ النبيلِ.

فاخْتَرتُ تحقيقَ هذا المخطوطِ مساهمةً متواضعةً في نشرِ العلمِ وإحياءِ تراثِ السلفِ ولعلَّ اللهَ أن ينفعَ به المسلمينَ حكاماً ومحكومين، وقد اشتملَ هذا البحثُ على قسمينِ: دراسيٍ وتحقيقيٍ، أما الدراسيُ فقد ضمنتُه تمهيداً وبابينِ.

أما التمهيدُ فقد تكلمتُ فيه عن:

١ ــ الحياةِ السياسيةِ في اليمنِ في عصرِ الإمامِ القلعي الذي عاصرَ العهدَ الأيوبيُ، وعهد بني رسولٍ وقدمتُ الكلامَ على الناحيةِ السياسيةِ لأثرِها الواضحِ في بقيةِ نواحي الحياةِ.

٢ ــ عن الحالةِ العسكريةِ والإداريةِ والاقتصاديةِ لعصرِ المؤلفِ.

٣ ــ عن الحالةِ العلميةِ والفكريةِ في اليمنِ خلالَ تلك الفترةِ من الزمن.

٤ ــ وتكلمتُ أيضاً عن علاقةِ اليمنِ بالخلافةِ العباسيةِ لما لهذه العلاقةِ من أثرٍ في لونِ الحكمِ وشَرْعيتِهِ.

أما البابُ الأولُ: فيحتوي على عدةِ فصولٍ:

الفصلُ الأولُ: في ترجمةِ الإمامِ القلعي وتحقيقِ نسبتِه ومذهبِه الفقهي.

الفصلُ الثاني: عن شيوخِ المؤلفِ وأقرانهِ ووفاتهِ وتلاميذِه وتلاميذِ تلاميذِه.

الفصلُ الثالثُ: في مؤلفاتِ الإمامِ القلعي التي نسبَها العلماءُ إليه وبيانِ الموجودِ منها في المكتباتِ الإسلاميةِ.

أما البابُ الثاني: فهو في كتابِ «تهذيبِ الرياسةِ وترتيبِ السياسةِ» واشتمل على جملةِ فصولٍ:

الفصلُ الأولُ: في نسبةِ الكتابِ إلى مؤلفِه وعرضِ النُّسَخِ الموجودةِ في المكتباتِ الإسلاميةِ.

الفصلُ الثاني: في طريقةِ التحقيقِ.

الفصلُ الثالثُ: في دراسةٍ حولَ هذا الكتابِ ومنهجِه وأسلوبِه وبيانِ أهميتِه في الحياةِ السياسيةِ الإسلاميةِ.

أما القسمُ التحقيقيُ فقد كان اهتمامي موجهاً إلى إخراجِ النصِ سليماً من الأخطاءِ والتحريفِ والتصحيفِ سيما وبعضُ النساخِ لا معرفة لهم

بمضمونِ ما ينسخونَ وهنا يبرزُ دورُ المحقِقِ في بيان المُصَحَّفِ وتدوينِ الساقطِ من النسخِ.

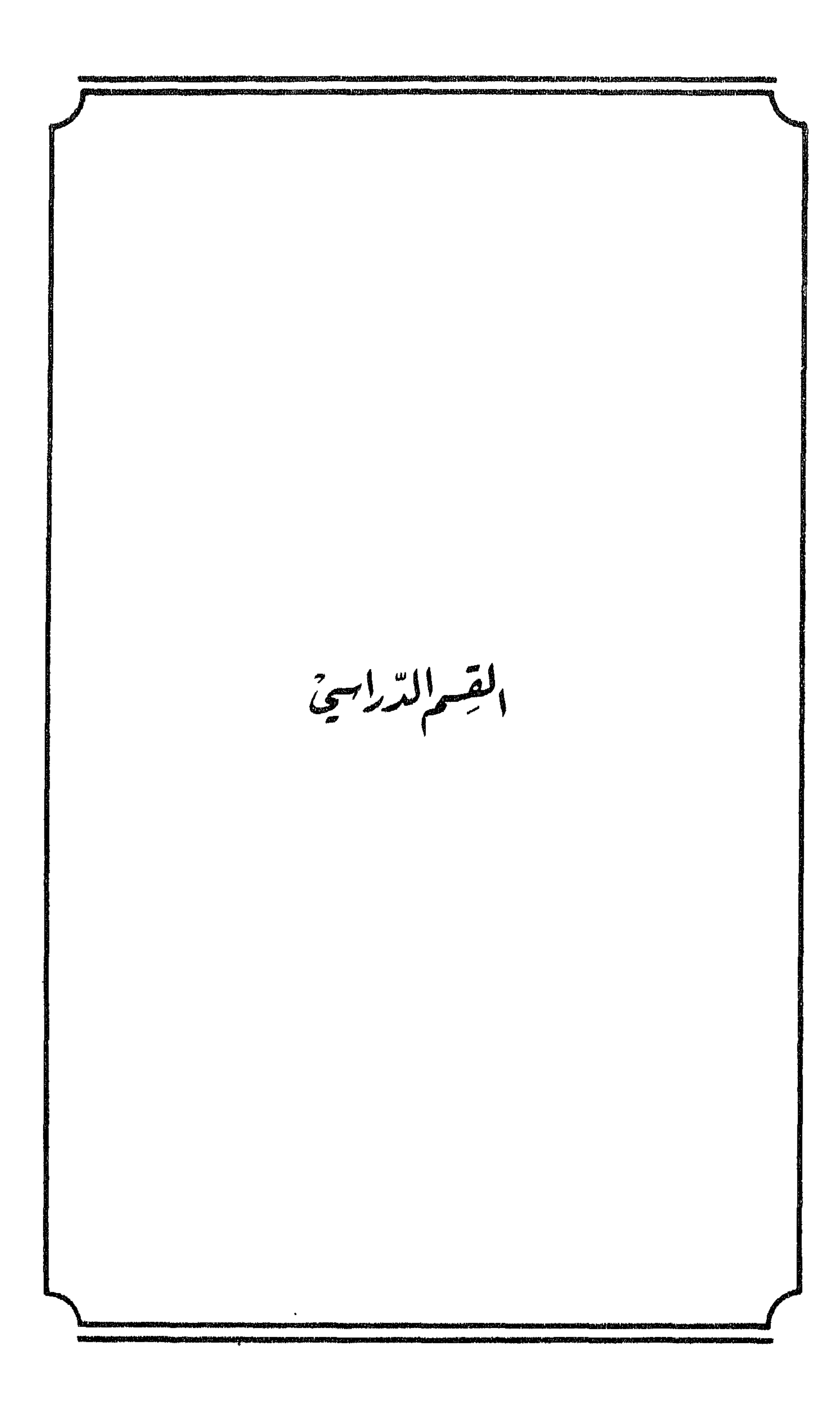
وتتبعْتُ في تحقيقي لهذا المخطوطِ نَسَقَ المؤلفِ شارحاً ما أجملَ وموضحاً ما غَمَضَ ومعلقاً على ما هو بحاجةٍ إلى تعليقٍ.

كما وجهتُ عنايةً كبرى إلى الآياتِ الكريمةِ التي استدلَ بها الإمامُ مبيناً وجهَ دلالتِها، وقمتُ بتخريجِ الأحاديثِ وبيانِ صحةِ نسبتِها إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلمَ ودرجةِ صحتِها ووجهِ دلالتِها كما شرحتُ الكلماتِ التي أحْسَبُ أنها بحاجةٍ إلى شرحٍ من معاجمِ اللغةِ العربيةِ وترجمتُ للأعلامِ الذين أخذَ عنهم المؤلفُ أو أوردَ ذكرَهمْ وعرَّفتُ بالكتبِ التي نقل عنها الإمامُ.

ولما كان القسمُ التطبيقيُ سرداً لوقائعَ تاريخيةٍ وعرضاً لنماذجَ عمليةٍ يضعُها المؤلفُ بين يدي الحكامِ والمحكومينَ، فقد كان جُلُّ اهتمامي موجهاً إلى توثيقها تاريخياً معلقاً على ما هو بحاجةٍ إلى تعليقٍ وتوجيهٍ.

وفي ختامِ هذه المقدمةِ أتقدمُ بجزيلِ الشكرِ وعظيمِ الامتنانِ لفضيلةِ أستاذي الدكتور/ «محمد جمال الدين عواد» الذي أعطاني من وقتِه وجهدِه الكثيرَ وكان لتوجيهاتِه الكريمةِ أكبرُ الأثر في إبرازِ هذا الأثرِ العلمي إلى حيزِ الوجودِ فجزاهُ اللهُ كلَّ خيرٍ ومتَّعه بموفورِ الصحةِ والسعادةِ إنه سميعُ الدعاءِ محققُ الرجاءِ. . آمين. .





القِسم الدّراسي



التمهيـد

الحالة السياسية في عصر الإمام القلعي

قامت دولةُ بني أيوبَ في اليمنِ على أنقاضِ دولةِ بني مهدي. فقد بلغَ الملكَ الناصرَ صلاحَ الدينِ يوسفَ بنِ أيوبَ صاحبَ مصرَ أنَّ باليمنِ رجلاً يقالُ له عبدُالنبـي بنُ مهدي خرج على دولةِ الخلافةِ، ويزعمُ أن دولته ستطبقُ الأرضَ وتسيرُ مسيرَ الشمسِ، فغضبَ من ذلك وأرسلَ أخاه تورانَ شاه على رأسِ جيشٍ جرارٍ فدخل اليمنَ وتغلبَ على ابن مهدي سنة ٥٦٩هـ[١]. لعلَّ هذا هو السببُ المباشرُ الذي حدا إلى إرسالِ الملكِ المعظمِ توران شاه إلى اليمنِ وإلا فقد ذكرَ ابنُ الأثيرِ في حوادثِ سنةِ ٥٦٩هـ أن صلاحَ الدينِ وأهلَه في مصرَ كانوا يخافونَ السلطانَ نورَ الدين محمود ويتوقعون دخولَه مصرَ وإخراجهَم منها ولذلك كانوا جادّين في تحصيلِ مملكـةٍ يقصدونَهـا إن أخرجَهم نورُالدينِ من مصرَ فأرسلَ صلاحُ الدين توران شاه بنَ أيوبَ إلى بلادِ النوبةِ فسارَ إلى أسوان ومنها إلى النوبةِ فملكها وأقامَ بها ولكنه وجدَها قليلة الغنى لا يُطمعُ فيها ولا تُرضي طموحَهم فتركَها وعادَ إلى مصرَ[٢]. فلما عادَ إلى مصرَ فكَّرَ صلاحُ الدين جدياً في ملكِ اليمنِ فاستأذنَ نورَالدين في فتحها وصادفَ أن متوليها عبدالنبـي بن مهدي كان قد قطعَ الخطبةَ العباسيةَ مما

---

(١) بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٦٩.

(٢) الكامل في التاريخ، لابن الأثير، م ٩ ص ١١٨ ــ ١١٩.

أغضبَ عليه الخليفةَ وأذن لصلاحِ الدينِ في فتحِها فسيَّرَ إليها أخاهُ الملكَ المعظم تُوران شاه سنة ٥٦٩هـ فمضى إليها وأسرَ عبدَالنبي وزوجتَه الحره وحصلَ على أموالٍ كثيرةٍ وودائعَ كبيرةٍ كان عبدُالنبي وزوجتُه قد جمعوها وملكَ زبيدَ واستقرَ الأمرُ له بها وأعيدتْ بها الخطبةُ العباسيةُ وسارَ منها إلى عدنْ ففتحَها وأسرَ متوليها وأراد جندْ شمس الدولةِ الملكِ المعظمِ توران شاه نَهبْهَا فمنعهم، وقال ما جئنا لنخربَ البلادَ وإنما جئنا لنملكها ونعْمُرهَا فلم ينهبْ أحدٌ منها شيئاً.

ولما فرغَ من أمرِ عدنٍ عاد إلى زبيدَ وجعلها عاصمةَ ملكهِ واستولى على بقيةِ حصونِ اليمنِ وقلاعِها مثل قلعةِ تعز وقلعةَ التَّعْكُرِ والجَنْدِ وغيرِها من المعاقلِ والحصونِ وأحسنَ شمسُ الدولةِ إلى أهلِ البلادِ واستصفى طاعتَهم بالعدلِ والإحسانِ[١].

ويعتبرُ الفتحُ الأيوبيُ لبلادِ اليمنِ حدثاً مهماً في تاريخِ العربِ فقد وحَّد أمراءُ بيتِ صلاحِ الدينِ بينَ اليمنِ ومصرَ وسوريا وبلادِ الجزيرة[٢]. ولم يَطِبْ لتوران شاه المُقامَ باليمنِ فاستناب فيها نواباً وقدمَ على أخيه صلاحِ الدينِ في الشامِ وكان قد تَملَّكها ولم يبقَ خارجاً عن طاعةِ صلاحِ الدينِ من الشامِ إلا بعضُ المدنِ، فجاء إليه وهو محاصرٌ حلبَ سنة ٥٧١هـ فأضافَ إليه صلاحُ الدين الاسكندريةَ عِلاوةً على اليمنِ وبقي نوابُ اليمنِ يحملونَ إليه الأموالَ حتى توفيَ سنة ٥٧٦هـ بالاسكندريةِ وبموتهِ عادَ الاضطرابُ إلى اليمنِ واختلفَ نوابُها وحاولوا التمردَ، ودعا كلٌّ منهم لنفسِهِ وضربَ سكةً باسمهِ وصار أصحابُ كل واحدٍ منهم لا يتعاملونَ بسكةِ الآخرِ[٣]. فخافَ

(١) الكامل في التاريخ، م ٩ ص ١٢٣.
(٢) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج ٤ ص ٢١٤.
(٣) بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٧٣.

صلاحُ الدينِ تفاقُمَ الأمرِ فأرسلَ جماعةً من أمرائِهِ[١]، لحفظِ الأمنِ وإعادة النظام حتى يرسلَ إليها واحداً من أهلِ بيتِهِ ثم أرسلَ إليها سيفَ الإسلامِ طُغتكين بنَ أيوبَ في ألفِ فارسٍ وخمسمائةِ راجلٍ فمرَّ بمكةَ ومنها توجهَ إلى اليمنِ ودخلَ زبيدَ في أوائلِ سنةِ ٥٧٩هـ وملكَ اليمنَ كلَّه وعراً وسهلاً ودخلَ أماكنَ ما دخلها أحدٌ قبلَهُ[٢]. وكان سيفُ الإسلامِ كريماً حَسَنَ السياسةِ أشاعَ العدلَ وأنصفَ المظلومينَ فكان يشتدُ على الظالمِ بل ربما عزلَ الوالي وقتلَ الظالمَ كما فعل بوالي سَهامٍ فلم يجرؤْ أحدٌ على ظلمِ أحدٍ[٣]. وكان محباً للعلمِ مشجعاً للعلماءِ فقيهاً له مقـرؤآتٌ ومسموعـاتٌ عنه أخـذَ القاضي أحمدُ بنُ عليٍّ العرشاني موطأَ مالكٍ وإليه يرجعُ الفضلُ في تقريرِ قواعدِ الملكِ باليمنِ.

وهو أولُ من قنَّنَ القوانينَ وضربَ الضرائبَ السلطانيةَ وأظهرَ سلطةَ الدولةِ[٤] وهيبتَها إلى جانبِ حبهِ للعمارةِ فقد اختطَّ مدينةً سماها المنصورةَ وابتنى فيها قصراً كبيراً وحماماً وابتنى للعسكرِ فيها بيوتاً كثيرةً كما بنى المؤخرَ من جامعِ زبيدَ والجناحين الشرقيِّ والغربيِّ والمنارةِ[٥]. ثم ملكَ بعدَه الملكُ المعزُّ اسماعيـلُ بنُ طُغتكين بنُ أيوبَ سنـةَ ٥٩٣هـ وكان اسمـاعيلُ قبيـحَ المـذهبِ بـاطنيَ العقيـدةِ يميـلُ إلى المـذهبِ الإسمـاعيليِ حتى راوده الإسماعيليونَ على أبطالِ مذهبِ السنةِ فأمر أحدَ قضاته بإسقاطِ ذكر الشيخينِ

(١) الكامل في التاريخ، م ٩ ص ١٥٣.
(٢) بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٧٤.
(٣) تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٠٢ ــ ١٠٣؛ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيـد، ص ٧٥.
(٤) تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٠٣؛ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٧٥.
(٥) وفيات الأعيان، م ٢ ص ٥٢٤؛ تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٠٣؛ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٧٥.

من الخطبةِ وكانَ القضاءُ إذ ذاك في أهلِ عرشانَ فتصدى له الفقيهُ أحمدُ بنُ محمدِ بن سالمٍ الملقبُ بالمِخَفَّةِ يومَ جمعةٍ فلما وصل إلى الخطبةِ الثانيةِ صلى على النبيِّ صلى الله عليه وسلم فلما أراد الترضيَ عن الشيخينِ بما جرتْ به العادةُ قال (اعلموا رَحِمكُم الله أن ذكرَ الشيخينِ أبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما ولَعَنْ مُبغضَهما ليس بشرطٍ في صحةِ الخطبةِ فقد حصلَ لي ببركتِهما كذا وكذا من المالِ وكذا من الطعامِ فعلى مُبغِضِهما لعنةُ الله ولعنةُ اللاعنينَ) فثارتْ ثائرةُ الإسماعيليةِ فطلبوا من الملكِ المعزِ إسماعيلَ أن يبقى الخطيبُ على حالتِهِ الأولى[1]. وقيل إنه كان في أولِ أمرهِ محباً للعلمِ مشجعاً له فبنى المدارسَ ويُعَدُّ من أولِ من بنى المدارسَ باليمنِ فقد بنى السيفيّةَ نسبةَ إلى أبيه سيفِ الإسلامِ ثم بنى المدرسةَ المعروفةَ بالميلينِ شرقيِّ رحبةِ الدارِ الناصريِ[2].

ثم خولطَ في عقلهِ وأدعى أنه قرشيٌّ من بني أميةَ وخطبَ لنفسهِ بالخلافةِ وتلقبَ بالهادي فلما سمعَ عمه الملكُ العادلُ ذلك ساءَه وكتبَ إليه يلومُهُ ويوبِّخُه ويدعوه إلى تركِ ما ارتكبَ من قبائحَ فلم يلتفتْ إلى ذلكَ وانضاف ذلك إلى ما كانَ عليهِ من قبائحَ ظلمهِ للرعيةِ. فوثب عليه جماعةٌ من امرائه فقتلوه سنة ٥٩٨هـ وولوا بعده أخ صبـي اسمه الناصر أيوب.

فقامَ بأمرهِ الأتابكُ سنقـرٌ وكان هو الذي رباه فقام بالمملكةِ أحسنَ قيامٍ وكانَ محباً للعلمِ والعمارةِ دَيِّناً شغوفاً بالخيرِ بنى مدرسةً كبيرةً بزبيدَ عقدَ فيها إيوانين وهي الآن تعرف بمدرسةِ ابنَ حَمّانَ وكانت للحنفيـةِ وأوقفَ عليها أوقافاً كبيرةً ثم بنى مدرسةً أخرى للشافعيةِ تعرفُ بالعاصميةِ نسبةً إلى مدرِّسها الفقيهِ عمروِ بنِ عاصمٍ[3]. ولما توفي الأتابكيُ سنقرٌ جعل الملكُ الناصرُ أمرَ

---

(١) تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٩.

(٢) بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٧٦.

(٣) بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٧٦ ـــ ٧٧؛ تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ٢٤.

مملكتهِ إلى الأميرِ غازي بنِ جبريلٍ وجعلهَ القائمَ بملكهِ فزين للسلطانِ تركَ زبيدَ والرحيلَ إلى صنعاءَ، فلما طاوعه الملكُ سَمَّه سنةَ ٦١١هـ. ولكن الأمرَ لم يتمْ له فوثبَ به مماليك الناصر وقتلوه في مدينة إِبْ ثُم قامتْ أم الناصرِ بـالأمرِ ودبـرت شؤونَ الملكِ حتى قدمَ سليمـانُ بنُ تقي الدينِ عمـرُ بن شاهنشاه بنُ أيوب المعروفُ بالصوفيِّ ولكنه لما صار سلطاناً غلبَ عليه اللهوُ واللعبُ وغفِلَ مع النساء حتى تضعضعَ الملكُ[1]. فبلغَ الملكَ العـادلَ أبا بكر بن أيوبَ صاحبَ مصرَ حالةُ اليمنِ فجهزَ إليها ابنَ ابنهِ الملكَ المسعودَ صلاحَ الدين يوسفَ بنَ الملكِ الكاملِ في جيشٍ عظيمٍ وأموالٍ جليلةٍ وحالةٍ كبيرةٍ وكان عندها في سنِّ البلوغِ[2]، فكتب له الملكُ الكاملُ بكتابٍ أرسله إلى الأميرِ شمسِ الدينِ علي بنِ رسولٍ الغسانيِّ[3]، وإلى سائرِ الأمراءِ المصريينَ باليمنِ وأمرَهم بحسنِ صُحْبتِه والقِيامِ بما يجبُ لهُ من الخدمةِ والنصرةِ والطاعةِ فلما وصلَ الملكُ المسعودُ في سنةِ ٦١٢هـ تسلم حصنَ تعزٍ وقبضَ على سليمانَ الصوفيِّ بمساعدةِ الأميرِ بدرِ الدينِ الحسنِ بن علي بن رسولٍ ونفى سليمانَ إلى مصرَ ودانت له اليمنُ بأسرِها يساعده بنو رسولٍ الذين أخلصوا في خدمتهِ فوثقَ بهم وولاهم أمورَ دولتهِ لما رأى فيهم من

(١) بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٧٨؛ العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٣٠.

(٢) العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٣٠.

(٣) يرجع نسب بني رسول إلى الغساسنة. فقد كان «رسول» واسمه محمد بن هارون بن أبي الفتح من ذرية جبلة بن الأيهم الغساني الذي أسلم أيام عمر بن الخطاب ثم تنصر ولحق بالروم فلما هلك أسلم ولده وانتقلوا إلى بلاد التركمان وسكنوا هناك مع قبيلة مجك وتكلموا بلغتهم وبعدوا عن العرب وظنهم الناس من التركمان وهم يقيمون على أنسابهم ثم سكنوا العراق وكان محمد بن هارون جليل القدر عند الخليفة العباسي واختصه برسالته إلى الشام وإلى مصر ورفع الحجاب بينه وبينه حتى غلب عليه اسم رسول وجهل اسمه الحقيقي ثم انتقلوا من العراق إلى الشام ثم إلى مصر ثم خرجوا مع الملك المعظم إلى اليمن، العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٢٦ ــ ٢٧.

حسنِ الطاعة وشدةِ البأسِ. فلما تقررتْ أحوالُ اليمنِ وهدأتْ سافر الملكُ المسعودُ إلى مصرَ سنة ٦٢٠هـ وتركَ في اليمن أتابكَ عسكره نورَ الدينِ عمرَ بنِ علي بنِ رسول نائباً نيابةً عامة وأخاه بدرَ الدينِ الحسنِ بنِ علي في صنعاءَ خاصةً، وحلَّف لهم الجُندَ[1]، وفي أثناءِ غيابِ الملكِ المسعودِ عن اليمنِ عادتْ إليه القلاقلُ والحروبُ فخرجَ «يَزعُمْ الصوفيُّ» في الحقلِ وبلادِ زبيدَ ودعا لنفسهِ واجتمع حولَه غوغاءُ الناسِ فسارَ إليه نورُ الدين ومعه راشدُ بنُ مظفر بن الهرشِ فوقع القتالُ وقتل راشدُ وتغلبَ على عسكرِ نورِ الدين سنة ٦٢٢هـ ثم ظهرَ للناس كذبهُ وفسادُ مذهبهِ وهرب فتلاشتِ أمورهُ[2]. كما خرجَ الشريفُ عزُ الدينِ محمدُ بنُ الإمامِ المنصور عبدِالله بن حمزةَ في جموعٍ كثيرةٍ يريدُ صنعاءَ فدافعَ نورُ الدينِ وأخوهُ بدر الدين عنها وأبلوا بلاءً حسناً حتى منحهم الله الظفرَ والنصرَ وفي هذا يقولُ العمادي الشيزريُّ شاعرُ الملك المسعودِ.

بسيفِ الجوادِ ابنِ الرسولِ توطدت قواعدُ ملكٍ ربُّه عنهُ غائبُ[3]

فلما بلغ الملكَ المسعودَ وبني أيوبَ في مصرَ خبرُ هذه الأحداثِ خافوا على اليمنِ فعاد إليها الملكُ المسعودُ سريعاً سنة ٦٢٤هـ[4].

وأظهرَ أبناءُ رسولٍ في حكمهم لليمنِ أثناءَ غيبةِ الملكِ المسعودِ كلَّ شجاعةٍ وإقدامٍ حتى بَعُدَ صيتُهم وذاعَ خبرهُم في ابتناءِ المجدِ وحمايةِ الحوزةِ فأوجسَ بنو أيوبَ منهم خِيفةً على مُلكَ اليمنِ حتى قال صاحبُ

---

(١) العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٣٣؛ بهجة الزمن في تاريخ اليمن، ص ٨٤.
(٢) العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٣٤؛ بهجة الزمن في تاريخ اليمن، ص ٨٥.
(٣) العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٣٤ ــ ٣٦.
(٤) العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٣٥ ــ ٣٩؛ بهجة الزمن في تاريخ اليمن، ص ٨٥.

العقودِ اللؤلؤيةِ (واشتدَ خوفُ بني أيوبَ على ملكِ اليمنِ من بني رسولٍ ولم يخافوا أحداً من العربِ ولا من الغُزِّ كخوفهمْ منهم) وصادفَ أن ماتَ الملكُ المعظمُ صاحبُ دمشقَ فأرسلَ ولدَه إلى عمهِ يستدعيه من اليمن ليوليه الشامَ بدلَ أبيه فَفَرِحَ الملكُ المسعودُ بذلكَ فرحاً شديداً، وتجهزَ بجهازٍ عظيمٍ لم يُسبقْ إليه وسافرَ وقد ابتدأ به المرضُ وأنابَ عنهُ في اليمنِ عمرَ بن علي بن رسولٍ الغساني وكان يثق به لعقلهِ وكياستهِ دون إخوتِه وإن كانوا أكبرَ منه خوفاً منهم على البلادِ. فقد ولاه مكةَ المشرفةَ سنة ٦١٧هـ فحسُنْتْ سيرتُه فيها[١]، وأحسنَ إلى أهلِها غايةَ الإحسانِ. ولم تطلْ نيابتُهُ على مكةَ حتى استنابَه الملكُ المسعودُ على اليمنِ سنة ٦٢٠هـ أثناءَ عودتهِ إلى مصرَ فكان حسنَ السيرةِ محبوباً إلى الناسِ حافظاً للبلاد قائماً بحقِ حمايتِها قامعاً لأعدائِها حتى رجَعَ الملكُ المسعودُ إليها سنةَ ٦٢٤هـ.

فلما عزمَ المسعودُ على الرحيلِ عن اليمن هذه المرةَ لم يجدْ أفضلَ من نورِ الدينِ عمرَ بنِ علي يُوليه اليمنَ. وكان عمرُ يخافُ من إخوتِه المعارضةَ والمناهضةَ وبنو أيوبَ يخافونَ من اجتماعِهم في بلدٍ واحدٍ فشكى عمرُ إلى المسعودِ خوفَه من إخوتِه فقال أنا أكفيكَ أمرهَم فَقَبَض على أولادِ ابنِ رسولٍ الثلاثةِ بدرِ الدينِ حسن بنِ علي، وفخر الدين أبا بكر بن علي، وشرف الدين موسى بن علي، وقيل إنه لم يقبض عليهمْ حتى أمرَ العسكر بالركوب تحسُّباً من حدوثِ شيء لميل أكثرِ العسكرِ إليهم فلما تمَّ له ما أرادَ من اعتقالِهم أرسل بهم إلى مصرَ[٢]. وبذلك تمهدتْ الطريقُ لملك نور الدين بجعله نائباً عن المسعودِ في اليمنِ كله، بل إن الملكَ المسعودَ جعلَ اليمنَ له بعد وفاتِه وقال له (قد جعلتُك نائبي في اليمنِ فإن مِتُ فأنت أولى بملكِ

---

(١) أخبار مكة، ج ٢ ص ٢١٥ و ٢٧١.

(٢) العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٤١؛ بهجة الزمن في تاريخ اليمن، ص ٨٥.

اليمنِ من إخوتي لأنكَ خدمتَني وعرفتُ منك النصيحةَ والاجتهادَ فإن عشتُ فإنك على حالِك وإياكَ أن تتركَ أحداً يدخلُ اليمنَ من أهلي ولو جاءَك الملكُ الكاملُ وَلَدِي مطوياً في كتابٍ)[1]. ولما وصلَ الملكُ المسعودُ إلى مكةَ اشتدَ به المرضُ فأقامَ بها أياماً ثم توفي سنةَ ٦٢٦هـ فقامَ بأمرِ اليمنِ بعده نورُ الدين عمرُ بن علي بنُ رسولٍ وأظهر أنه نائبٌ لبني أيوبَ فلم يغيرْ سكةً ولا خطبةً ولكنهُ أضمرَ الاستقلال بالمُلْكِ فجعلَ يولي الحصونَ من يرتضيه ويثقُ به ويعزلُ من يخشى منه خلافاً إلى أن أطاعَهُ الجميعُ وأصبحَ الكلُّ في قبضتِه وقبضةِ رجالِه[2]. فلما تمهدتْ له أمورُ اليمنِ تطلعتْ نفسُهُ إلى منازعةِ بني أيوبَ ملكَ الحجازِ فأرسلَ ابنَ عبدانَ على رأسِ جيشٍ كبيرٍ إلى مكةَ سنة ٦٢٩هـ فهربَ منها نائبُ الملكِ الكاملِ صاحبُ مصرَ لأن أهلَ مكةَ مالوا إلى جيشِ ابنِ رسولٍ لما عرفوا فيه من إحسانهِ إليهم أيامَ كان أميراً عليهم من قبلِ الملكِ المسعودِ فلما بلغَ الملكَ الكاملَ صاحبَ مصرَ ذلكَ جهز عسكراً كثيفاً وقدّم عليهم فخرَ الدينِ بن شيخِ الشيوخِ وكتبَ إلى أمير المدينةِ وغيرهِ من أمراءِ الحجازِ أن يكونوا معَ فخرِ الدينِ في محاربةِ جيشِ اليمنِ وإعادة الحجازِ إلى حظيرة مِصرَ فتم له الأمرُ وقتلَ نائبُ ابنِ رسولٍ وحصلتْ مقتلةٌ عظيمةٌ[3]. عندَها استقلَّ عمرُ بنُ علي بنُ رسولٍ باليمنِ وتلقبَ بالملكِ المنصورِ وأمرَ الخطباءَ أن يخطبوا له في سائرِ أقطارِ اليمنِ وضربَ اسمَه على السكةِ وكان ذلك كلّه سنةَ ٦٣٠هـ[4].

---

(١) العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٤١.

(٢) تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٧٥ ـ ١٧٦؛ العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٤٦.

(٣) العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٤٩ ـ ٥٠؛ تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٧٦.

(٤) تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٧٦؛ بغية المستفيد في تاريخ مدينه زبيد، ث ٨١.

وإذا أردْنا أن نعرفَ صفاتِ الملكِ المنصورِ المعاصرِ للإمامِ فقد ذكرتْ لنا كتبُ التاريخ أنه كان على جانبٍ عظيمٍ من حُسن السيرةِ وصلاحِ السريرة ومحبةِ الناسِ له وانقيادِهم لطاعتهِ إلى جانبِ ما توافرَ فيه من حزمٍ وعزمٍ وشجاعةٍ يكفي بذلك شاهداً أنه لم يقنعْ بانتزاعِ ملكِ اليمنِ من بني أيوبَ واستقلالهِ به حتى نازعهمْ ملكَ الحجازِ كما عرفنا سالفاً. وأرادَ أن يُضْفيَ على ملكه صفةَ الشرعيةِ فتقربَ من المستنصرِ بالله العباسيِّ، الخليفةِ ببغدادَ وأرسلَ إليه بهديةٍ وطلبَ منه تشريفَهُ بالنيابةِ بالسلطنةِ في قطرِ اليمنِ وكان التقليدُ بالنيابةِ كما جرتْ عوائدُ الملوكِ فوصلتْ التشريفة سنةَ ٦٣٢هـ على يدِ رجلٍ يمني يُسمى معالي فقال يا نورَ الدين (إن العزيزَ يُقرؤك السلامَ ويقول قد تصدقتُ عليكَ باليمن ووليتكُ إياه وألبسَه الخلعةَ الشريفةَ الخليفية) وكان ابنُ رسول حنفَي المذهبِ ثم انتقلَ إلى مذهبِ الشافعيِّ لرؤيا رأى فيها المصطفىَ صلى الله عليه وسلم يقولُ له عمرَ صِرْ إلى مذهبِ الشافعي[1] فأصبحَ ينظرُ في كتبِ أصحاب الشافعي ويعتمدُ عليها ويتقربُ من العلماءِ والأئمةِ والفقهاءِ فصحب الفقيهَ محمدَ بن مضمونٍ والإمامَ محمدَ بن ابراهيم الفشليَ الفقيه المحدثَ بزبيدَ[2] وله مآثر دينيةٌ تُشيدُ بذكره تدل على حبهِ للعلمِ وتوقيرهِ للعلماءِ فقد ابتنى مدرستين بتعز تعرفُ إحداهما بالوزيريةِ نسبة إلى مدرسها الوزيري والأخرى الغرابيةِ نسبةَ إلى مؤذنِها الصالحِ الشيخِ غراب وابتنى بعدنَ مدرسةِ ذاتَ شقين واحد للشافعية والآخر للحنفية وابتنى بزبيد مدرسة للشافعيةِ ومدرسةً للحنفية ومدرسةَ للحديث النبوي الشريفِ ورتب في كل مدرسةِ مدرساً ومعيداً وإماماً ومؤذناً ومعلماً وأيتاماً يتعلمونَ

---

(١) تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٧٦؛ العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٥٤ ــ ٥٥.

(٢) تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٧٨ ــ ١٧٩؛ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد ص ٨٢.

القرآنَ ووقفَ على مدارسهِ أوقافاً تقوم بكفايةِ الجميعِ وابتنى في كل قريةٍ مسجداً إلى جانبِ الحصونِ الكثيرةِ التي ابتناها وأنفقَ عليها الكثيرَ كما أمرَ بعمارةِ البَرْكِ وهو جبلٌ متصل بالبحرِ فيما بينَ مكةَ والمدينةِ ورتبَ فيه العساكرَ لمحاربةِ بني أيوبَ واستصلحَ النورى وإليهِ تنسبُ وكانت صحراء مهلكةَ فابتنى فيها مسجداً وجعلَ فيه إماماً ومؤذناً وشرطَ لمن يسكنُ معهما مسامحة فيما يزرعه فسكنَ الناسُ معهما حتى صارتْ قرية انتفع الناسُ بها نفعاً عظيماً وكانت وفاتُه سنةَ ٦٤٧هـ ودفنَ بالمدرسةِ الأتابكيةِ بذي هزيمٍ (١).

* * *

(١) تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٧٩؛ العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٨٤ ــ ٨٥؛ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٨٢.

الحالةُ العسكريةُ والإداريةُ والاقتصاديةُ

لم يزدْ جندُ اليمنِ في عهدِ بني رسولٍ على ألفي فارسٍ يضافُ إليهم نحواً من هذا العددِ من الجُندِ الغرباءِ بل ان عامةَ جندِ اليمنِ من الغرباءِ لرغبةِ ملوكِ تلكَ الناحيةِ فيهم(١). أما زيُّ السلطانِ وعامةِ الجندِ فهي أقبيةٌ إسلاميةٌ ضيقةُ الأكمامِ مزندة على الأيـدي وفي أوساطهم منـاطقُ مشدودةٌ وعلى رؤوسهم تخافيفُ لانسٍ وفي أرجُلِهم الدلاكساتُ وهي أخفافٌ من الحرير الأطلسي والعتابـيِ(٢).

وقال المقرُ الشَهابـيُ في كتابـه مسالِـكِ الابصارِ وَنَقَـلَ ذلك عنـه القلقشنديُ في صبح الأعشى قال: «وفد عليّ بن عمر أحدُ أمراء اليمنِ إلى الديار المصريةِ لوحشةٍ حصلتْ بينه وبينَ سلطانِه وهو بهذا الزي خلا الدلاكس فإنه قَلَعه ولبس الخفَ المعتادَ بالديار المصريةِ وكان يحضرُ الموكبَ السلطاني بالديارِ المصريةِ وهو على هذا الزي.

وكان شعارُ سلطنةِ بني رسول عبارةٌ عن قماش أبيضَ في وَسطهِ وردةٌ حمراءُ. وذكر المقرُ الشهابـيُ أنه رأى علماً لسنجق يمني في عرفاتٍ وإذا به أبيضُ به ورداتٌ حمرٌ»(٣).

وكان من أهم موظفي الدولةِ النائبُ والوزيرُ والحاجبُ وكاتبُ السر

---

(١) مسالك الأبصار، ص ٤٧؛ تاريخ الإسلام السياسي، ج ٤ ص ٢١٦؛ صبح الأعشى، ج ٥ ص ٣٣ ـ ٣٤.

(٢) مسالك الأبصار، ص ٥٢؛ صبح الأعشى، ج ٥ ص ٣٤.

(٣) مسالك الأبصار، ص ٥٥؛ صبح الأعشى، ج ٥ ص ٣٤.

وكاتبُ الجيشِ وديوانُ المالِ وبها وظائفُ الشادي والولايةِ[1]. والإمـرةُ عندهم قد تطلقُ على من ليس بأميرِ أما الأمرةُ الحقيقيةُ التي ترفعُ بها الأعلامُ فإنها لمنْ قلَّ وربما لا يتعدى الأمراءُ بها عشرةُ نفر. وملوكُ اليمنِ يتشبهونَ بملوكِ مصرَ في كافةِ رسومِ الملكِ وفي أغلب مظاهر السلطان حتى في التوقيع على رسائل المتظلمينَ فانهم يحاكونَ بها تواقيعَ سلاطينِ مصرَ وكان التوقيعُ عبارةً عن «الشاكر للهِ على نِعمائه» ويُكتبُ تحتَها اسمُ المـوقعِ أو لَقبُهُ[2].

وذكرَ صاحبُ مسالكِ الأبصارِ أن صاحبَ اليمنِ قليلُ التصدي لإقامة رسومِ المواكبِ والخدمةِ والاجتماع بولاة الأمور ببابه. فإذا احتاج أحدٌ من أمرائِه وجندِه إلى مراجعتِه في أمر كتبَ إليه قصةً يستأمِرهُ فيها فيكتبُ عليها بخطِّه ما يراه، وكذلك إذا رُفعتْ إليه قِصصُ المظالمِ هو الذي يكتبُ عليها بخطِه بما فيه انصافُ المظلوم، وكان الترفُ هو الغالبُ على ملوكِ اليمنِ فأوقاتُهم مقصورةٌ على لذاتهم والخلوةِ مع حظاياهم وخاصتِهم من الندماءِ والمطربينَ ولم يكنْ السلطانُ يبرزُ للعامة كثيراً بل لم يكنْ يُعرفُ له خبر على الحقيقةِ مع شدةِ ضبطهم لبلادِهم ومن فيها واحترازهم على طرقها براً وبحراً من كل جهةٍ لا يخفى عليهم داخلٌ يدخلُ إليها ولا خارجٌ يخرجُ منها وله أربابُ وظائفٍ للقيامِ بأمورهِ وهو في هذا كله ينحو منحى صاحب مصر يترسم خطاه في خاصة أمره وفي تدبير أمور دولته. وصاحبُ اليمنِ لا ينزلُ في أسفارِه إلا في قصورٍ مبنيةٍ له في منازل معروفةٍ من بلادِه[3] فحيثُ أرادَ النزولَ وجدَ بها قصراً ينزلُ به. وكانتْ التجارةُ استيراداً وتصديراً عمدةَ الاقتصاد وأهمَ مواردِ الدولةِ في عهدِ بني رسولِ وبخاصةٍ تجارةُ البحرِ فقد كانت صادراتُ

---

(١) مسالك الأبصار، ص ٤٩؛ تاريخ الإسلام السياسي ج ٤ ص ١٦؛ صبح الأعشى، ج ٥ ص ٣٤.

(٢) مسالك الأبصار، ص ٤٨؛ صبح الأعشى، ج ٥ ص ٣٥؛ تاريخ الإسلام السياسي، ج ٤ ص ٢١٦.

(٣) مسالك الأبصار، ص ٥٦؛ صبح الأعشى، ج ٥ ص ٣٥.

الهندِ تصلُ إلى اليمن عن طريق البحر وكان أهمُّ ما تستوردُ اليمنُ من الهند السفنَ والبهاراتِ والبضائعَ وذكر المقدسيُ أن اليمن يعدُّ من أشهرِ بلادِ المسلمين بالتجارة لموقعه الجغرافي، وأن التجارة فيه مفيدةٌ وأهم منتجاته هي العقيقُ والزعفرانُ والأدمُ وإنه يصدرُ إلى عُمانَ آلات الصيادلةِ والعطورِ والحديدِ والرصاصِ كما كان للثروة الحيوانيةِ شأن وخاصةً في مرباط ونواحيها في عهدِ المنجَويين ولما جاء الحبوضيونَ وجهوا عنايتَهم إلى الزراعةِ إلى جانبِ التجارةِ[1]. ولم يزل ملوكُ اليمنِ يعتمدون على عمالٍ وصناعٍ يستقدمونهم من مصر والشام ويجزلونَ عطاياهم ويحسنونَ إليهم غايةَ الإحسانِ ويمنحونهم ما يعوضهُم عن تركِ أوطانِهم بما يوفرُ أسبابَ الرفاهيةِ ورغدَ العيشِ ويستخدمونَهم بما يناسبُ كلاً منهم. وصاحبُ المملكة هناك يتفقدُ الصناعَ والعمالَ والتجارَ في كل وقتٍ بما يأخذ به قلوبهم ويُوَطِنَهم عندَه حتى ذكر صاحبُ الابصار عن ملوكِ هذه المملكةِ انهم لم يزالوا مقصودين من آفاق الأرضِ وقلَّ أن يبقى مُجيدٌ في صنعةٍ من الصنائعِ إلا ويصنع لأحدِهم شيئاً على اسمه ويقصدُه به فيقبلُ عليه ويقبلُ منه ويحسنُ نُزُلَه ويسنى جائزتَه وإذا أراد المقامَ عنده أقام مكرماً محترماً فما قصدهم قاصدٌ إلا وحصل له من البرِ والأيناسِ وتنويعِ الكرامةِ ما ينسيهم عن الأوطانِ ولشدةِ تعلقهم بالغريب لا يسمحون بعودتِه فإذا أرادَ الارتحالَ عن دارهم مكنوه من العودةِ كما جاءهم وخرجَ عنهم على أسوأ حال مسلوباً ما استفاد عندهم من نعمةِ عقاباً له على مفارقتِه لأبوابِهم أما من قدَّم إليهم القولَ بأنه أتاهم راحلاً لا مقيماً وزائراً لا مستديماً فإنهم لا يكلفونَه المقام ولا يشقون عليه في العودةِ بل يجزلون إفادَته ويجملون إعادَته[2].

---

(١) صبح الأعشى، ج ٥ ص ٣٦؛ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٩٧؛ تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٩٥.

(٢) صبح الأعشى، ج ٥ ص ٣٦.

الحالةُ الفكريةُ والعلميةُ

الفقهُ في اليمن:

انتشرَ مذهبُ الإمامِ مالكٍ ومذهبُ الإمام أبي حنيفةَ في اليمنِ، كلُ هذا قبلَ قيامِ الإمامِ يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بالدعوة لنفسهِ. فقد تسمى بالهادي وألَّف كثيراً من الكتب جاوزتْ الأربعينَ ووضع أساسَ المذهبِ الهدوي الزيدي الذي لا زالَ له أتباعٌ وأنصارٌ في اليمن إلى اليوم. وكانَ قد دخلَ اليمنَ بدعوةٍ من أهلها بعد أن انتشرَ فيها مذهبُ القرامطةِ على يدِ عليٍّ بنِ الفضلِ القرمطيِّ الزنديقِ أحدِ دعاةِ القرامطةِ الذي ملَكَ اليمنَ من زبيدَ إلى صنعاءَ وطردَ إمامَ الزيديةِ منها ولكنَّ أيامَه لم تطلْ فاستمرَ أبناءُ الهادي في نصرةِ مذهب الشيعةِ حتى انقرضتْ دولتُهم[1].

وشقَ المذهبُ الشافعيُ طريقَه إلى بلادِ اليمن من باكورةِ أيامهِ عندما ولّيَ الشافعيُ القضاء بنجران من أرض اليمنِ وكان له من العُمُرِ عندها ثلاثونُ سنةً فوشوا به إلى الرشيد وأنه يرُوم الخلافَة فاستقدمه الرشيدُ إلى بغدادَ فدخلها سنة ١٨٤هـ فناظره الرشيدُ وتبينَ براءتَه وناظرَه محمدُ بن الحسنِ صاحبُ أبي حنيفةَ بحضرةِ الرشيدِ فأحسنَ محمدُ بن الحسنِ القولَ فيه وأثنى عليه عند الرشيد وأكرمَه وكتبَ الشافعيُّ عنه وِقْرَ بعير من العلمِ وعندها أطلقَ إليه الرشيدُ ألفي دينارٍ وقيل خمسة آلاف فعادَ الإمامُ بعدَها إلى مكة وفيها فرَّق

(١) تاريخ الإسلام السياسي، ج ٤ ص ٤٥٤؛ تاريخ ابن خلدون، م ٤ ص ١١١؛ تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٥٦؛ طبقات فقهاء اليمن، ص ٧٥.

عامةَ ما حصلَ له على أهلِه وذوي قرباه[1]. فيكونُ الإمامُ الشافعيُ، رحمهُ اللهُ، هو الذي بَذَرَ بذورَ المذهب في تلكَ البلادِ وكان له بها أصحابٌ وتلاميذُ وأتباعٌ ثم انتشرَ مذهبُه انتشاراً موسعاً وخاصةً في زبيدَ ونواحيها على يدِ أتباعِه كالقاسمِ بن محمدٍ الجمحيِّ إمام الشافعيةِ في صنعاءَ وعدَن وعنه انتشرَ هذا المذهبُ حتى غلبَ في معظمِ أصقاعِ اليمنِ وممن أخذَ الفقهَ عن القاسم جعفرُ بنُ عبدِالرحيمِ الموخائيُّ المتوفى سنة ٤٦٠هـ الذي قام بالتدريس والفتيا وأسهم في توسيعِ قاعدةِ هذا المذهبِ[2].

وكانت المذاهبُ تَنْشُط وتخبو ويكثرُ اتباعُها ويقلوا حسبَ ما تتلقى من دعمٍ من السلطةِ الحاكمةِ التي هي في الغالبِ قائمةٌ على مذهبٍ دينيٍ تنصرُه وبه تنتصرُ وتجمعُ الناسَ حولَها على هذا المذهبِ فلما غلبَ عليّ الصليحيُّ على اليمنِ نصرَ مذهبَ الشيعةِ الإسماعيليةِ وكاتبَ المستنصرَ الفاطميَ واستمر بنو صليحٍ في دعمِ هذا المذهبِ حتى انقرضوا[3].

فعادتْ المذاهبُ السنيةُ إلى النشاطِ على يد من جاء بعدَهم فلقدْ ذكر صاحبُ بغيةِ المستفيد أن المذاهبَ انتعشتْ على يد أبي محمدٍ سرور الفاتكي أحد وزراءِ بني نجاحٍ فقد كان معظماً للشرعِ الحنيفِ محباً للعلماءِ والفضلاءِ مفضلاً إياهم على سائِر الناسِ فكان من عادتِه أن من أولِ من يسلمُ عليه ويستفتحُ بهم إذا ما قدم الفقهاءُ الشافعيةُ والحنفيةُ والمالكيةُ وكان حينَ يراهم يترجلُ ويسلمُ عليهم راجلاً ولا يفعل ذلك لغيرهم ويُجْرِي عليهم ما يقومُ بكفايتِهم ثم غلب على اليمن[4]، مذهبُ الإمامِ الشافعيِّ على

(١) البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٥٢؛ طبقات فقهاء اليمن، ص ١٣٨.

(٢) تاريخ الإسلام السياسي، ج ٤ ص ٤٥٤؛ طبقات فقهاء اليمن، ص ٨٧، ٩٤.

(٣) تاريخ ابن خلدون، م ٤ ص ٢١٥؛ تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٦١؛ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٤٦.

(٤) بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٦٣.

ما ذكره الإمامُ السبكيُ فقال إن الغالبَ على أهل اليمن الشافعيةُ فلا يوجد غيرُ شافعي إلا أن يكونَ بعضُ الزيديةِ واستدلَّ على صحةِ هذا المذهب بما رُويَ عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من قوله: «الإيمان يمانٌ والحكمةُ يمانيةٌ»[1]. فقالَ مع اقتصارِ أهلِ اليمنِ على مذهبِ الشافعِي دليلٌ واضحٌ على أن الحق في هذا المذهب المطلبيِّ[2].

كما وتحدثَ صاحبُ طبقاتِ فقهاءِ اليمن عن المذاهب في بلادِه وكيفيةِ دخولِ المذهبِ الشافعيِّ إلى بلاد اليمنِ والكتب التي كانتْ مرجعاً لهمْ قبلَ دخولِ مصنفاتِ الشافعيةِ في مواضع متفرقةٍ من كتابِه فقال: «لحقَ اليمنَ في آخر المائةِ الثالثةِ وأكثرِ المائةِ الرابعةِ فتنتان عظيمتان هما فتنةُ القرامِطةِ على يدِ علي بنِ الفضلِ القرمطيِّ ص ٧٥ وفتنةُ الهادي إلى الحقِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ الذي دعَا الناسَ إلى التشيعِ وكان أهلُ اليمنِ صنفينِ إما مفتونٌ بهم وإما خائفٌ متمسك بنوعٍ من الشريعةِ إما حنفيٌّ وهو الغالب وإما مالكيٌ ص ٧٩ وقال وأكثرُ ما يتفقه به أهلُ اليمنِ في صدرِ الإسلام، وما بعده إلى وقتِ ظهورِ تصانيفِ الشافعيةِ بفقهاء مكةَ والمدينة ص ٥٥ وعن أهم الكتبِ قال إنهم يتفقهون بجامعِ معمرِ بن راشدٍ وهو مصنفٌ بصنعاء وجامعِ سفيانَ بنِ عيينةَ وجامعِ أبي قرةَ موسى بنِ طارقٍ اللَّحَجي ص ٧٤ ثم انتشرَ المذهبُ الشافعيُ على يد الحافظِ موسى بن عمرانَ المعافري وعبدِالله بن علي من آل زرقانَ وغيرهُم أخذوا العلم عن فقهاءِ الشافعيةِ في مكةَ والمدينةِ وبغدادَ ص ٨٠ ــ ٨١.

وكان أكثرُ من ساهمَ في نشرِ مذهبِ الشافعي في اليمنِ القاسمُ بن مُحمدٍ القرشيُ وأصحابُه فقد كان الشفعويةُ وكتبُها وشيوخُها قبل القاسمِ بنِ

---

(١) سنن الترمذي، ج ٥ ص ٣٨٣.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨ ص ٣٢٧.

محمد القرشي وأصحابهِ غيرَ مشهورةٍ في اليمنِ ص ٨٠ فهو الذي انتشرَ عنهُ مذهبِ الشافعي في مخلافِ الجَنْدِ وصنعاءَ وعدنَ ومنه استفادَ فقهاءُ هذا المذهبِ في هذه البلادِ ثم تحدثَ عن أهم كتبِ الشافعيةِ التي كان يتفقهُ بها أهلُ اليمنِ فقالَ وكان أهلُ اليمنِ في المئةِ الخامسةِ وما قَبلها يتفقهونَ بكتاب المزنّي وبأصولِ الفقهِ بكتابِ الرسالةِ للشافعي وبمصنفات القاضي أبي الطيبِ والشيخِ أبي حامدٍ وكتب أبي علي الطبريِّ وكتبِ ابنِ القطانِ ومصنفِ المحاملي وشروحِ المزني المشهورةِ وبالفروعِ لسليم بن أيوب الرازيّ ص ١١٨ ولما دخل المهذبُ إلى اليمنِ في آخر المائة الخامسةِ كان غايةَ المجتهدين ونهايةَ المؤثرين به تفقهَ المصنفونَ وعليه اعتمدَ المفتون ص ١٢٦».

علاقةُ اليمنِ بالخلافةِ العباسية:

كانتْ اليمنُ جزءاً من الدولةِ الإسلاميةِ تتبعُ في أمرها مقرَ الخلافةِ واستمرَ نوابُ الخلفاءِ بها طيلةَ عهدِ الراشدينَ والأمويينَ والعباسيينَ إلى زمنِ المأمونِ فاضطرَبَ أمرُ اليمن فأرسلَ إليهم المأمونُ محمدَ بن إبراهيمَ بن عبدالله بنَ زياد فأخضعها لدولةِ الخلافة ووجه للمأمون بهدايا جليلةٍ وأموالٍ عظيمةٍ فأقره المأمونُ بها وأمدَّه بألفي فارس[١]. واستمرَ حالُ بني زياد على ذلك من ولائِهم للخلافةِ العباسية واعتبارهم أنفسَهم نوابا حتى سنة ٤١٢هـ، حيث غلبَ على اليمنِ بنو نجاح بزعامةِ المملوكِ نجاحِ الذي عَظُم شأنُه وضربتْ السكةُ باسمه وكاتبه بنو العباسِ وبذلَ لهم الطاعةَ فكافؤوه بالاستنابةِ ولقبوه بالمؤيدِ وبنصيرِ الدين فوضوا إليه توليةَ القضاءِ لمن رآه أهلاً[٢]. وهكذا بقيت اليمنُ تابعةً لجسم الخلافة تأتمرُ بأمرها وتنصاعُ لأوامرها وتعتبر

(١) صبح الأعشى، ج ٥ ص ٣٣.

(٢) تاريخ ابن خلدون، م ٥ ص ٢١٤؛ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٤٥.

نفسَها جزءاً منها حتى سنةِ ٤٢٩هـ حيثُ غلبَ عليُ بنُ محمدٍ بن علي الصليحيُّ الذي نزَع اليمنَ عن جسمِ الخلافةِ العباسيةِ وتحـولَ هو إلى المذهب الإسماعيلي وعملَ على الترويجِ له في اليمنِ وكـاتبَ الخليفَة المستنصرَ الفاطميَ في مصرَ وتوثقتْ العلاقاتُ بينهما وسألَه أن يأذنَ له في إظهارِ الدعوةِ الإسماعيليةِ فأذنَ له الخليفةُ ووجه إليه بالراياتِ والألقابِ فنشرَ المذهبَ الإسماعيليَ في كافةِ أرجاءِ اليمن وحكَم اليمن باعتباره نائباً عن خليفةِ مصرَ الفاطميِّ يحرصُ كل الحرصِ على إظهار الولاءِ والطاعةِ لهم يـدلُ على ذلك مـا كـان من رسـائـلَ ومكـاتبـاتٍ بين المستنصـرِ وعلى الصليحيِّ[1]. وكان الفاطميون يثقونَ بنوابهم من بني صليحٍ ويعتمـدونَ عليهم ويمنحونَهم من الألقاب جزاء ولائِهم وخدماتِهم فقد منح المستنصرُ الفاطمي على الصليحي (لقبَ الأميرِ الأجلِ مشرفَ المعالي تاجَ الدوْلةِ سيفَ الإمامِ المظفرَ في الدين نِظَامَ المؤمنين) كما لقبه أيضاً (منتخَب الدولةِ وصفوتها ذا المجدين منجبَ الدولةِ وغرسَها ذا السيفين نجيبُ الدولةِ وصنيعَتها ذا الفصلين) إلى جانبِ اطلاعِ الخليفةِ الفاطمي لهم على أخبارِ مصرَ المهمةِ طالباً منهم إذاعَتها على اتباعِهم ورعيتِهم في اليمنِ[2]. ولم تَفْترْ العلاقةُ بين مصرَ واليمنِ بوفاةِ الصليحي عليّ بل استمرت على ما هي عليه في حياةِ الملكِ المكرمِ أحمدَ بنِ علي الصليحي الذي ولّاه الخليفةُ الفاطميُ ملك أبيه وطلبَ منه رعايةَ المذهبِ الإسماعيلي وشؤونَ الفاطميين في اليمنِ. وأغدقَ من الألقابِ ما لا طائلَ تحتَه فقد لقبه بأمِير الأمراءِ شرف المعالي عزِ الملكِ منتخبِ الدولةِ وغرسِها ذي السيفين أبـي الحسن بنِ الأجلِ الأوحدِ

---

(١) تاريخ الإسلام السياسي، ج ٤ ص ٢٠٠ ــ ٢٠١؛ وفيات الأعيان، م ٣ ص ٤١٢ ــ ٤١٣.

(٢) تاريخ الإسلام السياسي، ج ٤ ص ٢٠١.

أميرِ الأمراء عمدةِ الخلافةِ شرف المعالي تاجِ الدولة الإمامِ المظفرِ في الدين نظام المؤمنين. وما أن ماتَ الملكُ المكرمُ أحمدُ بن علي حتى دب النزاعُ بين الملكةِ أروى الحرةِ زوجةِ المكرم وبين سبأ بن أحمدَ المظفرِ الذي تولى الأمرَ بعدَ أحمدَ بن علي فاستعانت بالمستنصرِ الفاطمي وطلبتْ منه أن يعتمدَ ابنها مَلِكاً على اليمن واعتباره نائباً عنه فأجابَها الخليفةُ الفاطميُ وكان يرسلُ الرسائلَ باسمِ ولدِها عبدالمستنصر واحتدم النزاعُ بين سبأ بن أحمدَ وأروى الحرةِ مما هدد المذهبَ الفاطميَ في اليمن لولا أن تداركه المستنصرُ ونصحَهم بطرح الخلافِ والالتفافِ حول المذهبِ الفاطمي وزوج أروى الحرةِ من سبأ بن أحمد لتلاف أي خلاف جديد[1].

وكان العالمُ الإسلاميُ أنذاك منقسماً إلى كتلتين الأولى سنيةٌ تمثلها الخلافةُ وما يدور في فلكِها والثانيةُ الشيعيةُ الفاطميةُ في مصرَ والمغربِ واليمنِ.

ولما لم يدمْ أمرُ الصليحيين طويلاً بل عاد الأمرُ إلى بني نجاحٍ على يد جياشِ بن نجاحٍ الذي أسرفَ في قتل الصليحيين واستمرَ ملكُه إلى سنةِ ٤٩٨هـ وتولى أولادُه، من بعده فاتكُ ومنصورٌ وفاتكُ بن منصورٍ حتى سنة ٥٥٣هـ وفي هذه الفترة عادت اليمنُ إلى حاضرةِ الخلافةِ العباسيةِ وضعفُ أمرُ الفاطميين واستتروا ووصف صاحبُ بغيةِ المستفيدِ حالةَ أولادِ جياشِ بنِ نجاحٍ فقالَ لم يكنْ لهم من الأمرِ سوى النواميسِ الظاهرةِ من الخطبةِ لهم بعد بني العباس والسكةِ والركوبِ بالمظلةِ في أيام الموسمِ وعقدِ الآراء في مجالسهم أما الأمرُ والنهيُ والتدبيرُ وإقامةُ الحدودِ وإجازةُ الوفودِ فلعبيدهم وهمُ الوزراء من عبيدِ فاتكِ بن جياشٍ[2] وعبيدِ منصورِ بن فاتكٍ ثم آل أمرُ اليمن

---

(١) تاريخ ابن خلدون، م ٤ ص ٢١٥.

(٢) بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٥٦.

بعدهم إلى بني مهدي بزعامةِ علي بن مهدي فاستمرت علاقتُهم بالخلافةِ العباسيةِ ببغدادَ واعتبرهم الخليفة نواباً عنه باليمن يخطبون باسمه فلما قطع عبدالنبي الخطبةَ وخرجَ على دولةِ الخلافةِ وكان كما يقولُ ابنُ العمادِ في شذراتِ الذهبِ باطنياً من دعاةِ المصريين[1] هلك سنة ٥٦٦هـ قتله شمسُ الدولةِ تورانُ شاه وفي هذه الأثناء كانت الدعوةُ الفاطميةُ في مصرَ تضعفُ وتتلاشى على يدِ صلاحِ الدين الذي ولاه العاضدُ آخرَ خلفاءِ الفاطميين أمرَ الوزارةِ بعد موتِ أسدِ الدين شيراكو[2]، وخلع عليه ولقبه بالملكِ الناصرِ فاستمال صلاحُ الدين إليهِ القلوبَ وبذلَ الأموالَ وكان صلاحُ الدين وجميعُ الأمراءِ النوريةِ بمصرَ يعتبرون أنفسهم نواباً عن نورِالدين زنكي وكان نورُالدين يكاتبُهم على هذا الأساس. وفي سنة ٥٦٧هـ أرسلَ نورَالدين محمودُ إلى صلاحِ الدين يأمره بقطع الخطبةِ العاضديةِ وإقامةِ الخطبة المستضيئة، فتردد صلاحِ الدين أول الأمر واعتذر فألح عليه نورالدين فشاورَ صلاحُ الدين أهله وخاصته فمنهم من وافق ومنهم من ترددَ ولكنه لا يستطيعُ مخالفةَ نورالدين وكان في المجلسِ أحدُ علماء العجمِ يدعى بالأميرِ العالم فلما رأى ترددَهم وتهيبهم قال أنا أبتدىء الخطبة فصعدَ المنبر يومَ الجمعة قبل الخطيب ودعا للمستضيء العباسي وكتب بذلك إلى سائر بلاد مصر ففعلوا وباركوا وبهذا[3] تكونُ قد عادت مصرُ إلى حظيرةِ الخلافةِ العباسيةِ وخلعتْ الدولةَ الفاطميَّة ولما علم الخليفةُ العباسيُ بذلك خلع على نورالدين وصلاحِ الدين إعراباً عن رضاه عليهما واعترفَ بصلاح الدين كنائبٍ له في مصرَ وفي تلك الأثناءِ بلغ صلاحَ الدين خبرُ عبدِالنبي بن مهدي وما كان من تمرده باليمن وقطعه للخطبةِ

---

(١) شذرات الذهب، ج ٤ ص ٢٣.

(٢) تاريخ ابن خلدون، م ٤ ص ٧٩.

(٣) الكامل في التاريخ، م ٩ ص ١١١؛ تاريخ ابن خلدون، م ٤ ص ٨١ ــ م ٥ ص ٢٨٤ ــ ٢٨٥.

العباسيةِ وادعائِه أن دولَته ستطبقُ الأرض، بعث إليه صلاحُ الدين الملكَ المعظم توران شاه بنَ أيوبَ ففَتحها وأسرَ متوليها. وأراد جندُه نهبَها فمنعهم ودانَت له اليمنُ وأقامَ فيها الخطبة العباسيّة[1]. وكان توران شاه وجميعُ الأمراء المصريةِ في اليمن يعتبرون أنفسهم نواباً عن صلاحِ الدين الذي يخطبُ للخليفةِ العباسيِ ولنورالدين من بعدِه ويقر للخلافةِ العباسيةِ بالسمع والطاعةِ ويعتبرُ مصرَ جزءاً من دولتِه الخلافة واستمرَ الحالُ على ذلكَ في اليمن حتى استقلَ به بنورسول بزعامةِ عمر بنِ عليّ بن رسول بعد موتِ الملكِ المسعودِ فلم يغيْر أولَ الأمر خطبةً ولا سكةً فلما تمهدت له الأمورُ استقلَ سنة ٦٣٠ ونازعَ بني أيوب ملكَ الحجازِ أيضاً ولم يدمْ على ذلك طويلاً بل تقربَ من الخلافةِ العباسية ببغدادَ وكاتَب الخليفَة المستنصرِ بالله بن الظاهرِ العباسيِ وبعث إليه بالهدايا وطلب منه النيابَة بالسلطنةِ فأقره المستنصرُ وأرسلَ إليه بالخلعِ الشريفةِ على يد رجل يسمى معالي فارتقى رسولُ الخليفةِ المنبرَ وقال يا نورَالدين إن العزيز يقرؤُك السلامَ ويقول قد تصدقتُ عليك باليمنِ ووليتُك إياه وألبسه الخلعة الشريفة الخليفيةَ[2] على المنبرِ وبهذا تكون اليمنُ قد عادتْ إلى حاضرةِ الخلافةِ ولو على أقلِ تقديرِ من الناحيةِ الإسميةِ.

□ □ □

---

(١) الكامل، لابن الأثير، ج ٩ ص ١٢٣.

(٢) العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٥٥.



البَابُ الأوّل

الفصلُ الأولُ
ترجمةُ الإمامِ القلعي

اسمهُ وكنيتهُ:

هو الإمامُ أبوعبدِ اللهِ محمدُ بنُ عليٍّ بنِ الحسنِ بنِ عليٍ بن أبي عليٍّ القلعي[1].

وقد اختلفَ المؤرخون في نسبةِ الإمامِ القلعي وفي ضبط هذهِ النسبةِ تبعاً لاختلافِهم في القلعةِ المنسوبِ إليها الإمامُ وفي أي بلادِ المسلمينَ هي فقيل القَلْعي بفتح القَاف وسكون اللام نسبةً إلى قلعةِ حلبَ المدينةِ المعروفةِ بالشامِ[2]. وذكرت كتبُ البلدانِ أن في حلبَ ونواحيها قلاعاً كثيرةً أهمُها قلاعٌ ثلاث مشهورةٌ.

الأولى: قلعةُ المسلمين[3] التي كانت تسمى قديماً قلعةَ الرومِ تقعُ في

---

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك، مصور دار الكتب المصرية، رقم ٩٩٦، تاريخ ج ٢ ص ٢١٠، العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٥١، معجم المؤلفين، ج ١٠ ص ٣١٧، الأعلام، ج ٧ ص ١٦٩ ـ ١٧٠، طبقات الشافعية، ج ٢ ص ٣٢٤.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) صبح الأعشى، ج ٤ ص ١١٤.

الغربِ الشماليِّ من حلبَ على بُعدِ خمسِ مراحلَ منها تُعدُّ من أحصنِ القلاعِ وأكثرِها شهرةً ويمر بها نهرٌ يعرفُ بمرزبانَ يصبُّ في الفراتِ.

والثانيةُ: قلعةُ أَبِيْ قُبَيْس[1] ـ بهمزةٍ مفتوحةٍ وباءٍ موحدةٍ مكسورةٍ بعدها ياءٌ ساكنة ثم قافٌ مضمومةٌ وباءٌ موحدةٌ مفتوحةٌ وياءٌ مثناةٌ تحت ساكنةٌ ثم سينٌ مهملةٌ في الآخرِ تقعُ في الغربِ من حلبَ على بُعدِ ثلاثِ مراحلَ منها.

والثالثةُ: قلعةُ حَارِمٍ[2] بحاءٍ مهملةٍ مفتوحةٍ وألفٍ ثم راءٍ مهملة مكسورةٍ وميمٍ في الآخرِ تقعُ على بعدِ مرحلتينِ من حلبَ وهي ذاتُ بساتينَ وأشجارٍ وبها نهرٌ صغيرٌ وبينها وبين انطاكيةَ نحْو مرحلةٍ.

وهناك قلاعٌ أخرى أقلُ أهميةً منتشرةً في نواحي حلبَ. ويرجعُ السببُ في كثرةِ هذه القلاعِ أن حلبَ كانت ثغراً من ثغور الإسلامِ وأن الجيشَ الإسلاميَ كان ينزلُ أولاً بقنسرينَ، ثم تحولَ إلى حلبَ فعمرها المسلمون وأشادوا وحصنوا كثيراً من قلاعِها وأصبحت وخاصةً في عهد بني حمدانَ غرةَ بلادِ الشامِ وثاني حواضرهِ بعدَ دمشقَ، ولم يذكرْ المؤرخون الذين ترجموا للإمامِ القلعي إلى أي القلاعِ ينسبُ وكلُ الذي ذكره الجنديُ في السلوكِ والخزرجيُ في العقود اللؤلؤيةَ ورجحه الزركليُّ في الأعلامِ أنها نسبة إلى قلعةِ حلَب[3]. وقيل إنها نسبةٌ إلى بلدٍ في اليمنِ يقَالُ لها القلعةُ بينها وبين زبيدَ نحْو يومٍ وهذا ما ذهَب إليهِ الأسنويُّ في طبقاتِه[4]. ولم يذكرْ لنا في أي

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) السلوك، ج ٢ ص ٢١٠، العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٥١، الأعلام، ج ٧ ص ١٦٩ ـ ١٧٠.

(٤) طبقات الشافعية، للأسنوي، ج ٢ ص ٣٢٤.

ناحيةٍ هي من زبيدَ وإلى مثلِ هـذا ذهب ياقـوتُ الحمويُ في معجمِ البلدانِ[1]. فقال: (القلعةُ موضعٌ باليمنِ ينسبُ إليها الفقيهُ القلعيُ). وقيل إن النسبةَ بفتح القافِ واللامِ نسبةٌ إلى بلدةٍ بالمغربِ وأورد هذا الاحتمالُ الخزرجيُ والجنديُ ولم يذكرْه الأسنوي ولا غيرهُ.

وذكر ابنُ الأثيرِ في اللبابِ[2] أن القَلَعي بفتح القاف واللام وفي آخرها عينٌ مهملةٌ نسبةٌ إلى بلدٍ يقال لها القلعةُ ولم يذكرْ في أي بلادِ المسلمين هي والأرجحُ والله أعلم أنها نسبةٌ إلى قلعةِ حلّب لجملةِ اعتبارات:

١ ــ أنه لو كان من قلعةِ اليمنِ كما ذكره الأسنويُ في طبقاتِه والحمويُ في معجمِ البلدانِ لما فوجىء بـه أهلُ مـرباطَ ولكـان معروفـاً لديهم أو لقاضِيهم وسلطانِهم على أقلِ تقديرِ ولكنهم ذكروا أنهم بمجردِ أن سمعوا بوصولِ فقيهٍ خرجوا إليه وسأله القاضي عن عدةِ مسائل لِيَتَبينَ حقيقةِ خبرهِ. ولهذا نجدُ صاحبُ العقودِ اللؤلؤيةِ يقولُ بعدَ أن نقلَ قولَ الأسنويُ وهذا غلطٌ واللـهُ أعلمُ.

٢ ــ أنه لو كان من قلعةِ اليمنِ لكانَ الذهابُ متيسِّراً ولما ألحَ عليه أهلُ مرباطَ وقاضيها وسلطانُها في البقاءِ عندهم وشرطوا له أن لا يدعوه يحتاجُ لشيءٍ وهو يقولُ أريدُ أن أذهبَ إلى بلدي ما خرجتُ على هذا العزمِ.

٣ ــ ولو كان من قلعةِ اليمنِ لذهبوا إليهِ أو بعضُهم بعد أن عرفوا بلدَه وأنه قريبٌ منهم سيما وهم يشعرونَ بحاجتِهم إلى الفقهِ والرغبةُ لديهم أكيدةٌ

(١) معجم البلدان، م ٤ ص ٣٨٩.
(٢) اللباب في تهذيب الأنساب، ج ٣ ص ٥١.

نلمسُها من إصرارِهم على بقائِه بينهم والرحلةُ في طلبِ العلمِ معروفةٌ سيما والمكانُ قريبٌ.

٤ ــ أنهم يذكرونَ أنه قَدِمَ عليهم من الحجِ تاجراً وهذا يُشعِرُ ببعدِ موطنِه وأنه يريدُ أن ينقلَ إلى بلدهِ سلعاً لا توجدُ فيه مما ينقلُ إلى اليمنِ عن طريقِ البحرِ من الهندِ ونواحيها.

٥ ــ أن تلميذَ الإمامِ القلعيِّ الفقيهَ ناصرَ بن عبدِ اللـهِ والذي أخذَ عن الإمام كتابَ اللفظِ المستغربِ قال في مقدمة الكتابِ وهو يُعرِّفُ بالإمام القلعي أخبرنا الإمامُ العالمُ الفقيهُ العلامةُ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ علي بن أبي علي القلعي ثم اليمنيِّ.

وهذا يشعرُ بأنه معروفٌ عند تلاميذِه بأن له نسبتين إحداهما إلى القلعةِ والأخرى إلى اليمنِ فلو كانت القلعةُ باليمنِ لاكتفى بقولِه القلعي أو اليمنيِّ أو لقال القلعي اليمنيِّ ولكنه فصلَ بينَ النسبتينِ «بـثم» فقال القلعي ثم اليمنيِّ.

٦ ــ أما أن النسبةَ إلى بلدٍ بالمغربِ فبعيدٌ واللـهُ أعلمُ لأنه شافعيٌ مشهورٌ وأهلُ المغربِ في الأعمِ الأغلب يتمذهبونَ بمذهب مالكٍ وقلَّ أن تجدَ فيهم شافعياً ولو وُجِدَ لاشتُهِرَ فلم يبقَ بعد كلِ هذا إلا النسبةُ إلى قلعةِ حلَب.

ولم تذكرْ لنا كتبُ التراجمِ شيئاً عن مولدِ الإمامِ القلعي وطفولتِه وتلقيهِ العلمَ كما لا نكادُ نجدُ شيئاً عن أبويهِ وأسرتِه وشيوخِه الذين تتلمذَ عليهم في طفولتِه وصباهُ أو الذين أخذَ عنهم الفقهَ والعلمَ في شبابِه ورَيعانِ عمرِهِ.

وكلُّ الذين ترجموا لأبـي عبدِ الله القلعيِّ رددوا ما ذكره بهاءُ الدين الجنديُّ في كتابهِ السلوكُ في طبقاتِ العلماءِ والملوكِ وتكادُ تكـونُ كلُّ الترجماتِ اختصاراً لما أورده الجنديُّ دون زيادةِ شيءٍ جديدٍ.

ويبدو أنَّ الجنديَ استقى ترجمتَه للإمامِ من أفواهِ الرواةِ وفقهاءِ تلكَ الناحيةِ وهو يذكرُ ذلك بأوضح عبارةٍ إذ يقول: (أخبرني شيخٌ قديمٌ من أهلِ تلكَ الناحيةِ وأهلِ الفقهِ بها قال سمعتُ قدماءَ بلادِنا يذكرونَ أن هذا الفقيهَ قدمَ عليهم من الحجِّ إلى مرباطَ)[1]. وبذلك تكونُ ترجمةُ الجندي أقدَم ترجمةٍ معروفةٍ للإمامِ القلعيِّ وهي لم تَعرضْ لشيء من حياةِ الإمام الشخصيةِ والعلمية قبل قدومه إلى مرباطَ[2]، ولم يذكرْ لنا أيضاً تاريخَ هذا القدومِ ولا في أي سنةٍ كان ولكنْ يبدو أنه كان قبلَ سنةِ ٥٨٥هـ لأنه يذكرُ أن الإمامَ حج من مرباطَ وأُخذ عنه بمكةَ. ووجدتْ في مقدِمة كتابِ الإمامِ القلعيِّ (اللفظُ المستغربُ في ألفاظِ المهذبِ) أنه أخذ عنه بمكةَ سنة ٥٨٥هـ والله أعلم هل أخذ عنه قبلَ قدومِه إلى مرباطَ أو في حِجتِه التي حجها من مرباطَ.

وكان سببُ قدومِه إلى مرباطَ على ما ذكروا أنه بعد أن قضى حجه وأدى مناسك فرضِه قدمَ إليها مع رفقةٍ له تجارٍ فدخلوا مرسى مرباطَ وأرسوا فيه مركبَهم وَضُرِبتْ للفقيه خيمةٌ على الساحل يستريحُ من وعثاء السفرِ ودخل الآخرونَ إلى البندرِ ليبيعوا ويشتروا ويتزودوا فبلغ خبرُ قدومِ الإمامِ قاضي البلدِ فما أن بلغه الخبرُ حتى خرجَ إليه وجماعةٌ من أعيان مرباطَ وتجارها واستأذنوا عليه فرحبَ الإمامُ القلعي بهم وآنسهم وأنِسوا به وسأله القاضي عن جملةِ مسائلَ فأجابه الإمامُ عنها أبينَ جوابٍ وبعباراتٍ صريحةٍ مرضيةٍ فازداد اعجابُ القاضي ومن معه بعلمِه وفضله وحسن خُلُقِهِ وورعِه وسألوه أن يسكنَ معهم فهم في أمسِ الحاجةِ إلى علمِه فالفقهُ بتلك الناحية قليلٌ والواردُ إليها من العلماء قليلٌ أيضاً وشرطوا له مبالغةً في رغبتهم به ألا يدعوه يحتاجُ إلى

---

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج ٢ ص ٢١٠.

(٢) مرباط بكسر الميم وسكون الراء وفتح الباء ثم طاء مهملة، مدينة قديمة على الساحل، كان فيها مرسى جيد، كثر ذكره على أفواه التجار، والمخرب لها أحمد بن محمد الحبوضي، معجم البلدان، ج ٥ ص ٩٧.

شيء من أمورِ معاشِه[1]، فهم يكفلونها على أن يقومَ بتعليمِهم أمور دينهم وفرائضَ ربِهم. فلم يقبلْ أولَ الأمرِ وعاوده الحنينُ إلى بلدهِ ومسقطِ رأسِه وظن أنَّ ذلكَ منهمْ على سبيلِ المجاملةِ، وقالَ لمْ أخرجْ من بلدِي على هذِه النيةِ. ولكنَّ القاضي وَمَنْ معهُ من أعيانِ مرباطَ وتجارِها وسراتِها لم يقطعوا الأملَ منهُ، فذهبوا إلى سلطانِ مرباطَ وكان يومئذٍ أبو عبدِ اللـهِ محمدُ بنُ أحمدِ الأكحلِ المنجوي من قومٍ يقال لهم المنجويونَ من بيتٍ يقالُ لهم آلُ بُلُخْ بضمِ الموحدةِ واللامِ وسكونِ الخاءِ ونسبُهم من مذحجٍ، وكان هذا السلطانُ أوحدَ عصرِه كرماً وحلماً وتواضعاً ذكرَ المؤرخونَ له من الكرمِ والحلمِ والتواضعِ مآثرَ تسير بها الركبانُ ويتناقلُها الرواةُ[2] جاؤا فأخبروه خبرَ الفقيهِ ووصولِهِ إلى بلدهم وما كانَ من أمرهم معه وشَكوْا إليه شدةَ حاجتِهم إلى علمِهِ وفضلِهِ وفقهِهِ وأنهم في أمَسِّ الحاجةِ إلى مثلِهِ وأثنوْا عليه لشدة اعجابِهم به وطلبوا منا أن يخرجَ إليه بنفسِه ويلازمَهُ لعلَّهُ يقبلُ البقاءَ عندهم فما كان من السلطانِ إلا أن استجابَ لهم وشعرَ بشعورهم وخفَّ سريعاً في موكبه إلى خيمةِ الإمام على الساحلِ ورجاه، ورغبه في الإقامةِ في بلدهم وألحَّ في ذلكَ وأكثرَ على الإمامِ وشرطَ على نفسِهِ للإمامِ القلعيِّ ما أحبَّ ولا يَدَعَهُ يحتاجُ إلى شيءٍ من أمورِ المعاشِ. وأمامَ هذا الإلحاحِ الشديدِ والرغبةِ الصادقةِ الأكيدةِ في العلمِ وأهلِهِ من سلطانِ مرباطَ وأهلِها وأعيانِها لم يجدْ الإمامُ بُداً من أنْ يجيبَهم إلى طلبِهم وأن ينزل على رغبتِهم وأن يُضَحِّيَ في سبيلِ دينهِ فيعيشَ بعيداً عن مسقط رأسِهِ وبلدِهِ حسبةً لله وابتغاءً للأجر عندَهُ ونشراً للعلم. وهكذا همُّ العلماء يؤثرونَ طاعةَ اللـهِ عزَ وجلَ على عاجلِ أمرِ الدنيا

---

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج ٢ ص ٢١٠ ــ ٢١١.

(٢) انظر: ترجمة السلطان محمد بن أحمد الأكحل في السلوك، ج ٢ ص ٢١٢، تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٩٤.

لإيمانِهم أن ما عندَ اللـهِ يبقى وأن أمرَ الدنيا صائرٌ إلى زوالٍ. فما أن تسامعَ الناسُ بأنَّ الإمامَ قد رَضِيَ البقاءَ عندهم حتى فرحوا واسْتَبْشَروا به خيراً وحَمَلوا متاعَهُ على الفورِ من المركبِ إلى البلدِ وأُنْزِلَ في دارٍ تليقُ بهِ كَعَلَمٍ من أعلامِ الفقهِ وإمامٍ من أئمةِ الإسلامِ وأحاطُوه بوافرِ الحفاوةِ والتكريمِ[1].

وهناكَ بدأَ الإمامُ أبو عبدِ اللـهِ نشاطَهُ وأقبلَ على التدريسِ ونشرِ العلمِ وتسامعَ الناسُ به وأطبقتْ شهرتُهُ النواحيَ فقصدَهُ طلابُ العلمِ من كلِ ناحيةٍ وتتلمذُوا على يديْهِ وأخذُوا عنه كُتُبَهُ في الفقهِ والفرائضِ والسياسةِ وإليه يرجعُ الفضلُ في نشرِ الفقهِ في تلكَ البلادِ يذكرونَ لهُ الجميلَ فيقولونَ إنهُ لم ينتشرِ العلمُ عن أحدٍ بتلكَ الناحيةِ كما انتشرَ عن الإمامِ القلعيِّ.

وعنه أخذَ أعيانُ فقهائِها فهم أصحابُه أو أصحابُ أصحابُه. وكانَ للإمامِ المنزلةُ الرفيعةُ عند عامةِ سلاطينِ مرباطَ وكلُّهم يقدرُ له قدرَهُ ويعرفُ له فضلَهُ ويحيطُهُ بما يجبُ له من حفاوةٍ وتكريمٍ يدلُّ على ذلكَ ويؤيدُه أنه لما أحدثَ محمدُ بنُ أحمدَ الحبوضيُّ ظفارَ سنة ٦٢٠هـ بعدَ وفاةِ الأكحلِ وأمرَ أهلَ مرباطَ أن ينتقلوا إليها وهَدَمَ عامةَ بيوتِ مرباطَ إلا بيتَ الإمامِ القلعي إجلالاً له واعترافاً بفضله ورعايةً لمنزلتِهِ. ولكنَّ الإمامَ ابتنى بيتاً بظفارَ وكان يترددُ بينَها وبينَ مرباطَ حتى لا ينسبَ إلى مخالفةِ السلطانِ[2] وليقومَ بواجبِ نشرِ العلمِ وتبليغِهِ للناسِ ويلتقيَ بتلاميذِهِ.

وكانَ عامةُ أهلِ مرباطَ وظفارَ وحضرموتَ يقدرونَ للفقيهِ جهادَهُ وتفانِيَهُ في نشرِ العلمِ فلهُ في قلوبهم المحبةُ والإكبارُ حتى أنَّ أهل السعةِ منهم كانوا يوقفونَ الأوقافَ ويحبسونَ الأحباسَ على تلاميذِ الإمامِ ومن يفدُ إليه حتى أنَّ

---

(١) انظر: السلوك، ج ٢ ص ٢١٠ ــ ٢١١، تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٩٥.

(٢) السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج ٢ ص ٢١١ ــ ٢١٢.

تاجراً منهم أعدَّ داراً وجهزها وكان يقومُ بكفايةِ الطلبةِ الذينَ يرغبونَ في العلمِ ويلازمونَ الإمامَ وإن كَثُرُوْا[1].

مذهبُ الإمامِ القلعيِّ:

تفقّه الإمامُ أبو عبدِ اللـهِ محمدُ بنُ علي القلعيُّ على مذهبِ ابنِ عمِ رسولِ اللـهِ صلى اللـهُ عليه وسلمَ، الذي تُرْتَجَى الرحمةُ بذكره ويستنزلُ رضاءُ الرحمنِ بدعائهِ ـ الإمامِ الشافعي ـ الذي أطبقتْ مذاهبُ الخَلْقِ على أنهُ مجددُ الدينِ ومحيـي الملةِ وناصرُ السنةِ على رأسِ المائةِ الثانية للهجرةِ تطبيقاً لما روى أبو هريرةَ عن النبـي صلى اللـهُ عليهِ وسلَم أنهُ قالَ: (إن اللـهَ يبعثُ لهذِهِ الأمةِ على رأسِ كلِ مائةِ سنةٍ من يجددُ لها دينَها)[2].

فقدْ كانَ أحمدُ بنُ حنبلَ يقولُ في هذا الحديثِ إنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ على رأسِ المائةِ الأولى والشافعيُّ على رأسِ المائةِ الثانيةِ[3].

وكانَ الإمامُ القلعيُّ، رحِمَهُ اللـهُ، قد أوتِيَ بالمكيالِ الأوفى من الفقهِ والتقوى والعلمِ وحسن الخُلُقِ، فهو صاحبُ القدمِ الراسخةِ في فقهِ الشافعيةِ ويدلُ على تبحرِهِ في هذا المذهبِ ما خلَّفَ من تراثٍ فقهيٍ شافعيٍ شادَّ العلماءُ به، وأخذُوه عنه وانتفعُوا به وتدلُّ مؤلفاتُهُ على أنه رحِمَهُ اللـهُ كان إماماً جامعاً فقيهاً موسوعياً أكثرَ من التأليفِ في فروعِ الشافعيةِ منْ مثلِ مؤلفِه قواعدِ المهذبِ واحترازاتِ المهذبِ، ومستغربِ ألفاظِه. ولم يَحُلْ تبحُر الإمام بمذهبِ الشافعي دونَ اطلاعِهِ على مذاهبَ أخرى فقد كانَ على إلمامٍ حسنٍ

---

(١) المرجع السابق.
(٢) سنن أبـي داود، ج ٤ ص ١٠٩.
(٣) طبقات الشافعية الكبرى، ج ١ ص ٢٠٠، البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٥٣.

واطلاعٍ واسعٍ ببقيةِ المذاهب يُرْشِدُ إلى هذا ما ذَكَرَهُ الجنديُ في السلوكِ في ترجمةِ الإمامِ القلعيِّ أنه جمعَ في مصنفِهِ إيضاحَ الغوامضِ في علمِ الفرائضِ بينَ مذهبِ الشافعي وغيرِهِ وأوردَ فيه طَرَفاً منَ الجبرِ والمقابلةِ والوصايةِ[1].

□ □ □

---

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج ٢ ص ٢١٠، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ج ١ ص ٥١.

الفصلُ الثاني
شيوخُ الامامِ القلعيّ

لم تذكرْ كتبُ التراجم شيئاً عن شيوخِ الإمامِ القلعّي، الذينَ تتلمذَ على أيديهم وأخذَ عنهمُ الفقهَ والدينَ والتاريخَ والحسابَ فإنه كان ضليعاً بكلِ هذهِ العلومِ متمرساً بها. ولعلَّ مردَّ ذلكَ إلى أنَّ الإمامَ تتلمذَ على شيوخِ بلدهِ ثم رَحَلَ منها عالماً محققاً وفقيهاً مصنفاً فعرَفَهُ الناسُ هكذا ولم يَعرفوا شيوخَهُ كما أنه لم يَذكرْ لنا في مؤلفاتِهِ التي بينَ أيدينَا أسماءَ شيوخِهِ الذين أخذَ عنهمُ العلمَ وإن كنا نقطعُ بأنَّ هذا العلمَ والفقهَ لا بد وأنهُ قد أخذَهُ بالتلقِي ومجالسةِ كبارِ علماءِ زمانِهِ حتى تفتحتْ قريحتُهُ وأصبحَ من كبار علماء عصرهِ. إذ العادةُ جاريةٌ بهذا في زمانِهِ مانعةٌ من ضدِهِ ويدلُّنا على ذلكَ غزارةُ علمِهِ وسعةُ اطلاعِهِ على ما كُتَب قبلَهُ في فروعِ العلمِ المختلفةِ فقهاً وسياسةً، وعزْوه كثيراً من مسائلِ هذا العلمِ إلى أصحابِها أو إلى كتبهِم كما هو الحالُ في مؤلَّفهِ تهذيبِ الرياسةِ.

أقرانُ الإمام عبدِالله القلعيّ:

اشتهرَ الامامُ القلعيُّ في اليمنِ كفقيهٍ لمرباطَ ومفتيٍ لها ولنواحيها ولمْ تذكرْ كتبُ التراجمِ شيئاً عن أقرانِه ومعاصريه الذينَ التقى بهم وأخذَ عنهم وأخذوا عنه أو الذين حاوَرَهم وناظَرَهم. وكلُّ ما ذكروه عمومياتٌ وأنه التقى بعلماءِ مكةَ وزبيدٍ وأخذوا عنه. وبرجوعِنَا إلى كتبِ التراجِم التي تَرْجمتْ لعلماءِ اليمنِ في تلكَ الفترةِ وجدنا علماءَ أجلاءَ كُثر كانوا يعاصرونَ

الإمامَ ويجاورونَه في نواحي مختلفةٍ فلا بدَ وأنه اتصلَ بهم وناظَرهم وناظَرُوه ورحلَ إليهم ورحَلوا إليه وإنْ كنّا لا نقطعُ بصلةٍ لواحدٍ بعينِه ومن هؤلاءِ العلماءِ المعاصرينَ للإمام علىَ سبيلِ المثال سالمُ بنُ محمدٍ بنُ سالمِ المتوفى في نفسِ السنةِ التي تُوفّيَ فيها الإمامُ وهي سنة ٦٣٠هـ وكان مُحَدِّثاً فقيهاً يأتيهِ الناسُ من بعدٍ لقراءةِ العلم على يديهِ(١).

ومنهُم الفقيهُ أبو الحسن عليُ بنُ محمدٍ بن أحمدَ بنِ جديدٍ المعروفِ عندَ أهلِ اليمنِ بالشريفِ ابن الجديدِ، الذي نفاهُ الملكُ المسعودُ بنُ الكاملِ إلى الهند فخرَج إليها في صحبةِ الشيخِ الصالحِ مدافعِ بن أحمدَ فعصفتِ الريحُ بمركبِهم فدخلوا ظفارَ بلدَ الإمامِ القلعيِّ وأقاما بها مدةً ثم رحلا عنها وعادا إليها بعدَ شهرينِ وفيها تُوفي الشيخُ مدافعُ بنُ أحمدَ(٢). فلا بدَّ وأنه قد التقى بالإمامِ القلعي وجالَسَهُ وأخذَ كلٌ عن صاحبِهِ.

كما أنَّ من العلماءِ المعاصرينَ للإمامِ أبي عبدِالله القلعيِ الفقيهِ يحيى بنَ فضلِ بنَ أسعدَ بن حمير فإنه كانَ من المعاصرينَ للإمامِ زماناً ومكاناً والعادةُ جاريةٌ بتزاور العلماء للبحثِ والدرسِ والمناقشةِ(٣).

وفاةُ الإمامِ القلعيّ:

تُطْبِقُ كتبُ التراجمِ على أنَّ الإمامَ القلعيَّ طالَ به العمُرُ وامتدتْ به الحياةُ وأفسح اللهُ له في الأجلِ (وخيرُ الناسِ مَنْ طال عُمُرُه وحسنَ عَمَلُهُ)(٤).

---

(١) العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٥٢؛ تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ٨٦.

(٢) تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ١٥٧.

(٣) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ج ١ ص ٥٠ ـ ٥١.

(٤) مسند الإمام أحمد، م ٤ ص ١٨٨.

ويذكرونَ أنه تُوفيَ سنةَ ٦٣٠هـ بعدَ أن عَمَّرَ طويلاً وكانتْ وفاتُهُ بمرباطَ ودُفِنَ بمقبرتِها وقبرُه هناكَ مشهورٌ يزارُ[١]. ويقصدُهُ الناسُ منْ بُعْدٍ ليترحَمُوا عليه ويقرأُوا له الفاتحةَ فجزاهُ اللـهُ عن العلمِ وأهلِهِ أحسنَ الجزاءِ وأسبَغَ عليهِ نعمتَهُ وأدخلهُ فسيحَ جناتِهِ.

تلاميذُ الإمام:

على الرغمِ من أهميةِ الإمامِ أبي عبدِاللـهِ محمدِ بنِ علي القلعيّ في تاريخِ الفكرِ الإسلامِي، وما أسهَم به منْ دراساتٍ فقهيةٍ وسياسيةٍ إلا أن كتبَ التراجم لم تذكرْ لنا إلا القليلَ من تلاميذِهِ وأصحابِهِ رغمَ أن كلَّ من ترجمَ للإمام أثنى عليه بكثرةِ تلاميذِه وأصحابِهِ. فلقدْ ذكَر بهاءُ الدينِ الجندِي في كتابِه السلوكِ في طبقاتِ العلماءِ والملوكِ عند ترجمةِ الإمامِ القلعي (أن أكثَرَ أصحابِه في حضرموتَ ونواحيها وأنَ أعيانَ فقهائِهَا أصحابه في حضرموتَ ونواحيها وأنَ أعيانَ فقهائِهَا أصحابُهُ وأصحابُ أصحابِهِ) وكذلك قال الخزرجيُّ في العقود اللؤلؤيةِ في ترجمةِ الإمامِ.

ولعلَّ مردَّ هذا إلى قلةِ الدراساتِ المتعلقةِ بذلكَ الصقع مِن بلادِ المسلمينَ وأنه لمْ ينلْ بعدُ منَ العنايةِ ما نالَ غيرُهُ من حواضرِ العالمِ الإسلامي وأسألُ اللـهَ أن يهيىءَ أناساً مخلصينَ، يبحثونَ تاريخَهُ وتاريخَ رجالِهِ الذين أسهمُوا في خدمةِ دينِهم وأمتِهِم، فعندها سنعرفُ الكثيرَ عَنْ إمامِنا وتلاميذِهِ، وقد بدأتْ بوادرُ هذهِ العنايةِ بحمدِ اللـهِ تبدُو في الأفقِ بإنشاءِ مركزِ الدراساتِ اليمانيةِ في صنعاءَ، وهو يتولى نشرَ وتحقيقَ تراثِ اليمنِ بما يكشفُ الكثيرَ عن مساهماتِ علماءِ تلكَ الناحيةِ في خدمةِ الإسلامِ والمسلمينَ ومن هؤلاءِ التلاميذِ الذين ذكروهم لنا:

---

(١) العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٥٢؛ السلوك في طبقات العلماء والملوك مصور، ج ٢ ص ٢١٢؛ الاعلام، ج ٧ ص ١٦٩ ــ ١٧٠.

الأولُ: هوَ الإمامُ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ يحيى بنِ صمعٍ أخذَ الفقهَ عن الإمامِ أبي عبدالله القلعيّ وكان مشهوداً له بالفقهِ والفضلِ مباركَ التدريسِ وهو الذي لزمَ مجلسَ الإمامِ القلعيّ بعدَ وفاتِهِ[1]. تفقَّه على يديهِ جمعٌ كثيرٌ، منهم الفقيهُ الصالحُ أبو عبدالله محمد البستي[2] المتوفى سنة ٧١٢هـ.

أما تلميذُهُ الثاني: فهو الفقيهُ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ سالمٍ بنِ محمدٍ بن علي المَكنى بأبي مروانَ من بيتِ أبي علوي المشهودِ له بالفقهِ والورعِ والتقوى فلقدْ ذكرَ الجنديُّ أن هذا البيتَ بيتُ صلاحٍ، وعلمٍ خرَّج جماعةً من العلماءِ منهم حسنُ بنُ محمدٍ بن علي بنُ أبي علويَ كان غايةً في الورعِ والحفظِ حفظَ الوجيزَ للغزالي غيباً، وعدد كثير من أهلِ هذا البيتِ ممن اشتهروا بالفقهِ والورعِ والصلاحِ، وأسهَمُوا في الحياةِ الإسلاميةِ في زمنِهم. وكان الفقيهُ عليُ بنُ أحمدَ تلميذُ الإمامَ القلعيّ صاحبَ مصنفاتٍ عديدةٍ فقيهاً فاضلاً خيراً مباركَ التدريسِ انتشَر عنه العلمُ بحضرمَوت انتشاراً موسعاً أخذَ الفقهَ عنه جماعةٌ من العلماءِ منهم أبوزكريا الذي خرجَ إلى مقدشوه فنشرَ العلمَ بها وبنواحيها نشراً موسعاً[3].

أما تلميذُه الثالثُ: فهو الفقيهُ المفتي ناصرُ بنُ عبدِاللهِ بنِ عبدِالرحمنِ بنِ حاتمِ العطارِ بمكةَ. يكنى بأبي الفتحِ المكِي، سمعَ صحيحَ البخارِي من أبي الحسنِ عَلى بنِ حميدِ الأطرابلسيِّ، وحدَّث عنه وعن أبي محمدِ بنِ الطباخِ وأخذَ عن الإمامِ أبي عبدِاللهِ القلعي بمكَة وأخذَ

---

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج ٣ ص ٤٤٨.
(٢) العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٤٠٤؛ السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج ٣ ص ٤٤٨.
(٣) السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج ٣ ص ٤٤٨.

عنه الرشيدُ العطارُ صحيحَ البخارِي تُوفي بمكةَ في سنةِ ٦٤٣هـ[١] وممنْ تفقَه على يديهِ الإمامُ أبو نزارٍ ربيعةُ بـنُ الحسنِ.

أما تلاميذُ تلاميذِه: فلم تذكرْ كتبُ التراجمِ منهم سوى النزْرِ اليسيرَ ذكروا من تلاميذِ تلاميذِه، الإمامَ الحافظَ أبا الخيرَ بنَ منصورِ بنِ أبي الخيرِ الشماخيَّ نسبةً إلى شماخَ اسمِ جَدٍ لهُ السعديَّ نسباً إلى سعدِ العشيرةِ من مذحج أصلُ بلدِه حضرموتُ قدَم زبيدً في شبيبتِه فأقامَ بها مدة يطلبُ العلمَ ثم سافَر إلى مكةَ فأخذَ عن جمعٍ من العلماءِ ثم رجعَ إلى زبيدَ وقد تضلعَ في العلوم فأرادَ الرجوعَ إلى بلدِهِ فرغبه المظفرُ في الاقامةِ باليمنِ لينتفعَ الناسُ بعلمِه وأعلى قدرَهُ فاستوطنَ اليمنَ وتأهَّلَ بزبيدَ وكانَ إماماً في الفقهِ والنحو واللغةِ والحديثِ والتفسيرِ.

والفرائِض وأخذَ عن أبي عبدِاللـهِ محمدِ بن أحمدَ صاحب أحورَ عن يحيى بن أبي نصيرَ الطفاويِّ عن الإمامِ القلعيِّ ولم يكنْ لهُ في آخرِ عمرهُ نظيرٌ في جودةِ العلمِ وضبطِ الكتبِ حتى جمعتْ خزائنُه مئةَ أم سـوى المختصراتِ تُوفي بزبيدَ سنة ٦٨٠هـ بعد أن بلغَ عمرُه نحواً من ٩٠ سنة[٢].

ومن تلاميذِ تلاميذه الإمام. ربيعةُ بنُّ الحسنِ بنِ علي بن عبدِاللهِ بن يحيى الصنعانيُّ الذماريُّ الفقيهُ المحدثُ ولدَ سنةَ ٥٢٥هـ وتفقهَ بظفارَ على الفقيهِ محمدِ بنِ عبدِاللـهِ بن حمادةِ وغيره وقرأَ اللفظَ المستغربَ من ألفاظِ كتابِ المهذبِ على الإمام ناصرِ بنِ عبدِاللـهِ سنةَ ٦٠١هـ ودخلَ ديارَ مصرَ

---

(١) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج ٧ ص ٣١٦؛ مقدمة كتاب اللفظ المستغرب في ألفاظ كتاب المهذب للإمام القلعي مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ب ٢١٨٥٤.

(٢) العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٢١٩؛ تاريخ ثغر عدن، ج ٢ ص ٧١ ــ ٧٢.

وسمعَ من السلفي وروى عنه المنـذريُّ والإمامُ الحـافظُ عبدُالعـظيمِ بن عبدِالقويّ وتُوفي سنةَ ٦٠٩هـ[١].

كذلكَ ذكرَ الجنديُ من تلاميذِ تلاميذِ القلعيّ الإمامَ أبا زكريا أخذَ الفقهَ على يـدِ عليٍّ بن أحمدَ تلميذِ الإمامِ القلعيِّ فلما تضلعَ بالفقهِ خرَج إلى مقديشوه فنشرَ العلمَ بها وذكرَ الجنديُ أنه لمْ يتحققْ تاريخَ وفاتِهِ[٢].

□ □ □

(١) العقود اللؤلؤية، ج ١ ص ٢١٩؛ طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨ ص ١٤٤ ـ ١٤٥، ص ٢٥٩؛ شذرات الذهب، ج ٥ ص ٣٧؛ النجوم الزاهرة، ج ٦ ص ٢٠٧؛ مقدمة كتاب اللفظ المستغرب في ألفاظ كتاب المهذب للإمام القلعي مخطوط دار الكتب المصرية رقم ب ٢١٨٥٤.

(٢) السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج ٣ ص ٤٤٨.

الفصلُ الثالثُ
مؤلفاتُ الإمامِ

يتبينُ لنا منْ خلالِ دراستِنا لحياةِ الإمامِ القلعيّ، أنه كتبَ الكثيرَ وصنَّفَ العديدَ من المؤلفاتِ التي أثرى بها الحياةَ العلميةَ والمكتبةَ الإسلاميةَ وأجادَ البحثَ في كلِ فنٍ، إلا أنه غلبَ عليه أمرُ الفقهِ حتى كانتْ أغلبُ مصنفاتِه وأشهرُها فيهِ. فقد تركَ لنا تراثاً فقهياً ضخماً انتفعَ به المسلمونَ وتناقلُوه وأثنَوا عليه وكلُّ من ترجَم للإمام عدَ ما انتهى إليه علمُهُ من مصنفاتِه وما وصلَه خبرُهُ ثم قالَ بعدَ ذلك وكُتُبُهُ أكثرُ من ذلكَ وبعضُهم أشارَ إلى مضانّ وجودِها. فقدْ قالَ الجنديُ في كتابِه السلوكِ في طبقاتِ العلماءِ والملوكِ (ومصنفاتُه أكثرُ مما ذَكرتُ وهي توجدُ بظفارَ وحضرموتَ ونواحيها) ومثلُ ذلكَ قالَ الخزرجيُّ في العقودِ اللؤلؤيةِ فقال بعدَ أن عدَّد مصنفاتِهِ وله غيرُ ذلك وأكثرُ ما توجدُ مصنفاتُه في ظفارَ وحضرموتَ ونواحيها). والكتبُ التي ذكَرها الأئمةُ له هي:

١ ـ قواعدُ المهذبِ، ذكرَهُ الجنديُ في السلوكِ في طبقاتِ العلماءِ والملوكِ والخزرجيُّ في العقودِ اللؤلؤيةِ وصاحبُ معجم المؤلفين وهو مفقودٌ لمْ أقعْ لهُ على أثرٍ.

٢ ـ إحترازُ المهذبِ، ذكرَهُ الجنديُ في ترجمةِ الإمامِ القلعيِّ ومعجمِ المؤلفينَ، والخزرجيُّ في العقودِ اللؤلؤيـةِ، والسبكيُّ في طبقـاتِ

الشافعيةِ الكبرى، وقد أثنى العلماءُ على هذا المصنفِ فقال الجنديُّ وهذا المصنفُ شهدَ بِه أعيانُ الفقهاءِ أنهُ لمْ يصنَّفْ لهُ في الاحترازِ نظيرٌ وهو مفقودٌ أيضاً.

٣ ـ **إيضاحُ الغوامضِ في علم الفرائضِ**، وهو في مُجَلَّدَيْن جَمَعَ فيه بينَ مذهبِ الشافعي وغيرهِ وأوردَ فيه طرفاً من الجبرِ والمقابلَةِ والوصايا ذكرَهُ الجنديُ في السلوكِ، والخزرجيُّ في العقودِ اللؤلؤيةِ، وصاحبُ معجمِ المؤلفينَ، والزركليُّ في الاعلام، وقال السبكيُ في طبقات الشافعيةِ الكبرى عن هذا الكتابِ وله مصنفٌ حافلٌ في الفرائضِ.

وهو مفقودٌ لم نعرفْ له وجوداً رغمَ بحثنا في فهارسِ المخطوطاتِ.

٤ ـ **كَنزُ الحفاظِ في غرائبِ الألفاظِ**، أعني ألفاظَ المهذبِ ذكرَهُ بهاءُ الدينِ الجنديُّ في السلوكِ، والخزرجيُّ في العقودِ اللؤلؤيةِ والزركليُّ وهو مفقودٌ أيضاً.

٥ ـ **لَطائفُ الأنوارِ في الصحابةِ الأبرارِ**، ذكرَهُ الخزرجيُّ في العقودِ اللؤلؤيةِ وبهاءُ الدينِ الجنديُّ في السلوكِ وصاحبُ معجمِ المؤلفينَ، والزركليُّ في الاعلام وهو لا زالَ مخطوطاً لا نعرفُ له وجوداً.

٦ ـ **اللفظُ المستغربُ منْ ألفاظِ المهذبِ**، ذكرَهُ الجنديُ بقولِهِ في ترجمةِ الإمامِ ومنها ـ أيْ مؤلفاتِه مستغربُ ألفاظِهِ وقال السبكيُّ وله كتابٌ آخرُ في مستغربِ ألفاظِهِ وفي أسماءِ رجالِهِ، وهو لا زالَ مخطوطاً وتوجدُ منه نسختان بدارِ الكتبِ المصرية الأولى تحتَ رقم ب ٢١٨٥٤ وهي مخطوطةٌ قديمةٌ في صفحاتها خروقٌ وآثارُ رطوبةٌ وتقطيعٌ إلا أنها يمكنُ

قراءتُها إذا دققَ القارئُ فيها. مبدؤُهُ. . بسمِ اللـهِ الرحمنِ الرحيمِ أخبرنا أبو نزارَ ربيعةُ بنُ الحسنِ بنِ علي بنِ عبدِاللـهِ بنِ أبِي شجاع اليمانيُّ الحضرميُّ بقرأتي عليه في رجبَ سنةَ إحدى وستمائةٍ قال أخبرنا الفقيهُ الزاهدُ المجاورُ بمكـةَ حرسَهـا اللـهُ تعالى نـاصرُ بنُ عبدِاللـهِ بنِ عبدِالرحمنِ المقرئُ بقرأتِي عليه في جمادَ الآخرةِ سنةَ خمسٍ وثمانينَ وخمسمائةٍ.

قال أخبرنا الإمامُ العالمُ الفقيهُ العلامةُ أبو عبدِاللـهِ محمدُ بنُ عليٍ بنِ أبي علي القلعيُّ ثم اليمنيُّ رحمَـهُ اللـهُ تعـالى قـال: الحمدُ للـهِ على ما منحَ مِنَ العطاءِ ودفعَ من البلاءِ وصلواتُهُ على محمدٍ خاتمِ الأنبياءِ وعلى آلِ محمدٍ السادةِ النجباءِ أما بعدُ، فإني قد جَمَعْتُ في هذا المختصرِ من الألفاظِ اللغويةِ والأسماءِ الوضعيةِ الواقعةِ في كتابِ المهذبِ ما قد يخطىءُ بأكثرِه أو يجهلُ تفسيرَها أكثرُ المتدرسينَ بل أكثر المدرسينَ وقسَّمه إلى قسمينِ:

الأولُ في الألفاظِ اللغويةِ وهو مرتبُ على ترتيبِ أبوابِ الكتابِ والقسمُ الثاني في الأسماءِ والكُنَى.

والنسخةُ تقعُ في ٦١ ورقةً كلُ ورقةٍ بها ١٤ سطراً وأما النسخةُ الثانيةُ فهي منسوخةٌ عن النسخةِ الخطيةِ التي أشرنا إليها وتحمـلُ رقم ٢١٩٤٢ وكان الفراغُ من نسخِها في ٨ مارس ١٩٤١م وتقعُ في ٨٢ صفحةً ومسطراتُها ٢١ سطراً وما أحوجَ هذا الكتابِ بالدراسـةِ والتحقيقِ وأن يُطبَعَ مع المجموعِ لعظيـمِ فائدتِهِ وكثرة الحاجةِ إليهِ.

٧ ـ كتابُ أحكامِ المختصرِ، ذكَرهُ الجنديُ في السلوكِ في طبقاتِ العلماءِ الملوكِ وهـو مفقودٌ لا أعـرفُ له وجـوداً رغمَ بحثي في المكتباتِ الإسلامية.

٨ ــ ولهُ كتابُ أحكامِ القضاةِ، ذكرهُ الخزرجيُّ في العقودِ اللؤلؤيةِ والزركليُّ في الأعلامِ وهو مفقودٌ لا أعرف له مكاناً.

٩ ــ وله كتابُ تهذيب الرياسةِ وترتيبِ السياسةِ، وهو من أشهرِ كتبِ الإمامِ ذكَرَهُ الجنديُّ في السلوكِ، والزركليُّ في الاعلامِ، والخزرجيُّ في العقودِ اللؤلؤيةِ.

□ □ □



البَابُ الثّاني

الفصلُ الأولُ

والكتابُ الذي نحنُ بصددِهِ هو كتابُ تهذيبِ الرياسةِ وترتيبِ السياسةِ للإمامِ القلعيّ.

فنسبَتُهُ إليه مقطوعٌ بها بعدَ أنْ ذكرَهُ الأئمةُ الاعلامُ منسوباً إليه. والكتابُ من مخطوطاتِ دارِ الكتبِ المصريةِ، ومصوراتِ معهدِ المخطوطاتِ التابعِ للمنظمةِ العربيةِ للتربيةِ والثقافةِ والعلومِ في جامعةِ الدولِ العربيةِ. والذي تمكنّا من الحصولِ عليه من نسخِ هذا الكتابِ بعدَ البحثِ الشاقِ في المكتباتِ والفهارسِ هو أربعُ نسخٍ ثلاثٌ منها في معهدِ المخطوطاتِ والرابعةُ في دارِ الكتبِ المصريةِ.

الأولى: هي النسخةُ المصورةُ عن نسخةٍ مخطوطةٍ ومحفوظةٍ بمكتبةِ عبدِ القادرِ الأنباري الخاصةِ بزبيدَ باليمنِ الشمالي. وتعتبرُ أقدَم النسخِ الموجودةِ وهي بقلمٍ معتادٍ وكتبتْ سنةَ ٧٧٩هـ. والمخطوطةُ تبدأ باسمِ الكتابِ واسمِ مؤلفِهِ وكتبتْ فيها العناوينُ والفصولُ بخطٍ بارزٍ كبيرٍ، وتَخْلُو منَ نقطِ بعضِ الكلماتِ أوبعضِ الحروفِ في الكلماتِ، وبها أثرُ رطوبةٍ وتقطيعٍ وخاصة في الورقة الأولى والأخيرةِ وهي ٧١ ورقةً ومسطراتُها مختلفةٌ فبعضُها ١٧ سطراً والبعضُ الآخرُ ١٩ وقد يصلُ عددُ المسطراتِ في الورقةِ

إلى ٢٢ سطراً وهي تحملُ رقمَ ٤٩٧ يمنٍ شمالي وقد صُورتْ مِن قِبل المعهدِ في ٢٨ أكتوبر سنةَ ١٩٧٤م. وقدْ جَعَلْتُهَا الأصلَ لكونِها أقدمَ النسخِ الموجودةِ ولكونَها كُتبتْ في البلدِ الذي كانَ فيهِ المؤلفُ. ولاعتبارٍ آخرَ مهمٍ وهو كونُها تحملُ اسمَ الكتابِ واسمَ مؤلفهِ على الورقةِ الأولى.

وبها بعضُ الزيادةِ منَ الناسخِ مشاراً إلى ذلكَ منه كقولِهِ ومن غيرِ الكتابِ وصلحَ أن يذكرَ في هذا البابِ وهو قليلٌ وقد جعلتُ هذه الزيادَة في الهامشِ وحررتُ الكتابَ منها.

والنسخة الثانية: وهي في معهدِ المخطوطاتِ مصـورةٌ عن نسخةٍ مخطوطةٍ ومحفوظةٍ بمكتبةِ البلديةِ بسوهاجَ، بخطِ محمدِ بنِ عبدِالرحمنِ بن أحمدَ المكي بنِ ناصرِ الدينِ الشهيرِ بابنِ دجاجةَ. وكان الفراغُ من نسخِها يومَ الثلاثاءِ الثامنِ من شهر جمادِ الأولى عام ثَمانٍ وثمانينَ وتسعمائةٍ ٩٨٨هـ وهي ٧٤ ورقة وبها أثرُ رطوبةٍ واضحةٍ يصعبُ معهـا قراءةُ بعضِ الصفحـاتِ ومسطراتُها ٢١ سطراً ولا تحمِلُ اسمَ المؤلِّفِ وتمَ تصويرُها من قِبَل معهدِ إحياءِ المخطوطاتِ في ١٩ أغسطس سنةَ ١٩٤٨م وهي تحملُ رقم ١٧ سياسةٍ واجتماعٍ ورمزتُ لها بنسخة ب.

والنسخةُ الثالثةُ: وهيَ في معهدِ المخطوطاتِ وتم تصويرُها بمكتبةِ خدأبخش بتنة في ٣١ مارس سنةَ ١٩٥٢، وهي بخط نسخ عادي واضح. كتَبهُ أحمدُ بنُ مُحمدِ بنِ الظافرِ الغسانِّي وكانَ الفراغُ من نسخِها في ١٢ رمضانَ سنةَ ١٠٠١ الأولى بعد الألف وعليها ما يُشْعِرُ أن ناسخَها قد قابلها على الأصلِ فقال على هامشِ الورقةِ الأخيرةِ (بلغَ مقابلةَ على الأم المنسوخ منها على حسبِ الطاقةِ والامكانِ سلخَ شهرِ رمضانَ المعظمِ قدرُهُ سنةَ الأولى بعدَ الألفِ والحمدُ للـهِ ربِ العالمينَ) ورمزتُ لها بنسخة ج وعليها أيضاً

مطالعاتٌ ففي الورقةِ الأخيرةِ على الهامش السفلي (تمتْ مطالعتُهُ في ٣ صفر ١٢٨٧هـ) وممهورةٌ في ورقتِها الأولى برسم الفقيرِ إلى كرمِ اللـهِ تعالى شرفِ الدينِ الحسنِ بنِ الحسنِ بن أميرِ المؤمنينَ أيدَهُ اللـهُ اللهُّم آمينَ، وعليهَا أيضاً عدةُ أَختامٍ مما يشعرُ بتملكِها لدى كثيرينَ. وهي تحملُ اسمَ الكتابِ واسم مؤلِفِهِ على ورقتِها الأولى. وعددُ أوراقِها ٨١ ورقةً ومسطراتُها ٢١ سطراً وهي تحملُ رقم ٦٠ سياسةَ مصنفٍ غيرِ مفهرسٍ.

والنسخةُ الرابعةُ: موجودةٌ بدارِ الكتبِ المصريةِ بخطِ محمدٍ أحمدَ فتحِ اللـهِ وكان الفراغُ منْ نسخِها في ٥ رجب سنةَ ١٣٥٤هـ على ذمةِ دارِ الكتبِ المصريةِ بأمر أسعدَ بيك برادة والشيخِ محمدِ عبدِالرسولِ عن النسخةِ الموجودةِ بدارِ الكتبِ المصريةِ المحفوظةِ بمكتبةِ تيمورَ. وبلغَ عددُ صفحاتِها ١٨٦ صفحةً ومسطَراتُها ٢١ سطراً وهي بخطٍ عادي واضحٍ منقوطٍ وتحملُ رقم ٩٩٠٧ أدبٌ ورمزتُ لها بالنسخةِ د وهي لا تحملُ اسمَ المؤلفِ.

□ □ □

الفصلُ الثاني
طريقتيْ في التحقيقِ

خطُّ الكتابِ واضحٌ بصورةٍ عامةٍ ومقروءٌ باستثناءِ بعضِ الجملِ والكلماتِ ويمكنُ معرفتُها بالرجوعِ إلى النُسَخ الأخرى أو المراجعِ التي استَقَى منها المؤلفُ.

وطريقةُ نسخِ كلِ نسخةٍ يعتمدُ على الناسخِ وجودة خطِّهِ وطريقةِ عصرِهِ، ومقدارِ علمِهِ وقوتِهِ على الاملاءِ هذا وقدْ كانَ الناسخُ يوردُ في الأصلِ الذي اعتمدَتهُ بعضَ الأعلامِ محذوفةَ الألفِ مثل معويةَ والحرثِ بن هشام وغيرِهم، أما أنَا فقد رسمتُها بالألفِ كما تكتبُ اليومَ تسهيلاً لقراءَتِها وإن جاز حذفُها عربيةً وبالنسبةِ إلى الهمزة في آخر الكلماتِ فهو يحذفُها في أغلبِ الأحوالِ فيكتبُ الحُكْما والفُصْحَا وقد كَتبتُهما بالهمزة كَما تكتُب اليومَ ومرةً يكتبُ بدلَ الهمزةِ ياءً مثل مسايلَ ومايةَ وسُيَل وقد كتبْتها بالهمزةِ مسائِلَ ومائَة وسُئِلَ وكذلكَ الألفُ يحذِفُها من أرقامِ الأعدادِ فثلاثةٌ يكتبها ثلثةَ وثلثونَ وقد رجعتُ بها إلى أصلِهَا فكتبتُها على ما هو معروفُ ولم يراعِ الناسخُ في الكتابِ بنْ وابنَ فهو يوردُها مرةً بن ومرةً ابن دون مراعاة للقاعِدة في ذلك فالتزمْت فيها إذا كانتْ بين علمين بنْ وإذا كانتْ في البدايةِ ابن. كما وأنَّ الناسخ قدْ يضعُ في السطرِ ما يشعرُ بسقوطِ كلامٍ وضعه على الهامشِ المقابِل فأدخلتهُ في موضعهِ مراعاةً لنظمِ الكلامِ وسلامةِ المعنى كما وأنه قدْ يكتبُ كلمةً أو اسماً ثم يشطبُ تلك الكلمةَ أوذلك الاسمَ ويضعُ فوقَهُ التصحيحَ فالتزمتُ الصحيح وعدلتُ عما عدلَ هو عنهُ وبالتفصيلِ أقولُ:

١ ــ قمتُ بمقارنةِ نسخِ الكتابِ الأربعةِ مقارنةً تكادُ تكونُ دقيقةً ودونتُ الساقطَ منها، وصححتُ المصحفَ وأشرتُ إلى ذلك في هوامشِ الكتابِ الكثيرة. وإن كانتْ الكلمةُ مغايرةً في نسخةٍ وضعتُها بينَ قوسينِ وأعطيتُها رقماً في الصفحةِ وأثبتُ في الهامش اللفظَ المقابِل لِهَا في النسخِ الأخرى. وإن كَانَ هناكَ نقصٌ في جملة في الأصل الذي اعتمدتُه بحيثُ الكلامُ معه مبتوراً والمعنى غيرُ كامل أكملتُ الجملةَ من النسخِ الأخرى أو من المرجعِ الذي أخذتُ منه وأثبتُ ذلك وأشرتُ إليه زيادة من نسخة كذا أو من المرجع كذا على الهامشِ.

٢ ــ رجعتُ في كلِ آيةٍ كريمةٍ ذكرها الإمامُ في مؤلفِه إلى كتابِ اللـهِ الكريمِ وضبطتُها وكتبتُها صحيحة كما هي في القرآنِ الكريم، وإن وردَ بها تحريفُ كلمةٍ لأن القرآنَ يعلُو ولا يعلَى عليه، وللـهِ الحجةُ الغالبةُ، كما وبينتُ وجهَ دلالتِها إن احتاجَ الأمرُ والسياقُ إلى ذلك، مع وضعِها بينَ قوسين بارزَينِ خشيةَ اختلاطِها مع الأخبارِ والأقوالِ لتبقى آياتُ اللـهِ مصونةً كما نزلتْ. أما الأحاديثُ النبويةُ فقد رجعتُ فيها إلى كتبِ السنَّةِ وأشرتُ إلى مظانِها ومصادِرها ودرجةِ صحتِها ووجهِ دلالتِها كما ذكرتُ روايَتها الصحيحة إن كانَ هناكَ تحريفٌ في النسخِ كبيرٌ.

٣ ــ خَرَّجْتُ نُصوصَ الكتابِ وعلقتُ على ما هو بحاجةٍ إلى تعليقٍ. وكانَ جلُ اهتمامي في تخريج النصوصِ موجهاً إلى مصادرَ موثوقٍ بها دينياً وتاريخياً وعلمياً ومجمعٍ عليها ومَقبولة لدى العلماء. فإذا لم يتيسرْ ذلك رجعتُ إلى بعضِ المصادِر الحديثة حولَ ذلك الموضوع استأنسُ بها.

٤ ــ تضمنتْ بعضُ الأقوالِ التي أوردَها الإمامُ في مؤَّلفه بعضَ الكلماتِ الصعبةِ والغريبةِ، وقد فسّر لنا بعضَها وتركَ البعضَ الآخرَ ربما لأنَّ

مدلولَها كانَ واضحاً وقد رجعتُ بهـا إلى معاجمِ اللغـةِ العربيـةِ كالقاموسِ المحيطِ، ومختارِ الصحـاحِ والمصباحِ المنيـرِ، وبينتُ معناها ومدلولَها وأثبَتُّ ذلك في الهامش.

٥ ـ تضمنَ كتابُ تهذيبِ الرياسةِ وترتيبِ السياسةِ من أسماءِ الرواةِ والخلفاءِ والشعراءِ والحكماءِ والوزراءِ والكتَّاب والنساءِ الشيءَ الكثيرَ فقمتُ بالترجمةِ التي أحسبُها وافيةً لهم ومعرفةً بهم، ذاكراً تاريخ الوفاة لكلٍ واحدٍ منهم إن وُجِدَتْ حتى يسهل الرجوعُ إلى الترجمةِ لمن أرادَ ذلكَ فمعظمُ كتبِ التراجمِ وخاصةً التاريخيةُ توردُ الترجمةَ في سنةِ الوفاةِ مثل تاريخِ الطبري والبدايةِ والنهـايةِ، والنجـومِ الزاهـرةِ، وشذراتِ الـذهبِ، والكاملِ، وابنِ خَلدونَ وإن كان هناك بعضُ كتبِ التراجمِ توردُ الترجمةَ مرتبةً على حروفِ المُعْجمِ ففي تحريـرِ اسمِهِ أي العَلَمِ ما يساعدُ على ذلك، ورجعتُ في تراجمِ الصحابةِ إلى كتبِ الصحابةِ كالطبقات الكبرى لابنِ سعدٍ والاستيعابِ لابنِ عبدِ البرِ ورجعتُ في الخلفاءِ إلى كتبِ التاريخِ المعتمَدة الموثوقةِ وفي الوزراءِ والعمالِ والكُتَّابِ إلى المصادرِ التي اعتنتْ بهذا الفنِ ككتَابِ الوزراءِ والكتابِ للجهشارِي ورجعتُ في تراجمَ الأدباءِ والشعراء إلى كتبِ الأدبِ كيتيمةِ الدهرِ للثعالبي وفي النساءِ إلى كتابِ أعلام النساءِ لعمرْ رضا كَحَّالة ومنْ لم أعثرْ على ترجمةٍ رغمَ البحثِ والتمحيصِ أعلنتُ قُصوري وقلة حيلتي وأشرتُ إلى ذلكَ في موضِعِهِ.

٦ ـ وضعتُ فهارسَ تفصيليةً للآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، والاعلام الواردة أسماؤهم في الكتاب. كما وضعتُ فهارسَ للقوافِي والاشعارِ مبيناً اسمَ مَنْ ينسبُ إليه ذلكَ الشعرُ. كما وضعتُ فهرساً للأماكنِ والبلدانِ الوارد ذكرُها في الكتابِ.

٧ ـ كما وضعتُ فهرساً للمراجعِ التي اعتمدتُ عليها في تحقيقِ هذا المخطوطِ.

٨ ـ كما وضعتُ فهرساً عاماً لمحتوياتِ الرسالةِ يشتملُ على القسمِ الدراسيِ والقسمِ التحقيقي.

□ □ □

الفصلُ الثالثُ
منهجُ الكتابِ وأسلوبُهُ

إذا أردنا أنْ نعرفَ منهجَ المؤلفِ في كتابِه تهذيبِ الرياسةِ وأسلوبَهُ الذي سارَ عليه. فيمكنُني الآنَ وبعد الدراسةِ المتكررةِ لهذا المؤلفِ السياسي القيم أن أسجلَ النقاطَ التاليةَ:

١ ــ إنَّ الكتابَ يحتوي على قسمينِ: القسمُ الأولُ ويحتوي على خمسة عشرَ باباً وبعضُ أبوابِ الكتابِ يحتوي على فصل أو فصلينِ ووردتْ بعضُ الأبوابِ خاليةً من الفصولِ واقتصرَ محتواها على عنوانِ البابِ وتختلفُ الأبوابُ طولاً وقصراً حسبَ الموضوعِ الذي تعالجُهُ والهدفِ التي ترمي إليهِ.

٢ ــ إن مادةَ الكتابِ هي في الأغلبِ من مقتبساتِ القرآنِ الكريمِ والسنَّةِ النبويةِ والمواعظِ المؤثرةِ والشعرِ السائرِ والخُطَبِ الهادفةِ والسيرِ المرضيةِ والحكمةِ المبنية على التجربةِ والأقوالِ الصادرةِ من ذوي العقلِ والحكمةِ وأكثرَ في القسم الثاني من السِيَّر والأخبارِ عن الخلفاءِ وعمَّالِهم ووزرائِهم بل يكادُ القسمُ الثانيَ يكونُ مقصوراً على سير الخلفاءِ من زمن أميرِ المؤمنين معاويةَ بن أبي سفيان إلى المتوكلِ على الله العباسي.

٣ ــ جاءتْ لغةُ المؤلفِ عربيةً فصيحةً ذاتَ تعبيرٍ سليمٍ وأسلوبٍ رصينٍ بما يشعُر بتمكنه بالعربيةِ. وحفظُهُ وضبطُهُ وأسلوبُهُ في الأعم أسلوبُ

منْ ينقلُ عنه مادَةَ الكتابِ إلا إذا علقَ على أمر أو شرحَهُ أو أبدى وجهةَ نظرهِ قالَ قلتُ أو فأقولُ. وهوَ يذكرُ بعضَ الأقوالِ منسوبةً إلى أصحابها ومضانِّها ويوردُ البعضَ الآخرَ دون عزوٍ لأحدٍ. وأسهَب المؤلفُ في أخبارِ معاويةَ، وسليمانَ بنِ عبدالملكِ، وعمرَ بن عبدالعزيز من الأمويينَ. والرشيدِ والمأمونِ والمعتصمِ من العباسيينَ وإنْ كان قدْ أكثر من ذكرِ أحوالهم عموماً وأحوال عُمالِهم لما في ذلكَ من فائدةٍ مرجوة لمنْ أراد أن يقتدي. وهو بما ينقلُ يحاولُ رسمَ صورةٍ واضحةٍ لكل خليفةٍ دون أن يُغْرِق فيما لا يجدي من ذكر ألقابِ الخليفةِ وأولادهِ وتاريخِ ولادتهِ وولايتِه ووفاتِه باليومِ والشهرِ وإنما يُعْنَى أكثر ما يُعْنَى بالسيرةِ والأفعالِ والأقوالِ الدالةِ على السؤددِ ليقتدَى الأواخرُ بالأوائلِ فَيصلُ حاضرَ الأمةِ بماضِيها وأمجادِها ليوجدَ سياسيِّينَ يكونُ العدلُ دأبَهُم المعهودَ والأجرُ غرَضهم المقصودَ.

٤ ــ إنَ كلَ بابٍ من أبوابِ الكتابِ يخدمُ جانباً سياسياً هاماً ويمهدُ لما بعدَهُ، وما وردَ فيها من أقوالٍ وفصولٍ ينسجمُ في الغالب مع العنوانِ الرئيسي للبابِ ولذلك قَلَّ لديه الاستطرادُ والخروجُ عن مضمونِ البابِ، وإذا لم يكملُ موضوعاً أشارَ إلى بابٍ آخرَ استوفى فيه ما يكملُ الموضوعَ الذي بدأهُ سابقاً.

٥ ــ إنهُ يذكرُ بعضَ النصوصِ والأقوال مجردةً من سندها ويقدمُ لها بقيلَ أو قالَ آخرُ أو قال بعضُ الحكماءِ وهذه الطريقةُ من الصعبِ ضبطُها ولا يمكنُ معرفَتُها لأن الكلامَ إذا عُرفَ قائلُهُ أمكن البحثُ عنه. ولكنَّ الله أعانني على ذلكَ وإن كلفني ذلك من الجهدِ والمراجعةِ ما يستحق الذكر.

٦ ـ ومما يستحقُ الذكرَ أن الكتابَ خلا من التكرارِ في النصوصِ والأقوالِ ومنَ الرواياتِ المتعددةِ للنصِ الواحدِ ومن الأقوالِ المتعددةِ في الأمرِ الواحِد كالذي درجتْ عليه كتبُ الأقدمينَ، من مثلِ قولِهم وقيلَ كذا فيما خَلا بعضُ الأحاديثِ فقد أوردها بروايتينِ كحديث أبي ذرٍ الغفاريِ. كما تجنب ذكرَ الخلافاتِ الفقهيةِ في الفروعِ وهو مسلكٌ حسنٌ في أمر السياسةِ حتى لا يشتتِ الذهنَ ويوقعَ المسؤولَ في حيرةٍ وإن وجدَ شيءٌ من هذا أشارَ إليهِ إشارةً مقتضبةً قصيرةً كما قال في وجوبِ نصبِ الإمامِ وما يجبُ أن يتوافرَ فيهِ مِنَ الأوصافِ فقدْ جَمَعَ ذلك كلَّه في سطر ونصف فقال (أجمعتْ الأمةُ قاطبةً إلا من لا يعتدُ بخلافِه على وجوبِ نصبِ الإمامِ على الاطلاقِ وإن اختلفوا في أوصافِه وشرائِطِهِ) والحَقُ الذي يجبُ أن يقال أن هذا الكتابَ يعتبرُ نموذجاً لما كان عليه العلماءُ العاملونَ الذين كتبوا وألفوا في كل فنٍ واستغلوا كل امكاناتِهم في خدمة العلم والاسهامِ في توجيهِ الحياةِ نحوَ الأفضلِ وخاصةً في هذا الموضوعِ الحيويِ الحساسِ الذي يهمُ الأمة كلَّها لأنه بصلاحِ متوّلِيها تصلحُ وبالرغم من خطورةِ البحثِ في هذا الموضوعِ وما قد يجرهُ عليهِ من متاعبَ إلا أنهُ وَجَدَ لديه ذخيرةً كبيرةً قدمها لجيله حسبةً لله. ولمْ يؤلفْهُ لأحدٍ بالذاتِ على عادة بعض الأقدمينِ من تأليف كتابٍ وتقديمِهِ إلى شخصٍ بالذاتِ رجاءَ نوالِهِ وهو الذي يسمَّى «التكسب بالعلم» إلا أنَّ الإمامَ القلعيَّ لم يسلكْ نفسَ الطريقِ ولم يَرْتَضِ ذلكَ النهجَ بل يقدمُ مؤلفه لجيله ومعاصريهِ وللأمةِ كلِّها على توالي عصورِها فجزاهُ اللـهُ أحسنَ الجزاءِ.

أهميةُ الكتابِ:

تبدُو أهميةُ الكتابِ من كونِهِ موجهاً إلى الحكامِ والسلاطينِ والأمراءِ

لكي يستنيرُوا فيما يضطلعونَ به مِنْ مهامَ دينيةٍ ودنيويةٍ بكتابِ اللـهِ الكريمِ الجامعِ في آياتِه لما فيه سعادةُ الدنيا والآخرةِ. فدعا الخلفاءَ والولاةَ إلى العدلِ الذي به قوامُ الدنيا والآخرةِ، وأن يختاروا الأصلحَ لأمرِ الأمةِ ودعاهُم إلى قبولِ النصيحةِ المخلصةِ الهادفةِ، وأن يختارُوا لمجالستِهم أهلَ الديانةِ والأمانةِ، والعلمـاءَ والصلحَاء كمـا دعاهم إلى مباشرةِ الأمـورِ بأنفسهِم فلا يحتجبون عن الناسِ بحيث يكونُ بينَهم وبين العامة أسوارٌ حديديةٌ موصدةٌ فدعاهُم إلى أن يكونوا قريبينَ من مشاكلِ الناسِ حتى يصلَ المظلومُ إليهم فينصفُوه، ويرهبُهُم الظالمُ فيرتدعُ عن ظلمِهِ فإنَّه لاشَيء أضيعَ لأمرِ الرعيةِ من شدةِ الحجاب. وبينَ لهم عاقبةَ الظلمِ السياسي بكـافةِ أشكـالِهِ وألـوانِهِ والطريقةَ المثلى لسياسةِ الرعيةِ وضَرَبَ لهمُ الأمثلةَ على كلِ ذلكَ.

كما أنه موجهٌ إلى من هُمْ قريبونَ من الحكامِ من وزراءَ وأمراءَ وحجابٍ وخدمٍ وندماءَ، فدعاهم إلى أن يتحلُّوا بالصفاتِ الفاضلةِ والأخلاقِ الحميدةِ والصدقِ والرغبةِ في الخيرِ والاصلاح لكي يكونوا بطانةً صالحةً تكونُ عوناً على الخيرِ مناهضةً للشر والفسادِ لا تأخُذُها في اللـهِ لومةُ لائمٍ، المصلحةُ العامةُ عندهم فَوق كلِ مصلحةٍ، ورضاءُ اللـه عندَهُم مقدمٌ على كلِ شيءٍ. كما دعاهُم أن يقوموا بحق مَنْ فرض اللـهُ طاعتَهُ من الأئمةِ والحُكامِ، لينصرفَ الحكامُ لما فرضَ اللـهُ عليهم من تدبير أمرِ أمةِ محمدٍ صلى اللـهُ عليهِ وسلَم يساعِدُهُم في ذلك رجالٌ مخلصونَ يعرفونَ ما فرضَ اللـهُ عليهمَ من الطاعةِ والنصرةِ والموالاةِ وبينَ لهمْ حدودَ هذهِ الطاعةِ. ودعاهُم إلى النصيحةِ فإنها من صميم الدينِ.

كما أنَّهُ موجهٌ إلى عامةِ الشعبِ في دعوتِهِم إلى السمعِ والطاعةِ في الحقِ وعدمِ الخروجِ على الأئمةِ وبينَ لهمْ أن الإسلامَ يعتبرُ الطاعةَ من الرعيةِ لولاةِ الأمورِ فرضاً من الفروضِ وقاعدةً منْ قواعدِ السياسةِ لا تستقيمُ

حياةٌ ولا يزدهرُ عمرانٌ ولا تُحْمَى ثغورٌ ولا يقامُ عدلٌ بدونِها ولذلك حَرَّمَ كلَّ تنازعٍ واعتبَرهُ فَشَلاً ومؤدياً إلى الضعف والذلةِ والهوانِ انطلاقاً من قوله تعالى في سورةِ الأنفالِ ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٦).

فهو إذنْ يعالجُ الحياةَ السياسيةَ للدولةِ الإسلاميةِ، ويصفُ الحلولَ الناجعةَ لها كما يعالجُ الأمورَ الاجتماعيةَ والإداريةَ كوصايا الحكامِ لعمالِهم ومتولى أمورِهم ونوابِهم بالعدلِ فيضعُ أسساً واضحةً يستنيرُ بها الحكامُ وهي في أغلبِها تنبعُ من كتابِ اللهِ الكريمِ وسنَّةِ الرسولِ صلى اللهُ عليهِ وسلَم وأعمالِ الخلفاءِ وما توصل إليه العقلُ السليمُ بالخبرةِ الطويلةِ. ولذلكَ نراهُ يورد أقوالاً وضعيةً تواضَع العقلاءُ عليها من أقوال الحكماءِ والعقلاءِ ومن هُنا تبدُوْ أهميةُ الكتابِ وفائدتُهُ الجليلةُ وعميمُ نفعِهِ فِي معالَجة هذا الجانبَ الحيويَ الحساسَ من أمرِ الأمةِ.

□ □ □

القسم التحقيقي

كتابُ
تهذيبِ الرياسةِ وترتيبِ السياسةِ

تأليفُ الشيخِ
العارفِ أبي عبدِ اللـهِ محمدِ بنِ عليٍ بنِ أبي عليٍ القلعيِّ
رحمةُ اللـهِ عليهِ «المؤلفْ»

الحمدُ للـهِ وصلّى اللـهُ على سيدِنا محمدٍ
وعلى آلهِ وسلم ق/ ١



بسمِ اللـهِ الرحمنِ الرحيمِ (وباللـهِ أثقُ وعليهِ أتوكلُ)[1].

والحمدُ للـهِ حمداً كثيراً دائماً متواتراً متواصلاً مترادفاً متكاثفاً متظاهراً متظافراً حمدَ من اعترفَ ببرهِ وآلائِه شاكراً وسلَّم لقدرهِ وقضائِهِ صابراً وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللـهُ وحدَه لا شريكَ لهُ إلهاً واحداً أولاً آخراً صمداً[2] قيوماً[3] باطناً ظاهراً حياً مريداً عالماً قادراً سميعاً بصيراً ناهياً وآمراً.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ ابتعثَهُ ليعمرَ منِ الدين داثراً وينعشَ من الحقِ عابراً ويقطعُ من الكفرِ دابراً ويغيضُ من الضلالةِ بحراً زاخراً فلمْ يزلْ (صلى اللـهُ وعلى آلهِ وسلَم)[4] لحسامِ الإسلامِ شاهراً وبإعلانِ الحقِ مجاهراً ولجهادِ أهلِ العنادِ مصابراً وعن (عبادةِ)[5] الأصنامِ والأوثانِ زاجراً حتى عادَ ربعُ[6] الدينِ عامراً.

---

(١) في (ب): وبه أستعين؛ وفي (ج، د): وبه نستعين على القوم الكافرين.

(٢) الصمد: السيد الذي يقصد إليه بالحوائج، مختار الصحاح.

(٣) القيوم: اسم من اسماء الله تعالى معناه القائم بتدبير ما خلق.

(٤) في (ج): صلى الله عليه وسلم.

(٥) في (ب): عبده.

(٦) الربع محلة القوم ومنزلهم، المصباح المنير.

وأضاءَ فلكُ اليقينِ دائراً ورجعَ الكفرُ والضلالُ إلى الثباتِ والحسارِ داحراً صلى اللـهُ عليهِ وعلَى آلهِ ما انهلَ النوءُ[1] السماكي ماطراً وحدى العيسَ[2] حاديها وارداً وصادراً وبعدُ..

فهذا (الكتابُ)[3] جمعتُهُ في تهذيبِ الرياسةِ وترتيبِ السياسةِ وجعلتُهُ قسمينِ: القسمُ الأولُ (منهُ)[4] يشتملُ على (أنواعٍ)[5] أبوابٍ يحتوي على غررٍ[6] من كلامِ الحكماءِ ودررٍ من نظامِ الفصحاءِ مما ينسبكُ في قالبِ الأمثالِ الشاردةِ وينتظمُ في سلكِ الحكمِ الواردةِ يتضمنُ محاسنَ الأوصافِ المحمودةِ من ذوي الأمرِ وذمِ أضدادِها وما يجبُ استعمالُهُ أو تركُهُ من الأمورِ التي يحمدُ متبعُها عاقبةَ إصدارِها وإيرادِها[7].

والقسمُ الثاني (بحكاياتٍ)[8] من الخلفاءِ ووزرائِهم وعمالِهم وأمرائِهم مما يدلُ على نبلِهمِ وغزارةِ فضلِهمِ وحسنِ سيرتِهم وكمالِ مروءتِهم وما اشتملتْ عليه طرائقُهم وحوتْهُ خلائقُهُم من العدلِ والإنصافِ والبذلِ والإسعافِ والعفوِ عند الاقتدارِ ومعرفةِ حقوقِ ذوي الأقدارِ (وقبولِ النصحِ)[9]

---

(١) النوء: سقوط نجم من المنازل بالمغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها، مختار الصحاح.

(٢) الإبل: البيض التي في بياضها ظلمة خفية، المصباح المنير.

(٣) في (ج،د): كتاب.

(٤) زيادة من النسخة (ج).

(٥) ساقطة من (ب، ج).

(٦) غرر: بالضم والغره: بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم، القاموس.

(٧) في الأصل أثر تقطيع ورطوبة يصعب معه قراءة بعض الكلمات.

(٨) في (ب، ج، د): يتضمن حكايات عن الخلفاء.

(٩) في (ب، ج، د): وقبولهم النصح.

من الناصحينَ وسماعِ الموعظةِ من الصالحينَ مع ما اتصفوا بهِ (منْ)[1] (علمٍ وأدبٍ)[2] ووقارٍ وحلمٍ وفصاحةٍ وبراعةٍ وسماحةٍ وشجاعةٍ فمن اتخذَ ذلك إماماً ارتفعَ وانتفعَ ومنْ عملَ بما شاكَلَه رشدَ وحُمِدَ.

وقد ابتدأتُ (ذلكَ)[3] بذكرِ وجوبِ الإمامةِ وعدمِ الاستغناءِ عن الولاةِ وما يجبُ لهم على الكافةِ من الطاعةِ والموالاةِ واللهُ تعالى الموفقُ لانتظامِه والتيامِه والمعينُ على إتمامِهِ واختتامِهِ.

---

(١) زيادة من (ب، ج، د).
(٢) في (ب، ج): أدب وعلم.
(٣) ساقطة من (ب، ج).

بابٌ في ذكرِ وجوبِ الإمامةِ
والاحتياجِ إلى السلطانِ
وعدمِ الاستغناءِ عنه في جميعِ الأزمانِ

أجمعتْ الأمةُ قاطبةً إلَّا من لا يعتدُّ (بخلافِهِ)[1] على وجوبِ نصبِ الإمامِ على الإطلاقِ وإن اختلفوا في أوصافِهِ وشرائِطِهِ[2].

---

(١) في (ب، ج، د): به.

(٢) مما امتازَ بِهِ الإسلامُ وسما بِهِ على غيرِهِ من الأديانِ السماويةِ، عموميةُ أحكامِهِ لكل نواحي الحياةِ وتنظيمُهُ لجميعِ شؤونِها، دينِيها ودنيويِها في خاصةِ أمرِ الفردِ وفي علاقتِهِ بالمجتمعِ الذي يعيشُ فيه، وفي علاقاتِ مجتمعِهِ بغيرِهِ من المجتمعاتِ. ودينٌ سماويٌ هذا شأنُهُ لا بدّ أن يكونَ قد وضعَ الأسسَ وأقامَ القواعدَ وأرسىَ الأصولَ لقيامِ دولةٍ إسلاميةٍ على رأسها إمامٌ يتولى تدبيرَ أمرها وتنظيمَ شؤونِها. ولذلك نجدُ الأئمةَ الأعلامَ ينصونَ على وجوبِ نصبِ هذا الإمامِ وعدمِ الاستغناءِ عنه في عصرٍ من العصورِ، فهذا الماورديُ[1] يقولُ: «وعقدُها لمن يقومُ بها واجبٌ بالإجماعِ». ويقولُ القاضي أبو يعلى «نصبةُ الإمامِ واجبةٌ بل حصولُ الفتنةِ لازمٌ عندها إذا لم يكنْ هناك إمامٌ يقومُ بأمرِ الدينِ والدنيا»[2]. ونجدُ ابنَ حزمٍ يؤكدُ هذا الوجوبَ ويناقشُ أدلةَ المنكرينَ له فيقولَ: «اتفقَ جميعُ أهلِ السنةِ وجميعُ المرجئةِ وجميعُ الشيعةِ وجميعُ الخوارجِ على وجوبِ الإمامةِ وأنَّ الأمةَ واجبٌ عليها الانقيادُ لإمامٍ عادل يقيمُ فيهم أحكامَ اللـهِ ويسوسُهم بأحكامِ الشريعةِ التي جاءَ بها رسولُ اللـهِ صلى اللـهُ =

---

(١) الأحكام السلطانية، ص ٥.

(٢) الأحكام السلطانية، للقاضي أبي يعلى، ص ١٩.

= عليهِ وسلمَ، حاشا النجداتِ من الخوارجِ فإنهم قالوا لا يلزمُ الناسَ فرضُ الإمامةِ وإنما عليهم أن يتعاطوا الحقَ بينَهم.

ونجدُهُ يناقشُ رأيَ النجداتِ فيقولُ: «وقولُ هذه الفرقةِ ساقطٌ يكفي للردِ عليه وإبطالِه إجماعُ كلِ منْ ذكرنا على بطلانِهِ والقرآنُ والسنةُ قد وردَا بإيجابِ الإمامِ من ذلكَ قولُه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُواْ اللَّـهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1].

مع أحاديثَ صحاحٍ في طاعةِ الأئمةِ ووجوبِ الإمامةِ[2].

ويؤكدُ هذا الوجوبَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ فهو ينصُ على أن ولايةَ أمرِ الناسِ من أعظمِ واجباتِ الدينِ بل لا قيامَ للدينِ إلا بها.

ويبينُ أنَ أمرَ الدنيا لا ينتظمُ إلا بوجودِ هذا الإمامِ فيقولُ: «فإن بني آدم لا تتمُ مصلحتُهُم إلا بالاجتماعِ لحاجةِ بعضِهِم إلى بعضٍ ولا بدَ عندَ الاجتماعِ من رئيسٍ»[3]. وهذا ابنُ خلدونٍ يقولُ أن نصبَ الإمامِ واجبٌ قد عُرِفَ وجوبُهُ في الشرعِ بإجماعِ الصحابةِ والتابعينَ لأن أصحابَ رسول اللـهِ صلى الله عليه وسلم عندَ وفاتِه بادروا إلى بيعةِ أبـي بكرٍ، رضيَ اللـهُ عنهُ، وتسليمِ النظر إليه في أمورِهم وكذا في كلِ عصـرٍ منْ بعدِ ذلكَ ولم يُترك الناسُ في عصرٍ من الأعصارِ، واستقرَ ذلكَ إجماعاً دالاً على وجوبِ نصبِ الإمامِ[4]. كما نجدُ إمامَ الحرمينِ الجوينيَ ينصُ على هذا الوجوبِ ويناقشُ رأيِ المخالفينَ ويبينُ زيفَه وبطلانَه[5]. ولم يشذُ عن هذا الإجماعِ، إجماعُ من أشرقتْ عليه الشمسُ شارقةً وغاربةً واتفقتْ عليه الأمةُ سلفاً وخلفاً، سوى نجدةَ بنَ عميرٍ من الخوارجِ، وعبدَ الرحمنِ بنَ كيسانٍ المعروفَ

(١) سورة النساء: آية ٥٩.
(٢) الفصل في الملل والنحل، ج ٤ ص ٨٧.
(٣) السياسة الشرعية، ص ١٣٨.
(٤) مقدمة ابن خلدون، ص ١٧١.
(٥) غياث الأمم في التياث الظلم، ص ١٥.

. . . .

بالأصمِ من المعتزلةِ حيثُ قالا: لا يجبُ شرعاً ولا عقلاً إقامةُ خليفةٍ. والواجبُ عندَ هؤلاءِ إمضاءُ الأحكامِ بالشرعِ، فإذا تواطأتْ الأمةُ على العدلِ وتنفيذِ أحكامِ الله تعالى لم يُحتجْ إلى إمامٍ ولا يجبُ نصبهُ وهؤلاءِ محجوجونَ بالإجماعِ[1]. وانتصرَ لهم الشيخُ على عبدِ الرزاقِ في كتابِه الإسلامُ وأصولُ الحكمِ، فهو يقررُ فيه أن الإسلامَ دينٌ وفقط، ولا شأنَ له بالسياسةِ ولا بإقامةِ حاكمٍ عامٍ للدولةِ، بل يرجعُ في ذلكَ لأحكامِ العقلِ وقواعدِ السياسةِ وخبراتِ الأمم. ونجدُهُ يقولُ «ظواهرُ القرآنِ المجيدِ تؤيدُ القولَ بأنَ النبيَ صلى اللهُ عليه وسلمَ لم يكنْ لهُ شأنٌ في الملكِ السياسي، وآياتُهُ متظافرةٌ على أن عمله السماويَ لم يتجاوزْ حدودَ البلاغِ من كلِ معاني السلطانِ»[2].

ولكنْ هذا الوجوبُ الذي لا يطعنُ فيه شذوذُ من شذَ، ولا يوهنه خلافُ المخالفينَ قديماً وحديثاً إما أن يكون بالشرعِ، أوبالعقلِ، أوبهما معاً، ويجزمُ القاضي أبو يعلى بأنْ طريقَ وجوبها السمعُ لا العقلُ. ويؤيدُ ذلك الإمامُ الجوينيُ فيقولُ: «فإذا تقررَ وجوبُ نصبِ الإمامِ فالذي صارَ إليه جماهيرُ الأئمةِ أن وجوبَ النصبِ مستفادٌ منَ الشرعِ المنقولِ، غيرُ متلقى من قضايا العقولِ»[3]. وهذا عينُ ما ذهبَ إليه التفتازانيُ حيثُ يقولُ: «والمذهبُ إنه يجبُ على الخلقِ سمعاً»[4]. ويؤيدُ ذلكَ الماورديُ ويناقشُ أدلةَ القائلينَ بوجوبِها عقلاً فيقولُ: «لأنَّ الإمامَ يقومُ بأمورٍ شرعيةٍ قد كانَ مجوزاً في العقلِ أن لا يردَ التعبدَ بها، فلم يكنْ العقلُ موجباً لها، وإنما أوجبَ العقلُ أن يمنعَ كلُ واحدٍ نفسَه من العقلاءِ عن التظالمِ والتقاطعِ ويأخذَ بمقتضى العدلِ في التناصفِ والتواصلِ فيدبرُ بعقلهِ لا بعقلِ غيرهِ لكن جاء الشرعُ بتفويضِ الأمورِ إلى وليهِ في الدينِ. قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٢. الأحكام السلطانية، ص ٥. غياث الأمم، ص ١٥.
(٢) الإسلام وأصول الحكم، ص ١٥٨.
(٣) غياث الأمم، ص ١٨.
(٤) مجموعة الحواشي البهية، على شرح العقائد النسفية، ج ١ ص ١٩٨.

. . . .

اللّـهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ ففرضَ علينا طاعةَ أولي الأمر فينا وهم الأئمةُ المتأمرونَ علينا»[1]. وهذا ما ذهبَ إليه العلامةُ ابنُ خلدونٍ حيثُ يقولُ: قد عُرفَ وجوبُهُ في الشرعِ بإجماعِ الصحابةِ والتابعينَ، ويقولُ مرةً أخرى إن مُدْرَكَ وجوبِه إنما هو بالشرعِ[2]. وإذا تقررَ هذا الواجبُ الشرعيُ فهو من فروضِ الكفايةِ، يطالبُ به صنفانِ من الناس أهلُ العقدِ والحلِ حتى يختاروا إماماً للأمةِ. وهؤلاءِ لا بد من توافرِ شروطٍ تؤهلُهُم لاختيارِ إمامٍ للأمةِ وذكرَ العلماءُ الشروطَ الواجبَ توافُرُها فيهم فهي:

١ العدالةُ والورعُ ويؤكدُ الإمامُ الجوينيُ هذا الشرطَ فيقولُ: «فمن لا يوثقُ به في باقةِ بقلٍ كيفَ يُرى أهلاً للحلِ والعقدِ وكيفَ ينفذُ نصبُه على أهلِ الشرقِ والغربِ ومن لم يتقِ اللـهَ لم تؤمنْ غوائلُهُ ومن لم يصنْ نفسَه لم تنفعْهُ فضائلُهُ»[3].

٢ ــ العلمُ الذي يُتوصلُ به إلى اختيارِ مَنْ هوَ للإمامةِ أصلحُ وبتوليها أولى وأجدرُ. ومِن العلماءِ من شرطَ كونَه مجتهداً لأنه يشترطُ في الإمامِ عندهم أن يكونَ مجتهداً ولا يحيطُ بالمجتهدِ إلا مجتهدٌ[4].

٣ ــ الرأيُ والحكمةُ المؤديانِ لاختيارِ من هو للإمامةِ أصلحُ وبتوليها أحقُ وأجدرُ فلا يدخلُ في ذلك المغفلونَ والعوامُ ولهذا نجدُ الإمامَ الجوينيَ لم يدخلْ في ذلكَ العوامَ ومن لا يعُدُ من أهلِ البصائرِ والعبيد[5].

ومنهم من اشترطَ الذكوريةَ في أهلِ العقدِ والحلِ لأن النساءَ مأموراتٌ بملازمةِ الخدور منهياتٌ عن مباشرةِ الأمورِ ومزاحمةِ الخطوبِ فهنَّ قليلاتُ الخبرةِ في هذهِ الأمورِ ولذلكَ ذهبَ بعضُ العلماءِ إلى أنها لا تستقلُ بتزويجِ نفسِها.

---

(١) الأحكام السلطانية، ص ٥.
(٢) مقدمة ابن خلدون، ص ١٧١ ــ ١٧٢.
(٣) نظام الحكم السياسي، مقارناً بالنظم المعاصرة، ص ٦٩. غياث الأمم، ص ٥٢. الأحكام السلطانية، ص ٦.
(٤) غياث الأمم، ص ٥١.
(٥) المرجع نفسه، ص ٥٠.

. . . .

٤ ـ العددُ ذهبَ بعضُ العلماء إلى وجوبِ إجماعِ أهلِ العقدِ والحلِ في كلِ بلدٍ ليكونَ الرضاءُ بالخليفةِ عاماً والطاعةُ له تامةً. وقد ناقشَ العلماءُ هذا القولَ ودفعوه ببيعةِ أبي بكرٍ فقد صحتْ لهُ البيعةُ فقضىٰ وحكمَ وأمرَ ونهىٰ بمجردِ اختيارِ من حضرَ من أصحابِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ لهُ[١].

وذهبَ آخرونَ إلى إنَّ من تنعقدُ بهم الإمامةُ أربعونَ قياساً على صلاةِ الجمعةِ. وقال آخرونَ أربعةٌ قياساً على البيناتِ. ومنهم من ذكرَ اثنينِ اعتباراً بأقلِ الجمعِ ولا بدَ من اجتماعِ جمعٍ على البيعةِ. وذهبتْ طائفةٌ أخرى إلى أنها تنعقدُ بثلاثةٍ يتولاها أحدُهم برضاءِ الاثنينِ قياساً على عقدِ النكاحِ بولي وشاهدينِ. ومنهم من ذهبَ إلى إنَ الإمامةَ تثبتُ بمبايعةِ رجلٍ واحدٍ من أهلِ العقدِ لأن العباسَ قال لعليٍ أمددْ يدَكَ أبايعْك فيقولَ الناسُ عمُ رسولِ اللهِ صلىٰ اللهُ عليهِ وسلَم بايعَ ابنَ عمهِ فلا يختلف عليك اثنانِ. ومن أدلةِ هؤلاءِ أن الاجماعَ ليس شرطاً ولم يثبتْ توقيفاً في عددٍ مخصوصٍ والعقودُ في الشرعِ يتولاها عاقدٌ واحدٌ، فإذا كانَ ذلكَ كذلكَ لزمَ الاكتفاءَ بعقدِ الواحدِ. وقد ناقشَ الإمامُ الجوينيُ هذهِ الأقوالَ كلَّها وبيَّن أنه لمْ يقمْ دليلٌ على عددٍ معينٍ وأن أوجهَ الأقوالِ أن يكونَ المبايعونَ بحيثُ تحصلُ بهم شوكةٌ ظاهرةٌ ومنعةٌ قاهرةٌ، بحيثُ لو نجمَ خلافٌ لتمكنوا من قهره والتغلبِ عليهِ[٢].

والصنفُ الثاني المطالبُ هم أهلُ الإمامةِ المتوفرةِ فيهم شروطُها يختارُهم أهلُ العقدِ والحلِ، وعلى الناس أن يسرعوا في طاعتِهم وموالاتِهم والنصرةِ لهم. والشروطُ الواجبُ توافُرُها في أهلِ الإمامةِ ذكرَها الأئمةُ في معرضِ عنايتهم بمنصبِ الخلافةِ وكانت محلَ خلافٍ بينَهم تبعاً لخلافِهم في طريقِ وجوبِها وطريقِ اختيارِ هذا الإمامِ هل هو بالنصِ أو بالاختيارِ فأهلُ السنّةِ يشترطونَ جملةَ شروطٍ منها ما يتعلقُ بالحواسِ ومنها ما يتعلقُ بالأعضاءِ ومنها ما يرتبطُ بالصفاتِ اللازمةِ والفضائلِ المكتسبةِ. فأما ما يتعلقُ بالحواسِ فالبصرُ لا خلافَ في اشتراطِهِ لأن فقدَه يؤثرُ في

(١) نظام الحكم الإسلامي، ص ٦٩. الماوردي، ص ٦. غياث الأمم، ص ٥٢.
(٢) الأحكام السلطانية، للماوردي، ص ٧. نظام الحكم الإسلامي، ص ٧٠. غياث الأمم، ص ٥٢ ـ ٥٩. أصول الدين، ص ٢٨١.

. . . .

العملِ، فلا يميزُ بينَ الأشخاصِ في مقامِ التخاطبِ ولأنه لما أبطلَ ولايةَ القضاءِ فأولى أن يمنعَ من صحةِ الإمامةِ[1]. وكذلكَ يشترطُ السمعَ والنطقَ فالصممُ والخرسُ يمنعانِ من ابتداءِ عقدِ الإمامةِ فلا يصلحُ المبتلى بهما لهذا المنصبِ الخطيرِ الشأنِ العظيمِ الأثرِ. وأما حاسةُ الشمِّ والذوقِ فلا يؤثرانِ في عقدِ الإمامةِ لأن غايةَ تأثيرِهما شخصيةٌ في اللذةِ ولا أثرَ لهما في العملِ المنوطِ بإمامِ الأمةِ[2].

وأما ما يتعلقُ بالأعضاءِ فكلُ ما لا يؤثرُ فقدُهُ في رأيٍ ولا عملٍ ولا يؤدي إلى شينٍ ظاهرٍ في المنظرِ فلا يضرُ فقدُهُ. فلا يمنعُ من عقدِ الإمامةِ جبُّ الذكرِ والانثيينِ خلافاً لابنِ خلدونِ في الانثيينِ حيثُ اعتبرَ فقدُها يؤثرُ في العملِ ولا يعقلُ لذلكَ معنى لأن الكلَ متفقٌ على أن تأثيرها في التناسلِ دونَ العملِ فتجرى مجرى العنَّةِ وقد وصفَ اللـهُ نبيهَ يحيـى بذلك وأثنى عليه فقالَ: ﴿وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[3].
أما ما يؤثرُ فقدُهُ في العملِ كقطعِ اليدينِ والرجلينِ فالذي ذهبَ إليه معظمُ العلماءِ تنزيلُ هذهِ الآفاتِ منزلةَ العمى والصممِ والخرس. واختلفوا في فقدِ إحدى اليدينِ أو إحدى الرجلينِ فذهبَ الماورديُ إلى منعِها عقدَ الإمامةِ. وذهبَ الإمامُ الجوينيُ إلى أنه إذا لم ينتهِ الأمرُ إلى الزمانةِ فلا أثرَ لهذا النقصِ الجزئي معَ صحةِ العقلِ[4] والرأي. وأما ما يشينُ المنظرَ كجدعِ الأنفِ وفقدِ إحدى العينينِ فالسلامةُ منه شرطُ كمال عندَ الجمهورِ[5]. والصفاتُ اللازمةُ الواجبُ توافُرُها:

---

(١) الأحكام السلطانية، ص ١٩. مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٣. غياث الأمم، ص ٦٠. نظام الحكم السياسي، ص ٨٩.

(٢) الأحكام السلطانية، ص ١٩. غياث الأمم، ص ٦١.

(٣) سورة آل عمران: آية ٣٩.

(٤) الأحكام السلطانية، ص ٢٠. غياث الأمم، ص ٦٢. مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٣.

(٥) مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٣. غياث الأمم، ص ٦٢. الأحكام السلطانية، ص ٢٠. أصول الدين، ص ٢٧٧.

. . . .

١ ــ النسبُ القرشي لقولِ الرسولِ صلى اللهُ عليه وسلَم «الأئمةُ من قريشٍ»[١] وقوله: «قدِّموا قريشاً ولا تَقْدمُوها»[٢] ولإجماعِ الصحابةِ على ذلكَ يومَ السقيفةِ عندما قالوا: منَّا أميرٌ ومنكم إميرٌ فاحتجَ عليهم أبو بكر بالحديثِ السابقِ، فَرَضُوا بقوله نحنُ الأمراءُ وأنتمُ الوزراءُ تسليماً لروايتِهِ وتصديقاً لخبرِهِ فهذا الحديثُ في حكمِ المستفيضِ المقطوعِ بثبوتِهِ من حيثُ أنَّ الأمةَ تَلقتْهُ بالقبولِ. ولكنَّ الإمامَ الجوينيَ لا يرضى بهذا القولِ فيقولُ: «وهذا مسلكٌ لا أؤثرهُ فإنَّ نَقَلَة هذا الحديثَ لا يبلغونَ مبلغَ عددِ التواترِ ويدللُ على اشتراطِ هذا الشرطِ بأن الماضينَ اشتهرَ عنهم اختصاصُ هذا المنصبِ بقريشٍ ولم يتشوفْ قطُّ أحدٌ من غيرِ قريشٍ إلى الإمامةِ على تمادي الأحيانِ وتطاولِ الزمانِ. فهذا إذا ما تطابقتْ عليه مذاهبُ طبقاتِ الخلقِ[٣]. وإليه ذهبتْ أهلُ السنَّةِ وجميعُ الشيعةِ وبعضُ المعتزلةِ وجمهورُ المرجئةِ وإنها خاصةٌ في قريشٍ وإنها لا تجوزُ فيمن كان أبوه من غيرِ قريشٍ وإن كانت أمهُ من قريشٍ ولا في حليفٍ ولا في مولى[٤]. وذهبتْ الخوارجُ كلُّها وجمهورُ المعتزلةِ إلى عدمِ اشتراطِ النسبِ القرشي وإنها جائزةٌ في كلِ منْ قامَ بالكتابِ والسنةِ قرشياً كان أو عربياً أو ابنَ عبدٍ. وبلغَ الأمرُ بضرارِ بنِ عمرَ الغطفاني أنه قال إذا اجتمعَ حبشيٌ وقرشيٌ كلاهُما قائمٌ بالكتابِ والسنةِ فالواجبُ أن يقدّمَ الحبشيُ لأنه أسهلُ لخلعِهِ إذا حادَ عن الطريقةِ[٥].

---

(١) مجمع الزوائد، م ٥ ص ١٩٢. مسند أحمد، م ٣ ص ١٢٩. الترغيب والترهيب، ج ٣ ص ١٧٠. وقال رواه أحمد بإسناد جيد.

(٢) الجامع الصغير، ج ٢ ص ٨٦. وذكر أنه رواه الطبراني عن عبد الله بن السائب بإسناد صحيح.

(٣) غياث الأمم، ص ٦٢ ــ ٦٤. الأحكام السلطانية، ص ٦. نهاية الارب، ج ٦ ص ٢. مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٣.

(٤) الفصل في الملل والنحل، ج ٤ ص ٨٩. النظام السياسي في الإسلام، ص ١٩٣.

(٥) الفصل في الملل والنحل، ص ٨٩. غياث الأمم، ص ٦٢. الأحكام السلطانية، ص ٦. شرح مطالع الأنظار على طوالع الأنوار، ص ٢٣٠.

. . . .

واستدلوا بقولِ الرسولِ صلى اللـهُ عليهِ وسلمَ: «اسمعوا واطيعوا وإن استعمل عليكم عبدٌ حبشيٌ كأنَّ رأسَه زبيبةٌ»(١) وقولِ عمَر، رضيَ اللـهُ عنهُ، لوكانَ سالمٌ مولى أبي حذيفةَ حياً لوليتهُ. وقد ناقشَ العلماءُ هذهِ الأدلةَ فقالوا في الحديثِ الأولِ إنه خرجَ مخرجَ التمثيلِ للمبالغةِ في الحثِ على الطاعةِ لأن العبدَ لا يملكُ أمرَ نفسِهِ فكيفَ أمرَ أمةِ محمدٍ صلى اللـهُ عليهِ وسلمَ ويتصرفُ بمقدراتِها. وهذا ما ذهبَ إليهِ الإمامُ القسطلانيُ فقد قال: «وإن استعملهُ الإمامُ الأعظمُ على القومِ لا أن العبدَ الحبشِيَ هو الإمامُ الأعظمُ فإن الأئمة من قريش أو المراد به الإمام الأعظم على سبيلِ الفرضِ والتقديرِ وهو مبالغةٌ في الأمرِ بطاعتهِ والنهي عن شقاقِهِ ومخالفتِهِ»(٢). وقالوا في قولِ عمَر بنِ الخطاب انه ليسَ بحجةٍ لإنه مذهبُ صحابيٍ، وهو معارضٌ بحديثِ الرسولِ صلى اللـهُ عليهِ وسلمَ الصحيحِ الصريحِ(٣). وتكلمَ ابنُ خلدونٍ في الحكمةِ من اشتراطِ النسبِ القرشي وأن الأمرَ كانَ لأنَّ قريشاً كانتْ صاحبةَ السيادةِ ولها الزعامةُ والرفادةُ فتفرُّدها بالخلافةِ أدعى لجمعِ شملِ المسلمينَ واستقرارِ أمورِهم وانتظامِ أمورِ دينِهم ودنياهُم فنجدُه يقولُ: «إنَّ الأحكامَ الشرعيةَ لا بدَّ لها من مقاصدَ وحكمٍ تشتملُ عليها وتُشرعُ لأجلها، ونحنُ إذا بحثنا عن الحكمةِ في اشتراطِ النسبِ القرشي ومقصدِ الشارعِ منه لم يقتصرْ فيه على التبركِ بوصلةِ النبي صلى اللـهُ عليهِ وسلمَ كما هو في المشهور، وإن كانتْ تلكَ الوصلةُ موجودةً والتبركُ بها حاصلاً لكن التبركَ ليسَ من المقاصدِ الشرعيةِ كما علمتَ فلا بدَّ إذنْ من المصلحةِ في اشتراطِ النسبِ وهي المقصودُ من مشروعيتِها وإذا سبرْنا وقسمْنا لم نجدْها إلا اعتبارَ العصبيةِ التي تكونُ بها الحمايةُ والمطالبةُ ويرتفعُ الخلافُ والفرقةُ بوجودِها»(٤). ونحنُ نرى أن النسبَ القرشي ثابتٌ بالسنَّةِ مؤكدٌ بالإجماعِ إجماعِ أصحابِ رسولِ اللـهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ يومَ السقيفةِ

---

(١) صحيح البخاري، ج ٩ ص ٧٨.

(٢) إرشاد الساري، ج ١٠ ص ٢١٩. مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٣. النظام السياسي في الإسلام، ص ١٩٥. فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ج ١٣ ص ١٢٢.

(٣) مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٣ ـ ١٧٤.

(٤) مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٤.

. . . .

بلا معارضةٍ من أحدٍ فلا بدَّ من اعتبارِهِ وملاحظتِهِ بحيثُ يمكنُ الرجوعُ إليه كشرطٍ مرجحٍ بين مرشحين أو أكثرَ عند استواءِ الشروطِ في كلٍ منهم ومن الصفاتِ اللازمةِ الواجبِ توافُرُها في الإمامِ.

٢ ــ **الحريةُ**: لأنَّ العبدَ مستحقرٌ بينَ الناسِ مشتغلٌ بخدمةِ سيدِهِ والإمامُ يجبُ أن يكونَ مكرماً ليكونَ مطاعاً ويجبُ أن لا يكونَ مشتغلاً بخدمةِ أحدٍ على سبيلِ الوجوبِ ليتفرغَ لمصالحَ الناسِ[١].

٣ ــ **الذكوريةُ**: مما أجمعتْ عليهِ الأمةُ على أنَّ المرأةَ لا يجوزُ لها أن تليَ رياسةَ الدولةِ لقولِهِ صلى الله عليه وسلم «لن يفلح قومٌ ولوا أمرَهم امرأةً»[٢]، ولأنهنَّ ناقصاتُ عقلٍ ودينٍ والإمامُ يجبُ أن يكونَ كاملَ العقلِ والدينِ.

٤ ــ **الشجاعةُ والنجدةُ المؤديةُ إلى حمايةِ البيضةِ وجهادِ العدوِ**: فقدْ قالَ ابنُ خلدون أن يكونَ جريئاً على إقامةِ الحدودِ واقتحامِ الحروبِ بصيراً بها، كفيلاً بحملِ الناسِ عليها عارفاً بالعصبيةِ وأحوالِ الدهاءِ قوياً على معاناةِ السياسةِ ليصح له بذلكَ ما جعلَ إليهِ من حمايةِ الدينِ وجهادِ العدوِ وإقامةِ الأحكامِ وتدبيرِ المصالحِ[٣].

٥ ــ **البلوغُ**: لأن الصبيَّ غيرُ مكلفٍ ولا يملكُ أمرَ نفسِهِ فلا تكونَ له ولايةٌ على البالغينَ.

وأما الصفاتُ المكتسبةُ:

١ ــ العلمُ واختلفَ العلماءُ في المرادِ بالعلمِ وحدودِ هذا العلمِ. فقالتْ طائفةٌ يجبُ أن يكونَ الإمامُ مجتهداً في أصولِ الدينِ وفروعِهِ ليتمكنَ من إيرادِ الدليلِ وحلِ الشكوكِ والشبهِ، وليتمكنَ من الفتوى واستنباطِ الأحكامِ من الفروعِ وذهبَ إلى هذا الرأيِ الإمامُ الماورديُّ والقاضي أبو يعلَى وابنُ خلدون والإمامُ

---

(١) شرح مطالع الأنوار، ص ٢٣٠. غياث الأمم، ص ٦٥.

(٢) مسند أحمد، م ٥ ص ٣٨.

(٣) الأحكام السلطانية، للماوردي، ص ٦. مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٣. شرح مطالع الأنظار، ص ٢٣٠. غياث الأمم، ص ٦٥.

. . . .

الجوينيُ والإمامُ البيضاويُ في مطالعِ الأنظارِ. وحجتُهُم أنه إنما يكونُ منفذاً لأحكامِ اللـهِ إذا كان عالماً بها وما لم يعلمْها لا يصحُّ تقديمُه لها ولا يكفي في العلمِ إلا أن يكونَ مجتهداً لأن التقليدَ نقصٌ[١]. واستدل الإمام الجويني لهذا الرأي بقولِهِ: ولم يؤثـرْ في اشتراط ذلك خلافٌ والدليلُ عليه أن معظمَ أمورِ الدينِ تتعلقُ بالأئمةِ فأما ما يختصُ بالولاةِ وذوي الأمرِ فلا شكَ في ارتباطِه بالإمامِ وأما ما عداهُ من أحكامِ الشرعِ فقد يتعلقُ به من جهةِ انتدابِه للأمر بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ فلو لم يكنْ الإمامُ مستقلاً بعلمِ الشريعةِ لاحتاجَ إلى مراجعةِ العلماءِ من تفاصيلِ الوقائعِ وذلك يشتتُ رأيَهُ ويخرجُهُ عن رتبةِ الاستقلالِ[٢]. وذهبَ آخرونَ إلى عدمِ اشتراطِ مرتبةِ الاجتهادِ في الإمام لتعذُّرِها وخاصةً في الظروفِ المتأخرةِ حيثُ انصرفَ الناسُ عن طلبِ العلمِ وشاعَ التقليدُ وذاعَ فهذا الشهرستانيُ يقولُ: ومالتْ جماعةٌ من أهلِ السنَّةِ إلى ذلك حتى جوزوا أن يكونَ الإمامُ غيرَ مجتهدٍ ولا خبيراً بمواقعِ الاجتهادِ لكنْ يجبُ أن يكونَ معهُ من أهلِ الاجتهادِ فيراجعَه في الأحكامِ ويستفتي منه في الحلالِ والحرامِ[٣] وهذا هو الأرحم بزماننا.

٢ ــ **العدالةُ**: وقد عرَّفَها الماورديُ بقوله: «أن يكونَ صادقَ اللهجةِ ظاهرَ الأمانةِ، عفيفاً عن المحارمِ، متوقياً المآثمَ بعيداً من الريبِ مأموناً في الرضى والغضبِ، مستعملاً لمروءةِ مثلِهِ في دينِهِ ودنياهُ، فإذا تكاملتْ فيه فهي العدالةُ التي تجوزُ بها شهادتُه وتصحُ معها ولايتُهُ وإن انخرمَ منها وصفٌ منعَ من الشهادةِ والولايةِ فلم يُسمعْ له قولٌ ولم ينفذْ له حكمٌ»[٤]. وهذا الشرطُ معتبرٌ في كلِ ولايةٍ ولذا نجدُ الإمامَ الجوينيَ يقولُ لا يوثقُ لفاسقٍ في الشهادةِ على فَلْسٍ.

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٢.
(٢) غياث الأمم، ص ٦٦. وإلى هذا الرأي ذهب البغدادي في أصول الدين، ص ٢٧٧.
(٣) الملل والنحل، ج ١ ص ١٦٠.
(٤) الأحكام السلطانية، ص ٧٣.

....

(٢) فكيفَ يولى أمورَ المسلمينَ كافةً، والأبُ الفاسقُ مع فرطِ حدبِهِ وإشفاقِهِ على ولدِهِ لا يعتمدُ في مالِ ولدِهِ فكيفَ يؤتمنُ في الإمامةِ العظمى فاسقٌ لا يتقي اللـهَ، ومن لم يقاومْ عقلُهُ هواهُ ونفسَهُ الإمارَةَ بالسوءِ لم ينهضْ رأيُهُ بسياسةِ نفسِهِ، فأنى يصلُح خطَةَ الإسلام[١]. وعلى هذا فلا تجوزُ إمارةُ الفاسقِ ولا من يتهاونُ بالدينِ ويتظاهرُ بالمنكرِ. ونجدُ ابنَ خلدونٍ يقولُ: وأما العدالةُ فلأنه منصبٌ دينيٌ ينظرُ في سائرِ المناصبِ التي هي شرطٌ فيها فأولى باشتراطِها فيه[٢]. وليس المقصودُ بالعدالةِ أن يكونَ معصوماً، بل المقصودُ توقي الكبائرَ وعدمُ الاصرارِ على الصغائرِ مع المحافظةِ على مروءةِ أمثالِهِ. وقريبٌ من هذا ما قالَه البغداديُّ: «وأقلَ ما يجبُ له من هذِهِ الخصلةِ أن يكونِ ممن تقبلُ شهادتُهُ تحملاً وأداءً»[٣]. وتتضمنُ هذِه الصفةُ أن يكون مسلماً[٤]. ونجدُ أن هذِه الشروطَ هي بعينِها يشترطُها المعتزلةُ والخوارجُ فيشترطونَ أن يكونَ الإمامُ عاقلاً عالماً ورعاً عدلاً شجاعاً ذا رأي سـديدٍ سليمُ الحواسِ إلا أنهم يجوزونها في كلِ مسلمٍ قرشيٍ كان أو غير قرشي[٥]. بينما نجدُ أن الشيعةَ بناءً على اعتبارهمَ الإمامةَ ركنَ الدينِ وقاعدةَ الإسلامِ وأنها ليستْ من المصالحِ العامةِ التي تفوضَ إلى نظرِ الأمةِ ولا يجوزُ للنبيِ إغفالُها ولا تفويضُ الأمرِ فيها إلىَ الأمة تختارُ من تشاءُ بل يجبُ عليه تعيينُ الإمامِ لهم وأن علياً هو الخليفةُ المعينُ، من قبلِ الرسولِ صلى اللـهُ عليهِ وسلمَ بنصوصٍ ينقلونها ويؤمنونَ بها على مقتضى مذهبِهم لا يعرفها جهابذةُ السنّةِ ولا نقلةُ الشريعةِ بل أكثرُها موضوعٌ أو مطعونٌ في طريقِهِ[٦].

وقد ناقشَ ابنُ تيميةَ مذهبَ الإماميةِ في اعتبارِ الإمامةِ ركنَ الدينِ وقال: «إنه

---

(١) غياث الأمم، ص ٦٨.
(٢) مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٢ ــ ١٧٣.
(٣) أصول الدين للبغدادي، ص ٢٧٧.
(٤) شرح مطالع الأنظار، ص ٢٣٠.
(٥) الفصل في الملل والنحل، ج ٤ ص ٨٩؛ المعتزلة وأصول الحكم، ص ١٥٢ ــ ١٥٣.
(٦) مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٥ ــ ١٧٦.

. . . .

لا يقولُ هذا إلا أهلُ الجهلِ والبهتانِ وناقشَ ما يسوقونَه من أدلةٍ وبيَّنَ بطلانَها وزيفَها، فإنَّ اللـهَ تعالى قدْ بينَ أحوالَ المؤمنينَ، والنبيُّ صلى اللـهُ عليهِ وسلمَ فسرَ الإيمانَ وذكرَ شُعَبَهُ ولم يذكرِ اللـهُ ولا رسولُهُ الإمامةَ في أركانِ الدينِ، وحديثُ جبريلَ عن الإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ مشهورٌ[1]. وتتبع بقيةَ أدلتِهم من مثلِ ما يرونَه عن النبي صلى اللـهُ عليهِ وسلم من ماتَ ولم يعرفْ إمامَ زمانِه ماتَ مِيتةً جاهليةً فقال «مَنْ روى هذا الحديثَ بهذا اللفظِ وأينَ إسنادَه، وذكرَ أن هذا الحديثَ بهذا اللفظِ لا يعرفُ[2]. وإنما المعروفُ والمشهورُ قولُ الرسولِ صلى اللـهُ عليهِ وسلَم الذي يرويهِ الإمامُ مسلمٌ في صحيحِهِ، «مَنْ خَلَعَ يداً من طاعةٍ لقيَ اللـهَ يومَ القيامةِ لا حجةَ له ومَنْ ماتَ وليس في عنقِهِ بيعةٌ ماتَ ميتةً جاهليةً»[3] فعُلِمَ أن هذا الحديثَ دلَ على أنه لا يُخرج على ولاةِ أمورِ المسلمينَ بالسيفِ، وأن منْ لمْ يكنْ مطيعاً لولاةِ الأمورِ ماتَ ميتةً جاهليةً. وهذا ضدُّ قولِ الرافضةِ فإنهمْ أعظمُ الناسِ مخالفةً لولاةِ الأمورِ، وأبعدُ الناسِ عن طاعتهم إلا كرهاً[4]. وهؤلاءِ انقسموا فيما بينهم فالإماميةُ يشترطون:

١ ــ أن يكونَ منصوصاً عليه بالشخصِ، معصوماً من الخطإ، محصوراً في ولدِ علي بن أبي طالبٍ كرمَ اللـهُ وجْهَه، الحسنِ ثم في الحسينِ رضي اللـهُ عنهم. ثم اختلفوا بعدَ ذلك. وقد ناقشَ العلماءُ هذه الشروطَ وبينوا زيفَها وبطلانَها. فنجدُ ابن حزمٍ يقولُ وعمدةُ هذهِ الطوائفِ كلِّها في الاحتجاجِ، أحاديثُ موضوعةٌ مكذوبةٌ لا يعجزُ عن توليدِ مثلِها مِنْ لا دينَ له ولا حياءُ[5]. فهم يستدلونَ مثلاً بقولِ الرسولِ صلى اللـهُ عليهِ وسلمَ لعليٍ: «أنتَ مني بمنزلةِ هارونَ من موسى إلا أنهُ لا نبيَ

(١) منهاج السنة، ج ١ ص ٧٠.
(٢) المرجع نفسه، ص ٧٣.
(٣) المرجع نفسه، ص ٧٣.
(٤) صحيح مسلم، ج ٦ ص ٢٢؛ ومثله للبغدادي في أصول الدين، ص ٢٨٠.
(٥) الفصل في الملل والنحل، ص ٩٤.

. . . .

بعديْ»(١) وهذا لا يوجبُ له فضلاً على مَنْ سواهُ ولا استحقاقَ الإمامةِ بعدَهُ، لأن هارونَ لم يلِ أمرَ بني اسرائيلَ بعدَ موسى عليهما السلامُ. وإنما وليَ الأمرَ بعدَ موسى يوشعُ بنُ نونَ فتى موسى وصاحبُهُ الذي سافرَ معهُ في طلبِ الخضرِ عليهما السلامُ، كما وليَ الأمرَ بعدَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ صاحبُهُ في الغارِ الذي سافرَ معهُ إلى المدينةِ. وإذا لم يكنْ عليٌّ نبياً كما كانَ هارونُ نبياً، ولا كانَ هارونُ خليفةً بعدَ موسى فقد صحَّ أن كونَه رضيَ اللهُ عنهُ مِنْ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ بمنزلةِ هارونَ من موسى إنما هو في القرابةِ فقط(٢). وعمدتُهُم في اشتراطِهِم العصمةَ في الإمامِ أن الناسَ ترجعُ إليهم في أحكامِ الدينِ فيجبُ أن يكونَ معصوماً، ليكونوا مما تعبدوا به على يقينٍ، فإنَّ الناسَ ما احتاجوا إليهِ إلا لجوازِ الخطأِ عليهم، فلو لم يكنْ الإمامُ واجبَ العصمةِ لجازَ الخطأ عليه فيحتاجُ الإمامُ إلى إمامٍ آخرَ ويتسلسلُ وهو باطلٌ(٣). وقد ناقشَ الائمةُ هذا الدليلَ فقالوا لا نسلمُ أنه لو جازَ الخطأُ على الإمامِ لاحتاجَ إلى إمامٍ آخرَ(٤). كما نجدُ ابنَ حزمٍ يقولُ أن الإمامَ المعصومَ لا يعرفُ أنه معصومٌ إلا بمعجزةٍ ظاهرةٍ أو بنصٍ تنقُلُه العلماءُ عن النبي صلى اللهُ عليهِ وسلَم على كلِ إمامٍ بعينِهِ واسمِهِ ونسبِهِ، وإلا فهي دعوةٌ لا يعجزُ عن مثلِها أحدٌ لنفسِهِ أو لمنْ شاءَ(٥). وقد ردَّ البغداديُ على مَنْ قالَ بعصمةِ الإمامِ بردودٍ منها.

١ ـ إذا كانَ الحسنُ بنُ عليٍ رضيَ اللهُ عنهُ من الأئمةِ المعصومينَ فما تقولونَ في البيعةِ لمعاويةَ فإنْ قلتمْ صواباً فقدْ أقررتم بصحةِ خلافةِ معاويةَ وإن قلتمْ خطأً أبطلتم عصمةَ الحسنِ رضيَ اللهُ عنهُ.

---

(١) سنن الترمذي، ج ٥ ص ٣٠٤ وقال حسن غريب.
(٢) الفصل في الملل والنحل، ص ٩٤.
(٣) شرح مطالع الأنظار، ص ٢٣٠؛ غياث الأمم، ص ٧٢؛ الفصل في الملل والنحل، ص ٩٥.
(٤) شرح مطالع الأنظار، ص ٢٣١.
(٥) الفصل في الملل والنحل، ص ٩٦.

. . . .

٢ ــ أن الإماميةَ أنفسَهم وهمُ القائلونَ بعصمةِ الإمامِ، يجيزونَ له إنْ ينكرَ نفسَه في حالِ التقيهِ، حتى يقولَ لمن خافَ منهم أني لستُ بالإمامِ وهذا كذبٌ قد أجازوه عليه.

٣ ــ ولو اشتُرِطتْ عصمةُ الإمامِ، لاشترِطتْ عصمةُ خلفائِهِ وأعوانِهِ، ولو كانَ كلُّ واحدٍ منهم معصوماً لاستغنوا عن إمامٍ معصوم[١]. وذهبتْ الزيديةُ من الشيعةِ إلى ما ذهبتْ إليه الإماميةُ إلا أنهم يقولونَ أن الأدلةَ تُعَيِّنُ علياً بالوصفِ لا بالاسمِ والشخصِ والناسُ مقصرونَ حيثُ لم يضعوا الوصفَ موضِعَهُ وشرطُوها في عليٍ من ولدِ فاطمةَ ويشترطُ أن يكونَ الإمامُ منهم عالماً زاهداً جواداً شجاعاً يخرجُ داعياً إلى إمامتِهِ[٢]. وذهبتْ الكيسانيةُ إلى أن الإمامَ بعدَ الحسينِ رضيَ اللهُ عنه، هو محمدُ بنُ الحنفيةِ ثم في ولدِهِ وكانَ مِنْ هذِه الطائفةِ السيدُ الحميريُ وكثيرَ عَزَّه الشاعران وكانوا يقولونَ أن محمدَ بنَ الحنفيةِ حيٌّ بجبلِ رضَوى[٣].

تعريفاتُ الإمامة:

وتتميماً للفائدِ نعرجُ على تعريفِ الخلافةِ فنقولُ كثرتْ تعريفاتُ أئمةِ الإسلام للإمامةِ والخلافةِ إلا أنها تكادُ تتفقُ في جوهرِها وإن اختلفتْ ألفاظُها. فهذا ابنُ خلدونٍ يعرفُها «بأنها حملُ الكافةِ على مقتضى النظرِ الشرعيِ في مصالِحِهم الأخروية والدنيوية الراجعةِ إليها. . . فهي في الحقيقةِ خلافةٌ عنْ صاحبِ الشرعِ في حراسةِ الدينِ وسياسةِ الدنيا»[٤].

وعرَّفَها الجوينيُ بأنها «رياسةٌ تامةٌ وزعامةٌ عامةٌ، تتعلقُ بالخاصةِ والعامةِ في مهماتِ الدينِ والدنيا مُتَضَمِّنُها حفظُ الحوزةِ ورعايةُ الرعيةِ وإقامةُ الدعوةِ بالحجةِ

---

(١) أصول الدين للبغدادي، ص ٢٧٨؛ غياث الأمم، ص ٧٢؛ شرح مطالع الأنظار، ص ٢٣١.

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار، ص ٧٥٣؛ الفصل في الملل والنحل، ص ٩٣؛ مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٦.

(٣) الفصل في الملل والنحل، ص ٩٤؛ مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٧.

(٤) مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٠ ــ ١٧١.

والسيف وكفُّ الجنفِ والحيفِ والانتصافُ للمظلومينِ منَ الظالمينَ، واستيفاءُ الحقوقِ في الممتنعينَ وإيفاؤهَا على المستحقينَ»[1]. وعرَّفَها الإمامُ الماورديُّ بموضوعِها فقالَ: الخلافةُ موضوعةٌ بخلافةِ النبوةِ في حراسةِ الدينِ وسياسةِ الدنيا[2] وعرَّفها الحِلّي بأنها رياسةٌ عامةٌ في أمورِ الدينِ والدنيا، لشخصٍ من الأشخاصِ نيابةً عن الرسولِ صلى اللـهُ عليهِ وسلمَ[3]. وهناكَ جملةُ تعاريفَ أُخرُ لكنها تكادُ تكونُ متطابقةَ المعنى فلا داعي للإكثارِ منها.

أسماءُ رئيسِ الدولةِ:

ولقد تعددتِ الأسماءُ التي تطلقُ على الرئيسِ الأعلى المتولي لمصالحِ الأمةِ. فأولُ هذه الأسماءِ التي أطلقتْ عليهِ اسمُ الخليفةِ والخليفةُ في اللغةِ من خَلَفَ في أمرٍ من الأمورِ أو استخلفَ غيرَه. أما في الاصطلاحِ فهي اسمٌ لمتولي أمرِ الدولةِ الإسلاميةِ لكونِهِ يخلفُ النبيَّ صلى اللـهُ عليه وسلَم في أمتِه وإقامةِ أحكام شرعِه. فيقال خليفةٌ بإطلاقٍ، وخليفةُ رسولِ اللـهِ صلى اللـهُ عليه وسلَم. ومنعَ الأكثرونَ من تسميتِهِ خليفةَ اللـهِ. فقالَ الماورديُّ وامتنعَ جمهورُ العلماءِ من جوازِ ذلك ونسبوا قائلَهُ إلى الفجور، وقالوا يستخلفُ من يغيبُ أو يموتُ واللـهُ لا يغيبُ ولا يموتُ. وقد قيلَ لأبي بكر الصديق رضيَ اللـه عنهُ يا خليفةَ اللـهِ فقالَ لستُ بخليفةِ اللـهِ ولكني خليفةُ رسول اللـهِ صلى اللـهُ عليهِ وسلمَ[4].

وثانيها: أميرُ المؤمنينَ تُوفي أبو بكر رضيَ اللـهُ عنهُ وهو يُدعى خليفةَ رسولِ اللـهِ صلى اللـهُ عليهِ وسلمَ ولم يزلْ الأمرُ على ذلكَ صدراً من خلافةِ عمرَ فقدْ كانوا يدعونَه خليفةَ خليفة رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ، وكأنهم استثقلوا هذا اللقبَ لكثرتِهِ وطولِ إضافته وتزايدِهِ معَ الزمنِ. واتفقَ أن دعا بعضُ الصحابةِ عمرَ رضي اللـهُ عنه،

(١) غياث الأمم، ص ١٥.

(٢) الأحكام السلطانية، ص ٥.

(٣) توضيح المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ص ٦٧٣.

(٤) مقدمة ابن خلدون، ص ١٧١؛ الأحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى، ص ٢٧؛ الأحكام السلطانية للماوردي، ص ١٦.

يا أميرَ المؤمنينَ فاستحسنَه الناسُ ودعْوهُ بِهِ. ويقالُ أن أولّ من دعاهُ بذلك عبدُاللـهِ ابنُ جحشٍ، وقيل عمرُو بنُ العاصِ، وقيل بريدُ جاءَ بالفتحِ من بعضِ البعوثِ ودخلَ المدينةَ وهو يسألُ عن عمرَ ويقولُ أينَ أميرُ المؤمنينَ وسمعها أصحابُه فاستحسنُوه، وقالوا أصبتَ واللـهِ اسمَه أنه واللـهِ أميرُ المؤمنينَ حقاً، فدَعْوه بذلكَ وذهبْ لقباً له في الناسِ وتوارثَه الخلفاءُ من بعدِه سِمَةً لا يشاركُهُم فيها أحدٌ سواهم فقد كانوا يسمُّون قوادَ الجيوشِ وأمراءَ السرايا باسمِ الأميرِ[1].

وواضحٌ من هذا أن الصدفةَ هي التي لعبتِ الدورَ الأكبرَ في إطلاقِ هذا اللقبِ على عمرَ رضي اللـهُ عنهُ. وهو أمرٌ يستبعدُهُ الدكتورْ محمدْ عمارة في كتابِهِ الإسلامُ وفلسفةُ الحكمِ فيقولُ: «والأمرُ الذي يؤكدُ أن اختيارَ عمرَ لهذا اللقبِ كانَ اختياراً واعياً وأنه قد اختارهُ كبديلٍ للقبِ خليفةِ رسولِ اللـه صلى اللـهُ عليه وسلمَ وليس كمرادفٍ له ولقب ثانٍ يستخدمُ معه يؤكدُ ذلكَ أنّ جميعَ مكاتباتِ عصرِه ووثائقه يسمى فيها أميرُ المؤمنينَ ولم يسمّ في أيٍ منها خليفةَ رسولِ اللـهِ أو بالخليفةِ[2].

وثالثُها: الإمامُ كما يطلقُ على متولي أمرِ الدولةِ الإسلاميةِ اسمُ الإمامِ، تشبيهاً له بإمامةِ الصلاةِ في اتباعِهِ والاقتداءِ بِهِ[3]. ولهذا يقال الإمامةُ الكبرى والإمامُ من أَمَّ القومَ بمعنى تَقَدَّمَهُمْ. وقد دَفَع ابنُ حزمٍ الاشتباهَ الحاصلَ من أن اسمَ الإمامِ قد يطلقُ على الفقيهِ العالمِ وعلى متولي الصلاةِ بأهلِ مسجدٍ بأنه يطلقُ عليهم مضافاً إلى غيرِهِ فيقالُ فلانٌ إمامٌ في الدينِ، وإمامُ بني فلانٍ فلا يطلقُ لإحدِهِم اسمُ الإمامةِ بلا خلافٍ من أحدٍ إلا على المتولي لأمورِ أهلِ الإسلامِ[4] علماً بأن الشيعةَ خصوا علياً باسمِ الإمامِ نعتاً له بالإمامةِ التي هي أختُ الخلافةِ وتعريضاً بمذهبِهِم في أنه أحقُّ بإمامةِ الصلاةِ من أبي بكرٍ فيدعُونَ صاحبَ الحقِ الشرعيِ بالإمامِ، ما دامَ غيرَ

(١) نظام الحكم الإسلامي مقارن بالنظم المعاصرة، ص ٥٨؛ المقدمة، ص ٢٠٢.

(٢) الإسلام وفلسفة الحكم، ص ١٢٦.

(٣) مقدمة ابن خلدون، ص ١٧١؛ نظام الحكم الإسلامي، ص ٥٧؛ النظريات السياسية الإسلامية، ص ٩٣.

(٤) الفصل في الملل والنحل، ص ٩٠.

متولي للسلطةِ بالفعلِ حتى إذا ما استولى على السلطةِ وظَهر أمرُهُ لقبُوهُ بالخليفةِ أو أميرِ المؤمنين كما فَعَلَه شيعةُ بني العباس[1].

ذكرنا فيما سبقَ آراءَ العلماءِ من السلفِ والخلفِ في حكمِ الإمامةِ ووجوبِها وحكمَ إقامةِ إمامٍ عامٍ للمسلمينَ، والشروط التي لا بدّ من مراعاتِها فيه. وآنَ لنا الآن أن نعرفَ بالواجباتِ الملقاةِ على عاتِق الإمامِ، وما لهُ من الحقوقِ. وقدمنا الكلامَ في الواجباتِ جرياً على القاعدةِ الإسلاميةِ في تقديمِ الواجبِ على الحقِ. والباحث في الشريعةِ الإسلامية يمكنُهُ أن يوجَز واجباتِ رئيسِ الدولةِ في حراسةِ الدينِ وسياسةِ الدنيا بهِ فإنه نائبٌ عن صاحبِ الشرعِ في تدبيرِ شؤونِ الأمةِ الإسلاميةِ في الداخلِ والخارجِ، وهذه النيابةُ هي التي تحددُ ما عليه وما له فهوَ وكيلُ المسلمينَ، وراعيْ دينِهِم ودنياهم. ويستمدُ سلطانَهُ من مبايعةِ الأمةِ له، وإجماعِها عليه ورضاهَا به، وقبولِهِ لهذا الاختيارِ فهي عقدِ مراضاةٍ واختيار لا يدخُلُه إكراهٌ ولا إجبارٌ. وعبارةُ القاضي أبي يعلى «وإن امتنعَ من الإمامةِ ولم يُجبْ إليها لم يُجْبَرْ عليها وَعُدِل إلى من سواهُ من مستحقيها فبويعَ عليها»[2]. فهي إذنْ عقدٌ دستوريٌ بين الأمةِ من جهةٍ، ومتولي أمرِها من جهةٍ أخرى يرتبُ على كلا الطرفين التزاماتٍ وحقوقاً وقد ذكَر الباحثونَ في الفقهِ السياسي والإسلامي هذه الواجباتِ فنجدُ الإمامَ الماورديَ يُجْمِلها في عشرةِ أشياءَ ومثلُهُ القاضي أبو يعلى حتى تكادُ نصوصُهُم في هذا الموضوع تتطابقُ فنجدُ الماورديَ يقولُ والذي يلزمهُ من الأمورِ العامةِ عشرةُ أشياءَ:

١ ــ حفظُ الدينِ على أصولِهِ المستقرةِ، وما أجمعَ عليه سلفُ الأمةِ فإن نَجَمَ مبتدعٌ أو زاغ ذو شبهةٍ أوضحَ له الحجةَ وبينّ له الصوابَ وأخذَهُ بما يلزمُهُ من الحقوقِ والحدودِ ليكونَ الدينُ محروساً من خللٍ والأمةُ ممنوعةً من زللٍ.

٢ ــ تنفيذُ الأحكامِ بين المتشاجرينَ وقطعُ الخصامِ بينَ المتنازعينَ حتى تعمَّ النَّصَفَةُ فلا يعتدي الظالمُ ولا يضعفُ مظلومٌ.

---

(١) ابن خلدون، ص ٢٠٣؛ نظام الحكم الإسلامي، ص ٥٧ ــ ٥٨.

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي، ص ٧؛ الأحكام السلطانية للقاضي أبو يعلى، ص ٢٤.

. . . .

٣ ـ حمايةُ البيضةِ والذبُّ عن الحريمِ ليتصرفَ الناسُ في المعايشِ وينتشر وافي الأسفارِ آمنينَ من تغريرٍ بنفسٍ أو مالٍ.

٤ ـ إقامةُ الحدودِ لتصانَ محارمُ اللـهِ عن الانتهاكِ وتحفظَ حقوقُ عبادِهِ من اتلافٍ واستهلاكٍ.

٥ ـ تحصينُ الثغورِ بالعدةِ المانعةِ، والقوةِ الدافعةِ حتى لا تظفرَ الأعداءُ بغره ينتهكونَ فيها محرماً أو يسفكونَ فيها لمسلمٍ أو معاهد دماً.

٦ ـ جهادُ من عاندَ الإسلامَ بعدَ الدعوةِ حتّى يسلَم أو يدخلَ في الذمةِ، ليقامَ بحقِ اللـهِ تعالى في إظهارِهِ على الدينِ كلِهِ.

٧ ـ جبايةُ الفيءِ والصدقاتِ على ما أوجبَه الشرعُ نصاً واجتهاداً من غيرِ خوفٍ ولا عسفٍ.

٨ ـ تقديرُ العطايا وما يستحقُ في بيتِ المالِ من غيرِ سرفٍ ولا تقتيرٍ ودفعُهُ في وقتٍ لا تقديمَ فيه ولا تأخيرَ.

٩ ـ استكفاءُ الامناءِ وتقليدُ النصحاءِ، فيما يفوضُ إليهم منَ الأعمالِ يوكلُه إليهِمْ من الأموالِ لتكونَ الأعمالُ بالكفاءةِ مضبوطةً والأموالُ بالأمناءِ محفوظةً.

١٠ ـ أن يباشرَ بنفسِهِ مشارفةَ الأمورِ وتصفحَ الأحوالِ، لينهضَ بسياسةَ الأمة وحراسةَ الملةِ ولا يعولُ على التفويضِ تشاغلاً بلذةٍ أو عبادةٍ فقدْ يخونُ الأمينُ ويغشُ الناصحُ وقد قال اللـهُ تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّـهِ﴾ (سورة ص: آية ٢٦).

فلمْ يقتصرِ اللـهُ سبحانَه على التفويضِ دونَ المباشرةِ ولا عَذَرَهُ في الاتباعِ حتى وصفَهُ بالضلالِ. وهذا وإن كانَ مستحقاً عليهِ بحكمِ الدينِ ومنصبِ الخلافةِ فهو من حقوقِ السياسةِ لكلِ مسترعٍ قال النبيُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ «كُلُكُمْ راعٍ وكُلكُم مسؤولٌ عنْ رعيتِهِ»[١].

---

(١) الماوردي الأحكام السلطانية، ص ١٦ ـ ١٧؛ الأحكام السلطانية للقاضي أبو يعلى، ص ٢٧ ـ ٢٨.

وهذهِ الواجباتُ هي بعينِها ذَكَرَها صاحبُ كتاب العقدِ الفريدِ للملكِ السعيدِ، وقالَ في آخرِها هذه الأمورُ العشرةُ الأصولُ التي ينشأُ منها شعبٌ متفرعةٌ، وهي قواعدُ رواسخُ تبتنى عليها أحكامٌ متنوعةٌ فإن لحظَها بعينِ يقظتِهِ وأدخَل نكرَها في بابِ معرفتِهِ، حمى حوزَةَ ملكِهِ وقامَ بجوابِهِ للـه تعالى عند مسائلتِهِ فإن السلطانَ نائبُ اللـهِ في خليقتِهِ وراعي أمورِهِم، وكلُ راعٍ مسؤولٌ عن رعيتِهِ[1].

وأجملَ ابنُ خلدون ما يلزمُ الإمامَ القيامُ به، عندما تكلَم في الخطَطِ الدينيةِ الخلافيةِ، وبيَّنَ أنها مندرجةٌ تحت الإمامةِ الكبرى ومتفرعةٌ عنها لعمومِ نظرِ الخلافةِ وتصرفِها في سائرِ أحوالِ الملةِ الدينيةِ والدنيويةِ وتنفيذ أحكامِ الشرعِ فيها على العمومِ[2].

ونجدُ الإمامَ الجوينيَ يقسمُ ما يلزمُ الإمامَ القيامُ بهِ إلى قسمين: قسمٌ يتعلقُ بالدينِ، وقسمٌ يتعلقُ بالدنيا. وهو في كل ما ذكرَ لا يخرجُ عما ذكَرهُ الإمامُ الماورديُ إلا بشيء من التفصيل والتحليل[3].

فإذا قامَ الإمامُ بما فرضَ اللـهُ عليهِ، وأدى حقَ رعيتِهِ عليهِ وحفظَ المسلمينَ في دينِهم ودنياهم، فلهُ من الأمةِ السمعُ والطاعةُ في اليسرِ والعسرِ والمنشطِ والمكرهِ والنصرةُ والنصيحةُ. وهذه أمورٌ تقتضيها المصلحَةُ العامةُ التي رعاها الشارعُ لأنه لا يستطيعُ النهوضَ بما وُكِلَ إليه إلا بالطاعةِ والنصرةِ فكانتْ طاعتُه فيما لا معصيةَ فيه ديناً أمرَ اللـهُ به وندبَ رسولُ اللـهِ صلى اللـهُ عليه وسلمَ عليه. وأساسُ ذلك قولُهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّـهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[4]. قولُهُ صلى اللـهُ عليه وسلمَ من خَلَعَ يداً من طاعةٍ لقيَ اللـهَ يومَ القيامةِ لا حجَةَ لهُ»[5].

وأحاطَ الشارعُ حقَ الطاعةِ للإمامِ، بضمانٍ أكيدٍ حتى لا يساءَ استغلالُها فقيَّدها

(١) العقد الفريد للملك السعيد، ص ١٤٣.
(٢) مقدمة ابن خلدون، ص ١٩٥.
(٣) غياث الأمم، ص ١٣٥.
(٤) سورة النساء: آية ٥٩.
(٥) صحيح مسلم، ج ٦ ص ٢٢.

. . . .

بأنها طاعةٌ في حقٍ وخيرٍ ومصلحةٍ أو مباحٍ فإذا لم يكنْ كذلك فلا طاعَة ولا نصرةَ. لما روي عن الرسول صلى اللـهُ عليهِ وسلمَ «لا طاعةَ في معصيةِ اللـهِ إنما الطاعةُ في معروفٍ»[1].

ونجدُ أئمتَنا الاعلامَ الذين بحثوا بالفقهِ السياسي الإسلامي يؤكدونَ هذه الأمورَ فهذا القاضي أبو يعلى يقولُ بعدَ بيانِهِ لما يجبُ على الإمامِ القيامُ به «وإذا قامَ الإمامُ بحقوقِ الأمةِ وجبَ له عليهم حقانِ: الطاعةُ والنصرةُ، ما لم يوجدْ من جهتِهِ ما يخرجُ به من الإمامةِ»[2] وهذا هو عينُ ما ذكرَهُ الماورديُ، حيثُ يقولُ وإذا قامَ الإمامُ بما ذكرناه من حقوقِ الأمةِ فقد أدى حقَ اللـهِ تعالى فيما لهم وعليهم ووجَب له عليهم حقانِ الطاعةُ والنصرةُ ما لم يتغيرْ حالُهُ[3].

ويترتبُ على هذه الحقوقِ الواجبةِ للإمامِ على رعيتِهِ وشعبِهِ جملةُ أمورٍ منها:

١ ــ أنّ على جميعِ أفرادِ الأمةِ أن يقفوا وراءَ إمامِهم، يؤيدونَ ويكونونَ معه فيما أحبوا وكرهوا، ما دامَ ضمنَ حدودِ ما فرضَ اللـهُ وشرعَ رسولُ اللـهِ صلى اللـهُ عليهِ وسلمَ. فلا يجوزُ لأي إنسانٍ أن يتهاونَ بأداءِ هذا الحقِ الشرعي لإمامِهِ، لأنَّ هذا التهاوَن يؤدي إلى وجودِ شرخٍ في وحدةِ الأمةِ الإسلاميةِ، ونفورٍ بين الأمة وإمامِها وتنازعٍ بين أفرادِها، وبروزٍ لعناصر القوى المناهضة لتطلَ بعناقِها ومن هنا يحصلُ التنازعُ المؤدي إلى الفشلِ الذي حذرَنا اللـهُ منه في القرآن الكريمِ عندما قال: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[4] ونلحظ حرص الإسلام على وحدةِ الأمةِ واجتماعِها، وعلاجَهُ لمثل هذه الأمورِ الخطيرة في قولِ الرسولِ صلى اللـهُ عليهِ وسلمَ «مَنْ فارقَ الجماعةَ شبراً فكأنما خلعَ ربقه الإسلام»[5]. بلْ أهدَر الإسلامُ في أحاديثَ صحيحةٍ عن الرسول صلى الله عليه وسلم دَمَ مَنْ حاوَل أن يفرقَ جماعة

(١) صحيح مسلم، ج ٦ ص ١٥.
(٢) الأحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى، ص ٢٨.
(٣) الأحكام السلطانية للماوردي، ص ١٧.
(٤) سورة الأنفال: آية ٤٦.
(٥) مسند أحمد، م ٤ ص ٢٠٢.

فأقولُ نظامُ أمرِ الدينِ والدنيا مقصودٌ، ولا يحصلُ ذلكَ إلا بـإمامٍ موجودٍ. لو لمْ نَقُلْ بوجوبِ الإمامةِ لأدى ذلكَ إلى دوامِ الاختلافِ والهرجِ[1] إلى يومِ القيامةِ. لوْلمْ يكنْ للناسِ ق/٢ إمامٌ مطاعٌ لا نثلم (شرفُ)[2] الإسلامِ وضاعَ. لوْلمْ يكنْ للأمةِ إمامٌ قاهرٌ لتعطلتْ المحاريبُ[3] والمنابرُ، وانقطعتْ (السبلُ)[4] للواردِ والصادرِ، لو خلا عصرٌ من إمامٍ لتعطلتْ (فيهِ[5]

المسلمينَ، ويشقّ عصى الطاعةِ على إمامِهم مِنْ مثلِ قولِهِ صلى اللـهُ عليهِ وسلّم «مَنْ أرادَ أن يفرقَ أمرَ هذهِ الأمةِ وهي جميعٌ فاضربوهُ بالسيفِ كائناً مَنْ كَانَ»[1].

٢ ــ يحقُ لإمامِ المسلمينَ أن يفرضَ على رعيتِهِ من المسلمينَ، ما تحتاجُهُ مصلحةُ الأمةِ من ضرائبَ إضافيةٍ، لتحقيقِ نفعٍ عاجلٍ ودفعِ ضررٍ محتملٍ لا يندفعُ إلا بمثلِ هذهِ الوسيلةِ وبتعاونِ الأمةِ مجتمعةً.

٣ ــ ومن حقِهِ عليهم أن ينصحُوا ويخلصوا له في النصيحةِ، فقدْ جَعَلَ الرسولُ صلى اللـه عليه وسلم النصيحةَ للأئمةِ المسلمينَ من صميمِ الدينِ في قوله: «الدينُ النصيحةُ قلنا لمنْ قالَ للـهِ ولرسولِهِ وللأئمةِ المسلمينَ وعامتِهم»[2]. فهي للائمةِ المسلمينَ إرادةُ الخيرِ لهمْ وتعريفُهُم طريقَه وإرشادُهم إليه وتحذيرُهم من الشرِ ومبغِتِه، والظلمِ وسوءِ عاقبتِهِ في الدارينِ. فهي على الجملةِ إرادةُ الخيرِ للمنصوحِ لهُ، وهي هنا تعودُ على الأمةِ مجتمعةً لأنه بصلاحِهم تصلحُ الأمةُ وبفسادِهِم تفسدُ.

(١) الهرج: الفتنة والاختلاط وفسره النبي صلى الله عليه وسلم في إشراط الساعة بالقتل/ مختار الصحاح.
(٢) في ج: شرب، وهو خطأ.
(٣) المحاريب: المحراب في اللغة كل موضع مرتفع وقيل للذي يصلي فيه محراب لأنه يجب أن يرفع ويعظم وقيل المحاريب المساجد/ تفسير القرطبي، سورة سبأ.
(٤) ساقطة من (ب ــ ج).
(٥) ساقطة من نسخة (ج ــ د).

---

(١) صحيح مسلم، ج ٦ ص ٢٢.
(٢) سنن الترمذي، ج ٣ ص ٢١٧.

الأحكامُ وضاعتْ الأيتامُ، ولم يُحجَ البيتُ الحرامُ. لولا الأئمةُ والقضاةُ والسلاطينُ والولاةُ لما نكحتِ الأيامى ولا كفلتِ اليتامى. لولا السلطانُ لكانَ الناسُ فوضى ولأكلَ بعضُهم بعضاً[1]. وفي الحديثِ «السلطانُ ظلُ اللهِ الممدودُ في الأرضِ يأوي إليهِ كلُ مظلومٍ»[2].

وقالَ عثمانُ[3] رضيَ اللهُ عنهُ: ما يزعُ اللهُ بالسلطانِ أكثرُ مما يزعُ بالقرآنِ[4]. (ومعنى يزعُ أي يمنعُ ويكفُ ويردعُ)[5]. وقالَ بعضُ القدماءِ الدينُ والسلطانُ (توأمانِ)[6]. وقيلَ الدينُ أسُ والسلطانُ حارسٌ فما لا أسَ له فمهدُوم، وما لا حارسَ له فضائعُ[7].

---

(١) نسبت هذه الجملة للجاحظ في كتاب آداب السياسة وبالعدل مصور رقم ٤٣٠٠.

(٢) ورد الحديث باختلاف يسير في بعض ألفاظه، في السنن الكبرى للبيهقي، ج ٨ ص ١٦٢؛ مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٩٧؛ مجمع الزوائد، ج ٥ ص ١٩٦؛ وفيه رواه البزار وفيه سعيد بن سنان أبو مهدي وهو متروك، منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال على هامش المسند، ج ٢ ص ١٣١؛ كشف الخفاء وذكر فيه طرق أخرى للحديث، ج ١ ص ٥٢٢.

(٣) هو أمير المؤمنين: عثمان بن عفان بن أبي العاص ذو النورين وصاحب الهجرتين وزوج الابنتين. وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى ثالث الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين من السابقين للإسلام. ولد في السنة السادسة بعد الفيل بويع له سنة ٢٤هـ وقتل سنة ٣٥هـ وله من العمر ٨٢ سنة ودفن بالبقيع رضي الله عنه وأرضاه/ البداية والنهاية، ج ٧ ص ١٩٨؛ الطبقات الكبرى، ج ٣ ص ٣٦؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٤٠؛ الاستيعاب لابن عبدالبر، ق ٣ ص ١٠٣٧؛ المعارف، ص ٨٢.

(٢) التمثيل والمحاضرة، ص ٢٩؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٣٧؛ الكامل في اللغة والأدب، ج ١ ص ١٥٧.

(٥) زيادة من النسخة (ب ـ ج ـ د).

(٦) في نسخة (ب ـ د) نوران والجملة وردت منسوبة لاردشير في تاريخ غرر السير، ص ٤٨١؛ بدائع السلك في طبائع الملك، ج ١ ص ١٠٦.

(٧) مروج الذهب، ج ١ ص ١٨٨ ونسبه لأردشير؛ عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ١٣؛ =

وقال عمروُ بنُ العاصِ[١]: إمامٌ عادلٌ خيرٌ مِنْ مطرٍ وابلٍ[٢]، وأسدٌ حطومٌ خيرٌ من سلطانٍ غشومٍ[٣]، وسلطانٌ غشومٌ خيرٌ من فتنةٍ تدومُ[٤].

وقالَ كعبُ الأحبارِ[٥]: مثلُ (الإسلام والسلطانِ)[٦] مثلُ عمودٍ وفسطاطٍ[٧]، فالفسطاطُ الإسلامُ، والعمودُ السلطانُ، والأوتادُ الناسُ، ولا يصلحُ بعضُهم إلا ببعضٍ[٨].

وقال الأفوهُ الأوديُ[٩]:

= بدائع السلك في طبائع الملك، ج ١ ص ١٠٧؛ العقد الفريد، ج ١ ص ١٧؛ نهاية الارب، ج ٦ ص ٢٤؛ بهجة المجالس وأنس المجالس، ق ١ ص ٣٣٢، ونسبة إلى علي كرم الله وجهه، سراج الملوك، ص ٥٣.

(١) عمرو بن العاص: هو أبو محمد عمرو بن العاص الصحابي القرشي أحد سادة قريش في الجاهلية. أسلم يوم الهدنة وهاجر ثم ولي الأمرة في غزو الشام لأبي بكر وعمر، ثم افتتح مصر ووليها لعمر بن الخطاب ثم لمعاوية، كان صاحب دهاء وخبرة توفي سنة ٤٣هـ بمصر/ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٦١ ــ ٦٢؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٥٣؛ البداية والنهاية، ج ٨ ص ٢٥؛ الطبقات الكبرى، ج ٤ ص ٢.

(٢) وابل: المطر الشديد.

(٣) الغشم: الظلم/ القاموس المحيط.

(٤) التمثيل والمحاضرة، ص ٣١؛ نهاية الارب، ج ٦ ص ٣٤؛ العقد الفريد، ج ١ ص ٤ ونسبه إلى بعض الحكماء.

(٥) كعب الأحبار: هو أبو اسحاق كعب الأحبار بن نافع الحميدي من مسلمي أهل الكتاب، أسلم على يد أبي بكر الصديق، وهو من الطبقة الأولى من التابعين، أخذ عنه الصحابة كثيراً من أخبار الأمم الغابرة وأخذ هو من الكتاب والسنّة عن الصحابة. توفي في حمص سنة ٣٢هـ عن مائة وأربع سنين. النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٩٠.

(٦) في (ب ــ ج ــ د): مثل السلطان والإسلام.

(٧) الفسطاط بيت من الشعر/ مختار الصحاح.

(٨) عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٢؛ العقد الفريد، ج ١ ص ٦؛ سراج الملوك، ص ٥٣.

(٩) الأفوه الأودي: هو صلاءة بن عمرو بن مالك، شاعر جاهلي غلب عليه لقب الأفوه/ الشعر والشعراء، ص ٢٢٣.

لا يصلُحُ النّاس فوضى لا سراةَ لهم ولا سـراةَ إذا جُهّـالهُـم سـادُوا
كـالبيتِ لا يبتنى إلا لـه عمـدٌ ولا عمـودَ[1] إذا لم تُـرسى أوتـادُ
فـإن تجمَّـعَ أوتـادٌ (واعمـدةٌ)[2] وساكنٌ بلغوا الأمرَ الذي كادُوا[3]

وقالَ ابنُ المعتزِ[4]: فسادُ الرعيةِ بلا ملكٍ كفسادِ الجسمِ بلا روحٍ[5]. وقال بعضُ البلغاءِ: السلطانُ زمـامُ[6] الملةِ[7]، ونظامُ الجملةِ، وجـلاءُ الغمةِ[8] ورباطُ[9] البيضةِ[10]، وعمادُ الحوزةِ[11]. وقالَ آخرُ: (السلطانُ)[12] يدافعُ عن سوادِ الأمةِ[13] ببياضِ الدعوةِ.

---

(١) في نهاية الارب، ج ٣ ص ٦٤؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٥١ عماد.
(٢) في نسخة (ب، ج): وابنية.
(٣) نهاية الارب، ج ٣ ص ٦٤، وفي الأبيات تقديم وتأخير، التمثيل والمحاضرة، ص ٥١؛ الشعر والشعراء، ص ٢٢٣، وفيه لا يصلح القوم.
(٤) ابن المعتز: هو أمير المؤمنين الراضي بالله أبو العباس عبدالله ابن المعتز بالله بن المتوكل العباسي. ولد في شعبان سنة ٢٤٧هـ وأخذ عن المبرد وثعلب، وكان فاضلاً شاعراً بويع له بالخلافة يوماً واحداً، ولم يتم له الأمر ثم قتل خنقاً ٢٧٦هـ/ تاريخ بغداد، ج ٧ ص ٢١٤؛ تاريخ الطبري، ج ١٣ ص ٢٢٨٢؛ الفهرست، ص ١١٦؛ فوات الوفيات، ج ١ ص ٢٤١.
(٥) آداب ابن المعتز، ص ١٢١؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٧٤؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٣٢؛ بهجة المجالس، ج ١ ص ٣٥٠؛ ورسائل ابن المعتز، شرح محمد عبدالمنعم خفاجي، ص ٦٨.
(٦) الزمام: الخيط الذي يشد به ويسمى المقود زمام، وزم البعير خطة والمزمزمة صوت الرعد/ مختار الصحاح.
(٧) الملة: الدين والشريعة/ مختار الصحاح.
(٨) الغمة: الكربة ويقال أمر غمة أي مبهم ملتبس/ مختار الصحاح.
(٩) الرباط: ما تشد به الدابة والقربة/ مختار الصحاح.
(١٠) البيضة: بيضة القوم ساحتهم وبيضة كل شيء حوزته/ مختار الصحاح.
(١١) الحوزة: الناحية وكل من ضم شيئاً إلى نفسه فقد حازه/ مختار الصحاح.
(١٢) ساقطة من نسخة ج.
(١٣) سواد الأمة: عامتهم/ مختار الصحاح.

بابٌ في ذكرِ
الوالي العادلِ (وما لهُ منَ الأجرِ)[1]
والوالي الجائرِ وما عليه من الوزرِ

قالَ رسولُ اللـهِ صلى اللـهُ عليهِ وسلمَ سبعةٌ يظِلُّهُمُ اللـهُ عزَ وجلَ تحتَ ظلِ عرشِهِ يومَ لا ظلَ إلا ظلُّهُ، إمامٌ عادلٌ وشابٌ نشأ في عبادةِ ربِهِ ورجلٌ قلبُهُ معلقٌ في المساجدِ، إذا خرجَ منه حتى يعودَ إليهِ، ورجلٌ ذَكَرَ اللـهَ خالياً ففاضتْ عيناهُ، ورجلانِ تحابا في اللـهِ عزَ وجلَ اجتمعا على ذلكَ ثم تفرقا، ورجلٌ دَعَتْهُ (امرأةٌ)[2] ذاتُ حسنٍ وجمالٍ إلى نفسِها فقالَ إني أخافُ اللـهَ عزَ وجلَ، ورجلٌ تصدقَ بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلمَ شمالُهُ ما تنفقُ يمينُهُ»[3]. فبدأ رسولُ اللـهِ صلى اللـهُ عليهِ وسلمَ بالإمامِ العادلِ وحقيقٌ[4] أن يبدأ بهِ، لأنه من العالمِ بمنزلةِ السوادِ من العينِ بل بمنزلةِ السويداءِ[5] من القلبِ، بل هو بمنزلةِ القلبِ من الجسدِ، فبصلاحِهِ يصلحُ (الجسدُ)[6] وبفسادِهِ يفسُدُ.

---

(١) زيادة من النسخة (ب، ج، د).

(٢) زيادة من النسخة (ج).

(٣) ورد الحديث بتقديم وتأخير بعض الألفاظ، صحيح مسلم، ج ٣ ص ٩٣. السنن الكبرى للبيهقي، ج ٤ ص ١٩٠. مشكاة المصابيح، ج ١ ص ٢٢٠ ــ ٢٢١. موطأ مالك، بشرح الزرقاني، ج ٤ ص ٣٤٢. والراعي هو الحافظ الملتزم صلاح ما قام عليه وفيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه.

(٤) حقيق به: أي خليق به وجدير به/ مختار الصحاح.

(٥) سويداء القلب: حبته/ مختار الصحاح.

(٦) الجسد، زيادة من نسخة (ج).

كما قال عليهِ الصلاةُ والسلامُ «إنَّ في الجسدِ مضغةً[1]، إذا صلحتْ صَلَحَ الجسدُ كُلُّهُ، وإذا فسدتْ فَسدَ الجسدُ كُلُّهُ (ألَا)[2] وهي القلبُ»[3].

وقدْ تقدَّمَ قولُ ابنِ المعتزِ[4]، فسادُ الرعيةِ بلا ملكٍ كفسادِ الجسمِ بلا روحٍ. وإنما كانَ السلطانُ بهذِهِ المثابةِ لأنه في نفسِهِ إمامٌ متبوعٌ، وفي سيرتِهِ دينٌ مشروعٌ، فإن ظلمَ لم يعدلْ ق/ ٣ أحدٌ في حكمٍ، وإن عدَلَ لمْ يستجري أحدٌ على ظلمٍ[5].

وَرُوِيَ أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ[6]، رضيَ اللهُ عنهُ، لَمَّا حُمل إليه مغانمُ العراقِ عند افتتاحِها، وما أصيبَ من كنوزِ كسرى ورأى ما فيها من الجواهرِ النفيسةِ جَعَلَ يتعجبُ منها، ويقولُ: «إن الذي أدى هذا لأمينٌ»، فقال له

---

(١) مضغة: قطعة من اللحم، وقلب الإنسان مضغة من جسده/ مختار الصحاح.

(٢) زيادة من نسخة (ب ـ ج ـ د).

(٣) صحيح البخاري، ج ١ ص ٢٠. صحيح مسلم، ج ٥ ص ٥٠. مسند أحمد، م ٤ ص ٢٧٠. سنن ابن ماجه، ج ٢ ص ١٣١٩. والحديث دليل على عظيم دور القلب في استعمال الجوارح لأنها تابعة والقلب متبوع.

(٤) تقدمت ترجمة ابن المعتز، ص ٧١، ٩٧.

(٥) وردت الجملة منسوبة إلى بعض البلغاء في أدب الدنيا والدين، ص ١٣٧. كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٤٦.

(٦) عمر بن الخطاب: هو أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي. ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، أسلم وله من العمر ٢٧ سنة، وشهد بدراً وأحداً، والمشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم. وهو أول من دعي أمير المؤمنين، وأول من أرخ بالهجرة، وفتح الفتوح، ومصر الأمصار، ووضع الخراج، ودون الدواوين، واستقضى القضاة. لقب بالفاروق لعدله، استشهد وله ستون سنة، وكانت مدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام. الاستيعاب ق/٣ ص ١١٤٤. الطبقات الكبرى، ج ٣ ص ١٩٠. البداية والنهاية، ج ٣ ص ١٣٣. شذرات الذهب، ج ١ ص ٣٣. المعارف، ص ٧٧.

عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ[1] أنا أخبرِكَ بذلك يا أميرَ المؤمنين أنتَ أمينُ اللـهِ وهم أمناؤك، فما دمتَ مؤدياً للأمانةِ أدوها ومتى رَتَعْتَ رَتَعُوا[2].

وفي بعضِ الآثارِ «الناسُ على دينِ الملكِ»[3]. وهذا معنى قولِهِ صلى اللـهُ عليهِ وسلَم في كتابِهِ إلى هرقل عظيمِ الرومِ «أسلمْ يؤتِكَ اللـهُ أجرَكَ مرتيـنِ إنْ أبيتَ فإنَّ عليك أثمَ الأريسيينَ»[4]. والأريسيونَ الأكاريونَ[5]، قيلَ معناهُ أنَّ الرعيةَ اتباعٌ للملوكِ في الخيرِ والشرِ، والإسلامِ والكفرِ، فمتى أبيتَ قبولَ الإسلامِ وتخلفتَ عنه وأقمتَ على الكفرِ، كانَ ذلكَ سببَ تخلفِ رعيتِكَ عنْ الإسلامِ وتركِهِم الدخولَ فيهِ فيكونَ عليكَ مثلُ أثمِهِم.

وهذا مثلُ قولِهِ صلىٰ اللـهُ عليهِ وسلَم: «مَنْ سنَّ سنةً حسنةً كانَ لهُ أجرُها وأجرُ مَنْ عملَ بها إلى يومِ القيامةِ ومنْ سنَّ سنةً سيئةً كانَ عليهِ وزرُها ووزرُ مَنْ عملَ بها إلى يومِ القيامةِ»[6]. قالَ رسولُ اللـهِ صلىٰ اللـهُ عليهِ

---

(١) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد بن الحارث، كان يسمى في الجاهلية عبد عمرو، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن. ولد بعد الفيل بعشر سنين، هاجر الهجرتين، وتوفي سنة ٣١هـ، وهو ابن ٧٥ سنة، ودفن بالبقيع، وصلى عليه عثمان. الاستيعاب ق/٢ ص ٨٤٤. المعارف، ص ١٠٣.

(٥) العقد الفريد، ج ١ ص ٢٣. عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٥٢ ـ ٥٣. الكامل في التاريخ، م ٢ ص ٣٦٠. فتوح الشام، ج ٢ ص ٢٠٧. الطبري، ج ٥ ص ٢٥٤. والمصـادر التاريخيـة، تنسب القول لعـلي بن أبـي طالب، كـرم الله وجهه، وليس لعبد الرحمن بن عوف.

(٣) في تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، قال شيخنا لا أعرفه حديثاً. وذكره صاحب مجمع الأمثال، ج ٢ ص ٣٥٨. بدائع السلك، ج ١ ص ٨٦.

(٤) كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم، إلى هرقل، ذكره الإمام مسلم، في صحيحه كاملاً، ج ٥ ص ١٦٣. البخاري، ج ٤ ص ٥٧. مسند أحمد، م ١ ص ٢٦٣. تاريخ الطبري، ج ٣ ص ١٥٦٥. السيرة الحلبية، ج ٢ ص ٣٦٦.

(٥) الأكار: الحراث/ القاموس المحيط.

(٦) سنن الترمذي، ج ٤ ص ١٤٩، باختلاف في بعض الألفاظ، وقال حديث حسن صحيح. سنن النسائي، ج ٥ ص ٧٦. سنن ابن ماجه، ج ١ ص ٧٤.

وسلَم: «منْ دعَا إلى هدىً كان لهُ من الأجرِ مثلُ أجرِ من تَبِعَهُ لا ينقصُ ذلكَ من أجورِهِم، ومن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الأثمِ مثلُ آثامِ منْ تبعهُ لا ينقصُ (ذلكَ)[١] من آثامِهِم شيءٌ»[٢].

وقالَ صلىٰ اللـهُ عليهِ وسلَم: «إنَّ أحبَ الناسِ إلى اللـهِ تعالى وأقربَهُم (منهُ)[٣] إمامٌ عادلٌ، وإنَّ (أبغضَ الناسِ)[٤] إلى اللـهِ تعالى وأبعدَهُم منهُ وأشدَّهُم عذاباً إمامٌ جائرٌ»[٥].

وفي حديثٍ آخرَ «إنَّ أفضلَ عبادِ اللـهِ منزلةً يومَ القيامةِ إمامٌ عادلٌ رفيقٌ، وإن أشرَ عبادِ اللـهِ منزلةً يومَ القيامةِ إمامٌ جائرٌ»[٦].

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «الإمامُ جُنَّةٌ[٧] يقاتَل من وراءِهِ، ويُتَّقَىٰ بهِ فإنْ أمرَ بتقوى اللـهِ وعَدَلَ كانَ لَهُ بذلكَ أجرٌ، وإنْ أمرَ بغيرِهِ كانَ عليهِ وزرٌ»[٨].

---

(١) ساقطة من نسخة (ج).

(٢) سنن ابن ماجه، ج ١ ص ٧٥. سنن الترمذي، ج ٤ ص ١٤٩. وقال حديث حسن صحيح. سنن أبي داود، ج ٤ ص ٢١٠. صحيح مسلم، ج ٨ ص ٦٢. قوله صلى الله عليه وسلم، لا ينقص ذلك من أجورهم دفع به ما يتوهم أن أجر الداعي إنما يكون بالنقص من أجر التابع وضمه إلى أجر الداعي. وقوله مثل آثام من تبعه لتولده عن فعله والعبد يستحق العقوبة على السبب وما تولد منه.

(٣) في (ب ــ ج ــ د): إليه.

(٤) كلمة الناس ساقطة من (ب ــ ج ــ د): والنص وأبغضهم إلى الله.

(٥) سنن الترمذي، ج ٢ ص ٣٩٤، وقال حديث حسن غريب. مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٩٤.

(٦) مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٩٧. مجمع الزوائد، ج ٥ ص ١٩٧. الترغيب والترهيب، ج ٣ ص ١٦٨، وقال رواه الطبراني في الأوسط من رواية ابن لهيعة، وحديثه حسن في المتابعات.

(٧) جنة: وقاية/ القاموس.

(٨) البخاري، ج ٤ ص ٦٠. صحيح مسلم، ج ٦ ص ١٧. سنن أبي داود، ج ٣ =

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «ثلاثةٌ يبغُضُهم اللـهُ الإمامُ الجائرُ والشيخُ الزاني، والفقيرُ المختالُ»(١). وروتْ عائشةُ(٢)، رضيَ اللـهُ عنها، قالتْ: سمعتُ رسولَ اللـهِ صلى اللـهُ عليهِ وسلمَ يقولُ في بيتي هذا «اللهمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أمرِ أمتي شيئاً فشق عليهم فأشققْ عليهِ، ومنْ ولِيَ مِنْ أمرِ أمتي شيئاً فَرَفَقَ بهم فارفقْ بِهِ»(٣). وهذا عامٌ في كلِ والٍ ولايتُهُ عمتْ أوخصتْ «قَلَتْ أو كثرتْ عظمتْ أو صغرتْ»(٤).

وقالَ عليهِ السلامُ: «إن المقسطينَ عندَ اللـهِ على منابرَ من نورٍ عنْ يمينِ العرشِ الذينَ يعدلونَ في حكمِهم وأهلِيهِم وما ولُوا»(٥).

= ص ٨٢. سنن النسائي، ج ٧ ص ١٥٥ ــ ١٥٦. وإنما كان الإمام جنة، لأنه يقتدى برأيه ونظره في الأمور العظام والوقائع الخطرة، ولا يتقدم على رأيه، ولا ينفرد دونه بأمر مهم. يقاتل الناس معه الكفار والبغـاة وسائر أهل الفساد. وقيل المراد أن يقاتل الناس أمامه، فإن وراء هنا بمعنى أمام، فلا يترك يباشر القتال بنفسه، لما فيه من تعريضه للهلاك، والصحيح أن المراد أن يقاتل على وفق رأيه وأمره فصار كأنهم خلفه.

(١) ذكر الإمام أحمد، في مسنده الحديث، بكماله، م ٥ ص ١٥٣، ورفعه إلى أبي ذر. سنن الترمذي، ج ٤ ص ١٠٢، وقال حديث صحيح.

(٢) هي أم المؤمنين، عائشة بنت أبي بكر الصديق، تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم، بمكة قبل الهجرة بسنتين أو ثلاث، وبنى بها بالمدينة ولها تسع سنين، ومات عنها وهي ابنة ١٨ سنة، وكانت من أحب أزواج الرسول إلى نفسه، نزل القرآن ببرائتها، ونقل عنها علم كثير، وكانت من أكثر الصحابة حفظاً وفتياً، توفيت سنة ٥٧هـ. الاستيعاب، ق/٤ ص ١٨٨١. شذرات الذهب، ج ١ ص ٦١. الطبقات الكبرى، ج ٨ ص ٣٩.

(٣) صحيح مسلم، ج ٦ ص ٧. مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٩٠. هذا الدعاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، على من ظلم رعيته، وعاملهم بالعسف، ودعاء لمن رفق بهم وعاملهم باللطف والرفق، وهو من أبلغ الزواجر عن المشقة.

(٤) زيادة من (ب، ج، د).

(٥) صحيح مسلم، ج ٦ ص ٧. مسند أحمد، م ٢ ص ١٦٠. سنن النسائي، ج ٨ ص ٢٢١. يبين الرسول صلى الله عليه وسلم، ما للعادلين عند الله من الأجر والمنزلة فهم عنده مقربون ولديه مكرمون. والحديث كناية عن حسن حالهم وعلو مرتبتهم.

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «ما منْ أميرِ عشره إلا جيءَ بهِ يومَ القيامةِ مغلولةً يداهُ إلى عنقِـهِ، حتى يكونَ عملُهُ (هُوَ)[1] الذي يطلقُهُ أو يوبقُهُ»[2]. أي يهلكُهُ، وقال عليهِ السلامُ: «عَدْلُ ساعةٍ في حكومةٍ خيرٌ من عبادةِ سنةٍ»[3] وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «العاملُ على الصدقةِ بالحقِ كالغازي في سبيلِ اللـهِ حتى يرجعَ إلى بيتِهِ»[4] وعنْ أبـي ذرٍ[5]، رحمهُ اللـهُ تعالى، قالَ: قلتُ يا رسولَ اللـهِ ألا تستعملُني، قالَ فضربَ بيدِهِ على منكبي ثم قالَ: «يا أبا ذرٍ إنكَ ضعيفٌ، وإنها أمانةٌ وإنها يومَ القيامةِ (حسرةٌ)[6] وندامةٌ، إلا منْ أخذَهَا بحقِها وأدى الذي عليهِ فيها»[7]. وفي روايةٍ أخرى أن النبـيَّ صلى اللـهُ عليهِ

---

(١) ساقطة من النسخة (ب).

(٢) السنن الكبرى، م ٧ ص ٩٥. مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٩٢. سنن الدارمي، ج ٢ ص ٢٤٠.

(٣) ذكرت النسخة (ب ــ ج): هذا الحديث، قبل الحديث الذي قبله، والحديث رواه صاحب كنوز الحقائق، في حديث خير الخلائق، على هامش مسند أحمد، م ٢ ص ١١. كشف الخفاء، ج ٢ ص ٧٥، بلفظ عدل حكم ساعة خير من عبادة سبعين سنة.

(٤) سنن أبـي داود، ج ٣ ص ١٣٢. مسند أحمد، م ٣ ص ٤٦٥. سنن الترمذي، ج ٢ ص ٧٩، وقال فيه حديث حسن. سنن ابن ماجه، ج ١ ص ٥٧٨.

(٥) هو جندب بن جناده على المشهور، أسلم قديماً بمكة، فكان رابع أربعة أو خامس خمسة، لم يشهد بدراً ولا أحداً ولا الخندق، لأنه حين أسلم رجع إلى قومه، فأقام حتى مضت هذه المشاهد، ثم قدم النبـي صلى الله عليه وسلم، ولزمه ثم خرج في خلافة أبـي بكر إلى الشام، فلم يزل بها حتى ولي عثمان، رضي الله عنه، فأسكنه الربذة، فمات بها سنة ٣٢هـ، وصلى عليه عبد الله بن مسعود. الاستيعاب، ق/١ ص ٢٥٢. الطبقات الكبرى، ج ٢ ص ١١٢. البداية والنهاية، ج ٧ ص ١٦٤.

(٦) في (ب ــ ج ــ د): خزي.

(٧) السنن الكبرى، م ١٠ ص ٩٥. مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٨٩. صحيح مسلم، ج ٦ ص ٦ ــ ٧. قال النووي هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات، لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائفها، وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلاً لها، أو كان أهلاً ولم يعدل فيها. وأما من كان أهلاً للولاية وعدل، فله فضل =

وسلمَ قالَ لَهُ: «يا أبا ذرٍ إني أراكَ ق/٤ ضعيفاً، وإني أحبُ لَكَ ما أحبُ لنفسي لا تأَمَّرَنَّ على اثنينِ ولا تولينَّ على مالِ يتيمٍ»[١].

وعن المقدامِ بنِ معدي كربٍ[٢] أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَم ضربَ على منكبِه ثمَّ قالَ: «أفلحتْ يا مقدامُ إن لمْ تكنْ أميراً ولا كاتباً ولا عريفاً»[٣].

وروي أنَّ رجلاً قالَ لرسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ إن أبي شيخٌ كبيرٌ وهو عريفُ الماءِ[٤] (وهو يسألُكَ)[٥] أن تجعلَ العرافةَ لي بعدَهُ قالَ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ: «إنَّ العرافةَ حقٌ، ولا بدَ للناسِ من العرفاءِ ولكنَّ العرفاءِ في النارِ»[٦].

= عظيم، تظاهرت به الأحاديث الصحيحة. صحيح مسلم، بشرح النووي، ج ١٢ ص ٢١١.

(١) صحيح مسلم، ج ٦ ص ٧. سنن النسائي، ج ٦ ص ٢٥٥. ووجه ضعفه أن الغالب عليه كان الزهد واحتقار الدنيا، ومن هذا حاله لا يعتنى بمصالح الدنيا وبأموالها، الذين بمراعاتها تنتظم مصالح الدين ويتم أمره. وقد كان أبو ذر أفرط في الزهد في الدنيا، حتى انتهى به الحال إلى أن يفتي بتحريم الجمع للمال وإن أخرجت زكاته، فلما علم منه النبي صلى الله عليه وسلم هذه الحالة، نصحه ونهاه عن الإمارة، وعن ولاية مال اليتيم، وأكد النصيحة ببيان حبه له.

(٢) هو المقدام بن معدي كرب الصحابي الزبيدي الكندي، أحد الوفود الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنده، وبالشام مات سنة ٨٧هـ، وهو ابن ٩١ سنة. الاستيعاب، ق/٤ ص ١٤٨٢. شذرات الذهب، ج ١ ص ٩٨. البداية والنهاية، ج ٩ ص ٧٣.

(٣) سنن أبي داود، ج ٣ ص ١٣١. السنن الكبرى، ج ٦ ص ٣٦١. مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٩٤.

(٤) العريف: النقيب وهو دون الرئيس والجمع عرفاء/ مختار الصحاح.

(٥) في (ب ـ ج ـ د): إنه يسألك.

(٦) سنن أبي داود، ج ٣ ص ١٣٢. السنن الكبرى، للبيهقي، ج ٦ ص ٣٦١. مشكاة =

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «لا يدخلُ الجنةَ صاحبُ مكسٍ»[1].

وسنذكرُ إنْ شاءَ اللـهُ فيما بعدُ ما وردَ من ألفاظِ الحكماءِ والبلغاءِ في مدحِ العدلِ وذمِ الجورِ في بابٍ مفردٍ إنْ شاءَ اللـهُ تعالى.

= المصابيح، ج ٢ ص ١٠٩٣. هذا الحديث يشعر بأن العرافة على خطر، ومن باشرها غير آمن من الوقوع في المحذور المفض إلى العذاب، فيجب أن يكون على حذر منها لئلا يتورط فيما يؤديه إلى النار/ فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ج ١٣ ص ١٦٩.

(١) سنن أبي داود، ج ٣ ص ١٣٣. والمكوس هي الأموال التي تؤخذ ظلمًا من الرعية وتضرب على أسواقهم وبيعاتهم. وقال الماوردي بحرمة ما يؤخذ على ما ينقل في دار الإسلام من بلد إلى بلد. الأحكام السلطانية، ص ٢٠٨

بابٌ في ذكرِ ما يجبُ على الرعيةِ للولاةِ من الطاعةِ وما يكرهُ لهم منَ (المعصيةِ)(١) والخروجِ عليهم ومفارقةِ الجماعةِ

قالَ اللَّهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾(٢) فأوجبَ طاعةَ أولي الأمرِ

---

(١) ساقطة من (ب ـ ج ـ د).

(٢) آية ٥٩ من سورة النساء وهي مدنية. وروى في الصحيحين في سبب نزول هذه الآية أنها نزلت في عبدالله بن حذافة بن قيس إذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية، وكان فيه دعابة ومن دعابته أنه أمرهم أن يجمعوا حطباً، ويوقدوا ناراً فلما أوقدوها أمرهم بالتقحم فيها، وقال لهم ألم يأمركم رسول الله بطاعتي، وقال من أطاع أميري فقد أطاعني، فقالوا ما آمنا بالله واتبعنا رسوله إلا لننجو من النار فصوب رسول الله فعلهم. وقال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» وهو حديث صحيح الاسناد ومشهور ووجه الدلالة من الآية أن الله تعالى لما أمر ولاة الأمور في الآية السابقة على هذه الآية بأداء الأمانة والعدل في الأحكام، أمر الرعية في هذه الآية بطاعته أولاً، وهي امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ثم بطاعة رسوله فيما أمر به ونهى عنه، ثم بطاعة الأمراء ثالثاً على قول الجمهور وأبي هريرة وابن عباس وغيرهم. وما ذاك إلا لأن الطاعة لولاة الأمور تعتبر الدعامة الأولى للحكم في الإسلام، وقاعدة أساسية من قواعده، فالمرء لا يكاد يتصور وجود دولة قوية ونظام سليم، دون أن يكون هناك عدل في الحاكم وطاعة من الرعية. وهذا ما عناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قال: «لا إسلام بلا جماعة، ولا جماعة بلا أمير، ولا أمير بلا طاعة». ولذلك نجد القرآن الكريم والسنّة النبوية، قد أكثرا من الحث على السمع والطاعة. وقد ذكر الأستاذ سيد قطب رحمه الله وجعل الجنة مثواه في ظلال القرآن في تفسيره لسورة النساء أن هذه الآية تصنع الأساس =

(وَقَرَنَهَا)[1] بطاعتِهِ وطاعةِ رسولِه. وقد فَسَّرَ ذلكَ أكثرُ أهلِ العلمِ، بأنَّ

= الكامل لنظام الحكم في الإسلام. فالحاكمية لله وحده، فشريعته هي الدستور الأساسي والله واجب الطاعة فشريعته واجبة التنفيذ، وعلى الذين آمنوا أن يطيعوا الله ابتداء، وأن يطيعوا رسوله لأن طاعته من طاعة الذي أرسله بهذه الشريعة وسنته وقضاؤه جزء من الشريعة واجب التنفيذ. أما أولوا الأمر فالنص يجعل طاعتهم تبعية لا أصلية فلا يكرر لفظ الطاعة عند ذكرهم، ليدل على أن طاعتهم مستمدة من الله ورسوله من القيام على شريعة الله ورسوله وليس لهم طاعة فيما وراءها، لأن الطاعة لهم تبعية لا أصلية، ومستمدة من أصل وليست هي بذاتها أصل. ونصوص السنّة تؤكد هذا المعنى كحديث: «إنما الطاعة في المعروف». وقال الزمخشري في الكشاف أن المقصود بأولي الأمر، أمراء الحق لأن أمراءالجور، الله ورسوله يبرئان منهم، فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم،، وإنما يجمع بين الله ورسوله والأمراء الموافقين لهما، في إيثار العدل واختيار الحق، والأمر بهما والنهي عن أضدادهما، كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان ثم قال بعد كلام له... وكيف تلزم طاعة أمراء الجور وقد جنح الله الأمر بطاعة أولي الأمر بما لا يبقى معه شك، وهو أن أمرهم أولاً بأداء الامانات وبالعدل في الحكم، وأمرهم آخراً بالرجوع إلى الكتاب والسنة فيما أشكل وأمراء الجور لا يؤدون أمانة، ولا يحكمون بالعدل ولا يردون شيئاً إلى كتاب الله ولا إلى سنّة، وإنما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم، فهم منسلخون عن خيار الذين هم أولي الأمر عند الله ورسوله وأحق أسمائهم اللصوص المتغلبة. بينما نجد الفخر الرازي يستدل بهذه الآية على أن إجماع الأمة حجة، ووجه كونه حجة من الآية أن الله أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم، لا بد أن يكون معصوماً وهو إما مجموع الأمة، أوبعض الأمة لا جائز أن يكون بعض الأمة... وإذا كان الأمر كذلك علمنا أن المعصوم الذي أمر الله بطاعته ليس بعضاً من أبعاض الأمة ولا طائفة من طوائفهم ولما بطل هذا وجب أن يكون المعصوم الذي هو المراد بقوله، وأولي الأمر أهل الحل والعقد من الأمة وذلك يوجب القطع بأن إجماع الأمة حجة. ونقل بعد ذلك أقوال العلماء في المراد بأولي الأمر ورد على الروافض في قولهم المراد الأئمة المعصومون.

انظر: التفسير الكبير (تفسير فخر الدين الرازي) م ٣ ص ٢٤٣؛ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، ج ١ ص ٥٣٥ ــ ٥٣٦.

(١) في (ج) وأوجبها.

المرادَ بأولي الأمرِ أمراءُ المسلمينَ. وروىَ ذلكَ عن أبي هريرَةَ[1]، وابنِ عباسٍ[2] (رضيَ اللـهُ عنهُمـا)[3]، وزيدِ بنِ أسلمَ[4] (رضيَ اللـهُ عنهُ)[5]. وهوَ اختيارُ أكثرِ العلماءِ[6].

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عصى اللـهَ، ومنْ أَطَاعَ الأميرَ فَقَدْ أطاعَني وَمَنْ عَصَى الأميرَ فقـدْ عصاني» [7].

---

(١) أبو هريرة: هو عبدالرحمن بن صخر الدوسي على الأشهر. كناه الرسول صلى الله عليه وسلم بأبي هريرة، أسلم عام خيبر وشهدها مع الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم لزمه وواظب على الصحبة. وكان من أحفظ الصحابة، روى عنه أكثر من ثمان مائة رجل، من صاحب وتابع استعمله عمر على البحرين، ثم عزله ثم أراده على العمل فأبى عليه ولم يزل يسكن المدينة، وبها كانت وفاته سنة ٥٨هـ وصلى عليه الوليد بن عقبة بن أبي سفيان وله من العمر ٧٨ سنة/ الاستيعاب، ق ٤ ص ١٧٨٨؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٥١؛ الطبقات الكبرى، ج ٤ ص ٥٢؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٦٣؛ البداية والنهاية، ج ٨ ص ١٣.

(٢) عبدالله بن عباس: هو أبو العباس عبدالله بن عباس، حبر الأمة وترجمان القرآن، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو الخلفاء العباسيين. ولد في شعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم علمه التأويل وفقه في الدين» وكان عمر بن الخطاب يدعوه للمعضلات ثم لا يتجاوز قوله، شهد مع علي الجمل وصفين وقد استنابه على البصرة، وأقام للناس الحج في بعض السنين، توفي بالطائف سنة ٦٨هـ/ الاستيعاب، ق ٣ ص ٩٣٣؛ الطبقات الكبرى، ج ٢ ص ١١٩؛ البداية والنهاية، ج ٨ ص ٢٩٥؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٨٢.

(٣) زيادة من (ب ـ ج ـ د).

(٤) هو زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي العجلاني الأنصاري، حليف لبني عمرو بن عوف. شهد بدراً واحداً، وهو ابن عم ثابت بن أقرم. الاستيعاب، ق ٢ ص ٥٣٦.

(٥) زيادة من (ب ـ ج).

(٦) تفسير القرطبي وفيه أن المراد بأولي الأمر، الأمراء على قول الجمهور وأبي هريرة، وابن عباس وغيرهم/ تفسير القرطبي، م ٣ ص ٢٥٩.

(٧) صحيح البخاري، ج ٤ ص ٦٠؛ صحيح مسلم، ج ٦ ص ١٣؛ مسند أحمد وفيه ورد =

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «لو استعملَ عليكم عبدٌ حبشيٌّ مجدعُ الأطرافِ يقودُكم بكتابِ اللـهِ فاسمعُوْا لَهُ وأطيعُوا»[1].

وَعَنْ عُبَادَةَ بنِ الصامِت[2] قَالَ: «بَايعْنَا رسولَ اللـهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ على السمع والطَّاعةِ، في منشِطنا ومكرهِنا، وعسرِنا ويسرِنا، وأثرةٍ[3]

= الحديث كاملاً، م ٢ ص ٢٥٣؛ السنن الكبرى، م ٨ ص ١٥٥؛ سنن ابن ماجه، ج ٢ ص ٩٥٤؛ مسند الحميدي، ج ٢ ص ٤٧٧؛ مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٨٥ وقوله صلى الله عليه وسلم من أطاعني فقد أطاع الله مقتبس من قوله تعالى: ﴿مَن يُطِعَ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّـهَ﴾ الذي أمر بالأمر ابتداء. ولأنه صلى الله عليه وسلم إنما يحكم نيابة عن الله، وكذا الإمام يحكم نيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد ذكر الخطابي سبب اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بشأن الأمراء، حتى قرن طاعتهم إلى طاعته، فقال كانت قريش ومن يليهم من العرب لا يعرفون الإمارة، ولا يدينون لغير رؤساء القبائل فلما كان الإسلام وولى عليهم الأمراء، أنكرت ذلك نفوسهم وامتنع بعضهم من الطاعة، فأعلمهم الرسول أن طاعتهم مربوطة بطاعته ومعصيتهم بمعصيته حثاً لهم على طاعة امرائهم لئلا تتفرق الكلمة/ فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ج ١٣ ص ١١٢.

(١) صحيح مسلم، ج ٦ ص ١٤ ــ ١٥؛ سنن النسائي، ج ٧ ص ١٥٤؛ السنن الكبرى، م ٨ ص ٥٥؛ سنن ابن ماجه، ج ٢ ص ٩٥٥؛ سنن الترمذي، ج ٣ ص ١٢٥، وقال هذا حديث حسن صحيح، قد روي من غير وجه، مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٨٥، والمعنى لو استعمل عليكم أي جعل عاملاً عليكم، بأن جعل الخليفة بعض عبيده أميراً عليكم فاسمعوا وأطيعوا. ولا يرد أن العبد لا يصلح للخلافة فالمطلوب هنا المبالغة وقوله يقودكم بكتاب الله أي يحملكم على مقتضاه، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة.

(٢) هو عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي الأنصاري. يكنى أبا الوليد شهد العقبة الأولى، والثانية والثالثة، وكان أحد النقباء آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي مرثد الغنوي، وشهد بدراً والمشاهد كلها تولى قضاء الشام لعمر، فأقام بحمص ثم انتقل إلى فلسطين ومات بها، ودفن ببيت المقدس. وهو ابن ٧٢ سنة وذلك سنة ٣٤هـ، الاستيعاب، ق ٢ ص ٧٠٨؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٩١.

(٣) الأثرة: استأثر بالشيء استبد به والاسم الأثرة بفتحتين مختار الصحاح.

علينا وأن لا ننازِعَ الأمرَ أهْلَهُ، إلا أن تَروا كفراً بَواحاً، عندكمْ من اللـهِ فيه برهان»(١).

وَعَنِ ابنِ مسعودٍ(٢) قالَ قالَ رسولُ اللـهِ صلى اللـهِ عليهِ وسلَّم: «إنها ستكونُ بعدي أثرةٌ، وأمورٌ تنكرونها، قالوا يا رسولَ اللـهِ فما تأمرُ مَنْ أدركَ ذلكَ قال تؤدونَ الحقَ الذي عليكمْ وتسألون اللـهَ الذي لكمْ»(٣).

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ للأنصارِ: «إنكمْ ستلقـونَ بعدي أثـرةً، فاصبروا حتى تلقوني على الحوضِ»(٤).

---

(١) البخاري، ج ٩ ص ٥٩؛ صحيح مسلم، ج ٦ ص ١٦ ـ ١٧؛ سنن النسائي، ج ٧ ص ١٣٨ ـ ١٣٩؛ السنن الكبـرى، ج ٨ ص ١٤٥؛ مشكـاة المصـابيح، ج ٢ ص ١٠٨٦، والحديث يرشد إلى ما بايعت الصحابة عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، من السمع والطاعة في حالة النشاط والكراهة، والعسر واليسر، وأن لا ينازعـوا الأمر أهله أي لا تنازع من ولي الامارة من كان أهلاً لها، من أئمة العدل ومن على شاكلتهم، إلا أن تروا كفراً بواحاً أي جهاراً عندكم من الله فيه حجة بينه، من نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل. ومقتضاه عدم جواز الخروج ما دام فعلهم يحتمل التأويل/ فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١٣ ص ٨.

(٢) عبدالله بن مسعود: هو عبدالله بن مسعود بن غافل، يكنى أبا عبدالرحمن، شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً، وبيعة الرضوان وجميع المشاهد وكان على قضاء الكوفة، وبيت مالها لعمر وصدراً من خلافة عثمان، كان من أقرأ الصحابة للقرآن، قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أراد أن يقرأ القرآن غضاً كما نزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد» توفي سنة ٣٢هـ، وهو ابن بضع وستين سنة ودفن بالبقيع/ الاستيعاب، ق/٣ ص ٩٨٧؛ المعارف، ص ١٠٩.

(٣) صحيح البخاري، ج ٩ ص ٥٩، صحيـح مسلم، ج ٦ ص ١٧ ـ ١٨؛ السنن الكبرى، م ٨ ص ١٥٧؛ وهذا الحديث من معجزات النبوة فإنه صلى الله عليه وسلم أخبر عن ذلك بما أوتي من الغيب، وفيه الحث على السمع والطاعة، وإن كان المتولي ظالماً عسوفاً، فيعطى حقه من الطاعة ولا يخرج عليه ولا يخلع بل يتضرع إلى الله تعالى في كشف أذاه ودفع شره وإصلاحه/ صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٢ ص ٢٣٢.

(٤) البخـاري، ج ٥ ص ٤١؛ صحيح مسلم، ج ٦ ص ١٩؛ السنن الكبـرى، م ٨ =

وعن حذيفَة بن اليماني[1] أنَّ رسولَ اللـهِ صلى اللـهُ عليه وسلَم قالَ: «تكونُ بعدي أئمةٌ لا يهتدونَ بهداي ولا يستنونَ بسنتي، وسيقومُ فيهم رجالٌ قلوبُهُم قلوبُ الشياطينِ في جثمانِ إنْسٍ قالَ قلتُ كيفَ أصنعُ يا رسولَ اللـهِ إنْ أدركتُ قالَ تسمعُ وتطيعُ، وإنْ ضُـرِبَ ظهرُك وأخـذَ مالُـكَ فاسمَـعْ وأطِعْ»[2].

وقالَ صلى اللـهُ عليهِ وسلَم: «مَنْ خَرَجَ من الطاعةِ وفارقَ الجماعةَ ثم ماتَ ماتَ ميتةً جاهليةً، وَمَنْ قاتلَ تحتَ رايةٍ عُميةٍ[3] يغضب للعصبيةِ ويقاتلُ للعصبيةِ، فليسَ مني، وَمَنْ خَرَجَ مِنْ أمتي يضربُ بَرَّهَا وفَاجِرَها ولا يتحاشَى لمؤمنها ولا يفي لذي عَهْدِهَا فليسَ مني»[4]. وقالَ صلى اللـهُ عليه وسلَم:

= ص ١٥٩؛ سنن الترمذي، ج ٣ ص ٣٢٦؛ وقال هذا حديث حسن صحيح، سنن النسائي، ج ١ ص ٢٢٥.

(١) حذيفة بن اليماني: هو حذيفة بن اليماني العبسي. واسم اليماني حسيل بن جابر، يكنى أبا عبدالله العبسي صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عمر يسأله عن المنافقين فإذا لم يشهد جنازة أحد لم يشهدها عمر، شهد أحداً توفي سنة ٣٦هـ. الاستيعاب، ق/١ ص ٣٣٤؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٤٤؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٠٢؛ المعارف، ص ١١٤.

(٢) صحيح مسلم، ج ٦ ص ٢٠؛ السنن الكبرى، م ٨ ص ١٥٧، وقال الدارقطني انه مرسل، لأن راويه عن حذيفة هو أبو سلام وهو لم يسمع من حذيفة لكن المتن صحيح، ويخبر الرسول، صلى الله عليه وسلم بمن أوتي من الغيب عن حال أئمة الجور الذين يحيدون عن الحق ولا يهتدون بنور النبوة وحال بطانتهم الذين يحببون لهم المعاصي ويزينون لهم المنكر، فيقومون بدور الشياطين. ويبين ما يجب على المسلم عندها من سمع وطاعة ما دام الأمر لم يصل إلى الكفر البواح.

(٣) عميه: هي بضم العين وكسرها لغتان مشهورتان والميم مشددة والياء مشددة أيضاً وهي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه.

(٤) صحيح مسلم، ج ٦ ص ٢١؛ السنن الكبرى، م ٨ ص ١٥٦؛ مسند أحمد، م ٢ ص ٢٩٦؛ مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٨٦، بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن من خرج عن طاعة إمامه وفارق جماعة الإسلام، فمات على تلك الحال =

«مَنْ رأى مِنْ أميرِهِ ما يكرهُ، فليصبرْ فإنهُ مَنْ فارقَ الجماعةَ شبراً فماتَ فميتةٌ جاهليةٌ»[1].

وَعَنْ ابنِ مسعودٍ[2] رضيَ اللـهُ عنهُ أنهُ قالَ إذا كانَ الإمامُ عادلاً فلهُ الأجرُ وعليكُمُ الشكرُ وإنْ كانَ جائراً فعليكُم الصبرُ وعليهِ الوزرُ[3] ق/٥.

وفي الحديث: «مَنْ نَزَعَ يَدَهُ مِنَ الطاعةِ لَمْ يكنْ لَهُ حجةٌ يومَ القيامةِ»[4]

= من منابذة الإمام والمسلمين مات ميتة جاهلية، فإنهم كانوا شيعة وأحزاباً متفرقة لا يطيعون أمير، ولا ينضمون إلى جماعة واحدة، بل عصائب متنازعة يقاتل بعضهم بعضاً. ومثله في الضلالة والغواية من قاتل تحت راية اجتمع أهلها على أمر مجهول، لا يعرف أنه حق أو باطل يدعون إليه ويقاتلون لأجله، من غير بصيرة أو حجة. ثم يؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم، هذا المعنى ويبين أن من شق عصا الطاعة، وخرج على أمة الإسلام لا يبالي بما يفعل، يؤذي البر والفاجر دون تفريق بين تقي وشقي ولا يفي لذي عهد بما عاهد، وينقص عهد أهل الذمة يقتلهم وأخذ أموالهم، فقد أخرجه الرسول صلى الله عليه وسلم من جماعة المؤمنين، بقوله ليس مني، أي ليس من أمتي أو ليس هو على طريقي وسنتي/ صحيح مسلم، شرح النووي، ج ١٢ ص ٢٣٨ ــ ٢٣٩.

(١) صحيح البخاري، ج ٩ ص ٥٩؛ صحيح مسلم، ج ٦ ص ٢١؛ السنن الكبرى، م ٨ ص ١٥٧؛ سنن الدارمي، ج ٢ ص ٢٤١؛ مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٨٦، قوله فليصبر أي على جوره وظلمه والأمر بالصبر يستلزم وجوب السمع والطاعة، وقوله ميتة جاهلية أي كالميتة الجاهلية حيث لا يرجعون إلى طاعة أمير، ولا يتبعون هدى إمام، بل كانوا مستنكفين عن ذلك مستبدين في الأمور لا يجتمعون في شيء ولا يتفقون على رأي وليس المراد انه يكون كافراً بذلك/ إرشاد الساري، لشرح صحيح البخاري، ج ١٠ ص ٢٢٠.

(٢) تقدمت ترجمته، ص ١١٠.

(٣) العقد الفريد، ج ١ ص ٦، ونسبه لابن عمر، عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٣.

(٤) صحيح مسلم، ج ٦ ص ٢٢؛ باختلاف لفظي يسير، مسند أحمد، م ٢ ص ٧٠؛ مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٨٨، يدل الحديث على أن من نازع إمامه حتى خرج عليه ونزع نفسه من طاعته لم يكن له حجة في فعله ولا عذر له ينفعه مهما كانت الأسباب كل هذا حرصاً على سلامة الأمة واجتماعها/ صحيح مسلم، بشرح النووي، ج ١٢ ص ٢٤٠.

وفي آخرَ: «مَنْ فارقَ الجماعةَ واستذلَ الامارةَ لقيَ اللـهَ عزَّ وجلَّ ولا وَجْهَ لَهُ عندهُ»[1].

وفي حديثٍ آخرَ: «مَنْ أهانَ سلطانَ اللـهِ أهانَهُ اللـهُ ومنْ أكرَمَ سُلطانَ اللـهِ أكرَمَهُ اللـهُ»[2].

قلتُ ليسَ المرادُ بما وردَ في هذه الأخبارِ أن نطيعَهُ في المعصيةِ إذا أمَرَ بها، ونقتديَ فيه بها. بل المرادُ بِهِ أنَّ السلطانَ إذا فسقَ وجارَ، لم يخرجْ بذلكَ عَنْ أنْ تكونَ طاعتُهُ واجبةً، في سائرِ الأحكامِ التيِ لا معصيةَ فيها[3].

(١) مسند الإمام أحمد، م ٥ ص ٣٨٧؛ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج٢ ص ١٧٨؛ مجمع الزوائد، م ٥ ص ٢٢٢، وقال ورجاله ثقات.

(٢) سنن الترمذي، ج ٣ ص ٣٤١، وقال هذا حديث حسن غريب؛ مجمع الزوائد، ج ٥ ص ٢٥١؛ مسند أحمد، م ٥ ص ٤٢.

(٣) يشير المؤلف بذلك إلى ما ذهب إليه كثير من العلماء، من أن الإمام لا ينعزل بالفسق. وهذا ما ذهب إليه أبو يعلى في أحكامه، حيث يقول فإن كان جرحاً في عدالته، وهو الفسق فإنّه لا يمنع من استدامة الإمامة سواء كان متعلقاً بالجوارح، وهو ارتكاب المحظورات وإقدامه على المنكرات اتباعاً لشهوته، أوكان متعلقاً بالاعتقاد وهو المتأول لشبهة تعرض يذهب فيها إلى خلاف الحق. وإلى هذا الرأي ذهب ابن الأزرق وعزاه إلى ابن عرفة في مختصره الكلامي، حيث قال: إن جوره لا يسقط وجوب الطاعة له، لأمرين أحدهما ظواهر النصوص والأحاديث؛ والثاني دلالة وجوب درء أعظم المفاسد عليه، إذ لا خفاء أن مفسدة عصيانه تزبـو على مفسدة إعانته بالطاعة له. وذهب إلى هذا الرأي أيضاً النسفي والتفتازاني في شرح العقائد النسفية وأن الإمام لا ينعزل بالفسق فقد جاء في الشرح ولا ينعزل الإمام بالفسق أي بالخروج عن طاعة الله تعالى، والجور أي الظلم على عبادالله تعالى، لأنه قد ظهر الفسق وانتشر الجور من الأئمة والأمراء، بعد الخلفاء الراشدين والسلف كانوا ينقادون لهم. أما الإمام الماوردي فنجده قـد فصله وقسم الفسق إلى قسمين، فـالفسق المتعلق بالجـوارح، من ارتكـاب المخطورات والاقدام على المنكرات فهذا فسق يمنع من انعقاد الإمامة ومن استدامتها، فإذا طرأ على من انعقدت إمامته خرج عنها.

وأما إذا كان الفسق متعلقاً بالاعتقاد، المتأول بشبهة تعترض فيتأول لها خلاف الحق، فقد اختلف العلماء فيها فقال فريق يخرج بها من الإمامة وذهب أكثر علماء =

بلْ تجبُ مخالفتُهُ في المعصيةِ وطاعتُهُ في (الأمور اللازمةِ)[1].

قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَم (على المرءِ المسلمِ السمعُ والطاعةُ، فيما أحبَّ وكرِه إلّا أن يؤمَر بمعصيةٍ، فلا سمعَ ولا طاعةَ)[2].

= البصرة إلى أنه لا يخرج بها من الإمامة كما في ولاية القضاء وجواز الشهادة. وذهب إلى هذا الرأي الإمام الجويني ودعمه فيقول أن الفسق الصادر من الإمام لا يقطع نظره ومن الممكن أن يتوب ويسترجع ويؤوب وقد قررنا بكل عبرة أن في الذهاب إلى خلعه وانخلاعه بكل عثرة، رفض الإمامة ونقضها واستئصال فائدتها ورفع عائدتها وإسقاط الثقة بها واستحثاث الناس على الأيدي عن ربقة الطاعة. انظر: الأحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى، ص ٢٠ ـ ٢١؛ مجموعة الحواشي البهية على شرح العقائد النسفية، ج ١ ص ٢٠١.

وذهب إلى الرأي المقابل وهو عزل الإمام بالفسق بعض العلماء كابن حزم الظاهري، فنجده يقرر ذلك ويقول إن وقع شيء في الوقر وإن قل يكلم الإمام في ذلك، ويمنع منه فإن امتنع وراجع الحق وأذعن للقودة في البشرة، أو من الأعضاء ولإقامة حد الزنا والقذف والخمر عليه فلا سبيل إلى خلعه، وهو إمام كما كان لا يحل خلعه، وهو إمام كما كان لا يحل خلعه فإن امتنع من إنفاذ شيء من هذه الواجبات عليه، ولم يرجع وجب خلعه وإقامة غيره ممن يقوم بالحق. الفصل في الملل والنحل، ج ١ ص ١٧٥ ـ ١٧٦.

(١) في (ب ـ ج ـ د): المباح. يشير المؤلف بذلك إلى الحد الذي أوجب الإسلام على الرعية أن تطيع ولي أمرها فيه، وهو ألا يأمر بمعصية فإن أمر بمعصية من المعاصي، كالخمر والربا فيحرم على الأمة طاعته وتنفيذ أمره فهذه معاص ظاهرة ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. لأنه لو وجبت الطاعة فيها وفي مثلها لكان هناك تناقض إذ لا يعقل أن يحرم الشارع شيئاً ثم يوجبه.

(٢) البخاري، ج ٩ ص ٧٨؛ صحيح مسلم ج ٦ ص ١٥؛ سنن الترمذي، ج ٣ ص ١٢٥ ـ ١٢٦؛ وقال حديث حسن صحيح: سنن ابن ماجه، ج ٢ ص ٩٥٦؛ السنن الكبرى، م ٨ ص ١٥٦؛ مسند أحمد م ٢، ص ١٧؛ سنن النسائي، ج ٧ ص ١٦٠.
يقرر الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن طاعة ولاة الأمر مقيدة بحدود الشرع، محدودة بطاعة الله ورسوله. وبناء على هذا فإنه يحرم على الرعية وأفرادها عصيان أمر الحاكم المسلم ما دام في تلك الحدود فإذا أمر بخلافها وخرج عن حدود ما رسم الله ورسوله، فلا طاعة له لأن الأصل فيه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وقـالَ، عليـه الصـلاةُ والسـلامُ (لا طـاعـةَ لمخلوقَ في معصيـةِ الخالقِ)[1].

وفي حديثٍ آخرَ (مَنْ أمركم من الولاةِ بغيرِ طاعةِ اللهِ فلا تطيعُوه)[2].

ورويَ أنَّ النبـيَ صلىَ اللهُ عليهِ وسلمَ بعثَ جيشاً، وأمَّرَ عليهِ رجلاً وَأَمَرَهُمْ أنْ يسمعُوا لَهُ ويطيعُوا، فأغضبُوه في شيءٍ فقالَ إجمعُـوا حطبـاً فجمعُوا، ثمَّ قالَ أوقِدُوْا ناراً فأوقَدُوا ثمَّ قالَ ألمْ يأمُرْكُمْ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلمَ أنْ تسمعُوا لِي وتطيعُوا، قالوا بلَى قالَ فادْخُلوها قالَ فَنَظَرَ بعضُهم إلى بعضٍ، وقالوا إنما فَرَرْنَا إلى رسولِ الله صلى اللهُ عليهِ وسلمَ مِنَ النارِ، وكانوا كذلكَ حتى سَكَنَ غَضَبُهُ وطُفِئَتِ النارُ، فلمّا رَجَعُوا إلى رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ ذَكَرُوا ذلكَ لَهُ، فقالَ لو دَخَلُوهَـا ما خـرجُوا منهـا إنما الطاعةُ في المعروفِ[3].

عَنْ أمِ سلمةَ[4] رضيَ اللهُ عنها أنَ رسول اللهِ صلىٰ الله عليهِ وسلَم

---

(١) مسند أحمد، م ١ ص ٤٠٩. وهذا الحديث غير مذكور في (ب ــ ج).

(٢) سنن ابن ماجه، ج ٢ ص ٩٥٦؛ ونقل عن الزوائد أن اسناده صحيح بعد أن قرر الإسلام أن الطاعة حق على المرء المسلم بين حدود هذه الطاعة، وانها لا تجب في المعصية. فتحمل الأحاديث المطلقة لوجوب الطاعة على الأحاديث المصرحة بأنه لا سمع ولا طاعة في المعصية. صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٢ ص ٢٢٤ ــ ٢٢٥.

(٣) صحيح البخاري، ج ٩ ص ٧٩؛ صحيح مسلم، ج ٦ ص ١٥؛ سنن ابن داود، ج ٣ ص ٤٠؛ مسند أحمد، م ١ ص ٨٢؛ سنن ابن ماجه، ج ٢ ص ٩٥٦؛ السنن الكبرى، م ٨ ص ١٥٦؛ سنن النسائي، ج ٧ ص ١٥٩، قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الطاعة في المعروف» دليل على أن من أطاع ولاة الأمر، في معصية الله كان عاصياً وإن ذلك لا يمهد له عذراً عند الله، بل المعصية لاحقة له وان كان لـولا الأمر لم يرتكبها، وعلى هذا يدل الحديث/ عون المعبود، شـرح سنن أبي داود، ج ٧ ص ٢٩٠.

(٤) أم سلمة واسمها هند بنت أبـي أمية بن المغيرة المخزومية، زوج النبـي صلى الله عليه =

قالَ: «تستعملُ عليكُم أمراءُ فتعرفونَ وتنكرونَ، فمنْ كَرِه فقدْ برِئَ، ومَنْ أنكرَ فقدْ سلمَ، لكنْ من رضيَ وتابع، قالوا يا رسول اللهِ ألا نقاتلُهُم قال لا ما صَلُّوا»(١). وقال عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «خيارُ أئِمَّتِكُم الذينَ تحبونَهم ويحبونَكم، وتصلُّونَ عليهم ويصلُّون عليكمْ، وشرارُ أمرائِكُمُ الذينَ تبغُضُونَهُم ويبغضُونَكم، وَتَلْعَنُونَهُم وَيَلْعَنُونَكُم، قيلَ يا رسولَ اللهِ أفلا نُنابِذُهُمْ بالسيفِ، قالَ لا ما أَقامُوا فيكُمْ الصلاةَ، فإذا رأيتمْ من ولاتكمْ شيئاً تكرهونَه فاكْرَهُوا عَمَلَهُ، ولا تنزعُوا يداً منَ الطاعةِ»(٢).

= وسلم، كانت قبله، عليه السلام، عند أبـي سلمة بن عبدالأسد، فولدت عمر، ودره، وزينب، وهي أول ضعينة دخلت المدينة مهاجرة، شهدت مع النبـي صلى الله عليه وسلم غزوة خيبر وطال عمرها وهي آخر أمهات المؤمنين وفاء. الاستيعاب، ق/٤ ص ١٩٣٩؛ شـذرات الـذهب، ج ١ ص ٦٩ ـ ٧٠؛ النجـوم الـزاهـرة، ج ١ ص ١٥٥ ـ ١٥٦.

(١) صحيح مسلم، ج ٦ ص ٢٣، وقد ورد باختلاف لفظي يسير: مجمع الزوائد، ج ٧ ص ٢٣٠؛ السنن الكبرى، م ١٠ ص ٦٥٨؛ مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٨٧؛ سنن الترمذي، ج ٣ ص ٣٦١؛ هذا الحديث فيه معجزة ظاهرة بالأخبار بالمستقبل. ويبين الرسول صلى الله عليه وسلم، فيه حال المسلم، مع أئمة يخلطون عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فيستحسن بعض أعمالهم، ويستقبح بعضها. فمن عرف المنكر ولم يشتبه عليه، فقد صارت له طريق إلى البراءة من أثمه وعقوبته، بأن يغير ذلك بـاليد أو باللسان إن قدر، فإن عجز فلا مناص من أن يكره ذلك المنكر من قلبه، حتى يسلم من مشاركتهم في اثمه وجرمه، أما من رضي بفعلهم بقلبه وتابعهم عليه بالعمل، فإنه لم يبرأ عند الله ولم يسلم من طائلة عقابه. وفي الحديث دليل على أن من عجز عن إزالة المنكر، لا يأثم بمجرد السكوت بل إنما يأثم بالرضى به والمتابعة عليه. وقوله صلى الله عليه وسلم عندما قالوا: «أفلا تنابذهم بالسيف قال لا ما صلوا». فيه انه لا يجوز الخروج على الأئمة بمجرد الفسق والجور ما لم يغيروا شيئاً من قواعد الإسلام. صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٢ ص ٢٤٣.

(٢) صحيح مسلم، ج ٦ ص ٢٤؛ صحيح البخاري ج ٩ ص ٤٧؛ السنن الكبرى، م ٨ ص ١٥٨؛ مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٨٧؛ ويرشد الرسول صلى الله عليه وسلم =

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «سيكونُ بعدي امراءُ، فَمَنْ دَخَلَ عليهم فصدَّقَهم في كَذِبِهِم، وأعانَهم على ظلمِهِم، فليس مِنِّي ولستُ مِنْهُ وليسَ بـواردٍ على الحـوضَ، ومن لم يـدخـلْ عليهِم ولم يُعِنْهُم على ظلمِهِم، ولم يصدِّقْهُم على كذِبِهم فهوَ مني وأنا منهُ، وهو وارِدُ على الحوض»[1].

فهذه الأحاديثُ تَدُلُّكَ على أنه يجبُ على المرءِ كراهةُ ما أحْدَثُوا مِنْ بدعةٍ، وتركُ موافقتِهم على مخالفةِ السنَّةِ، والامتناعُ عن طاعتِهِم في المعصيةِ مع الانكفاءِ عن الخروج عليهم، وملازمةِ جماعتهم في الطاعةِ، وامتثالِ أوامِرِهِم في المباحِ، والانقيادِ لأحكامِهِم في المعروف، فيستديمُ بذلكَ سلامةُ دينِهِ وصلاحُ دنياهُ وحقنُ دمِه وحفظُ مالِهِ وحياتِهِ وعرضِهِ.

وقالَ بعضُ الحكماء: من عصىَ السلطانَ فقدْ أطَاعَ الشيطانَ[2]. وقالَ بعضُ الكتـابِ من نَابَـذَ[3] السلطانَ، كانَ في الاشقينَ مكتـوباً (والنـدم

= إلى أن خيار الحكام هم القربون إلى رعيتهم، الحريصون على إقامة العدل بينهم، الداعين لهم بالخير. وإن أشرارهم الذين يقسون على رعاياهم. كما ويحذر الرسول من خطر الخروج والمنابذة لما قد يجره من مفاسد لا يعلم مداها إلا الله.

(١) مسند أحمد، م/٢ ص ٩٥؛ السنن الكبرى، م ٨ ص ١٦٥؛ سنن الترمذي، ج ٣ ص ٣٥٨؛ وقال هذا حديث صحيح غريب؛ سنن النسائي، ج ٧ ص ١٦١.

يخبر الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أمته بالحال التي سيصير إليها ولاة الأمور بعده ويحذر من مخالطتهم وتصديقهم وإعانتهم، على ظلم العباد وتزيين الظلم لهم، فمن هذه الحالة فالموالاة بينه وبين الرسول مقطوعة. ومن لم يصدقهم في كذبهم ولا أعانهم على الظلم فهو من المسلمين، الذين وعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يشربوا من حوض الكوثر، الذي من شرب منه لا يظمأ بعدها أبداً.

(٢) التمثيل والمحاضرة، ص ١٣٠؛ المبهج للثعالبي، الباب الثاني عشر، ورقة ٩.

(٣) نبذت الأمر: أهملته ونابذتهم خالفتهم، ونابذتهم الحرب كاشفتهم إياها وجاهرتهم بها/ المصباح المنير.

والغم)[1] مكتوباً[2]. وقال آخر منْ فارقَ الاعتصامَ بحبلهِ حالفهُ الخسرانُ، وعانَقَهُ الخذلانُ، وترصدتْ له المَنُوْنُ[3] ق/٦ وَطَحَنَتْهُ الحربُ الزبونُ[4].

ومن كتابِ المبهجِ[5] أَخْلِقْ بدمِ المستخف بالجبابرة أن يكونَ (دمُة)[6] جهاراً[7]. وقال بعضُهم من تعرضَ لمساوىءِ سلطانِهِ، تعرض لقطعِ لسانِهِ[8].

---

(١) في (ب ــ د): واليد والفم مكبوبا وهي ساقطة من (ج).

(٢) المتشابه، للثعالبي، ص ١٥، ونسب هذا القول للصاحب بن عباد مع اختلاف في بعض الألفاظ والنص كما ورد في المتشابه «ومن نابذه كان في الأشقين مكتوباً وللفم واليدين مكبوباً».

(٣) المنون: المنبه لأنها تقطع المدد وتنقص العدد/ مختار الصحاح.

(٤) الزبون: الحرب الضروس لأنها تدفع الأبطال عن الاقدام خوف الموت لأن الزين لغة الدفع فزينت الشيء زينا إذا دفعته. وقيل للمشتري زبون لأنه يدفع غيره عن أخذ المبيع/ المصباح المنير.

(٥) المبهج: كتاب ألفه عبدالملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري المعروف بالثعالبي. ألفه للأمير شمس المعالي قابوس بن أبي طاهر جمع فيه ألفاً من الجمل تجري مجرى الأمثال رتبه على سبعين باباً.

(٦) في نسخة (ج): منه.

(٧) التمثيل والمحاضرة، ص ١٣٣، زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٧٥؛ المبهج، الباب ١٢، الورقة/٩.

(٨) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٧٥، وفيه من تتبع مساوىء سلطانه.

بابٌ في ذكرِ مجامعِ (ما يجبُ أنْ)[1] يتصفَ بهِ الملكُ منَ الطرائقِ الجميلةِ، والمذاهبِ النبيلةِ والشيمِ الزكيةِ والسيرِ المرضيةِ

قالَ بعضُ الحكماء: السلطانُ ظِلُّ اللهِ في أرضِهِ[2]، والحاكمُ في حدودِ دينِهِ وفرضِهِ قد حصنه الله بإحسانه وأشركهُ في سلطانِه ونَدَبَهُ لرعايةِ خلقِهِ ونَصَّبَهُ لنصرةِ حقهِ إنْ أطاعهُ في أوامره ونواهِيهِ تكفلَ بنصرتِهِ وحراستِهِ وإنْ عصاهُ فيهِما وَكَلَهُ إلى نَفْسِهِ[3].

ومَنْ مَكَّنَهُ اللهُ في أرْضِهِ وبلادِهِ، وائتَمَنَهُ في خَلْقِه وعبادِهِ وبسطَ يَدَهُ وسلطانَه وَرَفَعَ محلَّهُ ومكانَه، فحقيقٌ عليهِ أن يؤديَ الأمانةَ ويخلصَ الديانةَ ويجملَ السيرةَ ويحسنَ السريرةَ ويجعلَ العدلَ دأبَهُ المعهودَ، والأجرَ غَرَضَهُ المقصودَ[4].

---

(١) زيادة من (ب ــ ج ــ د).

(٢) يشير بذلك إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم».

(٣) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٤٥؛ لباب الآداب، ص ٧٢، وفيها السلطان خليفة الله في أرضه.

(٤) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٤٧؛ لباب الآداب، ص ٥٩.

لقد عنى الإسلام عناية فائقة بإقامة العدل، واعتبره القاعدة الأساسية في الحكم، والدعامة الأولى في إقامة المجتمع الإسلامي، إذ لا وجود للإسلام في مجتمع تسوده شريعة الغاب الخصم فيه حكمًا والحق فيه باطلًا وإنما اعتنى الإسلام بهذه القضية ودعمها وأرسى أصولها، لأنها الأساس في صلاح الدين والدنيا، فإن تحقق العدل =

وقالَ بعضُ الحكماءِ: إذا بنَى الملكُ على قواعِد العـدلِ، ودعمَ بدعائمِ الفضلِ، وحصنَ بدوامِ الشكرِ، وحرسَ بأعمالِ البر، نَصَرَ اللهُ مواليَهُ وخَذَلَ معادِيَه، وعضدهُ وسلَّمه من الغيرِ[1].

وقالَ: اعدلْ فيما وليتَ واشكرْ على ما (أوتيتَ)[2]، يمدكَ الخالقُ وتؤيدُكَ الخلائقُ[3]. ليسَ من قُوَّتِكَ وإن تَمت فضلٌ على قضاءِ حقِّ اللهِ عليكَ ولا لقدرتِكَ وإن دامتْ فضلٌ على القيام بشكرِ مـا أسداهُ إليـك، ولا لِعُمُرِكَ وإنْ طالَ فضلٌ عنِ النظرِ فيما يصلحُ جندَكَ ورعيتَك، ولا لِمَالِكَ وإن كثرَ قدرٌ عما يصونُ عرضَك ومروءتَك[4]. فاجعلْ (أيامَك)[5] أربعةً، يوماً (تجعلُهُ)[6] لحسنِ العبادةِ، ويوماً تستقبلُهُ بشكرِ النعمةِ منهُ، ويوماً تقصرُهُ على

= الإلهي في دنيا الناس سعدوا واستقروا وإن غاب نجم العدل عن واقع الحياة شقوا. ومن هنا كانت وظيفة كل نبي وخليفة نبـي أن يقيم في الناس القسط مصداقاً لقول الله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ والمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاس بالْقِسطِ﴾ (آية ٢٥ من سورة الحديد).

(١) كتاب الأمثال، للثعالبـي، ص ٤٥؛ والغير الأحداث المغيرة يشير بذلك إلى قول الله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (آية ٧ من سورة محمد). فإنهم قالوا نصرة العبد لربه، بامتثال أمره واجتناب نهيه، فإذا فعل ذلك كان سبباً لنصر الله له. وقال ابن المناصف: من جاهد عن الدين أحق الناس بالقيام بأحكامه. وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: يا أيها الناس إعملوا صالحاً قبل الغزو، فإنما تقاتلون بأعمالكم. قال وهذا معلوم من دين الإسلام، وسنة محمد عليه الصلاة والسلام. بدائع السلك، ج ٢ ص ٥٠.

(٢) في (ب ـ ج ـ د): أوليت.

(٣) لباب الآداب، ص ٥٨.

(٤) يشير بذلك إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق». الجامع الصغير، ج ١ ص ١٠١.

(٥) في (ب): الزمان.

(٦) بياض في النسخة (ب).

النظرِ في القَصَصِ والمظالمِ، ويوماً تمضِيْهِ في ابتناءِ المعالي والمكارمِ[1].

وقالَ بعضُ الحكماءِ مَنْ جَعَلَ مُلْكَهُ خادِماً لدينِهِ، انقادَ لَهُ كلُّ سلطانٍ ومَنْ جَعَلَ دينَه خادماً لملكِهِ، طَمِعَ فيه كلُّ إنسانٍ[2].

وقالَ ابرويزُ[3]: أطعْ مَنْ فَوْقَكَ يُطِعْكَ من دُوْنَكَ[4].

وقال اردشيرُ[5]: أسعدُ الملوكِ من سعدتْ رعيتُهُ بعدلِهِ، ونَالَها الرفاهيةُ في أيامِهِ، وَجَرَتْ لَهُ صوالحُ السنينَ في دهرِهِ، وأشقاهُمْ مَنْ كانَ بخلافِ ذلكَ. وقالَ: الناسُ ثلاثُ طبقاتٍ تجبُ سياستُهُم في ثلاثِ سياساتٍ منهم. طبقةٌ مِن الخواصِ الأعيانِ تسوسُهُم بمحضِ اللطفِ والإحسانِ وطبقةٌ من العوامِ الأوساطِ تسوسُهم مِنَ العنفِ واللطفِ ما بينَ الاقتصادِ والإفراطِ وطبقةٌ من العوامِ والأطرافِ تسوسُهم بمحضِ الغلظةِ والاعتسافِ[6].

---

(١) كتاب الأمثال، للثعالبي، مع بعض الاختلاف اليسير، ص ٤٧.

(٢) لباب الآداب، ص ٥٤؛ كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ١٥.

(٣) ابرويز: هو ابرويز بن هرمز، أحد ملوك الفرس، تولى الملك بعد خلع أبيه. غزا الشام وبلغ مصر وحاصر ملك الروم بالقسطنطينية، ثم صالحه. جار وأخذ أموال الناس وسفك الدماء فمقته الناس وخلعوه وجاءوا بابن له يقال له شيرويه. وكان ملك ابرويز ٣٨ سنة. المعارف، ص ٢٩٣؛ تاريخ اليعقوبي، م ١ ص ١٦٨ ــ ١٧٢.

(٤) شرح نهج البلاغة، م ٣ ص ٣٢؛ غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، ص ٦٩٠، فصل الماوردي في كتابه أدب الدنيا والدين طاعة الإنسان لمن فوقه، فقال: عدل الإنسان مع من فوقه كالرعية مع سلطانها والصحابة مع رئيسها فقد يكون بثلاثة أشياء: إخلاص الطاعة، وبذل النصرة، وصدق الولاء. أدب الدنيا والدين، ص ١٤٢.

(٥) اردشير بن بابك بن ساسان، أحد ملوك الطوائف على أرض اصطخر وهم من أولاد الملوك المتقدمين. ولد بقرية اسمها طبروده من رستاق اصطخر، وسمي اردشير شاهنشاه، بنى ثمان مدن ولم يزل محمود السيرة عادلاً، وكانت مدة ملكه أربعة عشر سنة وستة أشهر. المعارف، ص ٢٨٥ ــ ٢٨٦؛ تاريخ اليعقوبي، م ١ ص ١٥٩.

(٦) غرر الخصائص، للوطواط ونسبة لأنوشروان، ص ٦٣؛ نهاية الارب، ج ٦ ص ٤٤. هذا عند الفرس، أما عند الإسلام فالناس سواسية كأسنان المشط وإن المقياس الذي به =

وقالَ أيضاً: على الملكِ أن يأخذَ نفسَه بثلاثٍ: تعجيل مكافأةِ المحسنِ على إحسانِهِ، وتأجيلِ عقوبةِ العاصِ على عصيانِهِ، والأناةِ عند طوارقِ الدهرِ وحدثانِهِ، فإن في تعجيلِ مكافأةِ المحسنِ شحذَ الضمائرِ على الطاعةِ، وفي تأجيلِ عقوبةِ العاصي إمكانَ العفوِ والإقالةِ ومراجعةِ التوبةِ والندامةِ، وفي الأناةِ عندَ الطوارق انفساحُ مذاهبِ الرأيِ والسياسةِ وإيضاحُ غوامض السداد والإصابةِ[1]. وقالَ أيضاً: لا يصلحُ لسدِ الثغورِ ق/٧ وقودِ الجيوشِ وتدبيرِ الخيولِ، وحراسةِ الأرضينَ والأقاليمِ، إلا مَنْ تكاملتْ فيه خمسُ خصالٍ، حزمٌ يتيقنُ بهِ عندَ مواردِ الأمورِ حقائقَ مصادِرِها، وعلمٌ يحجزُهُ عن التهورِ في المشكلاتِ إلى عندِ تجلي فرصِها، وشجاعةٌ لا تنقصها الملمات بتواترِ حوائِجِها وعظم هولِها، وصدقٌ في الوعيدِ والوعدِ يوثقُ منه بالوفاءِ عليها وجودٌ يهونُ عندَهُ تدبيرُ الأموال عِندَ ازدحام السؤال (عليه)[2][3].

= يتفاضلون هو الالتزام بأمر الله واجتناب مناهيه. فلا اعتبار لحالة الإنسان الاجتماعية وطبقته القبلية في تقرير ما له وما عليه، وكتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري خير مثل على سياسة الإسلام في التسمية بين الناس، ولقد أنزل الله دينه وأرسل رسوله لطمس هذه الأفكار السخيفة، والعادات المهترئة وتغيير القيم الظالمة والموازين الجائرة، وإقامة صرح العدل بين الناس، كل الناس، وتشييد بنيانه، وصدق الله العظيم ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إن الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ (آية ٨١ من سورة الإسراء).

(١) شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٥٣٧؛ بهجة المجالس، ق ١ ص ٣٣٨؛ نهاية الارب، ج ٦ ص ٥.

(٢) زيادة من نسخة (ب ـ ج ـ د).

(٣) مروج الذهب، ج ١ ص ١٩٠، ونسبه إلى هرمز من كتاب له إلى بعض عماله؛ عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة، ص ٢٤٤؛ آداب السياسة بالعدل، مصور رقم ٤٣٠٠ ص ٦٩، وإن هذه الصفات الخمس: الحزم والعلم والشجاعة والجود والصدق التي أوجب توافرها في القادة، هي من أهم ما يعنى به اليوم فن القيادة العسكرية، وإن تراثنا العربي الإسلامي زاخر بهذه الأبحاث، بل إن الناظر فيه يرى أن صفات القيادة أكثر تحديداً وإحاطة، مما هي عليه عند غير المسلمين، يشهد بذلك ما تحويه كتب سياسة الحروب المؤلفة في عصور مختلفة.

وقالَ (أيضاً)[1]: لا ينبغي للملكِ أن يكونَ فيهِ خمسُ خصالٍ لا يكونُ كذاباً لأنهُ إنْ وَعَدَ أو أوعدَ لم يُرْجَ ولم يُخَفْ، ولا ينبغي أنْ يكونَ بخيلاً فإنه إنْ كانَ كذلكَ لم يناصِحْهُ أحدٌ، ولا تصلحُ الولايةُ إلا بالمناصحةِ، ولا ينبغي أنْ يكونَ جباناً فإنه إنْ كانَ كذلك اجترءَ عليه عَدُوُّه وضاعَتْ الأمورُ ولا ينبغي أن يكونَ حديداً فإنه إنْ كانَ كذلكَ مَعَ القدرةِ هَلَكَ الناسُ مَعَه ولا ينبغي أن يكونَ حسوداً فإنه إنْ كانَ كذلك لم يشرفْ أحداً ولا يصلحُ الناسُ إلا بأشرافهم[2].

وقالَ أيضاً: خيرُ الملوكِ من أشبهَ النسرَ حولَهُ الجيفُ، وشرُّهُم من أشبهَ الجيفَ حولها النسورُ[3].

وقالَ بعضُ البلغاءِ: أربعةٌ لا يزول مَعَها ملكٌ، حسنُ الدينِ واستكفاءُ الأمينِ وتقديمُ الحزمِ وإمضاءُ العزمِ[4]. وأربعةٌ لا يثبُتُ معها ملكٌ، غشُّ الوزيرِ وسوءُ التدبيرِ وخبثُ النيةِ وظلمُ الرعيةِ. وأربعةٌ لا بقاءَ لها، مالٌ يُجمعُ من الحرامِ وحالٌ تعقدُ من الآثامِ ورأيٌ (يغوى)[5] من العقلِ وملكٌ يخلو من العدلِ[6].

---

(1) ساقطة من (ج).

(2) نهاية الارب، ج ٦ ص ٤، ونسبه إلى معاوية بن أبي سفيان؛ البصائر والذخائر، للتوحيدي، م ١ ص ٢٠٣؛ لباب الآداب، ص ٧٠ ــ ٧١ ويجمع هذه الصفات، ما ذكره أئمة الفقه السياسي من أن من شروط منصب الخلافة العدالة والكفاية. فبالعدالة يكون جامعاً لخصال الخير منزهاً من أضدادها كالكذب والبخل، وبالكفاية يكون جريئاً على اقتحام الحروب بصيراً بها رؤوفاً بالمؤمنين، شديداً على الكافرين.

(3) العقد الفريد، ج ١ ص ٣٣ وقال أنه من كلام الهند في الملوك؛ سراج الملوك، ص ٥٢ وقد عبر فقهاؤنا عن هذا بقولهم في صفات الإمام الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو؛ الأحكام السلطانية، للماوردي، ص ٦.

(4) يجمع هذه الصفات الأربعة ما ذكره الماوردي في واجبات الإمام وأنه يجب عليه شرعاً حفظ الدين وسياسة الدنيا به، واستكفاء الأمناء وتقليد النصحاء في أعماله ومهامه.

(5) في (ب): يعرى.

(6) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٦٩، ويمكن رد هذا الخصال إلى أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مثل (شر الرعاة الحطمة).

وقال الحريري[1]: أسعدُ الناسِ مَنْ سعدتْ به رعيتُه، وأشقاهُم في الدارينِ من ساءتْ سريرتُه[2].

ومنْ كلامِ الثعالبي في المبهجِ: الملكُ من يوالي لأوليائِه صلاتِهِ وتباري هبوبَ الريحِ هباتُهُ، وتفرُس الفوارسَ لحظاتُهُ، وتضغُمُ الضراغمَ[3] سطواتُهُ[4]، الملكُ من جمعَ سدادَ الأمورِ إلى سدادِ الثغورِ وكان أيدُهُ[5] متيناً، وكيدُهُ مبيناً، الملكُ من رَجَعَ إلى رأيٍ سديدٍ من كمالِه وركنٍ شديدٍ من أموالِهِ ورجالِهِ[6]، الملكُ من سيفُهُ يُفني وسيبُهُ[7] يغني، الملكُ من جودُهُ مطيرٌ وبأسُهُ مستطيرٌ، الملكُ من عدلُهُ كافٍ كافلٌ[8]، وفضلُهُ هام هاطلٌ[9]. الملكُ من تثنى عليه الخناصرِ وتثنى عليه السباباتُ وتعضُ عليه من الغيضِ الأباهيمُ، الملكُ من لا يسلمُ الإسلامَ، ولا يفارقُ الفرقانَ، ولا يهملُ الملةَ، ولا يعدلُ عن العدلِ إذا جمع الملكُ بين شرفِ الانتسابِ والاكتسابِ[10]،

---

(١) الحريري: هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري، أديباً فاضلاً صنف المقامات، وله كتاب درة الغواص في أوهام الخواص، توفي بالبصرة سنة ٥١٦هـ. الكامل في التاريخ، م ٨ ص ٣٠٥؛ وفيات الأعيان، م ١ ص ٤١٩؛ تاريخ أبي الفداء، ج ٢ ص ٢٣٥.

(٢) مقامات الحريري، ورد قول الحريري في المقامة الحادية والعشرين؛ المسماة الرازية، ص ١١٩ بلفظ: وإن أسعد الرعاة من سعدت به رعيته.

(٣) الضرغام: الأسد.

(٤) المبهج، للثعالبي، الباب ٨ ورقة ٦ وفيه: وتضغم الضياغم سطواته.

(٥) أيده: آد يئيد أيداً: اشتد وقوي. والاد: الصلب. والقوة كالايد. القاموس المحيط.

(٦) المبهج، الباب ٨ ورقة ٦ وفيه: وكان آيده مبيناً وكيده متيناً.

(٧) السيب: العطاء. القاموس المحيط.

(٨) كافل: الكافل الذي يكفل إنساناً ويعوله ومنه قوله تعالى: ﴿وكفلها زكريا﴾. المصباح المنير؛ مختار الصحاح.

(٩) المبهج، الباب ٨ وفيه: الملك من عدله كاف كامل وفضله هام هامل.

(١٠) يشير بذلك إلى ما ذهب إليه كثير من فقهاء الإسلام كالإمام الجويني الذي قسم صفات =

ونظم حاشيتي الفضلِ والعدلِ، فتقريضُهُ وإن أفرط فيه تفريطٌ ومدحُهُ وإن نبلَ قصاراهُ تقصير، إذا عني الملكُ بتسكينِ الدهماءِ[1]، وحقنِ الدماءِ (بعدَ)[2] قرع بابِ السماءِ في استحفاظِ بابِ النعماءِ.

إذا كانتْ يدُ الملكِ مفتاحَ الأرزاقِ، وسيفُه حتفَ أهلِ الشقاقِ، فقدْ فاقَ ملوكَ الآفاقِ. الملكُ من كانَ كالغيث يحيـي إذا همَى، والسيلِ أردى إذا أطمى[3]، والبدرِ يهدي إذا سما، والدهرِ يصمى[4] إذا رَمى[5].

الملكُ من تبيضُ أياديه[6]، وتسودُ أيامَ (معاويةَ)[7]، وتخضرُ مواقعُ سيبِهِ وتحمرُ مواقعُ سيفِهِ[8]. الملكُ من تشهدُ بفضلِهِ مشاهدُه، ويعمرُ وفدَهُ فوائدُهُ كفُ الملكِ سماءٌ، صوبُها[9] أموالٌ ودماءٌ ق/٨أدبُ الملكِ الأريبُ[10]

= الإمام إلى صفات لازمة، منها النسب القرشي وصفات مكتسبة كالعلم والورع وتوقد الرأي في عظائم الأمور، والنظر في مبغات العواقب.

(١) الدهماء: سواد الأمة وكثرتها. فالدهمة: السواد. يقال: فرس أدهم. وقال الله تعالى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾، أي سوداوان من شدة الخضرة من الري. مختار الصحاح؛ المصباح المنير.

(٢) في المبهج: فقد.

(٣) اطمى: طم الأمر طما: ارتفع وغلب، ومنه قيل القيامة طامة. وطم السيل: علا وغلب. المصباح المنير؛ مختار الصحاح.

(٤) يصمى: يرمى بالموت، ففي الحديث كل ما أصميت، والمعنى: كل ما قتله كلبك وأنت تراه. المصباح المنير.

(٥) المبهج، الباب ٨ ورقة ٦ ــ ٧.

(٦) آياديه: صنائعه.

(٧) في (ب ــ ج): أعاديه.

(٨) كل ذلك كناية عن شدة بأسه.

(٩) الصوب: الانصباب والسحاب ومجيء السماء بالمطر. القاموس المحيط؛ المصباح المنير؛ مختار الصحاح.

(١٠) الاريب: العاقل. مختار الصحاح.

في مكارمَ يبْتنيها، ومآثرَ يقتنيها، وعلمٍ يحصِّله (وكرمٍ يوصلهُ)[1] ورعيةٍ يرعاها ويحمي حماها، همة (الملك)[2] الهمامْ، في أربابِ السيوفِ لا في رباتِ السقوفِ، وفي البيضِ القواضبِ[3]، لا البيضِ الكواعبِ[4]، وفي سمرِ الرماحِ، لا في السمرِ الملاحِ، وفي إيجادِ الصنايعِ لا في ابتناءِ المصانعِ[5].

وقالَ بعضُ الكتابِ في مدحِ أميرٍ: هو مستقرٌ في ذروةِ عزِّه، مستقلٌ بأعباءِ مُلكِهِ، يتصرفُ بالرئاسةِ بينَ رفقٍ من غيرِ ضعفٍ، وخشونةٍ من غيرِ عنفٍ[6]. وقالَ آخرُ: قَدْ عوَّدَ ممالِكَه الحياطةَ، حتى لا يحلُّ حرَامها،

(١) في المبهج: وثغر يحصنه.

(٢) زيادة من المبهج.

(٣) القواضب: السيوف القواطع. القاموس المحيط.

(٤) الكواعب: أثداء المرأة ونهود ثدييها. القاموس المحيط.

(٥) المبهج، الباب ٨ ورقة ٦ ــ ٧. وقريباً من هذه الصفات ما ذكره ابن خلدون في أطوار الدولة، واختلاف أحوالها، وخلق متولي أمرها باختلاف الأطوار، فقد قسمها إلى خمسة أطوار: الطور الأول: وهو طور الظفر بالبغية وغلب المدافع والممانع، والاستيلاء على الملك، فيكون صاحب الدولة في هذا الطور إسوة قومه في اكتساب المجد والمدافعة عن الحوزة والحماية (تسود أيام معاديه وتحمر مواقع سيفه). الطور الثاني: طور الاستبداد على قومه، والانفراد دونهم بالملك وكبحهم عن التطاول ويكون صاحب هذه الدولة في هذا الطور معنياً باصطناع الرجال، واتخاذ الموالي والصنائع، لجدع أنوف عصبيته. (ويعمر وفده فوائده كف الملك سيا صوبها أموال ودماء).

الطور الثالث: طور الفراغ والدعة، لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع طباع البشر إليه، من تحصيل المال وتخليد الآثار، وتشييد المباني الحافلة، وإجازة الوفود من أشراف الأمم ووجوه القبائل، وبث المحروف في أهله، واعتراض جنوده وإدرار أرزاقهم، وإنصافهم في أعطياتهم حتى يظهر أثر ذلك في سلاحهم وشاراتهم فيباهي بهم الدول المسالمة، ويرهب الدول المحاربة. (مكارم يبتنيها مآثر يقتنيها أرباب السيوف لاربات السقوف إيجاد الصنائع) مقدمة ابن خلدون، ص ١٥٧ بتصرف.

(٦) مأخوذ من قول عمر رضي الله عنه: «إنه والله لا يصلح لهذا الأمر يا ابن عباس إلا القوي في غير عنف، اللين من غير ضعف. الأحكام السلطانية، ص ١٢.

ولا يذعرَ سوامُها ولا تراعَ جوانبُها، ولا تذبُّ عقاربُها. وقال آخرُ: قد صرفهم بينَ خشونة أبعادِهِ ولينِ معتادِهِ، وأراهم بريقَ حسامِهِ مشفوعاً بتزويقِ أنعامِهِ. وقالَ آخرُ في وصفِ ملكٍ: قد أحيا سنَن العدلِ وأماتَ سُنَنَ الجورِ فحِمى الدينِ منيعٌ وجنابُ الملكِ وسيعٌ. وقال آخرُ: قَدْ جدتَ بصنعِ العدلِ فثبت أصلُه (وَسَمَا)[1] فَرعُهُ، وفتّتَ في عضدِ الظلمِ، فاجتثَّ قرارُهُ وحُصِدَ زَرْعُهُ.

---

(١) في (ج): وبسق فرعه.

بابٌ فيما يجبُ
على السلطانِ منْ حسنِ السياسةِ
وما يلزمُهُ من الصيانةِ للرعيةِ والحراسةِ

قالَ صلى اللهُ عليهِ وسلَم: «كُلُّكُمْ راعٍ وكلكم مسؤولٌ عنْ رعيتِهِ، فالأميرُ الذي على الناس راعٍ مسؤولٌ عن رعيتِهِ، والرجلُ راعٍ في أهلِ بيتِهِ ومسؤولٌ عنهم والمرأةُ راعيةٌ على بيت زوجِها وولدِهِ وهيَ مسؤولةٌ عنهمْ والعبدُ راعٍ على مالِ سيدِهِ وهو مسؤولٌ عنه فَكُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُم مسؤولٌ عن رعيتِهِ»[1].

وقَالَ بعضُ الشعراءِ (في ذلكَ)[2]:

---

(١) صحيح البخاري، ج ٣ ص ١٥٧؛ سنن أبي داود، ج ٣ ص ١٣٠؛ سنن الترمذي، ج ٣ ص ١٢٤، وقال حديث حسن صحيح؛ مسند أحمد، م/٢ ص ٥؛ مجمع الزوائد، ج ٥ ص ٢٠٧؛ السنن الكبرى، ج ٨ ص ١٦٠؛ مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٩٠؛ صحيح مسلم، ج ٦ ص ٨.

راع: أي حافظ مؤتمن صلاح ما قام به وما هو تحت نظره والحديث دليل على أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته فقد قال الخطابي اشترك الإمام والرجل وجميع من ذكر في الحديث في الوصف بالراعي ومعانيهم مختلفة فرعاية الإمام حياطة الشريعة بإقامة الحدود والعدل بالحكم ورعاية الرجل لأهله سياسته لأمرهم وإيصال حقوقهم إليهم ورعاية المرأة تدبير أمر البيت والأولاد والنصيحة للزوج في كل ذلك ورعاية الخادم حفظه ما تحت يده والقيام بما يجب عليه من الخدمة/ فتح الباري؛ شرح صحيح البخاري، ج ١٣ ص ١١٣.

(٢) زيادة من (ب ــ ج).

وَكُلُّكُمْ راعٍ ونحنُ رعيّـةٌ   وكلٌّ سَيَلْقَى ربَّه فيُحاسبُهْ[1]

وقالَ رسولُ اللهِ صلىٰ اللهُ عليْهِ وسلَّم: «مَا مِنْ عبدٍ يسترعيْهِ اللهُ رعيةً يموتُ يومَ القيامةِ يموتُ وهو غاشٌّ لرعيتِهِ إلا حَرَّمَ اللهُ عليهِ الجَنَّةَ»[2].

ودخلَ أبو مسلمٍ الخولانيُّ[3] على معاويةَ[4] فقالَ السلامُ عليكمْ أيها الأجيرُ فقيلَ له قل أيها الأميرُ فقال معاويةُ دعوا أبا مسلمٍ فإني أعلمُ بما يريدُ وعليكَ السلامُ يا أبا مسلمٍ فقال أبو مسلم إعلمْ أنه ليس راعٍ استرعى رعيةً إلا وربُّ أجرِهِ سَائلُهُ عن رعيتِهِ فإنْ كان داوى مرضاها وهنأ جربانها وجبرَ كسرانَها وردَّ أولَها على آخرِها وَوَضَعَهَا في أنفٍ من الكلأ وصفوٍ من الماءِ وفّاهُ أجرَهُ وإلا لم يوفِّهِ فانظرْ من أنتَ مِنْ ذلكَ فقال معاويةُ يرحمُكَ الله يا أبا مسلم الأمرُ على ذلكَ[5].

---

(١) نهاية الأرب، ج ٦ ص ٣٤؛ العقد الفريد، ج ١ ص ٥.

(٢) صحيح البخاري، ج ٩ ص ٨٠؛ صحيح مسلم، ج ٦ ص ٥٩، ونصه «ما من عبد يسترعيه الله رعيه يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة». ومثله سنن الدارمي، ج ٢ ص ٣٢٤.

قوله صلى الله عليه وسلم يسترعيه الله رعية أي يستحفظه إياها ويطلب منه رعايتها فإذا غش وظلم وجار حرم الله عليه الجنة فإن كان مستحلاً لغشهم فتحرم عليه الجنة ويخلد في النار وإن كان لا يستحل غشهم منع من دخولها مع الفائزين بل يؤخر عنهم عقوبة له، صحيح مسلم، شرح النووي، ج ١٢ ص ٢١٤ ــ ٢١٥.

(٣) أبو مسلم الخولاني: هو أبو مسلم الخولاني، اليماني الزاهد، من سادات التابعين واسمه عبدالله بن ثوب أسلم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم المدينة في خلافة أبـي بكر وله كرامات وفضائل مشهورة، توفي سنة ٦٢هـ في دمشق/ شذرات الذهب، ج ١ ص ٧٠؛ البداية والنهاية، ج ٨ ص ١٤٦؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٥٦ ــ ١٥٧.

(٤) معاوية ترد ترجمته عند الكلام على خلافته في القسم الثاني.

(٥) الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء، ص ٩٨ ــ ٩٩؛ المعارف، ص ١٩٤؛ السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص ١٢.

ومعنى هنأ جربانها طلاها بالهناء وهو القطرانُ ويقالُ روضةٌ أنفٌ إذا لم تُرْعَ قبلَ ذلكَ.

وقالَ بعضُ البلغاءِ: من آثَرَ اللهوَ ضاعتْ رعيتُهُ ومَنْ داومَ السكرَ فسدتْ رويتُهُ ومن قصرَ عن سياسةِ نفسِهِ كانَ عن سياسةِ غيرِهِ أقصرَ[1].

وقال: إنَّ مِنْ حُسْنِ الاختيارِ، وحسنِ الاستظهارِ، أنْ تَعْدِلَ في القضاءِ وتُجريَ الحكمَ على الخاصِ والعامِ بالسوى، فمنْ جارتْ قضيتُهُ، ضاعتْ رعيتُهُ، ومنْ ضعفتْ سياستُهُ بطلتْ رياستُهُ[2].

وقالَ عمرُ بنُ الخطابِ[3]، رضيَ الله عنهُ: أشقى الولاةِ من شقيتْ بهِ رعِيتُهُ[4].

وقالَ بعضُ الحكماءِ أَحْسِنْ عقدَ نِيَّتِكَ وأعدلْ في جندِكَ ورعيتكَ تخلُصْ الطاعةُ لكَ وتحسنْ الاحدوثةُ عنكَ[5].

---

(١) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٥٩، باختلاف في بعض الألفاظ وهذا ما قال به الإمام الجويني عندما قال: فكيف يؤتمن في الإمامة العظمى فاسق لا يتقي الله ومن لم يقاوم عقله هواه ونفسه الإمارة بالسوء ولم ينهض رأيه بسياسة نفسه فأنى يصلح خط الإسلام. انظر: غياث الأمم، ص ٦٨.

(٢) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٤٣؛ الحكم في الإسلام لا يعرف المداراة أساسه العدل وقوامه الحق وما أحسن ما يقوله الأستاذ أبو الأعلى المودودي في قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُم﴾؛ سورة الشورى: آية ١٥، يعني أنني مأمور بالإنصاف دون عداوة فليس من شأني أن أتعصب لأحد أو ضد أحد وعلاقتي بالناس كلهم سواء وهي علاقة العدل والانصاف فأنا نصير من كان الحق في جانبه وخصيم من كان الحق ضده/ الحكومة الإسلامية، ص ٢٩١ ـ ٢٩٢.

(٣) تقدمت ترجمته، ص ٩٩.

(٤) زهر الأداب، ج ١ ص ٣٥؛ التبر المسبوك في نصائح الملوك، ص ٢٣؛ البيان والتبيين، ص ٣٥٨؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٢٩؛ الإعجاز والإيجاز، ص ٢٦.

(٥) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٤٤.

وقالَ الزمِ الورعَ ق/٩ فإنه يؤيدُ المُلكَ واحذر الطمعَ فإنه يدني الهلَكَ[١].

وقـالَ أردشيرُ[٢]: إنمـا أملكُ الأجسادَ لا النيـاتِ وأحكمُ بـالعـدلِ لا بالرضى وأعاقبُ على الذنبِ لا على الهوى وافحصُ عن الأعمالِ لا عن السرائرِ[٣] وقالَ معاويةُ[٤] (بن أبـي سفيانَ)[٥] لا أضعُ سيفي حيثُ يكفيني سوطي ولا سوطِي حيثُ يكفيني لسـانِي ولو أنَّ بيني وبينَ النـاسِ شعرةً ما انقطعتْ قالوا وكيفَ ذلكَ يا أميرَ المؤمنينَ قال كنتُ إذا أرخوها مَدَدْتُها وإذا مَدُّوها جَرَرْتُها[٦].

وقالَ عتبةُ بنُ أبـي سفيانَ[٧] فيخطبةٍ لَهُ بمصرَوقدْ أرجفَ [٨] بموتِ معاويةِ: «يا أهلَ مصرَ قد طالتْ معاتَبَتُنا إياكُمْ بظباتِ[٩] السيوفِ وأطرافِ

---

(١) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٤٣ ـ ٤٤، وفيه واحذر الطمع فإنه يولد الهلك.
(٢) أردشير، تقدمت ترجمته، ص ١٢١.
(٣) نهاية الأرب، ج ٦ ص ١٦؛ عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٨؛ خاص الخـاص، ص ٨٥؛ سراج الملوك، ص ١٠٣؛ العقد الفريد، ج ١ ص ١٨.
(٤) ترد ترجمته عند الكلام على خلافته في القسم الثاني.
(٥) زيادة من (ب ــ ج).
(٦) العقد الفريد، ج ١ ص ١٨؛ عيون الأخبار، م ١ ص ٩؛ شرح نهج البلاغة، م ٣ ص ٤٢٥؛ بهجة المجالس، ق ١ ص ٣٤٥.
(٧) هو عتبة بن أبـي سفيان، صخر بن حرب بن أمية، أخو معاوية لأبيه ولد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد مع عثمان يوم الدار ولي المدينة والطائف والموسم لمعاوية، ثم ولاه أمرة مصر بعد وفاة عمرو بن العاص فقدمها سنة ٤٣هـ وهو من خطباء بني أمية المعدودين، توفي سنة ٤٤هـ؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٢٢ ــ ١٢٣.
(٨) أرجف القوم بالشيء أرجافاً أكثروا من الأخبار السيئة واختلاق الأقوال الكاذبة حتى يضطرب الناس منها. المصباح المنير.
(٩) الظبة بالتخفيف حد السيف والجمع ظبات؛ القاموس المحيط.

الأسنةِ حتى صِرْنا شجىً[1] في حلوقِكم[2] وقذىً في عيونِكم فحينَ اشتدتْ عُرى الحقِ عليكم عقداً واسترخَتْ عقدُ الباطلِ سحلاً[3] أرجفتُم بالخليفةِ وأردتُم تـوهينَ الخلافـةِ[4] وخضتمْ الحقَ إلى الباطـلِ فاربحـوا أنفسَكم إذ خسرتُم دينَكم وضنوا[5] بدُنْيَاكم إذا سمحتُم بآخرتِكم. واعلموا أن سلطانَنا على أبدانِكم دونَ قلوبِكم فأصلحُوا لنا ما ظهرَ نكلِكُمْ إلى اللهِ فيما بطنَ فاظهِرُوا خيراً وان أسررتُم شراً فانكم حاصدونَ ما أنتم زارعُون[6].

ومثلُ ذلكَ ما قالَ زياد[7] في خطبةٍ لهُ: «قد كانتْ بيني وبينَ قومٍ أشياءُ قد جعلتُها دبرَ أذني وتحتَ قدمِي فَمَنْ كان منكمُ محسناً فلْيزدَدْ ومَنْ

---

(١) شجى الرجل يشجو شجى حزن؛ المصباح المنير.

(٢) في عيون الأخبار لهواتكم.

(٣) في العقد الفريد حلا.

(٤) في عيون الأخبار واردتم توهين السلطان.

(٥) ضن بالشيء يضن بخل/ المصباح المنير.

(٦) جمهرة خطب العرب، ج ٢ ص ٢٢١ ـ ٢٢٢؛ العقد الفريد، ج ٤، ص ١٩٤ ـ ١٩٥؛ عيون الأخبار، م ٢ ج ٥ ص ٢٣٩.

(٧) هو زياد بن عبيد الثقفي. ويقال زياد بن أبيه وزياد بن أمه وهو زياد بن أبـي سفيان الذي استلحقه معاوية بأنه أخوه وكان هذا الاستلحاق أول قضية غير فيها حكم النبـي صلى الله عليه وسلم كما يقول السيوطي في تاريخ الخلفاء، ص ١٩٦؛ وذكر المقدسي في البدء والتاريخ، ج ٦ ص ٢؛ عن الحسن والشعبـي أن سرك أن لا تكذب فقل زياد بن أبيه وأمه سمية جارية الحارث بن كلده زوجها عبيداً فولدت سمية زياداً على فراش عبيد واختلف في وقت مولده فقيل ولد عام الهجرة وقيل غير ذلك أسلم زمن الصديق وكان عاقلاً في دنياه داهية خطيباً يضرب به المثل في العقل والحزم والدهاء استعمله عمر على بعض صدقات البصرة وكتب لأبـي موسى الأشعري ثم صار لعلي بن أبـي طالب عاملاً على فارس وخراسان فظهرت عبقريته التي بهرت الجميع فتلطف إليه معاويـة واستماله إلى صفه وألحقه بنسبه وولاه العراقين ولم يزل كذلك إلى أن توفي بالكوفة سنة ٥٣هـ وصلى عليه عبدالله بن خالد بن أسيد/ سير أعلام النبلاء، ج ٣ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦؛ الاستيعاب ق ٢ ص ٥٢٣ ـ ٥٣٠؛ وفيات الأعيان، م ٦ ص ٣٥٦ ـ ٣٦٢.

كان منكم مسيئاً فلينزِعْ فإني لوعلمتُ أن أحدَكم قَدْ قَتَلَهُ السلُ مِنْ بُغضِي لم أكشفْ له قناعاً ولم أهتِكْ له ستراً حتى يبدي لي صفحتَه فإذا فعلَ ذلكَ لم أناظِرْهُ فأعينوني على أنفسِكم واستأنِفوا أمرَكُم[1]. وهذا كُلُّهُ من قولِهِ عليه الصلاةُ والسلامُ: «أحكمُ بالظاهرِ واللهُ يتولى السرائرَ»[2].

ومنْ حُسْنِ السياسةِ وتمامِ السيادةِ والرياسةِ اختيارُ الخاصةِ والوزراء وانتخابِ الكتابِ والجلساءِ واستشارَةُ ذي الرأي من الفضلاءِ ونحنُ نفردُ لكلٍ من ذلكَ باباً نبينُ فيه صفاتِهم وأحوالِهم إن شاء الله تعالى.

---

(١) تاريخ الطبري، ج ٧ ص ٧٥؛ وفيه هذه الخطبة في ثنايا خطبته البتراء؛ عيون الأخبار، م ٢ ج ٥ ص ٢٤٣؛ الكامل في التاريخ، م ٣ ص ٢٢٣؛ الكامل في اللغة، ج ١ ص ١٥٧؛ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج ١ ص ٧٣٠.

(٢) كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق على هامش الجامع الصغير، ج ١ ص ٧٥ ونصه «إنما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر»، وقال رواه الغزالي.

بابٌ
في اختيارِ الوزراءِ[1] والعمالِ
وذكرُ ما يجبُ أنْ يتصفوا بِهِ منَ الخصالِ

قالَ بعضُ الحكماءِ: اعلمْ أنَّ الملوكَ تحتاجُ إلى وزيرٍ وأشجعُ الناسِ

---

(١) ذكر المؤلف الصفات الحكمية الواجب توافرها في الوزراء والعمال، ولكنه لم يتعرض لأصل الوزارة ولا لاشتقاقها ولم يذكر الصفات الشرعية الواجب توافرها فيمن تقلد هذا المنصب، فنقول الوزارة هي أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية، واختلف في اشتقاق معنى الوزارة على ثلاثة أوجه. أحدها: أنه مأخوذ من الوزر وهو الثقل لأنه يحمل عن الملك أثقاله.

الثاني: أنه مشتق من الأزر وهو الظهر، لأن الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بظهره، ومنه قوله تعالى في قصة موسى، عليه السلام، ﴿أشدد به أزري﴾ أي قوي بالوزير كقوة البدن بالظهر.

الثالث: أنه مشتق من الوزر وهو الملجأ ومنه قوله تعالى: ﴿ ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾، القيامة / ١١ ،أي لا ملجأ لأن الملك يلجأ إلى رأيه ومعونته. انظر: في اشتقاق الوزارة، قوانين الوزارة، للماوردي، ص ٦١. الأحكام السلطانية، للماوردي، ص ٦٥. العقد الفريد، للملك السعيد، ص ١٤٤. نهاية الأرب، ج ٦ ص ٩٣. وأما حكم تقليد الوزارة فجائز لما حكاه. الله تعالى عن نبيه موسى، عليه السلام: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ سورة طه: آية ٢٩.

فإذا جاز ذلك في النبوة كان في الإمامة أجوز ولأن ما وكل إلى الإمام من تدبير الأمة لا يقدر على مباشرته كله إلا بالاستنابة ونيابة الوزير المشارك له في التدبير أصلح في تنفيذ الأمور من تفرده به ليستظهر به على نفسه فيكون أبعد من الزلل وأمنع من الخلل. انظر: الأحكام السلطانية، للماوردي وأبي يعلى.

=

. . . .

= ثم الوزارة على قسمين: وزارة تفويض، ووزارة تنفيذ.

فوزارة التفويض هي أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه ويجعل إليه إمضاء الأمور، بمقتضى نظره واجتهاده، ويشترط في الوزير المتولي لهذه الوزارة شروط الإمامة إلا النسب وحده ويحتاج فيها أيضاً إلى شرط زائد على شروط الإمامة: وهو أن يكون من أهل الكفاية فيها وكل إليه من أمر الحرب والخراج، لأنه مباشر لهما بنفسه أو بالاستنابة ولا يصل إلى استنابة الاكفاء، إلا أن يكون منهم كما أنه عاجز عن المباشرة إذا كان دونهم ولما كانت هذه الوزارة ولاية فلا يكفي فيها مجرد الاذن، بل لا بد من عقد والعقود لا تصح إلا بالقول فإن وقع له بالنظر وأذن له لم يتم التقليد حكمًا حتى يعقد له الوزارة بلفظ مشتمل على شرطين: عموم النظر، والثاني النيابة. كأن يقول له قلدتك ما إلى نيابة عني ووزير التفويض وإن عمت ولايته وشارك السلطان في حكمه فعليه وظيفة لا بد له من إقامتها، ويجب عليه فعلها وهي أن يطلع السلطان بما أمضاه من عمل، وما أنفذه من ولاية وتقليد، وعلى السلطان أن يتأمل أعمال الوزير وما قد أصدره من الرأي والتدبير، ويتفقد ذلك فما وجده على وفق الصواب قرره وتركه، وما رآه على خلاف ذلك رده واستدركه، لأن تدبير الأمة موكول إليه وإلى اجتهاده.

انظر: الأحكام السلطانية، للماوردي، ص ٢٥ ــ ٢٦. العقد الفريد، للملك السعيد، ص ١٤٦. الأحكام السلطانية، للقاضي أبي يعلى، ص ٣٠. ومن جملة مهام منصبه تنفيذ ما صدرت به أوامر الملك، فعلى الوزير فيها حقان أن يتصفحها من زلل في ابتدائها، ويحرسها من خلل في أثنائها، وتعجيل إمضائها للوقت المقدر لها. قوانين الوزارة، ص ٦٤ ــ ٦٥. ويجوز لوزير التفويض أن يحكم بنفسه ويقلد الحكم، لأن شروط الحكم فيه معتبرة، ويجوز له أن يتولى الجهاد بنفسه، وأن يقلد من يتولاه، لأن شروط الحرب فيه معتبرة. وبالجملة كل ما صح من الإمام صح من هذا الوزير، إلا أمور ثلاثة:

١ ــ ولاية العهد، فإن للإمام أن يعهد ولا يجوز ذلك للوزير.

٢ ــ للإمام أن يستعفي الأمة من الإمامة وليس ذلك للوزير.

٣ ــ أن للإمام أن يعزل من قلده الوزير، وليس للوزير أن يعزل من قلده الإمام.

انظر: الأحكام السلطانية، للماوردي، ص ٢٦. وأبي يعلى ص ٣٠.

وأما وزارة التنفيذ: فحكمها أضعف لأن السلطان هو القائم في الحقيقة بتدبير أمر الأمة، والأمور عن رأيه ونظره صادرة، وهذا الوزير سفير بينه وبين الرعية، يؤدي =

. . . .

= عنه ما أمر به ويخبره بما ورد، وقد يشارك في الرأي كأن يستشيره الملك في مهم، وعليه حينئذ اجتهاد رأيه في إيضاح الصواب، ويشترط في متوليها سبعة شروط:

١ ـــ الأمانة، فإن الخائن لا يعتمد عليه ولا يركن إليه.

٢ ـــ الصدق حتى يوثق بقوله، لأنه لا ثقة بكذوب.

٣ ـــ أن يكون قليل الطمع، حتى لا يستمال بالرشوة والهدية فيعدل عن الحق إلى الباطل.

٤ ـــ أن يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة وبغضاء، لأن العداوة تحمل على الاجحاف والاعتساف.

٥ ـــ أن يكون ذكوراً لما يؤديه للإمام وعنه لأنه شاهد له وعليه.

٦ ـــ أن يكون ذا ذكاء وفطنة ليأمن التدليس والغش.

٧ ـــ أن يكون خالياً من الأهواء، لأن الهوى خادع للألباب، صارف عن الصواب، فإذا اشترك مع الإمام في الرأي احتاج إلى شرط ثامن وهو: أن يكون ذا حنكة وتجربة، فإن التجارب خبرة تؤدي إلى صحة الرأي، وصواب التدبير، وهذه الوزارة لا تفتقر إلى تقليد، ولا يشترط في متوليها حرية ولا علم.

ولا يجوز أن يقوم بهذا المنصب في الإسلام امرأة، لقوله صلى الله عليه وسلم: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة». مسند أحمد، م ٥ ص ٤٣.

وأما هل يشترط في وزارة التنفيذ الإسلام فقد اختلفت الآراء في ذلك، فذهب الماوردي إلى أنه لا يشترط فيجوز أن يكون وزير التنفيذ من أهل الذمة. وخطأه في ذلك الإمام الجويني: فقال ذكر مصنف الكتاب المترجم بالأحكام السلطانية، أن صاحب هذا المنصب يجوز أن يكون ذمياً، وهذه عثرة ليس لها مقيل وهي مشعرة بخلو صاحب الكتاب عن التحصيل، فإن الثقة لا بد من رعايتها، وليس الذمي موثوقاً به في أفعاله وأقواله وتصاريف أحواله، وروايته مردودة وكذلك شهادته على المسلمين، فكيف يقبل قوله فيما يسنده ويعزيه إلى إمام المسلمين.

ورأى الإمام الجويني هو الذي تميل إليه النفس ويطمئن إليه القلب، لأن الله حذرنا من موالاة الكفار في غير آية، والأحاديث بذلك كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم: «إنا لا نستعين بمشرك». ابن ماجه، ج ٢ ص ٩٤٥. كما رفض رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر الاستعانة بمشرك. سنن الترمذي، ج ٣ ص ٥٨ ـــ ٥٩.

ويلاحظ مما كتبه أئمة الفقه أنهم أجازوا لولاة الأقاليم، أن يستوزروا وزراء =

يحتاجُ إلى سلاحٍ وأجودُ الخيلِ يحتاجُ إلى سوطٍ وأجودُ الشفارِ يحتاجُ إلى مسنٍ[1].

وقال (ابنُ المعتمدِ)[2]:

هيهاتَ لم تَصدُقْكَ فكرتُكَ التي ... قد أوهمتْكَ غنىً عن الوزراءِ

لم تُغنِ عن أحدٍ سماءٌ لم تجدْ ... أرضاً ولا أرضٌ بغيرِ سماءِ[3]

وقالَ الثعالبيُ[4]: لا بدَّ لكلِ فاضلٍ من صاقلٍ[5]. وقالَ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ: «وزرائي في الأرضِ أبو بكرٍ وعمرُ»[6].

= تنفيذ، وهذا ما يمهد السبيل لأن يكون اقليم وزارته التنفيذية التي ترعى شؤونه الداخلية، وتكون صلاحياتها أقل من صلاحيات الوزارة العامة التي هي في مركز الخلافة.

(١) نهاية الأرب، ج ٦ ص ٩٢. التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٣. شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ١٣٩. سراج الملوك، ص ٦٠.

(٢) في (ب ـ ج): ابن العميد وهو الصواب الذي ذكرته المراجع، ونسبت الأبيات إليه، وترجمته أبو الفضل محمد بن العميدِ الكاتب، والعميد لقب والده، تولى وزارة ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي سنة ٣٢٨، كان أوحد عصره في الأدب والترسل، حتى قيل له الجاحظ الثاني. قال الثعالبي في كتابه اليتيمة: كان يقال بدأت الكتابة بعبد الحميد، وختمت بابن العميد، توفي سنة ٣٦٠هـ. شذرات الذهب، ج ٣ ص ٣١. وفيات الأعيان، م ٥ ص ١٠٣.

(٣) التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٤. شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ١٣٨. تحفة الوزراء، ص ٤٣.

(٤) هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، كان إماماً في اللغة والأخبار، وأيام الناس راعى تلعات العلم له التصانيف الكثيرة في النظم والنثر، ولد سنة ٣٥٠هـ، توفي سنة ٤٢٩هـ. البداية والنهاية، ج ١٢ ص ٤٤. وفيات الأعيان، م ١ ص ١١٠. شذرات الذهب، ج ٣ ص ٢٤٦.

(٥) صاقل اسم فاعل من صقل وصقلت السيف صقلاً جليته وشيء صقيل أملس مصمت لا يخلل الماء أجزاءه/ المصباح المنير.

(٦) سنن الترمذي، ج ٥ ص ٢٧٨. ونص الحديث كما ورد عن أبي سعيد الخدري قال: =

وقالَ صلى اللـهُ عليهِ وسلَم: «منْ وليَ شيئاً من أمورِ الناسِ فأرادَ اللـهُ به خيراً جعلَ مَعَهُ وزيراً صالحاً إنْ نَسِيَ ذَكَّرَهَ وإنْ ذَكَّرَ أعانَهُ[1]»، وقيل: إذا أردتَ نايلَ الأميرِ فالطفْ بِهِ منْ جهةِ الوزيرِ[2].

وقيلَ مثلُ الملكِ الصالح إذا كانَ وزيرُهُ فاسداً مثلُ الماءِ الصافي العذبِ الميرُ الذي فيه التماسيحُ فلا يستطيعُ الإنسانُ ورودَهُ وإن كانَ سباحاً وإلى الماءِ ضامئاً[3]، وقال بعضُ الحكماءِ لا يغرُّك كِبَرُ الجسمِ ممنْ صَغُرَ في المعرفةِ والعلمِ ولا طولُ القامةِ ممن قَصُرَ في الكفايةِ والاستقامةِ فإنَّ الدرَّةَ على صغرِها أعودُ من الصخرةِ على كِبرِها ق/ ١٠ واعلمْ أن الأيديَ بأصابِعِها والملوكَ بصنائعها وأن وزيرَ الملكِ عينَه وأمينَه أذنَه وكاتبَه نطقَه وحاجبَه خلقَه ورسولَه عقلَه[4] ونديمَه مثلُه بهم تستقيمُ الأعمالُ وتجتمعُ العمالُ[5] ويقوى السلطانُ وتعمرُ البلدانُ فإنِ استقاموا استقامت الأمورُ وإن اضطربوا اضطربَ الجمهورُ[6].

= قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض، فأما وزرائي من أهل السماء، فجبريل وميكائيل، وأما وزيراي من الأرض، فأبو بكر وعمر. وقال الترمذي حديث حسن غريب».

(١) سنن أبي داود، ج ٣ ص ١٣١. سنن النسائي، ج ٧ ص ١٥٩. السنن الكبرى، ج ١٠ ص ١١١. يرشد هذا الحديث بأن يتخيروا بطانتهم من صالحي رعيتهم، ومن يجدون عنده النصيحة إذا نسوا والعون إذا ذكروا، وعندها تكون هذه البطانة نعمة من الله تعيينهم في توجيه أمور الدولة.

(٢) التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٤. تحفة الوزراء، ص ٤٣.

(٣) التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٣. شرح نهج البلاغة، م ٣ ص ١٣٩. العقد الفريد، ج ١ ص ٢٥. تحفة الوزراء، ص ٥٨. ونسبه إلى الفضل بن سهل سراج الملوك، ص ٦١.

(٤) تصحيح من (ب ـ ج ـ د): لأنها في الأصل وحاجبه ورسوله خلقه.

(٥) في المبهج وتجتمع الأموال.

(٦) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٦٢. ويمكن رد هذه الصفات إلى قول الرسول صلى الله =

وقالَ: اعلمْ أنَّ معايبَ عمالِكَ والمنصرفينَ في أعمالِكَ من أقبحِ معايبِكَ ومآثرُهم ومناقِبُهم من أحسنِ مآثرِكَ ومناقبِك لأنَّ بهمْ يستدلُ على مقدارِ معرفتِكَ بمقاديرِ الرجالِ ويوقفُ على كيفيةِ تصرفِكَ بتصاريفِ الأحوالِ[1] فأحسنْ الاختيارِ لهم[2] وأكثرْ الاستظهارَ عليهم[3] واعلمْ أنهم أنفاسُ الملوكِ وحرابُهُ قَدْمُ[4] على مراعاةِ أحوالِهم، ولا تُمْهِلْ مكافآةَ أفعالِهم، فأوْلِ المحسنَ ما يستحقُّه من حسنِ الولاءِ، والمسيءَ ما يستوجبه من سوءِ الجزاءِ، ليتصرفوا لكَ في الأمانةِ ويتعففوا عن الخيانةِ[5].

= عليه وسلم: «صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس العلماء والأمراء». الجامع الصغير، ج ٢ ص ٤٦. فأولى الناس باجتماع الفضائل والصلاح فيهم هم الوزراء والولاة، لأنهم يلازمون الخليفة المبلغون عنه وإليه، فبصلاحهم صلاحه وبفسادهم فساده.

(١) في الأمثال، للثعالبي، ويوقف على كيفية تصرفك في مصالح الأعمال.

(٢) لقول الرسول صلى الله عليه وسلم من ولىّ على المسلمين رجلاً وفيهم من هو أصلح منه، فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين. المستدرك، ج ٤ ص ٩٣. وقال حديث صحيح الإسناد.

(٣) وأكثر الاستظهار عليهم يمكن رد هذا الشرط إلى ما ذكره الماوردي من أن الواجب على الإمام أن يباشر بنفسه، مشارفة الأمور وتصفح الأحوال، لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة، فقد يخون الأمين ويغش الناصح، وقد قال الله تعالى ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ سورة ص ٢٦، فلم يقتصر الله سبحانه على التفويض دون المباشرة ولا عذره في الاتباع حتى وصفه بالضلال، وهذا وإن كان مستحقاً عليه بحكم الدين ومنصب الخلافة فهو من حقوق السياسة لكل مسترع. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته». الأحكام السلطانية، ص ١٧.

(٤) في الأمثال، للثعالبي، اعلم أنهم أساس الملك وحراس الملك.

(٥) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٦٦.

وقالَ يحي بنُ خالدٍ[1] لبنيهِ: إنكمْ لا بـدَّ لكمْ من عُمَّالٍ وكُتَّـابٍ فاستعينوا بأشرافِ الناسِ وإياكمْ والسفلةَ فإن النعمةَ على الأشرافِ أزينُ والمعروفُ عندهم أثمنُ والشكرُ منهم أحسنُ[2].

وهذا المعنى يلاحظُ قولَ أرسطا طاليس[3] لما كَتَبَ إليهِ الإسكندرُ[4] يستشيرُهُ في قتلِ ملوكِ فارسَ أو استبقائِهم فكانَ في جملةِ ما ردَّ من الجوابِ أنْ قالَ لستُ أرى قَتْلَهُمْ صواباً لأنه متى قَتَلَ الملكُ ملوكَهُم وسراتِهم لم يكنْ بدٌّ من أنْ يستعمل عليهم بعضهم فتدعو الضرورةُ إلى رفعِ السفلةِ وسياسةُ

(١) هو أبو الفضل يحي بن خالد بن برمك. وزير هارون الرشيد، ضم إليه المهدي ولده هارون وجعله في حجره ورباه وأرضعته امرأته، فلما استخلف هارون عرف له حقه وفوض إليه أمور الخلافة ولم يزل كذلك حتى نكب الرشيد البرامكة، فغضب عليه، وحبسه حتى مات في الحبس سنة ١٩٠هـ وكان كريماً فصيحاً ذا رأي سديد. وفيات الأعيان، م ٦ ص ٢١٩، البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٠٤. النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ١٣٣.

(٢) الوزراء والكتاب، ص ١٧٩ منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب/٥ الباب الخامس.

(٣) أرسطا طاليس: هو الفيلسوف اليوناني أرسطا طاليس (معناه محب الحكمة)، من ولد اسقليبادس الذي اخترع الطب لليونان، ولد باسطاخاريا، وتتلمذ على يد أفلاطون، ولقب بالمعلم الأول لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية، صحب الإسكندر وكان يشاوره ويصدر عن رأيه. توفي آخر أيام الإسكندر وله ٦٦ سنة. الفهرست، لابن النديم، ص ٢٤٦. سرح العيون، ص ٢١٠.

(٤) هو الإسكندر بن فيلقوسي، أبوه أحد ملوك اليونان وكانوا طوائف، وهو الذي وحدهم وغـزا الفرس وملكهم، ثم غـزا الهند وأطـراف الصين، ثم انصرف عنهم وبنى الإسكندرية، وكان ملكه نحو ثلاث عشرة سنة، وهو صاحب أرسطا طاليس وتلميذه، وهو غير ذو القرنين المذكور في القرآن، فإن ذا القرنين كان في زمن ابراهيم الخليل، عليه السلام، قيل ان اسمه افريذون، وقيل غيره، وتوفي الإسكندر بناحية السواد وعمره ٣٦ سنة. تاريخ أبي الفداء، ج ١ ص ٤٥. تاريخ ابن الوردي، ج ١ ص ٦٢ ـ ٦٣.

الملوكِ أسهلُ من سياسةِ السفهاءِ لأنَّ الملوكَ أحسنُ طاعةً وأسلسُ انقياداً وأعرفُ بالصنيعِ وأرجى للمكافآةِ وسياسةُ السفلةُ صعبةٌ واستياقُهم إلى الإرادةِ متعبةٌ وقد رأيتُ رأياً يكفي به الملكُ مؤنةَ قتلِهم إن استصوبِه وتجمعُ له بهِ طاعتُهُم ويتعبدُهم ويتخلصُ به نياتِهم ويخلصُ من الإثمِ بسببِهم وهو أن يعمدَ الملكُ إلى أولادِ الملوكِ والرؤساءِ كلِّهم فيقسمُ المملكةَ بينهم ويفردُ كلَ واحدٍ منهم ببلدةٍ ويأمرُهُ أن يؤدي الأتاوةَ عنها ويجعلَها وظائفَ في أيديهم فإنه إذا رأى المالكُ منهم أنه قد ساوى نظيرِهِ في التملكِ لمْ تطعْهُ نفسُهُ الانقيادَ إلى من هو مثلُهُ وإذا تبينَ أحدُهُم مقدارَ الطائفةِ التي في يدِهِ نقصتْ همتُهُ عن معصيةِ الملكِ والخلافِ لأمرِهِ فتجتمعَ للملكِ طاعتُهم ويكفي ما يخوفُهُ منهم ورأى الملكِ العالي الموفقْ ففعلَ الإسكندرُ ذلكَ بما أشارَ بهِ أرسطا طاليسْ فلم تزلْ الملوكُ تؤدي الأتاوة إلى ملوكِ الرومِ خمسمائةَ سنةٍ ونيفاً إلى أنْ مَلَكَ أردشيرُ بنُ بابكَ فكانَ يقولُ إن ملوكَ الأرضِ ضربوا بسيفِ أرسطا طاليس خمسمائةَ سنةٍ يعني تدبيرَهُ وتفريقَ كلمتِهِم[1].

وقالَ بعضُ الحكماءِ: لا تستكفِ إلا الكفاةَ[2] النصحاءَ، ولا تستبطنْ إلا الثقاتِ الأمناءَ، وإذا استكفيتَهم شغلاً أو وليتَهم أمراً، فأحسنْ الثقةَ بهمْ وأكِّدْ الحجةَ عليهمْ، فإذا رأيتَ منهم غدراً وتبينتَ منهم عجزاً، فاستبدلْ بهم واستوفِ ما لَكَ عليهمْ ولا تقلدْ منهمْ أحداً ولا تعتمدْ عليهمْ أبداً فمنْ عارضَ مع الاستقلالِ والأمانةِ قمعَ[3] كفاتِهِ وعماله ومنْ قلَّدَ مع العجزِ والخيانة ضيعَ أعمالَهُ ومالَهُ[4].

---

(١) الاخبار الطوال، ص ٣٢. نهاية الأرب، ج ١٥ ص ٢٤١. الكامل في التاريخ، م ١ ص ١٦٥.

(٢) الكفاة: من يحصل بهم الاستغناء عن غيرهم/ المصباح المنير.

(٣) في كتاب الأمثال، للثعالبي، قبض.

(٤) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٦٥. لباب الآداب، ص ٦٣. وهذه الصفات هي بعينها =

ومنْ كتابِ المبهجِ : إذا تصفَّحَ الملكُ وجوهَ عمـالِهِ وفحصَ عن الأصلحِ لأعمالِهِ فلا يقعنَّ ق/١١ اختيارُهُ إلا على مَنْ سبقَ لـه اختبارُهُ ولا يتوجَهَنَّ اعتمادُهُ إلا إلى مَنْ تقدَم اجتهادُهُ ولا يكونَنَّ من ثقاتِهِ إلا من يتقي اللـهَ حقَ تقاتِهِ[١].

وقالَ أيضاً: خيرُ العمالِ من كفىَ وكفَ وعفىَ وعفَ وشرُهُم من حذقَ وسرقَ[٢]. وقال (شرُ)[٣] العمالِ من تعدَ السعايةَ من مساعِيهِ[٤]. وقال: شرُ العمالِ من إذا ولىَ ثارَ وجارَ وإذا عُزِلَ حارَ وخارَ[٥].

ووقعَ جعفرُ بنُ يحي بنِ خالدِ[٦] إلى بعضِ عمالِهِ قد كَثُرَ شاكوكَ وقلَ

= التي ذكرها العلماء فيما يجب على الإمام القيام به، فقد ورد في كتاب العقد الفريد، للملك السعيد، (استخدام الكفاة والأمناء واستعمال النصحاء والأقوياء، لتكـون الأحوال بكفائتهم وقوتهم ملحوظة مضبوطة وبأمانتهم ونصحهم محفوظة). انظر: العقد الفريد للملك السعيد، ص ١٤٣. وهو عين ما ذكره الماوردي، ص ١٧، في الأحكام السلطانية.

(١) المبهج ــ الباب الحادي عشر، ورقة ٨.

(٢) المبهج ــ الباب الثالث عشر، ورقة ٩. وفيه وشره من خرق وسرق.

(٣) في (ب، ج): خير.

(٤) المبهج ــ الباب الثالث عشر، ورقة ٩.

(٥) المبهج ــ الباب الثالث عشر، ورقة ٩. وفيه وإذا عزل خار وحار.

(٦) هو أبو الفضل جعفر بن يحي بن خالد بن برمك، وزير هارون الرشيد، كان من علو القدر ونفاذ الأمر عند الرشيد بحالة انفرد بها ولم يشارك فيها، وكان من الأجواد المشهورين، تفقه على القاضي أبي يوسف، فلأجل ذلك كانت توقيعاته على منهج الفقه، ولاه الرشيد الشام، واستوزره، ثم تغير له وقتله بسبب أمور انضم بعضها إلى بعض سنة ١٨٧هـ. وفيات الأعيان، م ١ ص ٣٤٨. شـذرات الـذهب، ج ١ ص ٣١١. النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ١٨٧. البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٩٤.

شاكروكَ فإما اعتدلتَ وإلا اعتزلتَ[1]. وقال يحي بنُ خالدٍ[2]: ثلاثةٌ تدل على عقولِ أصحابِها الرسولُ، والكتابُ، والهديةُ[3].

وقالَ الشاعرُ:

تخيَّرْ إذا ما كنتَ مرسلاً ... فمبلغُ آراءِ الرجالِ رسولُها

ورجِعْ وفكرْ في الكتابِ فإنما ... بأطرافِ أقلامِ الرجالِ عقولُها[4]

وقالَ (صالحُ بنُ عبدِ القدوسِ)[5]:

إذا كنتَ في حاجةٍ مرسلاً ... فارسلْ حكيماً ولا توصِهِ

(وإنْ بابَ أمرٌ عليك التوى ... فشاورْ حليماً ولا تعصِهِ)[6]

(١) العقد الفريد، ج ٤ ص ٢٧٠. التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٦. خاص الخاص، ص ٨٨. الكامل في اللغة، ج ١ ص ١٧٦. وفيات الأعيان، م ١ ص ٣٢٩. وفي جميع هذه المصادر فإما اعتدلت وإما اعتزلت.

(٢) تقدمت ترجمته، ص ١٤٠.

(٣) عيون الاخبار، م ١ ج ٣ ص ٢٨١. العقد الفريد، ج ٢ ص ٩٨. سراج الملوك، ص ١٧٤. المحاسن والمساوى، ج ١ ص ٢٥٦.

(٤) معجم الأدباء، ج ١٤ ص ١٧٤. ونسبها إلى علي بن محمد التنوخي، مجمع الحكم والأمثال، ص ١٩٢.

(٥) في (ب ـ ج): وقال آخر وصالح بن عبد القدوس: هو أبو الفضل صالح بن عبد القدوس حكيم الشعر اتهمه المهدي بالزندقة، فأمر بحمله إليه فلما خاطبه أعجب بغزارة علمه وحسن بيانه ثم قال له ألست القائل والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه، ثم أمر به فقتل. وفيات الأعيان، م ٢ ص ٤٩٢.

(٦) طبقات فحول الشعراء، ج ١ ص ٢٤٦. ديوان الحماسة ونسبها لعبد الله بن معاوية. تحفة الوزراء، ص ٩٠. المحاسن والمساوي، ج ١ ص ٢٥٦. والبيت الأخير، ساقط من النسخة (ج).

بابٌ في ذِكرِ الولايةِ والعملِ وما يتصلُ بهما من المدحِ والذمِ وذكرِ ما يتعلقُ بهما من العزِ والذلِ في حالتي الولايةِ والعزلِ

مِنْ فصلِ الخوارزمي(١):

لا صغيرَ مع الولايةِ والعمالةِ، كما لا كبيرَ مع العطلةِ، والبطالة وإنما الولايةُ أنثى تصغُرُ وتكبرُ بواليها، ومطيةٌ تحسنُ وتقبحُ بممتطيها، والصدرُ لمنْ يليهِ، والدستُ(٢) لمن يجلسُ فيهِ(٣). وله أيضاً: ولايةُ المرءِ ثوبهُ فإن قصرَ عنه عرى عنه، وإن طالَ عليه عثرَ فيه(٤). وقالَ الفضلُ بنُ مروانَ(٥): مثلُ الكاتبِ

---

(١) الخوارزمي: هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الشاعر المشهور كان إماماً في اللغة والأنساب أقام بالشام مدة وسكن بنواحي حلب وكان مشاراً إليه في عصره، اتصل بالصاحب بن عباد توفي سنة ٣٨٣هـ/ شذرات الذهب، ج ٣ ص ١٠٥.

(٢) الدست من الثياب ما يلبسه الإنسان ويكفيه لتردده في حوائجه/المصباح المنير.

(٣) يتيمة الدهر، ج ٤ ص ١٩٩؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٥٨٨؛ غرر الخصائص للوطواط، ص ٤٤.

(٤) يتيمة الدهر، ج ٤ ص ١٩٨؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٥٨٨؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٤١.

(٥) هو أبو العباس الفضل بن مروان وزير المعتصم والذي أخذ البيعة له ببغداد عندما كان المعتصم ببلاد الروم ففوض إليه الوزارة في رمضان سنة ٢١٨هـ وخلع عليه ورد أموره كلها إليه فغلب عليه لطول خدمته وكان نصراني الأصل له ديوان رسائل وكتاب المشاهدات والأخبار التي شاهدها توفي سنة ٢٥٠هـ/ وفيات الأعيان، م ٤ ص ٤٥؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٣٣٢؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ١٢٢.

كالدولابِ، إذا تعطَلَ تكسرَ[1]. وقالَ غيرُهُ: غبارُ العملِ خيرٌ من زعفرانِ العطلِ[2].

وقالَ المهلبيُ[3]: التصرفُ أسنى وأعلى والبطالةُ أعفَى وأصفَى[4].

وقالَ الشاعرُ:

مـا أطْـيَـبَ الأمـرَ ولـو أنّـه على رذَايَـا[5] نَعَمٍ في مـراحْ[6]

وقيلَ: منْ عمل عَملاً فتاهَ فيه أخبر أن قدرَهُ دونَه ومن تواضَعَ فيهِ دَلَّ على أنَّ قدرَهُ فَوْقَه[7].

وقالَ: سكرُ السلطانُ أشدُّ من سكرِ الشرابِ[8].

وقال بعضُهُم من ولاةُ السلطانُ، صبغَه الشيطانُ[9]. وهذا المعنى أراد بعضهم.

---

(١) تحفة الوزراء، ص ١٢٠ ــ ١٢١؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ١٢٢؛ وفيات الأعيان، م ٤ ص ٦٨.

(٢) زهر الآداب، ج ٢ ص ٨٢٥؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٧.

(٣) هو أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون الأزدي، المهلبي الوزير. كان من ارتفاع القدر وعلو الهمة على ما هو مشهور عنه ولد سنة ٢٩١هـ بالبصرة وتولى وزارة معز الدولة أحمد بن بويه الديلمي سنة ٣٣٩هـ وتوفي سنة ٣٥٢هـ/ وفيات الأعيان، م ٢ ص ١٢٤؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ٩؛ يتيمة الدهر، ج ٢ ص ٢٢٣.

(٤) يتيمة الدهر، ج ٢ ص ٢٣٥ وفيها والتسيم أعفى وأصفى؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٨٢٥.

(٥) رذايا: جميع رذية، وهي الهزيلة من الإبل، التي لا تستطيع براحاً ولا تنبعث/ القاموس المحيط.

(٦) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٤.

(٧) زهر الآداب، ج ٢ ص ٨٢٦، ونسب هذا القول لابن المعتز مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٩.

(٨) شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ١٥٦؛ بهجة المجالس، ق/ص ص ٣٥٣؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٣٠. عهد أردشير تحقيق إحسان عباس، ص ٤٩.

(٩) ربيع الأبرار، ج ١ ص ٣٨٧؛ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٧٤.

قد كنتَ أكرَمَ صاحبٍ وأبرَّه ... حَتّى دهتْك أصابِعُ الشّيطانِ
جـذُّ الإلـهُ بنَانَهـا وأبانَهـا ... كم غَيّرتْ خَلقاً من الإنْسانِ[1]

(وقالَ بعضُهم)[2]: أرضَ من أخيكَ إذا ولِيَ ولايةً بعشرِ ودِه قبلَها[3].

وقالَ (الشاعرُ)[4]:

وكـلُّ ولايـةٍ لا بـدّ يـومـاً ... مغيِّرةُ الصديقِ على الصديقِ[5]

وقال زيادُ بنُ الأعجمِ[6]:

فتًى زادَهُ السّلطَانُ في الحمدِ رغبةً ... إذا غيَّر السلطانُ كلَّ خليلِ[7]

وللفرزدق[8] يمدحُ والياً:

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٧٤؛ ربيع الأبرار، ج ١ ص ٣٨٧.

(٢) زيادة من (ب ـ ج).

(٣) زهر الآداب، ج ١ ص ٥٥، منسوب إلى زياد بن أبيه؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٣٢؛ شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٥٤٨ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٤) في (ج): وقال يزيد بن الحكم.

(٥) الصداقة والصديق للتوحيدي مع اختلاف في الشطرة الأولى إذ وردت فيه فكل إمارة إلا قليلاً. والبيت منسوب لأبي رشيد الطائي/ التمثيل والمحاضرة، ص ١٥١ والمعنى أن الولاية والحكم يغيران الصديق على صديقه فينقلب المتواضع صلفاً متكبراً والودود جافياً وهيهات أن يبقى الصديق على ما كان عليه إذا انتهت إليه الولاية إلا من رحم ربك.

(٦) هو أبو يمامة مولى عبدقيس لقب بالأعجم لعجمة كانت في لسانه، أدرك أبا موسى الأشعري وعثمان بن أبي العاص وشهد معهما فتح اسطخر وحدث عنهما عده ابن سلام من الطبقة السابعة من شعراء الإسلام. كانت وفاته بحدود ١٠٠هـ/ شذرات الذهب، ج ١ ص ١٢٣؛ فوات الوفيات، ج ٢ ص ٢٩.

(٧) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥١؛ البيان والتبيين، ج ١ ص ٥٢؛ حماسة أبو تمام، ج ٢ ص ٣٦٦ ونسبه إلى حبيب بن عوف. والمعنى أنه رجل كريم الأخلاق حسن الشمائل لم يبطره الغنى ولا أطغاه السلطان والإمارة.

(٨) هو أبو فراس همام بن غالب الشاعر المعروف بالفرزدق، كان أبوه غالب من جلة قومه وسراتهم وجده لأمه الأقرع بن حابس وفد الفرزدق مع أبيه على علي بن أبي طالب، =

قلْ لنصْرٍ والناسُ في زمنِ السلطا　　نِ أعمى ما دامَ يُدعى أميرًا
فإنْ زالتِ الولايةُ عنهُ　　واستوَى بالرِّجالِ عادَ بصيرا[1]

وقالَ آخرُ:

إذا عُزل المرءُ واصْلتُهُ　　وعند الولايةِ استكبرُ
لأنَّ المُولَّى له نخوةٌ　　ونفسي على الذّلِّ لا تصبرُ[2]

وقال آخر:

يا مَنْ تولَّى فأبْدَى　　لنا الجَفا وتبدُّلْ
أليس منكَ سمْعنَا　　مَن لم يمتْ فسيُعزلْ[3]

وقيلَ: الولايةُ حلوةُ الرضاعِ مرةُ الفطامِ[4]. وقالَ آخرُ: ذلُ العزلِ

= كرم الله وجهه، فقال لأبيه علمه القرآن فهو خير له من الشعر وكان يقال الفرزدق أشعر الناس عامة، وجرير أشعر الناس خاصة. توفي بالبصرة سنة ١١٠هـ قبل جرير بأربعين يوماً/ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٦٨ ــ ٢٦٩؛ وفيات الأعيان، م ٦ ص ٨٦؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ١٤١؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ٢٦٥.

(١) ديوان الفرزدق، ص ٩٢؛ نهاية الأرب، ج ٣ ص ٧٥؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٧٠؛ بهجة المجالس، ق/١ ص ٣٤٣؛ شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٤٧٦. وكأن هذا القول مأخوذ من معنى قول الإمام علي، كرم الله وجهه، الولايات مضامير الرجال. أي أن الرجال تعرف بالولايات فمنهم من تظهر منه أخلاق حميدة ومنهم تظهر منه أخلاق ذميمة.

(٢) زهر الآداب، ج ٢ ص ٨٢٦؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٠ ونسبه صاحب زهر الآداب إلى منصور الفقيه.

(٣) زهر الآداب، ج ٢ ص ٨٢٦؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٠ وهما منسوبان إلى منصور الفقيه.

(٤) المحاسن والمساوي، ج ١ ص ٢٧٦؛ أدب الدنيا والدين، ص ٢٣٨؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٨٢٥، وهذا القول مأخوذ من قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه النسائي في سننه، ج ٧ ص ١٦٢. عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إنكم ستحرصون على الإمارة وأنها ستكون ندامة وحسرة فنعمت المرضعة =

يضحكُ من تيهِ الولايةِ[1]. قالَ:

سُكْرُ الولايةِ طيبٌ ... وخمارُها صفعٌ شديدُ
كم تائهٍ بولايةٍ ... وبعَزْلِهِ ركضَ البَريدُ[2]

(وقال)[3]:

العَزْلُ للكتابِ حيضٌ ... لحاهُ اللَّه من حَيْضٍ بَغيضِ
فإنْ يكُ هكذا فأَبُو عَليٍّ ... من اللائي يَئِسْنَ من المحيضِ[4]

ولابنِ بسامٍ[5] في بعضِ الولاةِ:

سنصبرُ ان تجلتْ /ق١٢ كما صبرنَا ... لغيرِك من أميرٍ أو وزيرِ
رجوناهم فلما أخلفونا ... وفتنا فيهم نوب الدهورِ
فبتنا بالسلامةِ وهي حظٌ ... وباتوا في القيودِ أو القبورِ
فلما لم نرى منهم سروراً ... رأينا فيهم كلَ السرورِ[6]

= وبئست الفاطمة» لأنه مأثور من قول عمار بن ياسر عندما عزل عن ولاية واشتد ذلك عليه.

(١) أدب الدنيا والدين، ص ٢٣٨؛ الآداب لابن المعتز، ص ٨٣؛ ربيع الأبرار، ج ١ ص ٥٨٧. لأن من تكبر في ولايته مقته الناس، وأذلوه بعد عزله.

(٢) زهر الآداب، ج ٢ ص ٨٢٦، وفيه البيت الثاني قبل البيت الأول. ديوان ابن المعتز، ص ١٧٥.

(٣) في (ب ــ ج) وقال آخر.

(٤) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٠؛ وفيات الأعيان، م ٥ ص ١١٦؛ الوافي بالوفيات، ج ٤ ص ١١٠، وقيلت في الوزير ابن مقلة.

(٥) ابن بسام: هو علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام، أبو الحسن الشاعر المشهور إلا أن غالب شعره كان في الهجاء، فلم يسلم منه أمير ولا وزير حتى هجا أهل بيته. تولى البريد في أيام عبدالله بن سليمان بن وهب توفي سنة ٣٠٢هـ وله كتاب أخبار عمر بن أبي ربيعة ومتناقضات الشعراء/ وفيات الأعيان، م ٣ ص ٣٦٣؛ النجوم الزاهرة، ج ٣ ص ١٨٩؛ فوات الوفيات، ج ٣ ص ٩٢.

(٦) المستطرف، ج ١ ص ٩٣؛ خاص الخاص، ص ١٣٦ وذكر البيت الأول والأخير =

وللبستي[1]:

عـذلـونـي عـن وزارةِ بُـسـتٍ ورأوْهـا من أرفـعِ الـدّرجـاتِ
قـلتُ لا أشتـهـي وزارةَ بـسـتٍ إنّني لم أمَـلَّ بعـد حيـاتي[2]

وله أيضاً:

وزارةُ الـحـضـرة الـكـبـيـرهْ خـطيئـةٌ لا بـل هي الكبيـرةُ
فـلا تُـردهـا ولا تـردَهـا فـإنّـهـا مـهـنـةٌ مـبـيـرةُ[3]

(ولسليمان)[4] بن مهاجر[5]:

إنَّ الـوزيـرَ وزيـرَ آل مـحمـدٍ أوْدى بمن يشنـاك كـانَ وزيـرًا[6]

وللحريري[7]:

لَجَوْبُ البِلادِ مَـعَ المتربَة[8] أَحَـبُّ إلـيَّ مِـنَ الـمَـرتَـبَـه
لأنَّ الـوُلاةَ لَـهُـمْ نَـبْـوَةٌ ومَـعْـتَـبَـةٌ يـا لَـهـا مَـعْـتَـبَـه

= الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، قسم/١، م ٢ ص ٨٨٥؛ التمثيل والمحاضرة وذكر البيت الأخير.

(١) البستي: هو أبو الفتح علي بن محمد الكاتب البستي. شاعر عصره ولد ببست قرب سجستان وإليها نسب توفي سنة ٤٠٠هـ وقيل سنة ٤٠١هـ ببخارى/ وفيات الأعيان، م ٣ ص ٣٧٦؛ يتيمة الدهر، ج ٤ ص ٣٠٢؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٣٤٥.

(٢) التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٤.

(٣) المتشابه للثعالبي، ص ٥٢٨؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٤.

(٤) زيادة من (ب ـ ج).

(٥) هو سليمان بن المهاجر البجلي، لم أعثر له على ترجمة فيما لدي من المراجع.

(٦) وفيات الأعيان، م ٢ ص ١٩٦، وفيه قيل هذا البيت في أبي سلمة الخلال وزير السفاح؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٥٥٤؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٤.

(٧) الحريري: تقدمت ترجمته ص ١٢٤.

(٨) المتربة: الفقر والفاقة/ مختار الصحاح.

فَمَا فِيهِمْ مَنْ يَربُّ الصَّنِيعَ وَلَا مَنْ يُشَيِّدُ مَا رَتَّبَه
فَلَا يَخْدَعَنْكَ لُمُوعُ السَّرَابِ وَلَا تَأْتِ أَمْراً إِذَا مَا اشْتَبَه
فَكَمْ حَالِمٍ سَرَّهُ حُلْمُهُ وَأَدْرَكَهُ الرَّوْعُ لَمَّا انْتَبَه[1]

وقالَ أردشيرُ[2]: إذا ساوى الوزيرُ الملكَ في المالِ والهيبةِ والطاعةِ من الناسِ فليصْرعهُ وإلا فليعلمْ أنه المصروعُ[3]. وقيلَ أنه لم يزلْ الرشيد مروياً في أمورِ البرامكة حتى وقفَ عليه فصممَ.

---

(١) مقامات الحريري والأبيات وردت في آخر المقامة السادسة المراغية، ص ٣٧.

(٢) اردشير: تقدمت ترجمته ص ١٢١.

(٣) عيون الأخبار، م ١ ص ٤٥. لقد حدد الإسلام الشروط الواجب توافرها فيمن يتولى الوزارة، سواء في ذلك وزارة التنفيذ أو وزارة التفويض كما وحدد اختصاصات كل منهم وأوجب عليهم أن لا يفتاتوا على السلطان ولا يقصروا فيما أوجب الله له. كما وأن عليهم أن تكون أمورهم واضحة وأن يطلعوا السلطان عليها، وعلى السلطان مراجعة أعمال الوزير ليقر ما وافق الحق وينقض ويستدرك ما رآه على خلاف ذلك. أما إذا كان الوزير يسعى إلى مجد شخصي وإيجاد مراكز قوى حتى إذا اشتد جناحه ناهض السلطان ونازعه فهو يريد أن يفرق أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقد أهدر الإسلام عندها دمه لما روى مسلم في صحيحه (... فمن أراد أن يفرق هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان) وإذا ما قام بما أوجب الله عليه من رعاية حق الله وحق إمامه ومصلحة المسلمين فله من إمام المسلمين الرعاية ومن الأمة الإعزاز ومن الله الأجر والثواب.

بـــابٌ
في مصاحبةِ الملوكِ ومخالطتِهم وكيفيةِ التحرزِ منهم في حالِ مجالستِهم لهم ومباسطتِهم

يجبُ أولاً على الملوكِ أن يختاروا لمجالستِهم، مَنْ جَمَعَ الرأيَ والعقلَ (وجودة)[1] الأدبِ والفضلِ، واتصفَ بمكارمِ الأخلاقِ، وطيبِ الأعراقِ[2].

قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مثلُ الجليسِ الصالحِ كالدارِي إنْ لمْ يحذيكَ من عطرِه، عَلَقَكَ من ريحِهِ، ومثلُ جليسِ السوءِ، ككيرِ الحدادِ إن لم يحرقْكَ بنارِهِ، عَلَقَكَ من دخانِهِ»[3]. (قلتُ الدارِي: العطارُ، ويحذيكَ: أي يعطيكَ ويهبُ لكَ)[4].

وقال بعضُ الحكماءِ: مجالسةُ أهلِ الديانةِ تجلي القلوبَ، وتصدي الذنوبَ، ومجالسةُ ذوي المروءات تدلُّ على مكارمِ الأخلاقِ[5].

---

(١) في (ب، ج، د): وحوى.

(٢) الأعراق: الأصل والمنبت. والجمع: عروق وأعراق. القاموس المحيط.

(٣) صحيح مسلم، ج ٨ ص ٣٨ باختلاف في بعض الألفاظ؛ سنن أبي داود، ج ٤ ص ٢٥٩، وفي الحديث دليل على الرغبة في صحبة الصلحاء والعلماء ومجالستهم، فإنها تنفع في الدنيا والآخرة، وإلى الاجتناب عن صحبة الأشرار والفساق فإنها تضر ديناً ودنيا؛ عون المعبود، شرح سنن أبي داود، ج ١٣ ص ١٧٨.

(٤) زيادة من (ب ـ ج).

(٥) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ٣٣٤.

وقيلَ: من ضيعَ عاقلاً دلَّ على ضعفِ عقلِهِ، ومن اصطنَع جاهلاً أعربَ عن فرط جهلِهِ[1].

قال الشاعر:

عنِ المرءِ لا تَسَلْ وسلْ عن قرينِهِ ... فكـلُّ قرينٍ بـالمُقـارنِ يَقْتَـدِي[2]

وقال آخر:

قـارنْ إذا ما قـارنتَ حراً فـإنمـا ... يـزينُ ويـزرى بـالفتى قـرنـاؤُهُ[3]

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «المرءُ على دينِ خليلِهِ، فلينظرْ أحدُكُمْ مَنْ يخالِلْ»[4].

ومن كتاب المبهجِ: لا يتخذُ الملكُ الأعوانَ، إلا أعيانَ، والأخلاءَ إلا أجلاءَ والندماءَ إلا كرماءَ[5]. ويجبُ على من يجالسُ ملكاً، ملازمةُ الأدبِ في جميعِ أحوالِهِ وأن لا يغترَّ بإدناءِ الملكِ له وإقبالِهِ. وقال بزرجمهرُ[6]: مَنْ

---

(١) سلوك المالك في تدبير الممالك، ص ١٤٧؛ كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٥٤.

(٢) العقد الفريد، ج ٢ ص ٢٠٤ وفيه: عن المرء لا تسأل وأبصـر قرينـه؛ الصداقـة والصديق، ص ٨٥؛ نهاية الارب، ج ٣ ص ٦٥؛ بهجة المجالس ق/١، ص ٧٤٩؛ ديوان الحماسة، للبحتري، ص ٢١١، والبيت منسوب في هذه المصادر لعدي بن زيد.

(٣) الموشى، أو الظرف والظرفاء، ص ٢٤ ونسبه إلى يحيى بن أكثم؛ ديوان طرفة بن لعبد، ص ١٣٨؛ تهـذيب تاريـخ ابن عسـاكـر، ج ٦ ص ٣٧٨ ونسبـه إلى صـالـح بن عبدالقدوس.

(٤) سنن أبـي داود، ج ٤ ص ٢٥٩؛ المستدرك، ج ٤ ص ١٧١ وقال [illegible] صحيح؛ سنن الترمذي، ج ٤ ص ١٧، وقال حديث حسن غريب ومعناه والله أعلم، أن المرء يعتاد ما يراه من أعمال صحبه، فلهذا أمر أن لا يصحب إلا من يرى منه ما يحل ويجمل فمن رضي دينه وخلقه خالله؛ عون المعبود شرح سنن أبـي داود، ج ١٣ ص ١٧٩.

(٥) نهاية الارب، ج ٦ ص ٣٢؛ المبهج، الباب ١١ ورقة ٩.

(٦) هو بزرجمهر بن البخت. كان وزير ابرويز والغالب عليه والمدبر لأمره وهو معدود من حكماء الفرس، ثم اتهم بالزندقة وحبس، ثم أمر به وقتل وعندها تغيرت الأمور على ابرويز، واختلط عليه ملكه، ولبزرجمهر في أيدي الناس حكم ومواعظ وكلام كثير في الزهد وغيره. مروج الذهب، ج ١ ص ٢٠٨ ــ ٢٠٩.

جالسَ الملوكَ بغيرِ أدبٍ، فقد خاطَر بنفسهِ[١]. وقال الفضلُ بنُ الربيع[٢]: مساءلةُ الملوكِ عن أحوالِهم، تحيُه النوكى[٣] أو الحمقاء. وقال غيرُه: الأمراءُ لا ينصتون[٤]. وقال آخرُ: لا تسلم على الملكِ فإنه إن أجابك شق عليه وإن لم يجبك شق عليك[٥].

وقال بعضُ الحكماءِ البلغاءِ: إذا جلستَ على موائدِ الملوكِ، فصم عن الكلام، ولا تشره إلى الطعام، وإذا حدثك الملكُ فاستمعْ إليه، وأقْبِل بوجهك عليه، ولا تُعْرِض عن قوله، ولا تعارِضْه بمثله[٦]. وقال ق/١٣: إذا جعلك الملكُ من خاصته وأهلكَ لمعاشرتِهِ، فلا تؤمنُ على دعوتِهِ، ولا تشمته على عطسته، ولا تسألْهُ عن حالِهِ، ولا تعزه على ميتِهِ، ولا تلقَهُ بالسلامِ،

(١) نهاية الارب، ج ٦ ص ١٣؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٢.
(٢) هو أبو العباس الفضل بن الربيع بن يونس. تولى وزارة الرشيد، وكانت نكبة البرامكة على يديه وبسعايته، مات الرشيد وهو على الوزارة، وهو الذي قام بأعباء خلافة الأمين، فلما قتل الأمين اختفى، ثم أمنه المأمون ولم يزل خاملاً حتى مات سنة ٢٠٨ وله من العمر ٦٨ سنة. شذرات الذهب، ج ٢ ص ٢٠؛ وفيات الأعيان، م ٤ ص ٣٧؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٦٣.
(٣) عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٢٢؛ نهاية الارب، ج ٦ ص ١٥؛ العقد الفريد، ج ٢ ص ٢٦٠.
(٤) التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٣، وفيه: الأمراء لا يشتمون.
(٥) نهاية الارب، ج ٦ ص ١٥؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٣. وهذا القول خلاف ما جرى عليه عمل أهل الإسلام، في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده الذين يرعون للدين حرمته، وللسنّة وقارها. وممن نص على وجوب السلام، على السلطان وانتقد تركه، ابن الأزرق فقال: (الواقع في المجلس السلطاني عوائد معروفة، العادة الأولى: السلام عليه عند الوصل إليه والسني منها ما هو معلوم من تحية الإسلام وما وراء ذلك فيما يخفى ما فيه). بدائع السلك، ج ١ ص ٣٥٥.
(٦) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٢٧.

ولا (تعالجه)[1] بالكلام، ولا تزاحمْه بالتدبير، ولا تعاتبْه في التقصير، ولا تعرضْ عنه إذا أخبرَ ولا تكثرْ عليه إذا استخبرَ، ولا تصلْ حديثاً بحديثٍ، ولا تعارضْ أحداً في الحديثِ، ولتكن ألفاظُك شهيةً لا تملُّ، ومعانيك صحيحةً لا تختلُّ[2].

وقالَ الرشيدُ[3] لاسماعيل بنِ صبيحٍ[4]: إياكَ والدالة فإنها تفسدُ الحرمة ومنها أتى البرامكةُ[5]، قال المتنبي[6]:

---

(١) في (ب، ج): تفاتحه.

(٢) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٢٧ ــ ٢٨ لما كان الحق أحق أن يتبع والسنة الصحيحة أولى أن يعتد بها، فإنني أرى أن بعض هذه الآداب عرفية عجمية، فتشميت العاطس سنّة للسلطان وغيره، والتعزية سنّة صحيحة، واللقاء بالسلام شعار أهل الإسلام، فكيف لا يسلم على السلطان ولا يعزيه، والمأثور غير ذلك هذا ومع معرفتنا ما للسلطان من حق الطاعة، والإعظام إلا أنه يجب أن لا ينتهي الأمر إلى مصادمة الشريعة. هذا ولقد عقد أئمتنا، فصولاً شرعية في آداب مجلس السلطان لم يحرموا فيها الحلال كابن الأزرق (الركن الخامس عشر في تنظيم المجلس وعوائده)، والماوردي في الآداب السلطانية (أدب العالم مع السلطان) فليرجع إليها هناك.

(٣) ستأتي ترجمته في القسم الثاني بعون الله.

(٤) هو اسماعيل بن صبيح الكاتب، ولاه المهدي زمام ديوان الخراج سنة ١٦٨هـ فجعله المأمون ومعه علي بن صالح على ديوان التوقيعات. خلاصة الذهب المسبوك، ص ١٧٤.

(٥) سراج الملوك، ص ١٠٥؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٢١٤؛ الإعجاز والإيجاز، ص ٨٠.

(٦) هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد الجعفي المعروف بالمتنبي. حامل لواء الشعر في عصره، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ وأكثر المقام بالبادية طلباً للأدب، ففاق أهل زمانه، مدح الملوك ولزم جناب سيف الدولة بن حمدان، ثم رحل إلى مصر وامتدح الأخشيد ثم هجاه، وهرب منه. لقب بالمتنبي لأنه كان قد ادعى أنه علوي، ثم ادعى أنه نبي يوحى إليه، ولكن المتنبي كان ينكر ذلك ويجحده ويتنصل منه، قتل سنة ٣٥٤هـ. وفيات الأعيان، م ١ ص ١٢٠ ــ ١٢٥؛ شذرات الذهب، ج ٣ ص ١٣ ــ ١٥؛ النجوم الزاهرة، ج ٣ ص ٣٤٠.

(وَكَـمْ ذَنْـبٍ مُـوَلِّـدُهُ دَلَالٌ   وَكَمْ بُعْـدٍ مُـوَلِّـدُهُ اقْتِرابُ[1])[2]

وقال أبو الفتحِ البستي[3]: أجهلُ الناسِ مَن كان على السلطانِ مدلاً وللإخوان مذلاً[4]. ومن كتاب كليلة ودمنة[5]: موصلُ الدالةِ[6] على السلطانِ كالعابثِ بالأسدِ والمستأنسِ بالنمرِ. وقال ابنُ المقفعِ[7]: من خدمَ الملوكَ فعليهِ بالملازمةِ من غيرِ المعاتبةِ[8].

ومن كتاب المبهج: لا تستقبلْ سخطَ الملكِ عليكَ بمعارضتِهِ ومناقضتِهِ

---

(١) ديوان المتنبي بشرح البرقوقي، م ١ ص ٢١٠، والمعنى قد يتولد الذنب من الدلال فيأتي المدل بالذنب يظنه دلالاً وقد يكون البعد سببه القرب، أي أنهم أدلوا عليك لفرط إحسانك إليهم فأتوا في ذلك بما صار ذنباً وجناية منهم.

(٢) زيادة من (ب ــ ج).

(٣) أبو الفتح البستي، تقدمت ترجمته، ص ١٤٩.

(٤) نهاية الارب، ج ٦ ص ١٥؛ يتيمة الدهر، ج ٤ ص ٣٠٥؛ خاص الخاص، ص ١٢.

(٥) كليلة ودمنة، كتاب وضعه بيدبا الفيلسوف الهندي على ألسنة البهائم والطير من مجموعة من القصص تدور حول ما يجب أن يجري عليه الحكام في حكمهم وسياسة دولهم. وسمي الكتاب باسم أخوين من بنات آوى وهما كليلة ودمنة، وأخبارهما في بابين من أبواب الكتاب هما باب الأسد والثور، وباب الفحص عن أمر دمنة. وقد ترجم هذا الكتاب عبدالله بن المقفع واقتبس منه كثيراً.

(٦) الدالة: دل المرأة ودلالها: تدللها على زوجها، تريه جراءة عليه كأنها تخالفه وما بها خلاف. والدالة: ما تدل به على حميمك. وأدل عليه: انبسط فأفرط. القاموس المحيط.

(٧) ابن المقفع: هو عبدالله بن المقفع، الكاتب الفارسي الأصل، أسلم على يد عيسى بن علي، عم السفاح والمنصور، كان متهمًا بالزندقة وهو الذي ترجم كتاب دليلة ودمنة عن اللغة الفهلوية ــ الفارسية القديمة ــ إلى اللغة العربية، وله كتاب الأدب الكبير، والأدب الصغير، قتل على يد سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب والي البصرة بأمر من المنصور سنة ١٤٥. البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٩٦؛ الفهرست، ص ١١٨.

(٨) نهاية الارب، ج ٥ ص ١٣؛ عيون الأخبار، م ١ ص ٢٠؛ الأدب الكبير، ص ٣٥.

ولا تستجلبْ رضاهُ بمحاجتِهِ وملاحاتِهِ[1] لكن بالتزامِ الجناحِ وركوبِ الصعبِ والذلولِ في التماسِ عفوهِ وتجشمِ الحرونِ[2] والسهولِ بالاستعاذةِ منْ سطوتِهِ، ثم إياكَ والتهكمَ في التحكمِ على الملوكِ[3]. وقيلَ: اعتذر رجلٌ إلى عبيدِاللهِ[4] وزيرِ المهدي بعذرٍ غيرِ سديدٍ، فقالَ: ما رأيتُ عذراً أشبهَ باستئنافِ ذنبٍ منْ هذا[5].

وقالَ آخرُ: في مثلِهِ عذرُكَ هذا يحتاجُ إلى معذرة. وقال أبو بكرٍ الطبريُّ[6] لتلميذٍ لهُ اعتذَر إليه بعذرٍ فاسدٍ: عُذرك هذا عَذْرَةٌ لا معذرةٌ[7]. وقالَ الصاحبُ بنُ عبادٍ[8]: رضى السلطانِ لا يغلوْ بشيءٍ من الأثمانِ، ولو ببذلِ الروحِ والجنانِ[9].

---

(١) ألح في السؤال: ألحف. والملاحاة: المرادة بالكلام والطلب بالعنف.

(٢) حرنت الدابة فهي حرون، أي لا تنقاد وإذا اشتد به الجري وقف. القاموس المحيط.

(٣) المبهج، الباب ١٢ ورقة ٩.

(٤) الصواب هو أبو عبيدالله. واسمه معاوية بن يسار، كان أوحد الناس علمًا وخبرة، كتب للمهدي قبل الخلافة فلما تولى المهدي إمرة المؤمنين فوض إليه تدبير المملكة فاخترع أموراً منها نقل الخراج إلى المقاسمة وصنف كتاباً في الخراج، ومات أبو عبيدالله معاوية بن يسار في سنة ١٧٠هـ. الفخري، ص ١٨٢؛ وفيات الأعيان، م ٧ ص ٢٦.

(٥) الوزراء والكتاب، ص ١٤٢؛ ربيع الأبرار، ج ١ ص ٧٣٦ ــ ٧٣٧.

(٦) أبو بكر الطبري لم أعثر له على ترجمة فيما لدي من المراجع.

(٧) العذرة: الغائط، وتطلق على فناء الدار أيضاً. والمعذرة والعذرى بمعنى العذر. واعتذر إلى: طلب قبول معذرته. واعتذر عن فعله: أظهر عذره. والمعتذر يكون محقاً وغير محق.

(٨) هو أبو القاسم: الصاحب اسماعيل بن عباد الوزير المشهور بكافي الكفاة من الطالقاني أصلاً، كان يعد نادرة دهره وأعجوبة عصره في فضائله ومكارمه. قال فيه أبو بكر الخوارزمي: (الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها ودب ودرج من وكرها، ورضع أفاويق درها، كان يصحب ابن العميد ومن هنا لقب بالصاحب. توفي سنة ٣٨٥هـ. شذرات الذهب، ج ٣ ص ١١٣ ــ ١١٤؛ وفيات الأعيان، م ١ ص ٢٢٨؛ النجوم الزاهرة، ج ٤ ص ١٧١.

(٩) زهر الآداب، ج ٢ ص ٥٨٨ وفيه: مرضاة السلطان؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٤١.

وقالَ المأمونُ(١): الملوكُ تحتملُ كلَّ شيءٍ إلا ثلاثاً: الطعنُ في الملكِ، وإفشاءِ السرِّ، والتعرضِ للحرمِ(٢). وقال العباسُ(٣) لابنِهِ عبدِاللهِ(٤) رضي اللهُ عنهما، وقدْ كانَ يختصُّ بعمرَ(٥): يا بنيَّ إني أرى هذا الرجلَ يدنيكَ وإني موصيكَ بخلالٍ لا تفشينَّ له سراً ولا تخوننَّ له عهداً ولا تغتابنَّ عنده أحداً ولا تطوي عنه نصيحةً(٦).

وقال ابنُ المعتزِّ(٧): إذا زادَكَ الملكُ تأنيساً فَزِدْهُ إجلالاً(٨).

وقالَ الشاعرُ:

---

(١) المأمون، ترد ترجمته في القسم الثاني عند الكلام على خلافته.

(٢) بهجة المجالس، ق/١ ص ٣٤٧؛ العقد الفريد، ج ١ ص ٨؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٢١٤؛ نهاية الارب، ج ٦ ص ٨ ونسبه إلى المنصور؛ المحاسن والمساوىء، ج ٢ ص ٨٢ ونسبه للمنصور أيضاً، وقد يكون من كلام المنصور ولكنه اشتهر عن المأمون لكثرة استعماله له.

(٣) العباس: هو أبو الفضل العباس بن عبدالمطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم، شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة، وأكد له البيعة على الأنصار، أسلم عام الفتح، ويقال أنه أسلم قبل ذلك ولكنه أقام بمكة بإذن الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان الرسول يكرمه ويجله والخلفاء من بعده، توفي سنة ٣٢هـ وصلى عليه عثمان رضي الله عنه. شذرات الذهب، ج ١ ص ٣٨؛ المعارف، ص ٥٣؛ الطبقات الكبرى، ج ٤ ص ١ ـ ٢٢؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٨٩.

(٤) هو أبو العباس عبدالله بن عباس حبر الأمة، وترجمان القرآن وأبو الخلفاء العباسيين وتقدمت له ترجمة وافية ص ١٠٨.

(٥) تقدمت ترجمته ص ٩٩.

(٦) السنن الكبرى، م ٨ ص ١٦٧؛ سراج الملوك، ص ١٠٤؛ سير أعلام النبلاء، ج ٣ ص ٢٣٢؛ ربيع الأبرار، ج ١ ص ٤٩٦.

(٧) تقدمت ترجمته ص ٩٧.

(٨) آداب ابن المعتز، ص ١٢١؛ العقد الفريد، ج ١ ص ١٣؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٧٤.

إذا أدناكَ سلطانٌ فزِدْهُ　　من التعظيم واحذَرْهُ وراقِبْ
فما السلطانُ إلا البحرُ عُظْماً　　وقُرْبُ البحرِ مَحْذُورُ العواقِبِ[1]

وقال ابنُ عبادٍ:

إذا صحبتَ الملوكَ فالبس　　من (التحلي)[2] أجلَّ ملبس
وادخلْ إذا ما دخلتَ أعمى　　واخرج إذا ما خرجت أخرس[3]

وقيلَ: السلطانُ كالنارِ إن باعدْتَها بطلَ نفعُها وإن قاربتَها عظُم ضررُها[4]. وقالَ آخرُ: ليكنْ السلطانُ عندكَ كالنار لا تدنو منها إلا عند الحاجةِ فإن ابتليتَ فعلى حذرٍ[5].

وقالَ ابنُ المعتز: أشقى الناسِ بالسلطانِ صاحبُه كما أنَّ أقربَ الأشياءِ إلى النار أسرعُها احتراقاً[6]. وقيلَ: صاحبُ السلطانِ كراكبِ الأسدِ يهابُهُ الناسُ وهو لمركوبِهِ أهيبُ[7].

---

(١) زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٧٥ ونسبها للصاحب بن عباد؛ نهاية الارب، ج ٦ ص ١٥؛ ديوان الصاحب بن عباد، ص ١٩١ ــ ١٩٢.
(٢) في (ب ــ ج ــ د): فالبس من التوقي.
(٣) التذكرة السعدية في الأشعار النجدية، ص ٣٩؛ التبر المسبوك في نصيحة الملوك، ص ٨٥؛ مجمع الحكم والأمثال، ص ٤٦٧؛ برد الأكباد في الاعداد، للثعالبي، مخطوط ونسبها إلى أبي الفتح البستي.
(٤) زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٧٥؛ المخلاة، ص ٥١؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٣٠.
(٥) زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٧٥ وفيه: وإن اقتبست منها فعلى حذر؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٣١.
(٦) آداب ابن المعتز، ص ١٧١؛ رسائل ابن المعتز، ص ٦٧؛ سراج الملوك، ص ١٠٥.
(٧) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٣٨٣؛ نهاية الارب، ج ٦ ص ١٠٨، ونسبه إلى أمثال كليلة ودمنة؛ عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٢١؛ الأدب الكبير، ص ٢٨.

وقيلَ: مثلُ أصحابِ السلطانِ، كقومٍ رقوا جبلاً، ثم وقعوا منه فكانَ أبعدَهم في المرقى، أقربَهم إلى التلفِ[1].

وقيل: مثل السلطان مثلُ الجبلِ الصعبِ الذي فيه كلُّ ثمرةٍ طيبةٍ، وكلُّ سبعٍ حطومٍ[2]، فالارتقاءُ إليه شديدٌ والمقامُ فيه أشدُّ[3]. وقال ابنُ المعتز: من صحبَ السلطانَ فليصبرْ على قسوتِهِ، كما يصبرُ الغواصُ على ملوحةِ بحرِهِ[4]. وقال أيضاً: لا تلتبسْ بالسلطانِ في حالَ اضطرابِ الأمورِ عليهِ فإنَّ البحرَ لا يكادُ يسلَمُ راكبُهُ في حالِ سكونِهِ فكيفَ عند اختلافِ رياحِهِ واضطرابِ أمواجِهِ[5] ق/١٤. وقال أيضاً: إن كانَ البحرُ كثيرَ الماءِ فإنه بعيدُ المهوى[6]. وقال أبو الفتح البستي[7]، شعراً:

صاحِبُ السلطانِ لا بُدَّ لَهُ ... مِن هُمُومٍ تَعْتَرِيهِ وغُمَمْ
كالذي يَرْكَبُ بَحْراً سَيَرى ... قُحَمَ الأهْوَالِ من غير قُحَمْ[8]

---

(١) بهجة المجالس، ق/١ ص ٣٥٤؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٧٥. كل هذه الأقوال ترشد إلى كراهة الدخول على أئمة الجور وأن الداخل معرض للفتنة، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أتى أبواب السلاطين افتتن».

(٢) الحطم: الكسر. والحاطوم: السنة الشديدة. القاموس المحيط.

(٣) زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٧٥؛ سراج الملوك، ص ١٠٣؛ البصائر والذخائر، م ١ ص ٥٢٤؛ الأمالي، ج ٢ ص ١٣٦ ونسبها إلى بعض حكماء الهند.

(٤) آداب ابن المعتز، ص ٩٩؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٧٤؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٣٢.

(٥) شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٥٧١؛ بهجة المجالس، ق/١ ص ٣٥١؛ رسائل ابن المعتز، ص ٦٨.

(٦) شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٢٥٧؛ بهجة المجالس، ق/١ ص ٣٥٤؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٧٤.

(٧) تقدمت ترجمته ص ١٤٩.

(٨) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥١ ـ ١٥٢؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٢١٢. والقحم: المصاعب.

وقالَ ابنُ المعتزِ: مَنْ شاركَ السلطانَ في عزِّ الدنيا، شارَكَهُ في ذلِّ الآخرةِ[1]. وقالَ أيضاً: لا يُدْرِكُ الغنى بالسلطانِ، إلا نفسٌ خائفةٌ ودينٌ منثلمٌ[2].

وفي بعضِ الأخبارِ: (من اقتربَ من أبوابِ السلطانِ افتتنَ)[3].

ويجبُ على من صحبَ (الملوكَ)[4] وجالَسَهم، وصـارَ من أهـلِ المباسطةِ لهم والموانسةِ، أن لا يطوّي عنهم نصيحةً تعودُ عليهم في صلاحِ الدينِ ودوامِ المملكة، وحسنِ الأحدوثةِ عنهم. قالَ صلى اللهُ عليهِ وسلم: «رأسُ الدينِ النصيحةُ»[5] ولا يحملْهُ ما يراهُ من محبةِ الملكِ لما يرتكبُه من

---

(١) آداب ابن المعتز، ص ١٧١؛ سراج الملوك، ص ١٠٥؛ المحاسن والمساوىء، ج ٢ ص ١١٧.

(٢) شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٢٥٧ وفيه ودين منكتم؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٧٤؛ بهجة المجالس، ق/١ ص ٢٥٣.

(٣) سنن أبـي داود، ج ٣ ص ١١١؛ سنن النسائي، ج ٧ ص ١٩٥؛ مجمع الزوائد، م ٥ ص ٢٤٦، ونص الحديث كما في المصدرين من سكن البادية جفا ومن أتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتتن. والمراد بالفتنة هنا، أي أصابته فتنة لأنه إن وافقه في أحكامه وأعماله وكانت خارجة عن نهج الشرع فقد خاطر بدينه وإن خالفه فقد خاطر بروحه، وهذا لمن دخل مداهنة. أما إن دخل آمراً وناهياً ناصحاً ومبيناً كان دخوله أفضل، والله أعلم.

(٤) في (ب ــ ج): صحب سلطاناً.

(٥) ورد الحديث بهذا اللفظ في الجامع الصغير، ج ٢ ص ٢٠؛ وعند الطبراني في كتابه الأوسط وروى في مصادر السنة الأخرى كسنن النسائي، ج ٧ ص ١٥٦ «إنما الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمـة المسلمين وعامتهم»؛ وفي سنن الترمذي، ج ٣ ص ٢١٧، «الدين النصيحة» وقال هذا حديث حسن؛ وفي سنن أبـي داود، ج ٤ ص ٢٨٦ بلفظ (ان الدين النصيحة) والنصيحة كلمة يعبر بها عن جملة، هي إرادة الخيرْ للمنصوح له فمعنى النصيحة لله، اعتقاد وحدانيتـه، والإخلاص في عبادته، والنصيحة لكتاب الله، التصديق به والعمل بما فيه، ونصيحة =

لذيذِ شهواتِهِ وسرورِهِ بما يتأتى له من دركَ إرادتِهِ، وارتياحِهِ إلى تنفيذ أوامِرِهِ ونواهيه واغتباطهِ من السياسة بما يذرهُ ويأتيه، مما (يكسبُه)[1] اثماً أو يلحقُه وصماً أو تعودَ عاقبتُه إلى فسادٍ في مملكتهِ أو اختلالٍ في دولتِهِ، على موافقتِهِ في استحسانِ ما استحسَنُه، ومتابعتِهِ على استصوابِ، ما خيلَ إليه رأيُه من ذلكَ وزينَه، فإنَّ ذلكَ من أعظمِ دلائلِ الخيانةِ، وهو مباينٌ لسبيلِ النصحِ والأمانةِ بل ينبغي أن يتلطف له في حالِ استئناسِه بِهِ وميلِهِ إليهِ وإدنائِهِ منه وإقبالِهِ عليه بإرشادِهِ إلى أوضحِ (الطرقِ)[2] وأنهجِ السبلِ ويبينُ لهُ ما ينتجُه فعلُهُ من الفسادِ والخللِ، فإنهُ متى قصدَ بذلكَ من إخلاصِ قلبِهِ ونيتِهِ وصدقِ ضميرِهِ، ورغبتِهِ إظهار النصحِ الواجب عليه لأميره وسلطانِهِ ومنْ أنعمَ عليهِ (بعوائِدِهِ وإحسانِهِ)[3]، وتأديةِ النصحِ والأمانةِ والتنكبِ عنْ مناهجِ الغشِ والخيانةِ. أوقعَ اللهُ تعالى في قلب سلطانِه قبولَ نصيحتهِ والاصغاءَ إلى مشورتِهِ. ولو اتفقَ لسلطانِهِ مثلاً كراهيةٌ لقولِهِ واتهاماً[4] في نصحِه وغضبٌ من موعظتِهِ له واستعظامٌ للإنكار عليه في الحال فيوشكُ عن قربٍ[5] أن ينصحَ له عندَ اختلالِ تدبيرِهِ وفسادِ أمورِه استصواباً لما سبقَ من رأيِهِ ونصيحتِهِ، ويندمَ على ما فرّطَ من إنكارِه عليه، ومخالفتِهِ فيكسبُه ذلك عندَه منـزلةً لا يساميه فيها سواه ولا يساويه أحدٌ من قصرَ عن وصول مداهُ ومتى تابعَهُ على

= الرسول صلى الله عليه وسلم التصديق بنبوته ورسالته، والانقياد لما أمر به ونهى عنه، ونصيحة الأئمة، أن يطيعهم في الحق، ولا يرى الخروج عليهم، ونصيحة عـامة المسلمين، إرشادهم إلى مصالحهم/ عون المعبود، ج ١٣ ص ٢٨٨.

(١) في (ج): يلبسه.

(٢) في نسخة (ج): إلى أوضح الطريق.

(٣) بعوائد بره وإحسانه.

(٤) في (ب ــ ج): والاتهام.

(٥) في (ج): قريب.

رأيِهِ المعتلِ ونظرِه المختلِ مع علمِهِ بفسادِهِ خوفاً من سخطِهِ وإبعادِهِ فيوشكُ أن يسخطَه اللهُ عليه وترجع عاقبةُ مكرِه إليهِ[1].

قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ «من التمسَ رضىَ اللهِ بسخطِ الناسِ رضيَ اللهُ عنهُ وأرضَى الناسَ ومن التَمس رضىَ الناسِ بسخطِ اللهِ سخطَ اللهُ عليهِ وأسخطَ الناسَ»[2].

ودخلَ الفضلُ بنُ سهلٍ[3] على المأمونِ[4] وبينَ يديهِ الشطرنجُ[5] يلعبُ بها فرمَى بها وقالَ: أنا أحدثُ الناسَ أن أميرَ المؤمنينِ منفردٌ بالصلاةِ والعلمِ، والنظرِ في أمورِ المسلمينَ، وهوعلى هذه الحال، فشكَر له على ذلكَ.

ومن النصحِ أن ينبهُ دائماً على طرقِ المكارمِ والمفاخرِ والمساعيِ

---

(١) فمن حق إمام المسلمين على الأمة، أن تطيعه وتنصح له، وتأمره بالمعروف، وتنهاه عن المنكر، لأن الدين النصيحة... لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. والنصيحة للأئمة معاونتهم على ما تكلفوا القيام به وتحذيرهم سن السوء وعاقبته وقد ضرب لنا أهل الصدر الأول النماذج الرائعة في هذا.

(٢) سنن الترمذي، ج ٤ ص ٣٤، باختلاف لفظي يسير.

(٣) هو أبو العباس الفضل بن سهل السرخسي. أسلم على يد المأمون سنة ١٩٠هـ ووزر له، وكان يلقب بذي الرياستين الحرب والسياسة وغلب على المأمون بخلاله الجميلة من الوفاء والبلاغة والكتابة حتى صار الأمر كله إليه، قتل بسرخس سنة [illegible] وقيل سنة ٢٠٢هـ، النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ١٧٢ ــ ١٧٣؛ وفيات الأعيان، م ٤ ص ٤١؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ٤.

(٤) سترد ترجمته في القسم الثاني عند الكلام على خلافته.

(٥) قالوا: إن أصل الشطرنج من وضع الفرس وضعه رجل يسمى صصه وقيل انه من مبتكرات الهند وان بعض ملوكهم كان له ولد يسمى شاه أخرجه إلى بعض الحروب، فقتل فيها فهاب الناس أن يعلموه موت ولده، فوضع حكماؤه الشطرنج ولعبوا بها بين يدي الملك، فقال الغالب للمغلوب شاه مات، ففطن الملك للمراد وأصل الشطرنج شش رنك ومعناها في لغتهم ستة ألوان/ غرر الخصائص، ص ١٢٠.

الحميدةِ والمآثِر ليسلكَها ويهجنَ عنده المساوىء والقبائحَ[1] ويبالغَ في ذمها ليتجَنبها ويذكرَ عنده طرق الأخيارِ ومحاسنَ السيرِ والآثارِ وما جرى للملوكِ من قبله، من المساعي الشريفةِ والآثارِ الحميدةِ وحسنِ السيرةِ ليقتديَ بهم في المناقبِ والفضائل ويتنكبَ عن سبلِ المثالبِ[2] والرذائلِ ليستعملَ ما يوردُهُ من أمثالِ الحكماءِ وأقوالِ البلغاءِ وليكنْ على الجملةِ كما سبقَ في وصيةِ العباسِ رضىَ اللهُ عنه ق/١٥ (لابنِهِ)[3].

أو كَما قال عمرُ بنُ عبدِالعزيزِ[4] من صحبنَا فليصحبْنا بأربعِ خصال يدُلُّنا على عيوبِنا، ويرفعُ إلينا حاجةَ من لا يصلُ إلينا، ولا يفشينَّ لنا سراً ولا يغتابنَّ عندنا أحداً[5]، وينبغي له أن يكونَ حسنَ المحضرِ في حقِ الغائبِ، مجتهداً في بذلِ الشفاعةِ للمذنبِ والمطالبِ. قال الله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾[6].

---

(١) في (ج): المقابح.

(٢) المثالب: ثلبه ثلباً عابه وتنقصه، والمثلبة المسبه والجمع المثالب/ المصباح المنير.

(٣) ساقطة من (ج).

(٤) ترد ترجمته في القسم الثاني عند الكلام على الأمويين.

(٥) البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٩٨؛ وذكر هذا القول لعمر في أول خطبة خطبها بعد أن تولى أمر المسلمين وفيها: «أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس وإلا فليفارقنا يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها ويعيننا على الخير بجهده ويدلنا من الخير على ما لا نهتدي إليه ولا يغتابن عندنا أحداً ولا يعرض فيما لا يعنيه/ الكامل في التاريخ، م ٤ ص ١٦٤؛ سيرة عمر، لابن الجوزي، ص ١٩٦؛ العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج ٣ ص ٤٠.

(٦) آية ٨٥ من سورة النساء. وأصل الشفاعة من الشفع وهو الزوج في العدد ومنه الشفيع لأنه يصير مع صاحب الحاجة شفعاً والشفع ضم واحد إلى واحد وهي كما قال الإمام القرطبي إظهار لمنزلة الشفيع عند المشفع وإيصال المنفعة إلى المشفوع له واختلف المفسرون في هذه الآية على أقوال نقلها الإمام القرطبي في تفسيره لسورة النساء. فقال =

وقالَ صلىَ اللهُ عليهِ وسلمَ: «اشفعُوا تؤجروا ويقضي اللهُ على لسانِ نبيهِ ما شاءَ»[1] وقالَ صلىَ اللهُ عليهِ وسلمَ: «منْ كانَ وصلةً لأخيهِ إلى ذي سلطانٍ في منهج برٍ أو تيسيرِ عسيرٍ أعانَه اللهُ على إجازهِ الصراطِ يومَ تدحضُ فيه الأقدامُ»[2] وقال زيادُ[3]: اشفعوا لِمَنْ وراءكم فليس كلُ أحدٍ يصلُ إلى السلطانِ ولا كلُ من يصلُ إليهِ يقدرُ على كلامِهِ[4]. وقالَ بعضُ الكتابِ بقدحِ

= مجاهد والحسن وغيرهم في شفاعات الناس بينهم في حوائجهم فمن يشفع، لينفع فله نصيب، ومن يشفع ليضر فله كفل. وقيل يعني بالشفاعة الحسنة الدعاء للمسلمين والسيئة الدعاء عليهم. وقيل المعنى من يكن شفعاً لصاحبه في الجهاد يكن له نصيبه من الأجر ومن يكن شفعاً لآخر في باطل يكن له نصيب من الوزر وكأن هذا القول جامع: تفسير القرطبي، سورة النساء. وذكر الأستاذ سيد قطب في ظلال القرآن في تفسير هذه الآية أن معناها: فليشفع الإنسان الشفاعة الحسنة، ليصل خيراً إلى من يستحق الخير، غير مضار لبرىء، أو مضيع حقاً على صاحب حق، أو معطل لحد من حدود الله فهذه هي الشفاعة الحسنة التي تنفع ولا تضر وليتق الشفاعة السيئة التي تؤدي إلى أكل مال بالباطل أو تعويق صاحب مكان عن مكانه أو اهدار لحرمه من حرمات الله والناس فإن لصاحب الأولى نصيباً طيباً من شفاعته ولصاحب الأخرى وزراً يحتمله من سيئته/ ظلال القرآن، ج ٥ ص ٥١؛ تفسير سورة النساء.

(١) سنن أبي داود، ج ٤ ص ٣٣٤؛ سنن الترمذي، ج ٤ ص ١٤٨، وقال هذا حديث حسن صحيح؛ صحيح البخاري، ج ٨ ص ١٥؛ صحيح مسلم، ج ٨ ص ٣٧، ومعنى الحديث أنه إذا عرض المحتاج حاجته فاشفعوا له، فإنكم إن شفعتم حصل لكم الأجر، قبلت شفاعتكم أم لا فإن قضيت حاجته من شفاعتكم، فهو بتقدير الله وان لم تقض فهو بتقدير الله أيضاً/ عون المعبود؛ شرح سنن أبي داود، ج ١٤ ص ٤٠.

(٢) السنن الكبرى، ج ٨ ص ١٦٧. لما كان لا يصل إلى السلطان كل أحد فقد تكون هناك حاجة لا تقضي إلا بعرضها على السلطان لذلك جعل الإسلام إيصالها إلى السلطان، وانهاء خبرها إليه، ليقوم بحلها مساعدة للمظلومين ورفعاً للحيف عنهم، وجعل لمن قام بها، أن أعانه على تجاوز الصراط يوم العرض الأكبر.

(٣) تقدمت ترجمته، ص ١٣٢.

(٤) تاريخ اليعقوبي، م ٢ ص ٢٣٥؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٢١٠؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٣٤.

الشفيعِ تورى نارَ النجاحِ ومنَ كفِ المغيضِ ينتظرُ فوزَ القداحِ[1].

وقال البحتريُ[2]:

وعــطاء غــيــركَ أن بــذلــ ــت عــنــايــةَ فــيــه عــطاؤك[3]

وقالَ اخرُ:

خليليَّ ماذا ارتجـي من غدِ أمرىء طَوَى الكَشْحَ[4] عني اليومَ وهوَ مكينُ
وإنَّ أمـراً قد ضن يـومـاً بمنـطق يسـد بـه فقـر امـرءٍ لضنين[5]

وقالَ آخرُ:

وأَهونُ ما يُعْطى الصديقُ صـديقَهُ من الهيِّن الموجودِ أن يتكلمـا[6]

وليتجنب السعايةَ بكل حالٍ، فإنها دناءهُ وسخفٌ.

قالَ صلىَ اللهُ عليهِ وسلمَ: «لا يدخلِ الجنةَ قتاتٌ»[7] «قلتُ القتاتُ:

---

(١) كمال البلاغة، (رسائل شمس العالمي قابوس بن وشمكير)، ص ٤٤؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٣٥٩.

(٢) البحتري: هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي. أمير شعراء العصر، ولد بمنبج سنة ٢٠٥هـ، ونشأ بها ورحل إلى العراق ومدح الخلفاء وأكثر في مدح المتوكل على الله ثم عاد إلى الشام بعد قتل المتوكل على الله، توفي سنة ٢٨٤هـ؛ وفيات الأعيان، م ٦ ص ٢١؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ١٨٦؛ النجوم الزاهرة، ج ٣ ص ٩٧؛ البداية والنهاية، ج ١١ ص ٧٦.

(٣) ديوان البحتري، ج ٢ ص ١٥٠؛ نهاية الأرب، ج ٣ ص ٩٨؛ شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٢٧٣.

(٤) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع، والكاشح الذي يطوي كشحه على العداوة، وقيل الذي يتباعد عنك/ المصباح المنير.

(٥) زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٩٦؛ ونسب الأبيات، لدعبل الخزاعي؛ والضنين: البخيل المتهم.

(٦) زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٩٧.

(٧) صحيح البخاري، ج ٨ ص ٢١؛ السنن الكبرى، ج ٨ ص ١١٦؛ سنن الترمذي، =

النمامُ»[1] قال الأحنفُ بنُ قيسٍ[2] في ذكرِ السعاةِ، ما ظنُّكَ بقومٍ الصدق محمودٌ إلا منهم[3] وقالَ لهُ رجلٌ، أخبرني ثقةٌ عنك بسوءٍ، فقالَ الثقةُ لا ينمُّ[4] وقالَ بعْضُهُمْ :

= ج ٣ ص ٢٥٣؛ وقال هذا حديث حسن صحيح؛ سنن أبي داود، ج ٤ ص ٢٦٨، لا يدخل الجنة نمام لأنه يتتبع عورات الناس ويفتش عن معايبهم ليتخذ من ذلك سلاحاً يطعنهم به من الخلف ثم هو لا يبالي باختلاق الكذب، واختراع الباطل في سبيل إيذاء الأبرياء ولقد ذكر الأئمة وكل من كتب في الأحكام السلطانية أخطار النميمة والسعاية بالناس إلى السلطان بعد أن عرفوها وبينوا حكمها وحقيقتها فقد قال الغزالي: «هي كشف ما يكره سواء كرهه المنقول عنه، أو المنقول إليه وسواء كان الكشف بالقول أو الكنساية»، وقال البلالي: «هي نقل مكروه ليفسد»، وحكمها التحريم لتظافر الأدلة على ذلك، ومنعه من دخول الجنة التي جعلها الله داراً للمتقين، وحرمها على المفسدين. كما بينوا مفاسدها وأنها كثيرة ومنها إفساد المحبة بين الناس وإيقاع الضرر بعباد الله الأبرياء، كما بينوا مضارها على السلطان وانها قد تسبب خراب الملك حتى قال ابن حزم: «ما هلكت الدول ولا انتقضت الممالك ولا سفكت الدماء ظلمًا ولا هتكت الأستار بغير النمائم والكذب والواجب على السلطان عندها أن يكون يقظاً مثبتاً في أمر العامة والخاصة وكل ما ينهى إليه وأن يكشف عن ذلك ويوبخ الساعي حتى لا يعود إلى مثله فقد يفسد الساعي بالمضرة ما لا يفسد الساحر». انظر: بدائع السلك، ج ٢ ص ١٧ ــ ٢٤؛ مختصر منهاج القاصدين، ص ١٧٥ ــ ١٧٦؛ سراج الملوك، ص ١٣٣ ــ ١٣٦.

(١) زيادة من (ب ــ ج).

(٢) هو أبو البحر الضحاك بن قيس بن معاوية المري. ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، وكان ثقة مأموناً قليل الحديث، وفد على عمر عندما آلت إليه الخلافة فاحتبسه حولا ثم قال يا أحنف قد بلوتك وخبرتك فلم أرى إلا خيراً ورأيت علانيتك حسنة وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك وأمر أبا موسى الأشعري بمشاورة الأحنف والسماع منه وكان صديقاً لمصعب بن الزبير وفد عليه بالكوفة وتوفي بها، وروئى مصعب في جنازته يمشي بغير رداء/ وفيات الأعيان، م ٢ ص ٤٩٩ ــ ٥٠٦؛ الطبقات الكبرى، ج ٧ ص ٦٦؛ المعارف لابن قتيبة، ص ١٨٦ ــ ١٨٧.

(٣) التمثيل والمحاضرة، ص ٣٣.

(٤) عيون الأخبار، م ١ ج ٤، ص ٢٠، وفيه الثقة لا يبلغ؛ المستجاد من فعلات الأجواد، ص ٢٥٠.

السَّاعي كاذبٌ لِمَنْ يَسْعَى لَهُ أَوْ خائِنٌ لِمَنْ يَسْعَى عَلَيهِ[1] وَقِيلَ السَّاعي يَقْتُل ثَلاثَةً: نَفْسَهُ وَسُلْطانَهُ وَالمَسْعِيَّ[2] بِهِ. وَكَتَبَ سِوارُ بنُ عَبدِاللّهِ[3] القاضِي إلى المنصورِ[4] أنَّ رَجُلاً مِنْ حِميرٍ يَشْتُمُ السَّلَفَ فَكَتَبَ إليهِ المنصورُ: إِنَّا بَعثناكَ قاضِياً وَلَمْ نَبْعَثكَ ساعِياً[5]. وَرفعَ إلىَ بعضِ الخُلفاءِ أنَّ رجلاً ماتَ وتركَ مالاً كثيراً وَلا وارثَ لَهُ إلاَّ ولد صَغيرٌ فَوقَّعَ عَلى ظَهْرِ الرقعِ المرفوعِ إليهِ الميتَ رحمهُ اللهُ واليتيم جَبَرُه اللّهُ والمالَ أنماهُ الله والساعي لعنهُ اللهُ[6].

وقالَ الحريريُّ[7]: زَيْنُ الرُّعاةُ مَقْتُ السُّعاةِ[8] وقَالَ (آخرُ)[9]: جزاءُ السُّعاةِ مَقْتُ الرُّعاةِ.

---

(1) آداب ابن المعتز، ص ١٠٠؛ نهاية الأرب، ج ٣ ص ٢٩٣.
(2) نهاية الأرب، ج ٣ ص ٢٩٣؛ وردت بلفظ الساعي بالنميمة كشاهد المزور يهلك نفسه ومن سعى به ومن سعى إليه.
(3) هو سوار بن عبدالله القاضي تولى قضاء البصرة للمنصور ثم جمع له المنصور القضاء والصلاة بعد عزل والي البصرة الهيثم بن معاوية سنة ١٥٦هـ؛، وكان عادلاً في حكمه لا يحابي شكاة أهل البصرة للمنصور، فلم يستجب لطلبهم، توفي سنة ١٧٥، وصلى عليه ابن دعلج/ الطبري، ج ١٠ ص ١٢٤، ٣٧٨، ٣٨٠؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٣٠.
(4) ترد ترجمته عند الكلام عن العباسيين.
(5) خاص الخاص، ص ٨٨، وذكر فيه الرجل الذي كان يشتم السلف وهو السيد الحميري الشاعر الشيعي إسماعيل بن محمد بن بكار.
(6) بدائع السلك في طبائع الملك، ج ٢ ص ٢٤؛ الشفاء في الملوك والخلفاء، ص ٩٤.
(7) تقدمته ترجمته، ص ١٢٤.
(8) مقامات الحريري، المقامة السابعة عشرة المسماة القهقرية، ص ٩٦.
(9) في (ب ــ ج): أيضاً.

وَمِما وُجِدَ في غيرِ هذا الكتابِ وَصَلُحَ أَنْ يُذْكَر في هذا الباب أَنَّ الْهَيْثَم بن عَدِيِّ الطَّائِي ذَكَرَ أنَّ ابْنَ دابٍ قالَ: لَمَّا وُلِّيَ الحجاجُ الحَرَمَيْنِ بَعْدَ قَتْلِهِ لِعَبْدِاللّهِ بنِ الزُّبيرِ اسْتَحْضَرَ إِبْراهيمَ بنَ مُحمَّدِ بنَ طَلْحَة بنَ عُبيدِاللّهِ التَّميميّ فلمْ تَزلْ تلكَ حالَهُ =

. . . .

= حتّى استزاره عَبْدُالملكِ بنُ مروانَ فخرجَ معـهُ مُعادِلاً لَـهُ لا يأْتَلِي في تَـرْشيحِهِ واختصاصِهِ واعظامِهِ حَقَّهُ حَتّى قَدِمَ على عَبدِالملكِ بنِ مروانَ فَلمّا دخلَ عَلَيْهِ لم يبدأْ بَعْدَ السَّلامِ إلاّ أنْ قالَ واللّهِ يا أميرَ المؤمنينَ لَقدْ قَدمتُ بِرجُلِ أهلِ الحجازِ لَم أدعْ مِثْلَهُ بِها في المُروءةِ ووجوبِ حقِّ الأبوَّةِ وما بلوتُ في الطّاعَةِ والنصيحَةِ، وقد أحضرتُهُ ببابِكَ فَسَهِّلْ عَلَيْهِ أُذْنَك واعْرف لَهُ ما عَرَّفْتُكَ مِنْ حَقِّهِ قال: مَنْ ذلك يا حجّاجُ؟ قال: إبراهيمُ بنُ مُحمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ قالَ يا حجاجُ أذْكَرْتَنا قَرابَةً وَرَحِماً ماسة يا غلامُ: ائْذَنْ لابْنِ طَلحةَ قالَ: فدخلَ عليهِ فَرَفَعَ مَنْزِلَتَهُ فأجلسَهُ مَعَهُ على سريرِهِ ثُمَّ قال إنَّ أبَا مُحَمَّدٍ ذَكَرَ ما لَمْ نَزَلْ نَعْرِفُهُ لكَ مِنَ المروءةِ ووجوبِ الحقِّ لِأبوَّتِكَ وَقَدْ، ق/١٦ ذَكَرَ ما بلاكَ بِهِ مِنَ الطّاعَةِ فلا تتركَنَّ لكَ حاجةً في خاصَّتِكَ ولا عامَّةً إلاّ ذَكَرْتَهَا قال يا أميرَ المؤمنينَ: إنَّ أولى الحوائجِ أنْ يُقَدَّمَ بينَ يَدَيْكَ مِنَ الأمورِ ما كانَ لِلّهِ فيه رضىً وَبِحقِّ نَبِيِّ اللّهِ صَلّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ وَلَكَ ولجميعِ المسلمينَ وإنَّ لي حاجَةً أُرِيدُ أنْ أذكرَها لَكَ ولا يكونُ ذلكَ إلاّ وأنَا خالٍ بِكَ فَأَخْلِني تَرِدْ عليكَ نصيحَتِي. قالَ ودونَ أبي مُحمّدٍ قالَ نَعَمْ قالَ قُمْ يا حَجّاجُ فخرجَ وَهُوَ يقولُ كمكتَفِلٍ رِجْلاً وفي الرِّجْلِ عَقْرَبٌ فلمّا أُسْدِلَ عَلَيهِما السِّتْرُ قالَ يا أميرَ المؤمنينَ إنَّك عَهِدْتَ إلى الحجّاجِ وَهُوَ مَنْ عَلِمْتَ في تَغَطْرُسِهِ وَتَفرُّسِه وَبُعْدِهِ مِنَ الحقِّ وَرُكوبِهِ للباطِلِ فولَّيتَهُ الحرمَيْن وَهمَا ما هما وَبِهِمَا مَنْ بِهمَا مِنَ المهاجرينَ والأنصار وأصحابِ رسولِ الله صلّى اللهُ عليهِ وَسلَّمَ وأبناءِ أصحابِهِ يسومُهُم الخِسْفَ وَيطاهم بالعَسْفِ ويحكمُ فيهِمْ بغَيرِ السُّنةِ بعدَما كانَ مِنْ إهراقِهِ دماءهم ما كانَ واستباحَتِه حُرمَهُم وحريمَهُم فوطِئَهُم بطُغامِ أهلِ الشّامِ ورعاعٍ لا رويَّةَ لَهُم ثُمَّ ظننت أنّ اللّهَ غَيْرُ مطالِبِكَ بذلكَ وَلَمْ تخفْ أنْ يجاثيكَ رسولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غداً في أُمته وَأَيْمُ اللّهِ لاَ نَجَوْتَ إلا بِحُجَّةٍ تَضْمَنُ لكَ النَّجاةَ فَابْقِ على نَفسِكَ أَوْدَعْ، قالَ عَبدُالملك فَرَيتَ وَأثِمتَ وَظَنَّ بِكَ الحجاجُ ما لَمْ يخبـر فيكَ وَلَرُبَّما ظَنَّ الخَيْرَ بِغَيْرِ أَهْلِهِ فَأنْتَ الكاذبُ المادِقُ قال إبراهيمُ فَقُمْتُ وَما أَمْلِكُ نَفْسِي ولا أُبْصِرُ طَرِيقاً فَلمّا جاوزتُ السِّتر أَذِنَ لِلْحجّاجِ وَجَلَسْتُ بالبَابِ مَلياً لا أشُكُّ إلا أنَّها في أَمْري ثُمَّ خَرَجَ الآذِنُ فقالَ أُدْخلْ يا ابْنَ طلحـه فدخلتُ وما أعقِلُ حَياءً وَخوْفاً فاستقبَلَني الحجّاجُ بَيْنَ السِّترَيْنِ يُعانِقُني وَقَبَّلَ بينَ عَيْنيَّ وقالَ إذَنْ جزاكَ اللّهُ خَيْرَاً وَجزى المواخينَ من ضَرْبِكَ خيْراً فواللّهِ لَئِنْ سلمتَ لأرفعنَّ دَرجتكَ ولأعلينَّ =

. . . .

= كَعْبَكَ الرجالَ فَقُلْتُ في نَفْسِي هُوَ يهـزأُ بِـي والله فَلمّا دخلتُ على عَبدِالملكِ رَفَعَنِي حَتَّى أَجْلَسَنِي مَعَهُ مَجْلِسِ الأولَ ثُمَّ قالَ لِي وَيحَكَ يا ابْنَ طَلحَة لعلَّ أحداً يُشارِكُكَ في نَصيحَتِكَ قلتُ لا واللّهِ يا أميرَ المؤمنينَ ولا أحدٌ كانَ أعظمَ في عَيني وَعندي يداً مِنَ الحجاجِ وَلوْ كنتُ مُجازِياً أحداً في دِيني لكانَ هُوَ وَلكنْ آثرْتُ اللّهَ ورسولَهُ وآثرتُكَ يا أميرَ المؤمنينَ قالَ قد عِلمتُ أنَّكَ لَمْ تُرِدِ الدّنيَا لو أرَدْتَها لكانَ في الحجاج حظٌ ورغبةٌ وَقَد عَزَلْتُهُ عن الحرمينِ وأعلمتهُ أنَّكَ استنزلْتَني لَهُ عَنْهُمَا اسْتِصْغاراً لَهُمَا وَوَلَّيتُه العراقَيْنِ وما وراءهما من الأمور التي لا يَضبِطُهَا إلا هُوَ وأعْلَمْتُه أنَّكَ استدعَيْتَني لَهُ بولايَتِهما لأُلْزِمَهُ مِنْ حَقِّكَ ما يُؤدي أَجْرَ نُصْحِكَ فاصْحَبْهُ فَإِنَّكَ غيرُ ذَامٍ لصُحْبَتِهِ فَخَرَج الحجاجُ حَتّى أتى العراقَ(*).

(*) قِصَةُ إبراهيمَ بنِ محمدٍ بنِ طلحةً مع الحجاجِ عندَ عبدالملكِ بْنِ مروانَ ليستْ من صلبِ كتابِ تهذيب الرياسةِ وإنّما أُدْخِلت عَليهِ مِنَ الناسخِ كما هو واضحٌ في بدايةِ القصةِ وقد ذكرت في بقيّةِ النّسخ هذهِ الواقعةَ في غيرِ هذا الموضعِ دونَ الإشارة إلى أنّها زيادةٌ بلْ ذَكرتُ على أنّها من صُلْبِ الكتابِ وجاءَ ذكرُها في نُسْخَة (ب): مِنْ ورقة ٣٧، وفي (ج): ورقة ٣، وفي (د): صفحة ٨٩ ــ ٩٠ وقيلَ الكلام على توليةِ عبدالملكِ للحجاجِ على العراقِ كما نشيرُ إلى ذلكَ في موضِعه وقد ذكرْت المراجعُ التاريخيةُ هذه الواقعةَ ككتابِ وَفيات الأعيان، م ٢ ص ٤١ ــ ٤٢؛ المستجادُ مِنْ فعلاتِ الأجوادِ، ص ٤٤ ــ ٤٦.

بـــاب
في اختيار الأجناد والحماة
ووصف الأبطال منهم والكماة

قالَ الصابيُّ[1]: المَلِكُ أحقُّ باصطفاءِ رجالِهِ مِنْهُ باصطفاءِ أموالِهِ لأنَّهُ مَعَ اتساعِ الأمرِ وجلالةِ القَدْرِ لا يَكتفي بالوحدةِ ولا يَسْتغني عَنِ الكثرةِ وَمثْلُهُ في ذلكَ مِثْلُ المسافرِ في الطَّريقِ البعيدةِ الذي يَجِبُ عليه أنْ تكونَ عِنايتُهُ بِفَرَسِهِ المجنوبِ[2] مِثْلَ عِنايتِهِ بفَرَسِهِ المركوبِ[3].

قالَ الشاعرُ:

وَشَـرْطُ الفِـلاَحَـةِ غَـرْسُ الثِّمــارِ وشَرْطُ الرِّياسَةِ غَـرْسُ الرِّجـالِ[4]

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم الحراني الصابي كاتب الرسائل للخليفة القادر بالله ولمعز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه الديلمي فلما قتل عز الدولة وملك عضد الدولة اعتقله ثم أطلقه وكان الصابي على دين الصابئة ومات عليه ومع هذا كان يقرأ القرآن من حفظه ويستعمل منه في رسائله توفي سنة ٣٨٤هـ وله من العمر ٧١ سنة

(١) ورثاه الشريف الرضي وقال: إنما رثيت فضائله وعلق ابن كثير على هذا القول: (بقوله ليس له فضائل ولا هو أهل لها ولا كرامة)/ وفيات الأعيان، م ١ ص ١٦٧؛ النجوم الزاهرة، ج ٤ ص ١٦٧؛ البداية والنهاية، ج ١١ ص ٣١٣.

(٢) المجنوب والجنيبة: الفرس تقاد ولا تركيب فيقال جنبته أجنبه إذا قدته إلى جنبك/ المصباح المنير.

(٣) زهر الآداب، ج ٢ ص ٥٨٨؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٤١.

(٤) التذكرة السعدية في الأشعار العربية، ص ٤٠٢؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٢٧. والبيت منسوب لأبي الفتح البستي.

وَمِنْ كِتَابِ المُبهِجِ أمورُ الملكِ بأصحابِ الذرائعِ[١] والأقلامِ وأربابِ الدّروعِ والأعلامِ فأولئكَ للكتُبِ والآراءِ وهؤلاءِ لِلكتَائِبِ والرّايَاتِ للأعداءِ[٢]. وقال: إذا شَحَنَ الملكُ قلوبَ جُنْدِهِ بالشّحناءِ فلا ينتظِرَنَّ مِنْهُمْ حُسْنَ البلاءِ[٣] وقالَ: خَادِمُ الملكِ لا يتقدّمُ في رضاهِ خطوةً إلا استفادَ بِهَا حَظْوَةً[٤].

وقَالَ إذا اصطنَعَ المِلكُ أمراً فَلْيُثَبِّتَ قَدَمَهُ وَليبِتْ قوادِمَهُ[٥].

وقالَ غَيْرُهُ: أَفِضْ على جُنْدِكَ ق/١٧ واصرِفْ إليهم حُسْنَ غِناكَ فإنَّهم أَهلُ الأَنَفةِ والحميَّةِ وحَفَظَةُ السَّادَةِ[٦] والرَّعيَّةِ وسيوفُ الملكِ والسلطانِ وحصونُ الممالِكِ والبُلْدَانِ بِهِم تُدفعُ العوادِي وتُقْهَرُ المَعادي ويزولُ الخَلَلُ وَيُضْبَطُ العملُ فَقَوِّ ضعيفَهُم يَقْوَ أَمْرُكَ وأَغنِ فقيرَهُمْ يَشْتَدُّ أَزْرُكَ وامْنَحْهُمْ قَبْلَ العَرْضِ واحترِمْهُمْ[٧] قَبْلَ الفَرْضِ ولا تُثْبِت مِنْهُم إلَّا على الوفيِّ الكميِّ[٨] الذي لا يعدِلُ عنِ الوَفَاءِ ولا يَجْبُنُ عِندَ الهَيْجَاءِ فإنَّ المرادَ بِهِم قُوَّةُ العُدَّةِ لا كثرةَ العَدَّةِ ومَنْ قُتِلَ مِنْهُم في طاعَتِكَ واستشهَدَ تَحْتَ رايَتِكَ فاكْفَلْ بَنِيهِ وذبّ عَنْ أهليهِ فإنَّ ذلكَ مما يزيدُهم رَغبةً في خِدمتكَ وَيُسَهِّلُ عَلَيْهِمْ بذلَ المُهَجِ والأرواحِ في نُصْرَةِ دَوْلَتِكَ[٩].

---

(١) في (ب) الذراديع.
(٢) المبهج الباب/ ١٤ ورقة ١٠.
(٣) المبهج الباب/ ١٤ ورقة ٩.
(٤) المبهج الباب/ ١٤ ورقة ٩ ـ ١٠.
(٥) المبهج الباب ١١، ص ٩.
(٦) في كتاب الأمثال للثعالبي وحفظة السدة والسدة كالصفة والسقيفة والباب.
(٧) في الأمثال واعتبرهم عند الفرض.
(٨) الكمي: الشجاع المتكمى في سلاحه أي المتغطي المتستر بالدرع/ مختار الصحاح.
(٩) كتاب الأمثال للثعالبي، ص ٤٨ ـ ٤٩؛ لباب الآداب، ص ٥٩.

وقَالَ مَنْ أبلى بدمِهِ في خِدمَتِكَ وأَوْفَى في طَاعَتِكَ فارْغَ ذِمَامَهُ في حياتِهِ واكفلْ أيتامَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ فَإِنَّ الوفاءَ لَكَ بِقَدْرِ الجزاءِ مِنْكَ[1].

وقالَ: لا تُغْفِلْ مكافأةَ مَنْ يَعْتَقِدُ لَكَ الوفاءَ ويناضل عنْكَ الأعداءَ فمن حرمتَهُ مكافأةَ مِثلِهِ زَهِدَ في معاوَدَةِ فِعْلِهِ[2].

وَقِيلَ مَنْ حَفِظَ (مالَهُ)[3] ضَيَّعَ (رجالَهُ)[4]. أيُّ مَلكٍ أَحْسَنَ إلى كفاتِهِ وأعوانِهِ استظهَرَ مُلْكَهُ وسلطانَهُ وأيُّ مَلِكٍ أساءَ إلى جيشَهُ وجندِهِ أَحْسَنَ إلى عَدُوِّهِ وَضِدِّهِ.

قالَ الصَّابيُّ[5]: الملكُ بِمن غَلِطَ من أتباعِهِ واتَّعظَ أَشَدُّ انتفاعاً مِنْهُ بِمَنْ لَمْ يَغْلِطْ فَلَمْ يَتَّعِظْ لأنَّ الأولَ كالقارِحِ[6] الذي أَدَّبَتْهُ الغرةُ وأصلحتْهُ النَّدامَةُ

---

(١) لباب الآداب، ص ٥٩ مع اختلاف في بعض الألفاظ؛ كتاب الأمثال، ص ٤٨ وفيه فإن الوفاء لك بقدر الرجاء فيك.

(٢) كتاب الأمثال للثعالبي، ص ٤٧ ــ ٤٨. ترشد هذه الأقوال إلى أهمية الجيش في الدولة وما يجب على ولي الأمر تجاه هذا القطاع المهم من رعاية وحسن إدارة فالجند للدولة أساس وسياج وحتى تكون الدولة قوية لا بد أن يكون الأساس متيناً والعدة قوية هذا وقد تكلم أئمة الفقه وكل الذين كتبوا في الأمور السلطانية عن أهمية الجيش، فهذا الإمام الجويني يقول: (ليس يخفى على ذي بصيرة أن الإمام يحتاج في منصبه العظيم وخطبه الشامل العميم إلى الاعتقاد بالعدد والعتاد والاستعداد بالعساكر والأجناد) كما ذكر ابن الأزرق ما يجب على الملك تجاه جنده من إنصافهم في مرتباتهم وملك قلوبهم واستدعاء محبتهم/ انظر: غياث الأمم، ص ١٧٨؛ بدائع السلك، ج ١ ص ١٩٦ ــ ١٩٧.

(٣) ساقطة من (ب).

(٤) في (ج) أعماله.

(٥) تقدمت ترجمته ص ١٧٠.

(٦) يقال قرح الحافر انتهت أسنانه، أي بلغ من العمر خمس سنين لأنه في الأولى حولي ثم جذع ثم ثني ثم رباع ثم قارح/ المصباح المنير.

والثاني كالجِذعِ المنهوكِ الذي هُوَ راكبٌ للغرةِ وراكِنٌ إلى السلامَةِ والعربُ تَزْعُمُ أنَّ العَظْمَ إذا جُبرَ بَعْدَ كَسْرٍ عادَ صاحِبُهُ أَشَدَّ بَطْشاً وأقوى أيداً[1]. وقالتِ العَجَمُ ينبغي أن يكونَ في قائِدِ الجيشِ وَثبةُ الأسدِ وأسلابُ الحداةِ[2] وَخَتْلُ الذِّئبِ ورَوغانُ الثَّعلَبِ وصَبْرُ الحمارِ وحملةُ الخِنزيرِ وبكورُ الغرابِ وَحراسةُ الكركيِّ[3][4]. ومن كتابِ المبهجِ :أَحْسَنُ الجيوشِ ما كانَ ذَا أفواجٍ كالأمواجِ وخيولٍ كالسيولِ ومراكبَ كالكواكبِ[5]. الفارسُ من يَسبقُ فَرَسهُ الرّيحَ ورَمحُهُ الروحَ، الفارسُ مَن يَكمِنُ كُمونَ الأُسَدِ ثم يبرُزُ بروزَ الأَسدِ[6].

البطلُ مَنْ يُؤثِرُ مقارعَةَ القِنَا القواني على مُنادَمَةِ القيناتِ والقياني. البطلُ من يَنْظُمُ جسومَ الأعداءِ بِرِمَاحِهِ ويَنْثُرُهَا بِصفاحِهِ، البطلُ من إذا ضَرَبَ صَمَّ وإذا رَمَى أَصْمى وإذا قَصَدَ أقصْدَ[7].

---

(١) بدائع السلك في طبائع الملك، ج ١ ص ٣٨١؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٥٨٨.

(٢) الحدأة: بكسر الحاء المهملة، تعتبر من أخس الطيور وكنيته أبو الخطاف والحدأة تبيض بيضتين وربما ثلاث وتحضن عشرين يوماً وهي لا تصيد، وإنما تخطف، حياة الحيوان الكبرى، ج ١ ص ٢٢٩.

(٣) الكركي: طائر كبير وكنيته أبو عريان وهو أغبر طويل الساقين وهو من الحيوان الذي لا يصلح إلا برئيس لأن في طبعه الحذر والتحارص في النوبة والذي يحرس يهتف بصوت خفي كأنه ينذر بأنه حارس فإذا قضى نوبته قام الذي كان نائماً يحرس مكانه حتى يقضي كل ما يلزمه من الحراسة/ حياة الحيوان الكبرى، ج ٢ ص ٢٧٣.

(٤) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٣٨٢؛ الفخري في الآداب السلطانية، ص ٥٨.

(٥) المبهج الباب ١٧ ورقة ١١.

(٦) المبهج الباب ١٦ ورقة ١٠، وفيه الفارس من يكمن كمون الأسود ثم يبرز بروز الأسد.

(٧) المبهج الباب ١٦ ورقة ١٠.

أصمى من الصميان محركة وهي الوثب والسرعة والشجاع الصادق الحملة وأصمى الصيد رماه فقتله مكانه/ القاموس المحيط. وأقصد من القصد أي الاستقامة وأقصد السهم أصاب فقتل مكانه وفلاناً طعنه فلم يخطئه والحية لدغت فقتلت/ القاموس المحيط.

السلاحُ جُنةٌ[١] الأبدانِ[٢] ووقايةُ الأنفسِ، قد يَجْبُنُ الشّجاعُ بِلا سِلاحٍ ويشْجعُ الجبانُ بالسلاحِ[٣]، استعصامُ الفارِسِ بالدّرْعِ السّابِلِ والرّمْحِ الذابِلِ[٤]. وقالَ غَيْرُهُ: السلاحُ ثُمَ الكفاحُ[٥]. قالَ وقَبْلَ نزولِ الحربِ تُملأُ الكنايِنُ[٦].

وقال الأميرُ شَمْسُ المعالِي[٧]: قُوّةُ الجَناحِ بالقوادِمِ والخوافِي، وعَمَلُ الرماحِ بالأسنّةِ والعوالِي[٨].

---

(١) جنة: بالضم كل ما وقى/ القاموس المحيط.
(٢) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٢.
(٣) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٢.
(٤) المبهج باب ١٦ ورقة ١٠.
(٥) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٢.
(٦) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٢، والكناين: جمع الكنانة، وهي جعبة السهام.
(٧) هو أبو قابوس بن أبي طاهر وشمكير بن زياد أمير جرجان وطبرستان أثنى عليه الثعالبي في يتيمة الدهر وقتل سنة ٤٠٣هـ/ وفيات الأعيان، م ٤ ص ٧٩؛ يتيمة الدهر، ج ٤ ص ٥٩.
(٨) كمال البلاغة، ص ٥٦، كما اعتنى الأوائل بالجيش أفراداً وإدارة اعتنوا به تسليحاً وتدريباً بل لقد سبق الإسلام بتعاليمه الداعية إلى الرمي وتعلمه غيره لأنه يقدر أهمية الجندي المدرب وقدرته على إحراز النصر.

بـــابٌ
في مَدْحِ الاستشَارَةِ
وذَمِّ الاستبْدَادِ بالرَّأي

قالَ اللّـهُ (تعالى)[1] لِنبيه صلّى اللّـهُ عليهِ وسلّمَ ﴿وَشَـاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[2].

---

(١) في (ب ـ ج) عزَّ وجلَّ.

(٢) آيةُ ١٥٩، سورة آلِ عمرانَ، وقَدْ نقلَ الإمامُ القرطبيُّ في تفسيرِهِ لهذِهِ الآيةِ عنْ ابنِ عطيَّةَ قولَهُ والشوري مِنْ قواعِدِ الشَّريعةِ وعزائِمِ الأحكامِ منْ لا يستشيرُ أهلَ العلمِ والدينِ فعزلَهُ واجبٌ هذا ما لا خلافَ فيهِ ونقلَ عنْ ابنِ خويزِ منداد أنَّهُ واجبٌ على الولاةِ مشاورةُ العلماءِ فيما لا يعلمونَ وفيما أشكلَ عليهِمْ مِنْ أمورِ الدِّينِ ووجوهِ الجيشِ فيما يتعلَّقُ بالحربِ ووجوهِ النَّاس فيما يتعلَّقُ بالمصالحِ ووجوهِ الكتّابِ والوزراءِ فيما يتعلقُ بمصالحِ البلادِ وعمارتِها وفي الآيةِ دليلٌ على جوازِ الاجتهادِ في الأمورِ والأخذ بالظُّنون مَعَ إمكانِ الوحي فإنَّ اللّـهَ أذِنَ لِرسولِهِ في ذلكَ واختلفَ أهلُ التأويلِ في المعنى الذي أَمَر اللّـهُ نبيَّهُ عَلَيْهِ السَّلامِ أنْ يُشاوِرَ فيه أصحابَهُ فقالت طائفةٌ: ذلكَ في مكائِدِ الحروبِ وعِنْدَ لِقاءِ العدوِّ وتطييباً لِنفوسِهم ورَفعاً لأقدارِهم وتألفاً على دينِهم وإنْ كانَ اللّـهُ تعالى قد أغناهُ عن رأيِهم بوحيِهِ. وقالَ الطبريُّ في تفسيرِهِ بعدَ أنْ ساقَ الأقوالَ الكثيرةَ وأَوْلي الأقوالِ بالصوابِ في ذلك أنْ يُقالَ أنَّ اللّـهَ عزَّ وجلّ أمرَ نبيَّهُ صلّى اللّـهُ عليه وسلّمَ بمشاوَرَةِ أصْحَابِهِ فيما حَزَبَهُ من أمرِ عدوِّهِ ومكايِدِ حربِهِ تألفاً مِنْهُ بذلِكَ مَنْ لَمْ تكنْ بصيرتُهُ بالإسلامِ البصيرةَ التي يُؤمَنُ عليهِ معَها فتنةُ الشيطانِ وتعريفاً مِنْهُ أمتَه مأتي الأمورِ التي تحزبُهُم مِنْ بعدِهِ ومطلبُها فيتشاوروا فيما بينَهم كما كانوا يرونَهُ صلى اللّـهُ عليه وسلَّمَ يَفْعَلُه فأمّا النبيُّ صلى =

قالَ الحسنُ[1]: كانَ النبيُّ صلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ غَنِيّاً عن مشاورَتِهِم ولكنْ أرادَ أنْ يستنَّ بِذلكَ الحكامَ[2]. وقالَ غيره: (بَلْ أَرادَ)[3] بذلكَ لِما فيهِ مِنَ الفَضْلِ ولتأسِّي أمَّتِهِ بِذلِكَ بعدَهُ. (وَقِيلَ إنَّمَا أَمْرُهُ بذلكَ تطييباً

= اللَّـهُ عليهِ وسلم فإنَّ اللَّـهَ كان يُعَرِّفُهُ مطالِبَ وجوهِ ما حَزِبَهُ مِنَ الأمورِ بوحْيِهِ وإلهامِهِ إيَّاهُ صوابَ ذلك وأما امته فانهم إذا تشاوروا مستنين بفعله في ذلك على تصادُقٍ وتآخٍ للحقِ، وإرادةِ جميعِهم للصوابَ مِنْ غيرِ ميلٍ إلى هَوًى، ولا حَيْدٍ عَنْ هُدى فاللَّهُ مُسدِّدُهُم وموفقُهم.

وبيَّن الرازي في تفسيرِهِ الأمورَ التي لا تجوزُ فيها المشاورةُ.

فقالَ اتفقُوا على أنَّ كُلَّ ما نزلَ بِهِ وحيٌ مِنْ عِندِ اللَّهِ لَمْ يَجُزْ للرسولِ أن يشاورَ فيهَ الأمةَ لأنَّهُ إذا جاء النَّصُّ بَطُلَ الرأيُ والقياسُ فأمَّا ما لا نَصَّ فيه فَهَلْ تجوزُ المشاورةُ فيهِ في جميعِ الأشياءِ أمْ لا. قالَ الكلبيُّ وكثيرٌ مِنَ العلماءِ هذا الأمرُ مخصوصٌ بالمشاوَرَةِ في الحروبِ وحُجَّتُهُ أنَّ الألِفَ واللامَ في لفظِ الأمرِ ليسَا للاستغراقِ لِمَا بَيَّنَ أنَّ الذي نزلَ فيهِ وحيٌ لا تجوزُ المشاورة فيهِ فوجَبَ حَمْلُ الألِف واللامِ ها هُنا على المعهودِ السابقِ والمعهودُ السابقُ في هذِه الآية إنَّما هُو ما يتعلَّقُ بأمرِ الحربِ ولقاءِ العدوّ فكانَ قولُهُ ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ مُختصاً بذلك وظاهِرُ الأمرِ للوجوبِ فقولُهُ وشاورْهُمْ يقتضي الوجوبَ، وحملَ الشافعيُّ رَحِمَهُ اللَّـهُ ذلكَ على النَّدبِ فقالَ هذا كقوله عليه الصلاةُ والسلامُ: «البِكْرُ تُستأمَرُ في نَفسِهَا» ولو أكرهَهَا الأبُ على النِّكاحِ جازَ لكنْ الأولى بذلكَ تطييباً لِنفْسِها فكذا ها هُنا.

انظر: تفسيرَ القرطبيِّ، م ٢ ج ٤ ص ٢٥٠؛ تفسير الطبري، ج ٧ ص ٣٤٥ ــ ٣٤٦؛ التفسير الكبير (تفسير فخر الدين الرازي)، م ٣ ص ٨٢ ــ ٨٣.

(١) هو الحسن بن أبي الحسن البصري أبو سعيد إمام أهل البصرة وخير أهل زمانه، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر وشهد يوم الدار وقال ابن سعد في طبقاته كان جامعاً عالماً رفيعاً فقيهاً حجة مأموناً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً جميلاً/ شذرات الذهب، ج ١ ص ١٣٦ ــ ١٣٧.

(٢) تفسير القرطبي، م ٢ ج ٤ ص ٢٥٠؛ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، ج ١ ص ٤٧٤ وفيه ولكن أراد أن يستن به من بعده؛ السنن الكبرى، م ٧ ص ٤٦.

(٣) في (ب ــ ج) إنَّما أمره بذلك.

لقلوبِهِم)[1] وقيلَ إنّما أُمِرَ أن يشاوِرَهُم فيما لَمْ يكُنْ عندَهُ وحيٌ لأنَّهُ قَدْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِم فيه عِلْمٌ والنَّاسُ قَدْ يَعْرِفُونَ مِنْ أُمورِ الدُّنيا ما لَمْ تعرفْ الأنبياءُ عليهِمُ السلامُ[2].

قالَ اللّـهُ تعالى في مَدْحِ المؤمنينَ ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[3].

وقال صلى الله عليه وسلم: «ما خاب من استخار ولا ندم من استشار»[4]. وقالَ عليه السَّلام: «ما شَقِيَ عبدٌ بمشورةٍ ولا سَعُدَ مَنْ اسْتغنى بِـرأيٍ»[5].

---

(١) زيادة من (ب ـ ج) وهذه الزيادة منسوبة عند الطبري لقتادة/ تفسير الطبري، ج ٧ ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

(٢) تفسير القرطبي، م ٢ ج ٤ ص ٢٥٠؛ الكشاف، ج ١ ص ٤٧٤ وفيه يعني في أمر الحرب ونحوه مما لا ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم وفي تفسير الفخري الرازي، م ٣ ص ٨٢ أنه عليه السلام وإن كان أكمل الناس عقلاً إلا أن علوم الخلق متناهية فلا يبعد أن يخطر بال إنسان من وجوه المصالح ما لم يخطر بباله لا سيما فيما يفعله من أمور الدنيا فإنه عليه السلام قال: «أنتم أعرف بأمور دنياكم».

(٣) آية ٣٨ من سورة الشورى، ولقد ذكر سيد قطب في تفسيره لهذه الآية أن الله تعالى جعل أمرهم شورى ليصبغ الحياة كلها بهذه الصبغة ثم يقول إنه طابع ذاتي للحياة الإسلامية وسمة مميزة للجماعة المختارة لقيادة البشرية وهي من ألزم صفات القيادة، أما الشكل الذي تتم به الشورى فليس مصبوباً في قالب حديدي فهو متروك للصورة الملائمة لكل بيئة وزمان لتحقيق ذلك الطابع في حياة الجماعة الإسلامية، ظلال القرآن، ج ٢٥ ص ٤٧. وذكر الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية أن الله مدح المشاورة في الأمور بمدح القوم الذين كانوا يمتثلون ذلك وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه في الآراء المتعلقة بمصالح الحروب وذلك في الآراء كثير ولم يكن يشاورهم في الأحكام لأنها منزلة من عند الله على جميع الأقسام من الفرض والندب والمكروه والمباح والحرام/ تفسير القرطبي، م ٨ ج ١٦ ص ٣٦ ـ ٣٧. وقيل أن ذلك مدح من الله لهم بأنهم كانوا إذا وقعت بينهم اجتمعوا وتشاوروا فأثنى الله عليهم أي لا ينفردوا برأي ما لم يجتمعوا عليه/ التفسير الكبير (تفسير فخر الدين الرازي)، م ٧ ص ٣٩٩.

(٤) مجمع الزوائد، ج ٨ ص ٩٦؛ المعجم الصغير للطبراني، ج ٢ ص ٣٩٩؛ الجامع الصغير، ج ٢ ص ١٤٥.

(٥) تفسير القرطبي، م ٢ ج ٤ ص ٢٥١؛ العقد الفريد للملك السعيد، ص ٤٢.

وقال الشعبـيُّ[١]: (مكتوبٌ في التوراةِ)[٢] من لمْ يستشرْ يندمُ[٣].

قالَ أبو هريرةَ[٤]: (ما رأيتُ (مِنَ النَّاسِ[٥]) أحداً أكثرَ مشورةً لأصحابِهِ مِنْ رَسُولِ اللّـهِ صلَّى اللّـهُ عَلَيْهِ وسَلّمَ[٦]). وَقَدْ صَحّ عَنْ رسولِ اللّـهِ صَلَّى اللّـهُ عليه وسلمَ الاستشارةُ لأصحابِهِ في قِصَصٍ كثيرةٍ مِنها أَنَّهُ لَمَّا أرادَ مُصالَحَةَ عيينةَ بنِ حصنِ الفَزَاريِّ[٧] والحارثِ بنِ عوفٍ المريِّ[٨] حينَ حَصَرَهُ الأحزابُ في الخندقِ على أنْ يعطيَهُمْ ثُلُثَ ثمارِ المدينةِ ويرجعا بِمنْ مَعَهُما مِنْ غطفانَ عنهُ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ حتى أشاوِرَ السعودَ يعني سَعْدَ

---

(١) هو أبو عامر بن شرحبيل الشعبي تابعي جليل القدر وافر العلم ولد سنة ١٩هـ تولى السفارة لعبدالملك بن مروان إلى ملك الروم وخرج مع ابن الأشعث فلما ظفر بهم الحجاج اعتذر إليه فعفى عنه توفي سنة ١٠٣هـ/ الطبقات الكبرى، ج ٦ ص ١٧١؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٢٥٣.

(٢) ساقطة من (ب ـ ج).

(٣) العقد الفريد للملك السعيد، ص ٤٢.

(٤) تقدمت ترجمته ص ١٠٨.

(٥) ساقطة من (ب ـ ج).

(٦) سنن الترمذي، ج ٣ ص ١٢٩؛ السنن الكبرى، م ٧ ص ٤٥.

(٧) هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري أسلم بعد الفتح وكان من المؤلفة قلوبهم سماه الرسول صلى الله عليه وسلم أحمقاً مطاعاً/ الاستيعاب، ق/٣، ص ١٢٤٩؛ المعارف، ص ١٣١.

(٨) هو الحارث بن عوف المري من بني مرة يكنى أبا أسماء وهو صاحب الحمالة في حرب داحس وأحد رؤساء المشركين يوم الأحزاب ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وبعث معه رجلاً من الأنصار إلى قومه/ الاستيعاب ق/١، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧؛ المعارف، ص ١٣٧.

ق/١٨، بنَ معاذٍ[١] وَسَعْدَ بنَ عبادةَ[٢] وسعدَ بنَ زرارةَ[٣] فاستشارَهُم فأشاروا عَلَيْهِ أن لا يُعطيهما فَلَمْ يُعطِهِما شيئاً[٤].

وَمِنْها أَنَّهُ استشارَ في أسارَى بِدْرٍ فأشارَ أبو بكرٍ[٥] بالفداءِ وأشارَ عمرُ[٦] بالقتلِ فَعَمِلَ صلى الله عليه وسلمَ بِرَأْيِ أَبي بكرٍ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ[٧].

ولَمَّا نزلَ رسولُ اللَّـهِ صلى اللَّـهُ عليهِ وسلَّمَ ببدرٍ نزلَ بِأَدْنَا ماءٍ فقال الحُباب بنُ المنذرِ[٨]: يا رسولَ اللَّـهِ أرأيتَ هذا المنزلَ أمنزلٌ أنزَلكَهُ اللَّـهُ

---

(١) هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرء القيس من بني عبدالأشهل. أسلم بالمدينة بين العقبة الأولى والثانية على يد مصعب بن عمير وشهد بدراً وأحداً والخندق ورمى يوم الخندق بسهم فعاش شهراً ثم انتقض جرحه فمات منه/ الاستيعاب ق/٢ ص ٦٠٢.

(٢) هو سعد بن عبادة بن ديلم الخزرجي الأنصاري أحد النقباء شهد العقبة ذكره جماعة من أهل بدر كان سيداً في قومه مقداماً جواداً وكانت له راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح. مات بحوران من أرض الشام سنة ١٥هـ/ الاستيعاب، ق/٢ ص ٥٩٤؛ المعارف، ص ١١٢.

(٣) هو أخو أسعد بن زرارة ذكر ابن عبدالبر في الاستيعاب، فقال: أخشى أن لا يكون أدرك الإسلام/ الاستيعاب، ق/٢ ص ٥٩١.

(٤) سيرة ابن هشام، ج ٣ ص ١٧٦.

(٥) هو عبدالله بن عبدالرحمن لقبه رسول الله عتيقاً لجمال وجهه ويقال سمي عتيقاً لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أنت عتيق من النار وسمي صديقاً لتصديقه خبر الإسراء يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وكان من أول من اتبع رسول الله من الرجال وأسلم على يده جماعة وأعتق أعبداً افتداهم من أيدي المشركين بويع له بالخلافة في اليوم الذي قبض فيه صلى الله عليه وسلم توفي يوم الجمعة لتسع ليال بقين من جمادي الأخرة سنة ١٣هـ فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وتسع ليال/ شذرات الذهب، ج ١ ص ٢٤؛ المعارف، ص ٧٣.

(٦) تقدمت ترجمته ص ٩٩.

(٧) مسند أحمد، م ١ ص ٣٠ ـ ٣١؛ السنن الكبرى، م ١٠ ص ١٠٩.

(٨) هو الحباب بن المنذر بن الجموح يكنى أبا عمر وشهد بدراً وهو ابن ثلاثاً وثلاثين سنة وهو الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل على ماء بدر فكان يقال له =

ليسَ لنا أنْ نتقدمَهُ ولا نتأخرَ عنهُ أمْ هُوَ الرأيُ والحربُ والمكيدةُ، فقالَ: «بَلْ هُوَ الرأيُ والحربُ والمكيدةُ»، قالَ: إنَّ هذا ليسَ لَنَا بمنزلٍ. فانهضْ بالناسِ حتى نأتيَ أدْنَى منزلٍ مِنَ القومِ فننزِلُهُ ثُمّ نغورُ ما وراءَه من القُلُبِ ونبني لك حوضاً فنملأهُ ماءً ثمَّ نقاتِلُ الناسَ فَنَشْرَبَ ولا يشربُونَ، فقالَ صلَّى اللَّـهُ عليهِ وسلَّم: «لقَدْ أشرتَ بالرأي» فنهض صلى اللَّـهُ عليهِ وسلَّمَ بِمَنْ مَعَهُ حَتَّى أَتى أدنى ماءٍ مِنَ القومِ فَنَزِلَ عليهِ وَفَعَلَ ما أشارَ بِهِ الحُباب بنُ المنذرِ[1]. وشاوَرَ عليه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ عليّاً بنَ أبي[2] طالبٍ عليهِ السلامُ وأسامةَ بنَ زيدٍ[3]

= ذو الرأي وشهد أحداً والخندق والمشاهد كلها مات في خلافة عمر/ الاستيعاب، ق/١ ص ٣١٦؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة رقم الترجمة ١٠٢٣.

(١) سيرة ابن هشام، ج ٢ ص ٢٥٩.

(٢) هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه يكنى أبا الحسن أول من آمن بالله ورسوله بعد خديجة وهو ابن خمسة عشرة سنة فقد قال علي رضي الله عنه صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا لا يصلي معه غيري إلا خديجة وأجمعوا على أنه صلى للقبلتين وهاجر وشهد بدراً والحديبية وسائر المشاهد وأنه أبلى ببدر وبأحد وبالخندق وبخيبر بلاء عظيمًا وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في مواطن كثيرة ولم يتخلف عن مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبوك فإنه خلفه فيها على المدينة وعلى عياله، وقال: «له أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» زوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة وقال لها: «زوجك سيد في الدنيا والآخرة وإنه أول أصحابي إسلاماً وأكثرهم علمًا وأعظمهم حلمًا» وكان رضي لله عنه من فقهاء الصحابة بويع له بالخلافة يوم قتل عثمان واجتمع على بيعته المهاجرون والأنصار. قتل ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ٤٠هـ وكانت خلافته أربعة سنين وتسعة أشهر وستة أيام/ الاستيعاب، ق/٣ ص ١٠٨٩ ــ ١١٣٣.

(٣) هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرين سنة سكن بعد النبي صلى الله عليه وسلم وادي القرى ثم عاد إلى المدينة ومات بالجرف في آخر خلافة معاوية ولما فرض عمر بن الخطاب للناس فرض لأسامة خمسة آلاف ولابن عمر ألفين وقال أن أسامة كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوه كان أحب إلى رسول الله من أبيك توفي سنة ٥٤هـ في خلافة معاوية/ الاستيعاب، ق/١ ص ٧٥ ــ ٧٨.

في قصةِ الافْكِ وفي أمرِ عائشَةَ فقالَ أسامَةُ: أَهْلَك يا رسولَ اللّـهِ ولا نعلمُ إلاّ خيراً[1].

ورَوِيَ أيضاً في حديثِ الافْكِ أنَّهُ قالَ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ على المنبرِ «ما تشيرونَ علـيَّ في قومٍ يسبُّون أَهْلي ما علمتُ عليهِمْ إلا خيراً»[2]. وكانَ أبو بكرٍ[3] رضيَ اللّـهُ عنهُ إذا نزلَ بِهِ أَمْرٌ يريدُ فيه مشاوَرَةَ ذوي الرأي والفقـهِ دعا رجـالاً من المهاجـرينَ والأنصارِ، دعـا عُمَـرَ وعثمـانَ وعليّاً وعبدَالرحمنِ بنَ عَوْفٍ ومعاذَ بنَ جبلٍ[4] وأُبـيَّ بنَ كعبٍ[5] وزيدَ بنَ ثابتٍ[6] فمضَى أبو بكرٍ[7] رضي الله عنهُ على ذلكَ. ثُمَّ وَلِيَ عُمرُ[8] رضي اللّـهُ عنهُ

---

(١) صحيح البخاري، ج ٩ ص ١٣٩؛ صحيح مسلم، ج ٨ ص ١١٥؛ سيرة ابن هشام، ج ٣ ص ٢٥٥.

(٢) صحيح البخاري، ج ٩ ص ١٣٩؛ صحيح مسلم، ج ٨ ص ١١٥.

(٣) تقدمت ترجمته ص ١٧٩.

(٤) هو معاذ بن جبل بن عمر الخزرجي الأنصاري، يكنى أبا عبدالرحمن أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار، آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبدالله بن مسعود شهد بدراً والمشاهد كلها بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم قاضياً ومعلّماً مات بناحية من الأردن في طاعون عمواس/ الاستيعاب، ق/٣ ص ١٤٠٢ ــ ١٤٠٧؛ المعارف، ص ١١١.

(٥) هو أبـي بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري يكنى أبا المنذر شهد العقبة الثانية وبايع الرسول صلى الله عليه وسلم وكان أبـي من كتبة الوضى وشهد بدراً وهو أحـد فقهاء الصحابة وأحد الذين جمعوا القرآن/ الاستيعاب، ق/١ ص ٦٥؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٣٢؛ أسد الغابة رقم الترجمة ٣٤: +ﷲ٠٠ ١١٣.

(٦) هو زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري يكنى أبا سعيد قتل أبوه يوم بعاث وقدم الرسول وهو ابن ١١ سنة استصغره الرسول يوم بدر فلم يشهدها كان من كتاب الوحي وهو الذي جمع القرآن في خلافة الصديق استخلفه عمر على المدينة ثلاث مرات توفي سنة ٤٥هـ/ الاستيعاب، ق/٢ ص ٥٣٧؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٥٤؛ المعارف، ص ١١٣؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٣٠ ــ ١٣١.

(٧) تقدمت ترجمته ص ١٧٩.

(٨) تقدمت ترجمته ص ٩٩.

وكانَ يدعو هؤلاء النفرَ. وروى أن القراء كانوا أصحابَ مشورةِ عُمَرَ رَضِيَ اللّـهُ عَنْهُ كُهولاً كانوا وشباناً[1].

وَروِيَ أنَّهُ استشارَ في حَدِّ الخمرِ فقالَ علي عليه السلامُ: تراهُ إذا سَكِرَ هذى، وإذا هذى افترى، وعلى المفتري ثمانونَ جلدةً، فعمـل برأيـه[2]. واستشارَ في قصةِ المرأةِ التي بَعَث إليها فألقت جنيناً مَيتاً من (الفزَع)[3]، فقالَ عثمانُ وعبدُالرحمنِ بْنُ عَوفٍ: إنَّما أنتَ والٍ مؤدِّبٌ، وقالَ عليٌّ عليهِ السلامُ: أرى عليكَ دِيَّتَهُ لأنَّك أفزَعْتها. وأخذَ برأيه[4].

والأخبارُ في هذا البابِ عَنْ رسولِ اللهِ صلى اللّهُ عليهِ وسلم والخلفاءِ الراشدينَ تكثُرُ جِداً وتخرجُ بِنَا عَنْ حَدِّ الاختصارِ، فلنقتصرْ مِنهَا على هذا المقدارِ، ولنذكرْ شيئاً مِن كلامِ الحكماءِ والبُلغاءِ.

فَمِنْ كِتابَ المُبهِجِ: يَنبغي للملكِ إذا كانَ ذا رأيٍ أصيلٍ أَنْ يستشيرَ فيستنيرَ ويستمدَّ ولا يستبدَّ فإنَّ ثمرةَ المشورةِ أَحلَى مِنَ العَسَلِ المشورِ[5].

قال بعضُ البلغاءِ: مَنِ استشارَ استبصرِ ومن استخارَ استظهرَ[6]، وقيل: من استبدَّ برأيِهِ خَفتْ وطأتُه على أعدائِهِ[7]. وقالَ بعضُهم: لا يَستغنِي حليمٌ

---

(١) صحيح البخاري، ج ٩ ص ١٣٩.

(٢) صحيح مسلم، ج ٥ ص ١٢٥، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أُتـي برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو أربعين. قال: وفعله أبو بكر، فلما كان عمر استشار الناس فقال عبدالرحمن: أخف الحدود ثمانين فأمر به عمر؛ موطأ مالـك بشرح الزرقاني، م ٤ ص ١٦٧، وفيه قال ابن عبدالبر وانعقد عليه إجماع الصحابة ولا مخالف لهم منهم، وعليه جماعة التابعين وجمهور فقهاء المسلمين.

(٣) في (ج): الجزع.

(٤) السنن الكبرى، م ٨ ص ٣٢٢.

(٥) المبهج، الباب ١١، ورقة ٨.

(٦) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٥٢.

(٧) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٥٠.

عن مشورةٍ ولا ذُو تجربةٍ عن تَبصرٍ. وقالَ بعضُ العربِ: العاقِلُ مِنَ الرجالِ لا يستغني عَنْ مشورةِ ذَوِي الألبابِ ولا يستفزُّهُ الغَضَبُ عِندَ الأصحابِ[1]. وقالَ آخرُ: إذا أنكرتَ عقلَكَ فامْزِجْهُ (بآخَرَ)[2] لِعاقلٍ ورُبَّما احتاجَ السيفُ الصقيلُ إلى مِسنّ الصَّاقِلِ[3].

وقالَ الحسنُ[4]: واللهِ ما تشاوَرَ قومٌ قَطُّ إلا هـداهُمُ اللّهُ لِأفضلِ ما يحضُرهم[5].

وقالَ مالِكُ بنُ أنسٍ[6]، رَحِمهُ اللهُ: ما تشاورَ قومٌ قطُّ إلا هداهُمُ اللّهُ

---

(١) الشكوى والعتاب، للثعالبي، ورقة ٣٥، وفيه: أعقل الناس لا يستغني عن مشورة ذوي الألباب.

(٢) ساقطة من (ب ـ ج).

(٣) نهاية الارب، ج ٣ ص ٢٣٥، وفيه: إذا أنكرت عقلك فاقدحه بعاقل.

(٤) هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب. سيد شباب أهل الجنة وسبط رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان الحسن أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم، ما بين الصدر إلى الرأس تواترت الآثار الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لحسن بن علي: إن ابني هذا سيد وعسى الله أن يبقيه حتى يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين. كان من المبادرين إلى نصرة عثمان والذابين عنه، بويع له بالخلافة بعد مقتل أبيه بالعراق وبويع لمعاوية في الشام، ثم صالح الحسن معاوية ورجع إلى المدينة، فمات بها، ويقال أن امرأته سمته، ودفن ببقيع الغرقد وصلى عليه سعيد بن العاص وكان أميراً بالمدينة توفي سنة ٤٩هـ. الاستيعاب، ق/١ ص ٣٨٣؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٥٥ ـ ٥٦؛ المعارف، ص ٩٢.

(٥) فضل الله الصمد، في توضيح الأدب المفرد للإمام البخاري، ج ١ ص ٣٥٨؛ تفسير الطبري، ج ٧ ص ٣٤٤؛ التفسير الكبير، ج ٧ ص ٣٩٩؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١٣ ص ٣٤٠.

(٦) هو الإمام أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأعلام، أخذ العلم عن ربيعة الرائي، ولد سنة ٩٥ للهجرة وكان قد حمل به ثلاث سنين. روى عن غير واحد من التابعين وحدث عنه خلق من الأئمة. قال البخاري: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر. وكان الشافعي يقول: إذا =

إلى رُشدِهِم(١).

قالَ بعضُ البُلغاءِ: «مِنْ جَهْلِ المرءِ وَسَفَهِ رأيِهِ، أنْ يتصوَّرَ في نَفْسِهِ ويتقرَّرَ في حِسِّهِ أنَّ استمدادَ الآراء واستشارةَ النُّصحاءِ مما يُزري بِهِ ويَضَعُ من قدرِهِ فَيستبدُّ بالتدبيرِ ويَعرِضُ عن المُشيرِ فيبقى في ظُلمةِ الحَيْرَةِ ويَحصُلُ على الهمِّ والحسرَةِ(٢).

قالَ: مِن حَقِّ العاقِلِ أنْ (يُضيفَ)(٣) إلى رَأيِه رأيَ العلماءِ وإلى عقلِهِ عقولَ الحكماءِ ويديمَ الاسترشادَ ويتركَ الاستبدادَ، فَمَن استشاد ق/١٩ العالِمَ فيما ينويه واسترشد العاقِلَ فيما يأْتيهِ وَضُحَتْ لَهُ الأمُورُ وَصَلُحَ لَهُ الجمهورُ واستنارَ فيه القلبُ وسَهُلَ عليه الصعبُ(٤). وقالَ: لا تأنفْ مِن الاسترشادِ ولا تستنكفْ مِنَ الاستمدادِ فَلأنْ تستشير وتندَم خيرٌ من أن تَستَبدَّ وتَسْلَمَ(٥).

وَقالَ آخرُ: المشاوِرُ بينَ إحدَى الحسنيين صوابٌ يفوزُ بِهِ أو خطأٌ يشارِكُ في مكروهِهِ(٦).

= ذكر العلماء فمالك النجم وكان من أشد الناس انتقاداً للرجال وتحفظاً في رواية الحديث وكان إذا أراد أن يحدث توضأ وتطيب وسرح لحيته ولبس أحسن ثيابه، ومناقبه كثيرة وفضله أشهر من أن يذكر، توفي سنة ١٧٩هـ بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ودفن بالبقيع. وفيات الأعيان، م ٤ ص ١٣٥ ـ ١٣٩؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٩٦ ـ ٩٧؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٧٤.

(١) الشكوى والعتاب، ورقة ٣٦ منسوب لعمر بن الخطاب.

(٢) الأمثال، للثعالبي، ص ٥٧.

(٣) في (ج): يفسد.

(٤) الأمثال، للثعالبي، ص ٥٦.

(٥) نهاية الارب، ج ٦ ص ٧٠؛ أدب الدنيا والدين، ص ٢٩٢، وفيه: خير لك من أن تستبد وتندم.

(٦) نهاية الارب، ج ٦ ص ٧١؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٨٢٤ منسوب لبشار بن برد.

وقالَ ابْنُ المعتزِّ[1]: مَنْ أكثرَ المشورةَ لَمْ يعدمْ عِندَ الصَّوابِ مادِحاً وعندَ الخطأِ عاذِراً[2].

(وقالَ: المشورةُ راحةٌ لَكَ وَعَوْنٌ على الخَطْبِ)[3]. وقالَ: المشورةُ راحةٌ لكَ وتعبٌ على غيرِكَ[4]. وقالَ: المستشيرُ على طَرفِ النَّجاحِ[5]. وقالَ غيرُهُ: المشورةُ عينُ الهدايةِ[6]. وقال: خاطَرَ مَنْ استغنى بِرأيِهِ[7].

وقال: نصفُ عقلِكَ مَعَ أخيكَ فشاوِرْهُ[8]. وقالَ آخرُ: إذا شاورتَ العاقِلَ كانَ لكَ نِصفُ عَقلِهِ[9].

قال الشاعر:

الرأيُ كاللّيلِ مُسْوَدٌ جوانِبُهُ ... والليلُ لا يَنْجلي إلا بِإصْباحِ
فاضْمِمْ مصابيحَ آراءِ الرِّجالِ إلى ... مِصباحِ رأيِكَ تزْدَدْ ضَوْءَ مِصباحِ[10]

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٩٧.
(٢) آداب ابن المعتز، ص ٩٩.
(٣) ساقطة من (ب ـ ج).
(٤) آداب ابن المعتز، ص ٢٠٧؛ أدب الدنيا والدين، ص ٢٨٩.
(٥) آداب ابن المعتز، ص ١٢١؛ خاص الخاص، ص ١٧.
(٦) أدب الدنيا والدين، ص ٢٩١، ونسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٤١٧.
(٧) أدب الدنيا والدين، ص ٢٨٩؛ خاص الخاص، ص ١٧، ونسبه إلى أمثال العجم؛ نهاية الارب، ج ٦ ص ٧٠ مع تقديم وتأخير بعض الألفاظ.
(٨) أدب الدنيا والدين، ص ٢٩٢، وفيه إكمال لهذا القول وهو: فشاور ليكمل لك الرأي؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٤١٨؛ المحاسن والأضداد، ص ٢٣.
(٩) التمثيل والمحاضرة، ص ٤١٧.
(١٠) نهاية الارب، ج ٦ ص ٧٧؛ العقد الفريد، ج ١ ص ٤٧.

ومما قيلَ في ذلكَ قولُ بشارٍ[1]:

إذَا بلغَ الـرأيُ المشورَةَ فـاستَعِنْ ... بعـزمِ نصيحٍ أوْ نصيحَـةِ حـازمٍ
ولا تجعلْ الشُّورى عليكَ غضاضَةً ... فريشُ الخوافِي نـافعٌ للقـوادِمِ[2]

وقالَ رجلٌ مِن عَبْسٍ: وَقَدْ سُئِلَ ما أكْثَرَ صوابَكُمْ فقالَ: نحنُ ألفُ رَجُلٍ فينا رجلٌ واحِدٌ حازِمٌ فنحنُ نشاوِرُهُ فكأنَّا ألفُ حازِمٍ[3].

وقيلَ: استشارَ قومٌ مِنَ العرَبِ شيخاً لهُم قدْ قاربَ التسعينَ فيما يُدْرَكُ بهِ الثأرُ ويُنفَى بهِ العارُ، فقالَ: إنَّ وَهَنَ قِوايَ قَدْ فَسَخَ هِمَّتِي وَنَكَثَ عزيمَتي ولكنْ شاوِروا الشُّجعانَ مِنْ أولي العزمِ والجبناءَ مِنْ أولي الحزمِ فإنَّ الجبانَ لا يألوا برأيِهِ ما يقي مهجكم والشجاعُ لنْ تعدَمُوا بمشوَرَتِهِ ما يشيدُ ذكرَكُم، ثم خَلِّصوا بين الرأيين بنتيجةٍ تَنأى بِكُم عن مَعَرَّةِ تقصيرِ الجبانِ وتهوِّرِ الشُّجاعِ، فـإذا (نَجَمَ)[4] الرأيُ بهـذا العلمِ كان أنفَـذُ على عـدوّكم من السَّهمِ الزالجِ[5].

---

(١) بشار بن برد: هو أبو معاذ بشار بن برد العقيلي الشاعر المشهور أصله من طخرستان من سبي المهلب بن أبي صفر، ولد أعمى جاحظ الحدقتين، رمي بالزندقة عند المهدي فأمر بضربه حتى مات سنة ١٦٧هـ. وفيات الأعيان، م ١ ص ٢٧١؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٢٦٤؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٥٣.

(٢) ديوان بشار بن برد، ج ٤ ص ١٧٢ ــ ١٧٣. والمعنى: إما أن تعمل برأي النصيح أو تترك الأمر بنصيحة الحازم، وتنتظر زمان إمكانه.

(٣) نهاية الارب، ج ٦ ص ٧٠؛ عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٣٢ ــ ٣٣؛ العقد الفريد للملك السعيد، ص ٥٠.

(٤) في (ج): فإذا انحكم.

(٥) قوانين الوزارة، ص ١٢٦ ــ ١٢٧؛ العقد الفريد، ج ١ ص ٨٨؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٨٤٣؛ والزالج: الناجي من الغمرات. والزلوج: السريع؛ القاموس المحيط.

قالَ: شاوِر في أَمرِكَ مَنْ تثقُ منهُ بعقلٍ صحيحٍ وَوِدٍّ صريحٍ فالعاقلُ (ما)[1] ينصَحُ ما لم يَصفُ وِدُّه والوَدودُ لا يصفُ ما لَمْ يَصِحُّ عقلُهُ[2].

قالَ بعضُ الشعراءِ:

خصائصُ من تشاوِرُهُ ثلاثٌ فَخُذْ مِنهَا (لنفسِك)[3] بالوثيقةْ
وِدادٌ خالصٌ ووفُورُ عَقْلٍ ومعرفةٌ بحالِكَ في الحقيقةْ
فمن تخلُص لَهُ هذه المعاني فتابعْ رأيهُ والزَمْ طريقَهْ[4]

وقال بعضُ البلغاءِ: المرءُ إذا استشارَ الرشيدَ وعملَ بمشورتِهِ واستنصحَ الرشيدَ وبَنَى على نصيحتِهِ لم يفتْهُ حزمٌ ولم يغلبْهُ عَزْمٌ[5].

وقالَ: مَنْ استوزَر غيرَ كافٍ خاطرَ بملكِهِ ومن استشارَ غيرَ أمينٍ أعان على هُلكِهِ[6].

وقالَ عبدُاللهِ بنُ الحسنِ[7]: إحذرْ مشورةَ الجاهلِ، وإنْ كانَ ناصحاً كما تحذرُ غيلةَ العاقِلِ، إذا كان عدوّاً، فيوشِكُ أن تورِّطَكَ مشورةُ الجاهِلِ ويسبِقُ إليكَ مَكْرُ العاقِلِ[8]، وقيلَ: صوابُ الجاهل كزلّةِ اللبيبِ[9].

---

(١) في (ب ـ ج): لا .
(٢) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٦٨.
(٣) في (ب ـ ج): جميعاً.
(٤) غرر الخصائص، ص ٥٨، وفيه بعض الاختلاف في البيت الثالث؛ مجمع الحكم والأمثال، ص ٢٦٣ ونسبها للأرجاني.
(٥) الأمثال، للثعالبي، ص ٥٥، وفيه: ولم يغلبه خصم.
(٦) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٥٤، وفيه: ومن استبطن غير أمين أعان على هلكه.
(٧) هو عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، أمه فاطمة بنت الحسين، وفد على عمر بن عبدالعزيز فأكرمه ووفد على السفاح فأعطاه ألف درهم، ثم عامله المنصور بعكس ذلك، توفي سنة ١٤٥هـ. البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٩٥.
(٨) لباب الآداب، ص ١٥؛ أدب الدنيا والدين، ص ٢٩٠.
(٩) التمثيل والمحاضرة، ص ١٣٨، وفيها: لا تغتر بصواب الجاهل فإن ذلك كزلة اللبيب. =

وعَنِ ابنِ شهابٍ[(١)] قالَ: بَلَغني أنَّ عمرَ[(٢)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: استشرْ في أمرِكَ الذينَ يخشونَ اللهَ[(٣)].

وقالَ عليٌّ عليهِ السَّلامُ[(٤)]: رأيُ الشيخِ خيرٌ مِنْ مَشْهَدِ الغلامِ[(٥)].

وقالَ لقمانُ الحكيمُ[(٦)]: شاورْ مَنْ جرَّبَ الأمورَ فإنَّهُ يُعْطيكَ مِنْ رأيِهِ (ما كانَ)[(٧)] عليه بالغلاءِ وأنتَ تأخذُهُ بالمجّانِ[(٨)].

وقيلَ: لِتَكُنْ مشورتُكَ بالليل، فإنَّه أجمعُ لِلرأيِ والفكرِ، وأعونُ على الذكرِ[(٩)].

= اهتم أئمة الفقه والتشريع الإسلامي في بيان أهمية المشورة، ونصوا على أنها أصل في الدين، وسنة رب العالمين. كما اعتنوا بصفة المستشار والشروط الواجب توافرها فيه فذكروا من ذلك جملة شروط. كالعقل الكامل والتقى والورع وسلامة الفكر والبراءة من الهوى. انظر: أدب الدنيا والدين، ص ٢٩٠، ٢٩١؛ بدائع السلك، ج ١ ص ٣٠٩ ــ ٣١٠.

(١) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزهري من الطبقة الرابعة من تابعي أهل المدينة، حافظ زمانه، وأعلم الناس في وقته، ثقة، كثير الحديث، ولد سنة ٥٨هـ في آخر خلافة معاوية، توفي سنة ١٢٤هـ وله من العمر ٧٢ سنة. النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٢١ ــ ١٢٥؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ١٦٢.

(٢) تقدمت ترجمته ص ٩٩.

(٣) بدائع السلك في طبائع الملك، ج ١ ص ٣٠٩؛ الأخبار الموفقيات، ص ١٠٨؛ السنن الكبرى، م ١٠ ص ١١٢.

(٤) تقدمت ترجمته ص ١٨٠.

(٥) السنن الكبرى، م ١٠ ص ١١٣؛ بهجة المجالس، ق/١ ص ٤٥٠.

(٦) هو لقمان بن باعوداء بن ناحور بن تارح ابن أخت أيوب أو ابن خالته، وقيل كان من أولاد آزر، عاش ألف سنة وأدركه داود عليه السلام وكان يفتي قبل مبعث داود، فلما بعث قطع الفتوى. واختلف في نبوته والراجح أنه لم يكن نبياً في رأي أكثر الناس. المعارف، ص ٢٥؛ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ١٢٤.

(٧) في (ب ــ ج): (ما قام).

(٨) التمثيل والمحاضرة، ص ٣٥؛ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ١٢٥.

(٩) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٦٨؛ لباب الآداب، ص ٦٤.

بـــابٌ
في مَدْحِ العَدْلِ وإيثارِهِ
وذمِّ الجوْرِ وآثارِهِ

العدلُ ميزانُ اللّـهِ في أرضِهِ وَضَعَهُ للخلقِ ونصبَهُ للحقِّ فمن ق/٢٠ خالفهُ في ميزانِهِ وعارَضَهُ في سلطانِهِ فقد عرَّضَ دينَهُ للخبالِ ودولتَهُ للزَّوالِ وعِزَّهُ للذُّلِّ وكَثْرَتَهُ لِلْقِلِّ[١].

وقيلَ كُلُّ دولـةٍ بُنِيَ أساسُهـا على العدْلِ أَمِنَتْ الانعـدامَ وسلمتْ الانهدامَ.

وفي الزَّبور[٢]: العدلُ ميزانُ الباري فلذلك هومُبرأٌ مِنْ كُـلِّ زللٍ وميلٍ[٣].

وقالَ صلى الله عليه وسلمَ: «عدلُ ساعةٍ في حكومةٍ خيرٌ من عبادَةِ ستين سنةٍ»[٤].

---

(١) وردت الجملة منسوبة لبعض البلغاء في كتاب أدب الدنيا والدين مع اختلاف في بعض الألفاظ، ص ١٤١.

(٢) الزبور: كتاب أنزله الله على سيدنا داوود عليه السلام.

(٣) مروج الذهب، ج ١ ص ٢٢٥؛ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٣٤.

(٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، م ٥ ص ١٩٧، وفيه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة وحد يقام في الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين عاماً وقال رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه =

وقالَ بعضُ الحكماءِ: عدلُ السلطانِ خيرٌ من خِصْبِ الزمانِ[1]. وقالَ أردشيرُ[2]: المملكةُ لا تصلحُ إلا بأعدادِ الأجنادِ ولا تعدُّ الأجنادُ إلا بإدرارِ الأرزاقِ ولا تدرُّ الأرزاقُ إلا بكثرةِ الأموالِ ولا تثمرُ الأموالُ إلا بعمارَةِ البلادِ ولا تعمُرُ البلادُ إلا بالأمنِ والعدلِ في العبادِ[3].

= سعد بن غيلان الشيباني ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. ورواه المنذري في الترغيب والترهيب، ج ٣ ص ١٦٧ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا هريرة، عدل ساعة أفضل من عبادة ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها»/ كشف الخفاء، ج ٢ ص ٧٥ بلفظ عدل يوم واحد أفضل من عبادة ستين سنة، وأسنده من طريق أبي نعيم بلفظ عدل حكم ساعة خير من عبادة سبعين سنة.

(١) عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٥؛ غرر الخصائص، ج ١ ص ٥٢؛ الإعجاز والإيجاز، ص ٥١؛ غرر أخبار ملوك الفرس، ص ٤٨٣.

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٢١.

(٣) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ١٧٨، مع اختلاف في بعض الألفاظ؛ عهد أردشير، ص ٩٨؛ غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، ص ٤٨٢.

(ومما استحسن في هذا المعنى من غير الكتاب فصلح أن يذكر في هذا الباب: قيل وجد على قبة لأرسطو مثمنة مكتوب باليونانية ثمان كلمات ابتدأ فيها بالعام وختم بالعالم، وهي:

العالم بستان سياجه الدولة والدولة سلطان تحوطه الشريعة والشريعة سنة يستنها الملك والملك راع يعضده الجيش والجيش أعوان يكفلهم المال والمال رزق تجمعه الرعية والرعية عبيد يقيدهم العدل والعدل مألوف به قوام العالم(*)).

(*) قول أرسطو هذا ليس من صلب كتاب (تهذيب الرياسة وترتيب السياسة) وإنما هو زيادة من الناسخ التي أشار إليها في بداية هذا القول كما أن النسخ المخطوطة والموجودة لدي لم تذكره من قريب أو بعيد وإنما زاده الناسخ لمناسبته لما قبله من الكلام. وذكره صاحب العقد الفريد للملك السعيد، ص ٥٣ ونسبه إلى علي بن أبي طالب.

وقالَ جعفرُ بنُ يحيى[١] بنُ (خالدٍ)[٢]: الخراجُ عمادُ الملكِ فما استغزرَ بمثلِ العدلِ وما استنزرَ بمثلِ الجورِ[٣].

ومَمَّا يدلُّ على صِحةِ هذا الكلامِ ما رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّـهُ عنهُ حينَ جَنَى سوادَ العراقِ مِئَةَ ألفِ ألفٍ وتسعةً وثلاثينَ ألْفِ ألفٍ ثُمَّ جناهُ الحجاجُ في زمانِهِ ثمانيةَ عشرَ ألفِ ألْفٍ ثُمَّ جناهُ عمرُ بنُ عبدِالعزيزِ في خلافتِهِ مئَةَ ألفِ ألفٍ وأربعةً وثلاثينَ ألفِ ألفٍ وقالَ: إنْ عِشتُ إلى قابلٍ جنيتها كما جَنَاهَا عُمرُ بنُ الخطابِ رضِيَ اللَّـهُ عنهُ[٤].

فانْظُر إلى هذا التفاوُتِ العظيمِ بينَ جَنْيِ العُمَرينِ وجني الحجَّاجِ وَليسَ لزيادَتِهِ سببٌ ولا لِنقصانِهِ سببٌ سِوى العدْلِ والجورِ.

وقَالَ أنو شروانَ[٥]: إنَّ المَلِكَ إِذَا كَثُرَتْ أموالُهُ مِمَّا يأخُذُ مِنْ رَعيتِهِ كانَ

---

(١) تقدمت ترجمته، ص ١٤٢.

(٢) ساقطة من (ج).

(٣) نهاية الأرب، ج ٦ ص ٣٥؛ خاص الخاص، ص ٩٠؛ بدائع الملك، ج ١ ص ٢٨٨؛ سراج الملوك، ص ١٠٧.

(٤) الأحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى، ص ١٨٥، وفيه أن عمر جنى الخراج فبلغ في أيامه مئة ألف ألف وعشرين ألف ألف درهم ومقدار جباية الحجاج ثمانية عشر ألف ألف بغشمه وظلمه وعمر بن عبدالعزيز مئة وعشرين ألف ألف بعدله وعمارته. وذكر ابن سعد في طبقاته، ج ٣ ص ٢٠٢ أنه بلغ خراج السواد والجبل على عهد عمر مئة ألف ألف وعشرين ألف ألف واف ـ والواف درهم ودانقان ونصف. وذكر المقدسي في البدء والتاريخ، ج ٤ ص ٧٤، أن سهل بن حنيف جباها لعمر مئة ألف ألف وثمانية وعشرين ألف ألف درهم وجباها الحجاج ثمانية عشر ألف ألف درهم.

(٥) هو أنو شروان بن قباذ بن فيروز ملك الفرس ثمان وأربعين سنة وهو الذي قتل مزدك وجمع أهل مملكته على المجوسية وكان يدعى كسرى الخير وقد ذكرته الشعراء في أشعارها كشعر عدي بن زيد/ مروج الذهب، ج ١ ص ١٩٩.

كَمَنْ يُعَمِّرُ سَطْحَ بيتِهِ بما يَقْتَلِعُ مِنْ قواعِدِ بُنيانِهِ[1].

وكتَبَ عَبْدُالمَلِكِ بنُ مروانَ إلى الحجّاجِ في أَمْرِ أَهْلِ السَّوادِ ابْقِ لَهُمْ لحوماً يَعقِدوا بِها شُحوماً[2].

وقالَ بعضُ الحكماءِ: لا يكونُ العمرانُ حيثُ يجورُ السلطانُ[3].

وقيلَ العَدْلُ أقوى جيشٍ والأمنُ أهنىءُ عَيْشٍ[4]. وقالَ بعضُهم الدُّولُ إذا آفْتُتِحَتْ بالعدلِ امتدت آمادُها وثبَتَتْ أعمادُهَا.

ومَنْ كِتاب المبهجِ إذا مَلَكَ العادِلُ زالَ الرَّوْعُ وأفرخَ[5] وإذا مَلَكَ الظالِمُ عَشَّشَ (الشَّرُّ)[6] وفرَّخَ[7]. وقالَ إذا نَطَقَ العدْلُ في دارِ الإمارةِ فَلَهَا البُشْرَى بِالعزِّ والعِمارةِ[8]. وقالَ عَدْلُ السّلطانِ لِدينِهِ أَحْوَطُ وَلِدُنياهُ أضبطُ ولأوليائِهِ أثبتُ ولأعدائِهِ أكبتُ[9]. وَقِيلَ إذا (عَقَد)[10] السلطانُ بالعدل عقيدَتَهُ

(١) نهاية الأرب، ج ٦ ص ٨؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٢١٢؛ غرر أخبار ملوك الفرس، ص ٦٠٧.

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي، ص ١٧٠؛ خاص الخاص، ص ٨٧؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٣٤؛ الإعجاز والإيجاز، ص ٦٨.

(٣) غرر أخبار ملوك الفرس، ص ٤٨٢؛ عهد أردشير، ص ٩٩؛ شرح نهج البلاغة، م ٣ ص ٣٤.

(٤) أدب الدنيا والدين، ص ١٤٤؛ الإعجاز والإيجاز، ص ١١٠، ونسبه إلى أبي الحسين الأهوازي.

(٥) الفرخ: ولد الطائر وكل صغير من الحيوان والنبات. وأفرخ الأمر استبان بعد اشتباه وأفرخ روعك أي سكن جاشك وفرخ بتشديد الراء الروع تفريخاً ذهب/ القاموس المحيط.

(٦) في (ب ــ ج) الجور.

(٧) المبهج الباب/ ٩ ورقة ٧.

(٨) زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٧٥؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٣٢؛ المبهج الباب ٩ ورقة ٧.

(٩) المبهج الباب ٩ ورقة ٧.

(١٠) في (ب) إذا عدل.

وَطَوى على الإحسانِ طويَتَهُ فَليبشرْ بالنَّجمِ الأسعدِ والجَدِّ الأصْعَدِ[1].

وقالَ ما أَحْرى الملكَ العادلَ بالارتفاعِ إلى نفاعِ الملكِ والصُّعودِ إلى سُعودِ الفلكِ[2].

قالَ مَنْ عَدَلَ نَفَذَ حكمُهُ وقرْطَس[3] في المَطالِبِ سَهْمَهُ وَمَنْ ظَلَمَ تَعَجَّلَ زوالَ النِّعَمِ وحَلولَ النِّقمِ[4]. وقِيلَ مَنْ عَدَلَ حَصَّنَ مُلْكَهُ وَمَنْ ظَلَمَ فَقَدْ استعجلَ هُلْكَهُ[5]. (وَقِيلَ)[6] مَنْ عَدَلَ زادَ قدرُهُ وَمَنْ ظَلَمَ نَقَصَ عمرُهُ[7] وَقِيلَ مَنْ عَدَلَ في سُلْطَانِهِ اسْتَغْنَى عَنْ أعوانِهِ[8] . وَقِيلَ أفضلُ الملوكِ مَنْ أَحْسَنَ في فِعْلِهِ وَنيتِهِ وعَدَلَ في جُنْدِهِ ورعيَتِهِ[9] . وقيلَ مَنْ ساءتْ سيرتُهُ لَمْ يَأْمَنْ أبداً وَمَنْ حَسُنَتْ سيرتُهُ لَمْ يَخَفْ أحداً[10].

---

(١) المبهج الباب ٩ ورقة ٧؛ الحكم بالعدل حتى لا يعتدي ظالم ولا يضعف مظلوم من أهم الواجبات التي أوجبها الشارع على ولي الأمر ولهذا نجد الإمام الرازي يقول أجمعوا على أن من كان حاكمًا وجب عليه أن يحكم بالعدل. وبيَّن ابن الأزرق في كتابه ما في العدل من فوائد دينية ودنيوية ترجع في معظمها إلى نصوص صريحة من كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم/ بدائع السلك، ج ١ ص ٢٣٠ ــ ٢٣١.

(٢) المبهج الباب ٩ ورقة ٧.

(٣) القرطاس: ما يكتب فيه وكسر القاف أشهر والقرطس وازن جعفر لغة فيه والقرطاس أيضاً قطعة من أديم تنصب للنضال فإذا أصابه الرامي قيل قرطس.

(٤) الأمثال للثعالبي، ص ٤٢، وفيه من عقل زال ظلمه ومن عدل نفذ حكمه.

(٥) الأمثال للثعالبي، ص ٤٢، وفيه من استعمل العدل حصن الله ملكه ومن استعمل الظلم عجل الله هلكه.

(٦) في (ب ــ ج) قال.

(٧) الأمثال للثعالبي، ص ٤٢.

(٨) الأمثال للثعالبي، ص ٣٨؛ لباب الآداب، ص ٥٨؛ غرر الخصائص، ص ٢٢.

(٩) لباب الآداب، ص ٥٥؛ الأمثال للثعالبي، ص ٤٠.

(١٠) الأمثال للثعالبي، ص ٣٨.

قالَ رسولُ اللّـهِ صلّى اللّـهِ عليه وسلَّمَ: : «شَرُّ الرُّعاةِ الحُطَمَةُ(١)» قُلْتُ: الحطمةُ مِنْ الرُّعاةِ هُوَ العنيفُ برغبةِ المالِ فكأنَّهُ ق/٢١ يُحَطِّمُها أَيْ يكسُرها ويـأتِي عَليهَا وقـالَ عيهِ الصـلاةُ والسلامُ: «الـظُّلْمُ ظُلُماتٌ يـومَ القيامَةِ»(٢).

وفي التَّوراةِ مَنْ يَظْلِمْ يخربْ بيتُهُ(٣). وفي الزَّبورِ إذا ظلمتَ مَنْ دونَكَ فلا تأمَنْ مَنْ فَوْقَكَ(٤).

(وفي الحديث: دارُ الظالم خرابٌ ولو بعدَ حين)(٥).

وقال مُعاويةُ(٦): أنقصُ النَّاسِ عَقْلاً مَنْ ظَلَمَ مَنْ هُوَ دونَهُ(٧).

وفي بعضِ الأحادِيثِ اتَّقُوا ظُلْمَ مَنْ لاَ نَاصرَ لَهُ إلاَّ اللّـهِ(٨).

---

(١) ورد الحديث كاملاً في مسند أحمد م ٥ ص ٦٤، بإضافة إياك أن تكون منهم، صحيح مسلم، ج ٦ ص ٩؛ السنن الكبرى، م ٨ ص ١٦١؛ مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١٠٩٠؛ والحطمة هو الراعي الظلوم ضربه مثلاً لوالي السوء الذي يظلم الرعية ولا يرحمهم.

(٢) صحيح البخاري، ج ٣ ص ١٦٩؛ صحيح مسلم، ج ٨ ص ١٨؛ سنن الترمذي، ج ٤ ص ٣٧٧. وقال حديث حسن غريب مسند أحمد، م ٢ ص ١٠٦؛ السنن الكبرى، م ١٠ ص ٣٤، ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم ظلمات يوم القيامة، قيل هو على ظاهره فيكون ظلمات على صاحبه لا يهتدي يوم القيام سبيلاً حين يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبإيمانهم ويحتمل أن الظلمات هي عبارة عن الانكال والعقوبات.

(٣) خاص الخاص، ص ٣٥؛ عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٧٦؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٣.

(٤) التمثيل والمحاضرة، ص ١٤، وفيه فلا تأمن عقاب من فوقك.

(٥) هذا الحديث غير موجود في (ب ــ ج). وذكر صاحب كتاب كشف الخفاء، ج ١ ص ٤٨٠، قول صاحب المقاصد لم أقف عليه ولكن يشهد له قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَة بِمَا ظَلَمُوا﴾.

(٦) هو معاوية بن أبـي سفيان.

(٧) سراج الملوك، ص ١٣٣؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٩١؛ نهاية الأرب، ج ٦ ص ٤١.

(٨) لم أجد حديث بهذا اللفظ وإنما ذكر صاحب كشف الخفاء حديثاً في معناه بلفظ اشد =

وقيلَ: الهأم الظُّلمِ ظُلمُ الضَّعيفِ[1]. (وَقيلَ: الظُّلمُ مَسلَبَةٌ لِلْنِّعَمِ مجلبةٌ للنِّقَمِ)[2].

وَقِيلَ: أقربُ الأشياءِ صَرْعَةُ الظُّلومِ وأنفَذُ السِّهامِ دَعوةُ المَظلومِ[3].

قالَ صلى اللّـهُ عليه وسلَّمَ: «اتَّقُوا دَعْوَةَ المظلومِ فإنَّهَا تُرْفَعُ على الغَمَامِ».

يقول اللّـهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَعِزَّتِي وجَلاَلِي لأنصرنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حينٍ﴾[4].

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «ثلاثُ دعواتٍ مستجاباتُ لا شَكَّ فيهنَّ، دعوةُ المظلومِ ودعوةُ المسافِرِ ودعوةُ الوالدِ على وَلَدِهِ[5]». وقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللّـهُ عَنْهُ لِمَوْلى لَهُ وقَدْ استعمَلَهُ على الحِمَى: اتَّقِ دَعوةَ المظلومِ فإنَّها مجابةٌ[6].

وقالَ بعضُ الحكماءِ: مَنْ ساءتْ سيرتُهُ سرت منيتُهُ وَمَنْ قَبُحَ مُلْكُهُ

= غضب الله على من ظلم من لا يجد ناصراً غير الله) وقال رواه القضاعي والديلمي بسند فيه كذاب عن علي/ كشف الخفاء، ج ١ ص ١٤٣، مثله حديث في المعجم الصغير للطبراني، ج ١ ص ١٣١.

(١) التمثيل والمحاضرة، ص ٤٥٢.

(٢) ساقطة من (ب ـ ج).

(٣) أدب الدنيا والدين، ص ١٤٢؛ كتاب الأمثال للثعالبي، ص ٣٨؛ الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء، ص ٥٤.

(٤) ورد الحديث كاملاً في مسند أحمد، ج ٢ ص ٣٠٥؛ وفي سنن ابن ماجه، ج ١ ص ٥٥٧؛ وسنن الترمذي، ج ٤ ص ٨٠، وقال فيه هذا الحديث ليس إسناده بذلك القوي وليس هو عندي بمتصل.

(٥) الترغيب والترهيب، ج ٣ ص ١٨٧؛ سنن ابن ماجه، ج ٢ ص ١٢٧٠؛ الترمذي، ج ٣ ص ٢١٠.

(٦) الخراج لأبي يوسف، ص ١١٣.

حَسَنُ هُلْكُهُ وَمَنْ طالَ تعدّيه كَثُرَ أعادِيهِ ومَنْ طَالَتْ عداوَتُهُ زالَ سلطانُهُ مَنْ طالَ اعتداؤه قَرُبَ فناؤه من تَغذّى بسوءِ السيرةِ تَعَشَّى بِزوال القُدْرَةِ[1].

وَفي بَعْضِ الآثارِ: المُلْكُ يبقى على الكُفْرِ ولا يبقَى على الظُّلمِ[2]. وقالَ بعضُ البلغاء: مَنْ ظَلَمَ يتيماً ظَلَمَ أولادَهُ وَمَنْ أفسدَ أمرَهُ أفْسَدَ معادَهُ[3].

وَمِنْ كِتابِ المبهج أخلِقْ بالملكِ الظَّلومِ أَنْ يصيرَ عِظَةً للرَّائين وعبرةً للراوينَ. بشِّرْ الملكَ الغشومَ بالمِحَنِ مِنْ وجوهِ المِنَحِ والنوائِبِ مِنْ مواضِعِ المواهِبِ والفتوقِ مِنْ جِهَةِ الفُتُوحِ.

إذا كانَ المِلْكُ جائراً فَسَلامٌ على سلامةِ الرَّعيَّةِ.

أخلِقْ بالظالِمِ أَنْ ينهارَ في جُرْفٍ هارٍ.

وَمِنْ نَتائِجِ الظُّلْمِ قِصَرُ المُدّةِ وانحسامُ المادةِ وانقطاعُ المَدَدِ وانفصالُ العُدَدِ. ظِلُّ المالِ المستثمرِ مِنْ ظُلْمِ الرِّجالِ كَسَحابٍ تمزقُهُ أَيْدِي الجَنوبِ والشِّمالِ وتُفرِّقُهُ ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشِّمالِ[4].

---

(١) كتاب الأمثال للثعالبي، ص ٨. قريباً من هذا قول ابن الأرزق في مفاسد الظلم الدنيوية أنه يقصر مدة الملك والسلطان فإن زمان الجائر أقصر من زمان العادل لأن الجائر مفسد والعادل مصلح وإفساد الشيء أسرع من إصلاحه/ بدائع السلك، ج ١ ص ٢٣٤.

(٢) الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء، ص ٥٤؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٣٠؛ أدب الدنيا والدين، ص ١٤٢؛ بهجة المجالس ق/١، ص ٣٥٣.

(٣) كتاب الأمثال للثعالبي، ص ٤٠؛ لباب الآداب، ص ٥٥؛ الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء، ص ٥٤.

(٤) المبهج الباب ١٠ ورقة ٧ ـ ٨، ولهذا قالوا من مفاسد الظلم ذهاب الرزق بدائع السلك، ج ١ ص ٢٣٥.

قيل: الظالمُ قليلُ (المعونةِ)[1] قبيحُ الذِّكرِ والأحدوثةِ الظُّلمُ لا يُقالُ صريعُهُ ولا يساغُ صَريعُهُ ما أبينَ سُوءَ الشؤم في وَجْهِ الغَشومِ[2].

قال ابنُ المعتزِّ[3]: الظالِمُ بَعيدُ الوثبةِ قريبُ الصَّرعَةِ[4]. قيلَ مَنْ لَمْ يعدلْ عَدَلَ اللَّـهُ فيه وَمَنْ حَكَمَ لِنَفْسِهِ حَكَمَ اللَّهُ عليهِ[5]، وقالَ: اذكُرْ عِنْدَ الظُّلمِ عدلَ اللَّـهِ فيكَ وعِنْدَ القُدْرَةِ قُدْرَةَ اللَّـهِ عليكَ[6].

وقالَ: الظّلْمُ مِنَ اللؤمِ والإنْصافُ مِنَ السَّخاءِ[7]. وقالَ آخَرُ: الظُّلْمُ أَسْرَعُ إلى تبديلِ نِعْمَةٍ وتعجيلِ نقمَةٍ[8] وقيلَ: الظُّلْمُ طريقٌ إلى سُخْطِ اللَّـهِ تعالى[9] ووقَّعَ يَحيـى بنُ خالدٍ البرمكيِّ[10] بِئْسَ الزادُ إلى المَعادِ (ظُلْمُ)[11] العِبادِ[12].

قالَ أبو العتاهيَّةِ[13]:

---

(1) في (ب) المغوثة.
(2) المبهج الباب ١٠ ورقة ٨.
(3) تقدمت ترجمته ص ٩٧.
(4) آداب ابن المعتز، ص ١٧١.
(5) آداب ابن المعتز، ص ١٧١.
(6) آداب ابن المعتز، ص ١٢٥؛ شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٥٦٤؛ سراج الملوك، ص ١٣٩.
(7) آداب ابن المعتز، ص ١٥١.
(8) التمثيل والمحاضرة، ص ٤٥٢؛ نهاية الأرب، ج ٦ ص ٤٠.
(9) التمثيل والمحاضرة، ص ٤٥٢.
(10) تقدمت ترجمته، ص ١٤٠.
(11) في (ب) العدوان.
(12) التمثيل والمحاضرة، ص ٤٥٢؛ شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٥٦٩؛ تحفة الوزراء، ص ١٤٧؛ جمهرة رسائل العرب، ج ٤ ص ٣٨٧.
(13) هو أبو إسحاق إسماعيل بن قاسم الشاعر المعروف ولد بعين التمر سنة ١٣٠هـ نشأ بالكوفة وسكن بغداد، كان في أول أمره يبيع الجرار واتصل بالخلفاء ومدحهم ثم ترك =

أَمَـا والـلَّـهِ إِنَّ الـظُّلمَ لُـؤْمٌ　　　وما زالَ المُسِيءُ هـو الـظَّلُومُ
إلى ديَّـانِ يـومِ الـدِّينِ نَمْضِي　　　وعنـدَ اللَّـهِ تجتَمِـعُ الخُصُـومُ(1)

وقالَ آخَرُ:

وَمَا مِنْ يَدٍ إلَّا يَـدُ اللَّـهِ فَـوْقَهَـا　　　ومـا ظـالِمٌ إلا سَيُبْلَى بـظـالِمِ(2)

وقال آخرُ:

إذا جَـارَ الأمـيـرُ وكـاتـبـاهُ　　　وقاضي الأرضِ أسرفَ في القَضَاءِ
فَـوَيْـلٌ لـلأمـيـرِ وكـاتـبـيـهِ　　　وقاضي الأرضِ من قاضي السَّماءِ(3)

= قول الشعر فسجنه المهدي فعاد إليه فأطلقه توفي سنة ٢١١هـ/ وفيات الأعيان، م ١ ص ٢١٩؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ٢٥؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٦٥.

(1) ديوان أبو العتاهية، ص ٣٩٨.

(2) بهجة المجالس، ق/١ ص ٣٦٧؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٤٥٣؛ البداية والنهاية، ج ٨ ص ٢٧٤.

(3) بهجة المجالس، ق/١ ص ٣٦٩؛ المستطرف، ج ١ ص ٩٧.

فَصْـلٌ
في ذِكْرِ البَغْيِ

قالَ اللّـهُ تعالَى: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللّـهُ﴾[1].

وقَالَ عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ: «لَيْسَ شيءٌ أسرَعَ عُقوبَةً مِنْ بَغْيٍ»[2].

وَفِي بَعْضِ الآثارِ: لَوْ بَغَى جَبَلٌ على جَبَلٍ لَجَعَلَهُ اللّـهُ دَكّاً[3].

قالَ أَبو بَكْرٍ الصديقُ[4] رَضِي اللّـهُ عَنْهُ: ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ كُنَّ عَلَيْهِ البغي والنكث والمكر[5].

---

(١) آية ٦٠، من سورة الحج، ونصها في كتاب الله: ﴿ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور﴾.

ذكر ابن كثير أنها نزلت في سرية من الصحابة لقوا جمعاً من المشركين في شهر محرم فناشدهم المسلمون أن لا يقاتلوهم في الشهر الحرام فأبى المشركون إلا قتالهم وبغوا عليهم فقاتلهم المسلمون فنصرهم الله عليهم. وقد ذكر الأستاذ سيد قطب في تفسيره لهذه الآية أن الذين يقع عليهم العدوان من البشر لا يحلمون ولا يصبرون فيردون العدوان ويعاقبون بمثل ما وقع عليهم من الأذى فإن لم يكف المعتدون وعاودوا البغي على المظلومين تكفل الله عندئذٍ بنصرة المظلومين على المعتدين وشرط النصر هنا أن يكون العقاب قصاص على اعتداء لا عدواناً ولاتبطراً/ ظلال القرآن، ج ١٧ ص ١١٥.

(٢) كنوزالحقائق في حديث خير الخلائق على حاشية الجامع الصغير، ج ٢ ص ٧٦، وقال المناوي أخرجه البيهقي.

(٣) كنوز الحقائق، ج ٢ ص ٧٢، وقال أخرجه الحاكم؛ كشف الخفاء، ج ٢ ص ٢١٠، وقال رواه البخاري في الأدب المفرد وأبو نعيم عن ابن عباس موقوفاً، ومثله في تمييز الطيب من الخبيث، ص ١٣٤، وزاد طرقاً أخرى للحديث.

(٤) تقدمت ترجمته ص ١٧٩.

(٥) زهر الآداب، ج ١ ص ٣٣؛ نهاية الأرب، ج ٣ ص ٥؛ عيون الأخبار، م ١ ج ٢ ص ١١١؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٢٨.

وَقِيلَ: مَنْ سَلَّ سَيْفَ البغْيِ قُتِلَ بِهِ[1]. وَقِيلَ: البَغْيُ (مَرْتَعُهُ)[2] وَخِيمٌ[3].

وَقِيلَ: احذرْ مَصارِعَ البغي[4]: قالَ بعضُهُمْ: من ق/٢٢ سَلَّ سَيْفَ البَغْيِ أَغْمَدْ في رَأْسِهِ وَمَنْ أَسَّسَ أساسَ السُّوءِ أَسَّسَهُ عَلَى نَفْسِهِ[5].

---

(١) سراج الملوك، ص ٢٤؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٤٥٠؛ الإعجاز والإيجاز، ص ٣٣؛ العقد الفريد، ج ٢ ص ٢٣١.

(٢) في (ب) مصرعه.

(٣) التمثيل والمحاضرة، ص ٤٥٠.

(٤) التمثيل والمحاضرة (٤٥٠).

(٥) خاص الخاص، ص ٢٦؛ أدب الدنيا والدين، ص ٣٣٠.

بَابُ في ذِكْرِ العفْوِ وَمَدْحِ مُسْتعمِلِهِ في أكْثَرِ أحوالِهِ والانتقامِ وَمَحَلِّ استعمالِهِ

إعلمْ أنَّ (الحُلْمَ)(١) محمودٌ في مَحَلِّهِ، والعفوَ مُسْتَحْسَنٌ إذا اسْتُعْمِلَ مَعَ أهلِهِ.

قالَ اللَّهَ تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾(٢).

وقال جل وعلا: ﴿وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ والعَافِينَ عَنِ النَّاسِ واللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾(٣).

---

(١) في (ب ـ ج): الجود.

(٢) ٢٣٧ من سورة البقرة ونص الآية: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوىَ وَلاَ تَنسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

وهو خطاب للرجال والنساء في قول ابن عباس فغلب الذكور، واللام بمعنى إلى أي أقرب إلى التقوى. والآية تتحدث عن المطلقة قبل الدخول، التي فرض لها مهراً معلوماً، وفي هذه الحالة يجب لها نصف المهر المسمى، هذا هو القانون. ولكن القرآن يدع الأمر بعد ذلك للسماحة والفضل واليسر، فالزوجة ولوليها إن كانت صغيرة أن تعفُـوَ، وتترك ما يفرضه القانون، والتنازل في هذه الحالة هو تنازل الإنسان الراضي، القادر العفو السمح الذي يعف عن مال رجل قد انفصمت منه عروته. ومع هذا فإن القرآن يظل يلاحق هذه القلوب كي تصفو، وتخلو من كل شائبة وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير/ تفسير القرطبي، م ٢ ص ٢٠٤؛ الظلال، ج ٢ ص ٢١٢.

(٣) آية ١٣٤ من سورة آل عمران ونص الآية: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ =

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[1].

وَكانَ معاويةُ[2] يقولُ: أنِّي لِأنفِ أنْ يكونَ في الأرضِ جَهْلٌ لا يَسَعُهُ حِلْمِي، وَذَنْبٌ لا يَسَعُهُ عَفْوِي، وحاجَةٌ لا يَسَعُهَا جُودِي[3]. وأغلظَ لَهُ رجل أَسْمَعَهُ ما يكرَهُ في وَجْهِهِ فقالَ: لَوْلا أنِّي لم أتجرَّعْ جُرْعَةً قَطُّ، هِيَ ألَذُّ عِنْدِي مِنْ جُرعةِ غَيْظٍ وَحَنَقٍ، رَدَدْتُها بِعَفْوٍ، لَسَقَيْتُ الأرضَ مِنْ دَمِكَ، ارجعْ إلى أهْلِكَ سَالماً[4]. وَقَالَ اردشيرُ[5] مَنْ عاقَبَ على الذَّنْبِ فَقَدْ عَدَلَ، وَمَنْ صَفَحَ عَنْهُ

= والكَاظِمِينَ الغَيْظَ والعَافِينَ عَنِ النَّاسِ واللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾.

تقرر هذه الآية بعض صفات المتقين، الذين أعدت لهم الجنة فهم ينفقون في العسر واليسر، ويعرفون حق الله في أموالهم ويكظمون غيظهم ويعفون عن الناس. وقد قال الإمام القرطبي العفو عن الناس أجل ضروب فعل الخير حيث يجوز للإنسان أن يعفو، وحيث يتجه حقه وكل من استحق عقوبة فتركت له فقد عفى عنه واختلف في معنى عن الناس فقيل هم المماليك وهو قول الكلبي والزجاج، وقيل عن كل الناس وهذا هو ظاهر الآية.

ولقد ذكر الأستاذ سيد قطب في تفسيره لهذه الآية فقال: وكظم الغيظ هو المرحلة الأولى وهي وحدها لا تكفي، فقد يكظم الإنسان غيظه ليحقد ويضطغن فيتحول الغيظ الغائر إلى أحنة فائرة ويتحول الغضب الظاهر إلى حقد دفين... لذلك يستمر النص، ليقرر النهاية الطليقة لذلك الحقد الكظيم في نفوس المتقين انها العفو السمح العفو الجميل/ تفسير القرطبي، م ٢ ج ٤ ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧؛ ظلال القرآن، ج ٤ ص ٣٤.

(١) آية ٣٧ من سورة الشوري، وذكر الأستاذ سيد قطب في تفسيره لهذه الآية أنها جاءت بعد الإشارة الخفية إلى سماحة الله مع الإنسان في ذنوبه وأخطاءه، فتحبب في السماحة والمغفرة بين العباد. وتجعل صفة المؤمنين أنهم إذا ما غضبوا هم يغفرون/ ظلال القرآن، ج ٢٥ ص ٤٦.

(٢) هو معاوية بـن أبي سفيان، ترد ترجمته في القسم الثاني.

(٣) نهاية الأرب، ج ٦ ص ٧ ـ ٨؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٢١٠؛ ربيع الأبرار، ج ١ ص ٧٤٥؛ الطبري، ج ٧ ص ٢١٢؛ العقد الفريد للملك السعيد، ص ١١١.

(٤) المخلاة، ص ٥٨؛ بهجة المجالس، ق ١ ص ٣٧١؛ نهاية الأرب، ج ٦ ص ٥٠.

(٥) تقدمت ترجمته، ص ١٢١.

فَقَدْ تَفَضَّلَ، فاجعلْ لَكَ مِنَ العفْوِ ما تَسْتَدعِي بِهِ مِنَ اللّهِ النَّصْرَ، وتستنزلُ بِهِ جَميلَ الصُّنْعِ [1].

وهذا نظيرُ قولِ عبدِالحميدِ الكاتبِ[2]: الانتقامُ عَدْلٌ، والتجاوزُ فَضْلٌ، وأنَا أعيذُكَ باللّهِ أَنْ تَرْضَى لِنَفسِكَ بأبخَسِ الحظَّيْنِ، واوكسِ [3] النَّصيبينِ دُونَ أَنْ تَبْلُغَ (أعلى)[4] الدَّرجتينِ[5]. واستشارَ المأمونَ الحسنَ بنَ سَهَلٍ في قَتْلِ إبراهيمَ[7] بنِ المهديِّ فقالَ: يا أَميرَ المؤمنينَ إنْ قتلتَهُ فَلَكَ نظيرٌ في قَتْلِهِ،

---

(١) عهد أردشير، ص ٨٧.

(٢) هو عبدالحميد بن يحيى بن سعد، مولي بني عامر، الكاتب البليغ الذي يضرب فيه المثل بالبلاغة فيقال: «فتحت الرسائل بعبدالحميد وختمت بابن العميد». أصله من قيسارية، سكن الشام وكان أولاً يعلم الصبيان ثم تقلبت به الأحوال إلى أن أصبح وزيراً لمروان بن محمد. وعنه أخذ المترسلون، ولطريقته لزموا ولآثاره اقتفوا، قتل مع مروان ببوصير سنة ١٣٢هـ/ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٥٥؛ وفيات الأعيان، م ٣ ص ٢٢٨؛ الفهرست، ص ١١٧.

(٣) الوكس: النقص، وفي الحديث: «لها مهر مثلها لاوكس ولا شطط أي لا نقصان ولا زيادة»/ المصباح المنير؛ مختار الصحاح.

(٤) في (ب): إحدى.

(٥) البيان والتبيين، ج ٢ ص ٢٦٩؛ تاريخ الخلفاء، للسيوطي، ص ٢٦٤ ــ ٢٦٥؛ وتجمع هذه المصادر على أنها قيلت للمنصور من قبل رجل خرج على المنصور مع عبدالله بن علي، وأُتي به للعقوبة.

(٦) الحسن بن سهيل: هو أبو محمد الحسن بن سهل الوزير. كان من بيت رياسة، أسلم أبوه في خلافة الرشيد، تولى الوزارة بعد أخيه الفضل، تزوج المأمون بابنته بوران، مات بسرخس، سنة ٢٣٦/ شذرات الذهب، ج ٢ ص ٨٦؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٢٨٧.

(٧) هو أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي بن المنصور، ويعرف بابن شكله. ولد سنة ١٦٢هـ، ولاه الرشيد امرة دمشق مدة سنتين ثم عزله عنها، خرج في خلافة المأمون ودعا لنفسه، وبايعه أهل بغداد، ثم ظفر به المأمون وعفى عنه، توفي سنة ٢٢٤هـ. يسر من رأى وصلى عليه ابن أخيه المعتصم/ وفيات الأعيان، م ١ ص ٣٩ ــ ٤٢؛ الطبري، حوادث سنة ٢٢٤؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٩٠.

وانْ عَفَوْتَ عَنْهُ فلا نظيرَ لَكَ فَعفَى عَنـهُ[1]. وَمِمَّا استُحْسِنَ مِنْ اعتـذارِ إبراهيمَ بْنِ المهديِّ قولُهُ: إنْ بَلَغَ جُرْمِي استحلالَ دَمِي، فَحُلْمُ أميرِ المؤمنينَ وفضلُهُ، يبلغَاني عَفْوَهُ وَلي بَعْدَ ذَلكَ شُفْعَةُ الإقرارِ بالذَّنْبِ وَحَقُّ الأبِ بَعْدَ الأبِ[2].

وقولُهُ شِعْراً:

أذنـبـتُ ذَنْـبـاً عَـظـيـمـاً وأنْـتَ أعـظَمُ مِـنْـهُ
فَـخُـذْ بـحَـقِّـكَ أولاً فـاصـفـعْ بِـحـلمـكَ عَـنْـهُ
إنْ لَـمْ أكـنْ فـي فِـعـالـي مِـنَ الـكِـرامِ فَـكُـنْـهُ[3]

وقولُهُ:

أذنـبـتُ ذنـبـاً عـظـيـمـاً وأنـتَ لـلـعـفـو أَهْـلُ
فَـإنْ عـفـوتَ فَـمَـنٌّ وإنْ جـزيـتَ فَـعَـدْلُ[4]

فَقَالَ المأمونُ: لَو لَمْ يكنْ في حَقِّ نَسَبِكَ، ما يُقَوِّمُ بالصَّفْحِ عنكَ، لبلغكَ مَا أملتَ: حسنُ تنصُّلِكَ وَلُطْفُ توصُّلِكَ، وَأَنَّ ذنباً أولُهُ هفوةٌ، وآخِرُه توبةٌ لَحَقيقٌ أنْ لا يكونَ عَلى مِثلِهِ عقوبةٌ[5]. وقالَ المأمونُ لإبـراهيمَ بنِ المهديِّ لَقَدْ أشَارَ عَلَيَّ كُلّ أحَدٍ بِقَتْلِكَ، حَتَّى أَخِي أَبِـي إسحاقَ وابْني العباسِ فقالَ يا أميرَ المؤمنينَ إنَّهُم نَصَحوا لَكَ بِذَلكَ في لوازِمِ الخِلاَفَةِ، وَمَا جَرَتْ بِهِ أحكامُ السِّيَاسَةِ، وَلَكِنْ يَأْبَـى أميرُ المؤمنينَ أَنْ يَسْتَجْلِبَ النَّصْرَ إلاَّ كَمَا عَوَّدَهُ اللَّهُ[6].

---

(١) زهر الآداب، ج ١ ص ٥٧٠، وفيه أن المأمون شاور أحمد بن أبـي خالد الأحول، الوزير فقال هذا القول، ومثله وفيات الأعيان، م ١ ص ٤١.

(٢) زهر الآداب، ج ١ ص ٥٦٩؛ العقد الفريد، ج ٢ ص ٢٠.

(٣) الأمالي، لأبـي علي القالي، ج ١ ص ٢٤٣؛ العقد الفريد للملك السعيد، ص ١١١.

(٤) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ٨١.

(٥) نهاية الأرب، ج ٦ ص ٦١؛ عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ١٠٠.

(٦) المحاسن والمساوىء، ج ٢ ص ١٧٨؛ العقد الفريد، ج ٢ ص ٢٠؛ بغداد في تاريخ الخلافة العباسية، ص ١٠٥.

فَقَالَ المأمونُ قَدْ ماتَ حِقْدِي، لِحياةِ عُذْرِكِ، وَعَفَوْتُ عَنْكَ. وأعْظَمُ مِنْ عَفْوي عَنْكَ أنّي لَمْ أُجَرِعْكَ امتنانَ الشافعينَ. ثُمَّ سَجَدَ المأمونُ طويلاً ثُمّ رَفَعَ رَأسَهُ فقالَ يا إبراهيمُ أتَدْرِي لِمَ سجدتُ فَقُلْتُ شُكْراً لِلّهِ ظَفَرَك بِعدوِّ دَولَتِكَ، فقالَ مَا أردتُ هَذا وَلكنْ شُكْراً لِلّهِ على ما ألْهمنيهِ مِنَ العفوِ عَنْكَ[1] فقالَ إبراهيمُ:

إنَّ الـذي خَلَقَ المكـارِمَ حـازَهـا ... في صُلْبِ آدمَ لـلإمـامِ السّابـعِ
مُلِئتْ قلوبُ النَّاسِ مِنْهُ مهـابـةً ... وَيَضـلُّ يكلؤهم بِقَلْبٍ خَـاشِـعِ
فعفـوتَ عَمَّنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ مِثْلِهِ ... عَفْـوٌ وَلَمْ يَشْفَـعْ إليـكَ بِشَـافِـعِ
وَرحِمْتَ أطفـالاً كـأفـراخِ القَـطَا ... وَحـنـيـنَ والـدِهِ بـقـلـبٍ جَـازعِ
رَدَّ الحيـاةَ عليَّ بَعْـدَ ذَهَـابِهَـا ... كَرَمُ المليكِ القادرِ المتواضِـعِ[2]

فقـالَ المأمـونُ: لا تثريبَ عليـكَ قَدْ عفـوتُ عنكَ، وَرَددتُ مـالَكَ وضياعَكَ[3]. (فقالَ في ذلك)[4]:

رَدَدْتَ مـالي ولم تبخلْ عليَّ بـِهِ ... وَقَبْلَ رَدِّكَ مالي قَـدْ حَقَنْتَ دَمي
فـأبتُ عنـكَ وَقَـدْ خَـوّلْتني نِعَمـاً ... هما الحياتان مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ عَدَمِ
فلو بـذلتُ دَمي أبغي رِضاكَ بـِهِ ... والمالَ حَتّى أسلَّ النَّعْلَ مِنْ قَدَمي

---

(١) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ٨٤؛ شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٢٧١.
(٢) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ٨٢ ـ ٨٣، مع اختلاف في البيت الثاني.
وذكر الطبري في تاريخه، ج ١١ ص ١٠٧٩، هذه الأبيات غير مرتبة مع اختلاف في بعضها كالاختلاف الحاصل في البيت الرابع فقد ذكره:
فـرحمت أطفـالاً كـأفـراخ القـطا ... وعـويل عـانسة كقـوس النازع
(٣) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ٨٣.
(٤) زيادة من (ب) ـ ج).

ما كانَ (ذاكَ)[1] سِوَى عاريةٍ رَجَعتْ إليكَ لو لَمْ تُعِرْها كُنْتَ لَم تُلَمِ
فإنْ جحَدْتُكَ ما أوْلَيتَ مِنْ نِعَمٍ إنِّي لَفي اللّوْمِ أَحْظَى مِنْكَ في الكرمِ ق/٢٣

وكانَ إبراهيمُ بنُ المهديِّ قَدْ ادَّعَى الإمامَةَ لِنفْسِهِ، في زَمنِ المأمونِ وبُويِعَ لَهُ ببغدادَ، وَمَكَثَ عَلى ذلكَ مَدّةً وأصحابُ المأمونِ يُحارِبونَه إلى أنْ (ظَفِروا)[3] بِهِ فَعَفَى عَنْهُ كَمَا تقدَّمَ. وَكَانَ إبراهيمُ يقولُ واللّهِ ما صَفَحَ المأمونُ عنّي صِلةً لِرحِمِي، وَلكِن طارَ لَهُ اسْمُ في العفوِ، فَأَحَبَّ أَنْ يُسْدِيهِ إليَّ[4].

وكانَ المأمُونُ يقولُ: لَقَدْ (لَذَّ)[5] لِيَ العفُو حَتَّى حسبتَني لا أثابُ عليهِ[6].

وَكَتَبَ معمرُ[7] مولَى سليمانَ مِن الحبسِ إلى الرَّشيد لست في عِقابي إذا كنت سقيماً بأعظَم ثواباً مِنْكَ في تخيلتِي إنْ كُنْتُ بريئاً.

وقالَ أردَشيرُ: وَجدْنَا للذةِ العَفوِ مَا لَمْ نَجِدْ لِلَذةِ العقوبةِ[8]. وَأَمَر الحجاجُ بقتلِ أقوامٍ، فَلمَّا قُدِّمَ أَحَدُهُم لِلْقتلِ بَعْدَ قَتْلِ جماعةٍ مِنْهُم، قَالَ:

---

(١) في (ب): ذا.
(٢) المستجاد من فعلات الأجواد، ص٨٣، مع اختلاف في البيت الأخير، زهر الآداب، ج ١ ص ٥٧٠؛ وذكر الأمالي، ج ١ ص٢٤٣، الأربعة الأولى، وأغفل البيت الخامس.
(٣) في (ج) إلى أن ظفر به المأمون.
(٤) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج ١ ص ٧٣٢؛ آداب السياسة بالعدل، مصور رقم ٢٣٠٠، ص ٢٢٧.
(٥) في (ب) حبب.
(٦) شذرات الذهب، ج ٢ ص ٤٠؛ غرر الخصائص، ص ٢٣٤.
(٧) لم أعثر على ترجمة له فيما لدي من المراجع.
(٨) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ١٧٩؛ ربيع الأبرار، ج ١ ص ٧٤٢؛ نهاية الأرب، ج ٦ ص ٨؛ وتنسبه المصادر السابقة إلى أنو شروان.

واللّهِ لَأنْ كُنَّا أسأْنَا في الذَّنبِ، فما أَحْسَنْتَ في العَفوِ فقالَ الحجاجُ أمّا كَانَ في هؤلاءِ الجيفِ مَنْ يُحْسِنُ مِثْلَ هذا وَعَفى عَنْهُ وَعمَّنْ بَقِيَ مِنْهُم[1]. وَقالَ عَبْدُالصَّمَدِ[2] للّسفاحِ إذَا قَتَلتَ أكفاءك فبمنْ تباهي بملكِكَ[3]. وَقالَ معاويةُ أَوْلى النَّاسِ بالعفوِ «أقدرُهم على[4] العقوبَةِ»[5].

وقالَ عَبْدُ الملكِ بنُ مروانَ[6]: أحقُّ الناس بالإِحْسَانِ مَنْ أَحْسَنَ اللّهُ إليهِ وأولاهُم بالعفوِ مَنْ بَسَطَ اللهُ بالقُدْرَةِ يَدَيْهِ[7].

وقالَ ابنُ المعتزّ كَفى بالظَّفرِ شَفيعاً لِلْمذنِبِ إلى الحليمِ[8]. وَقَالَ حَسبُكَ مِنْ عدوّك ذُلُّهُ في قدرتكَ[9]. وقالَ أيضاً مَا عَفى عَنِ الذَّنْبِ مَنْ

---

(١) ربيع الأبرار، ج ١ ص ٧٣٠؛ العقد الفريد، ج ٢ ص ٣٩؛ عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ١٠٣؛ نهاية الأرب، ج ٦ ص ٦٤.

(٢) هو عبدالصمد بن علي بن عبدالله بن عباس، ولد سنة ١٠٤هـ، وكان في القرب لعبدمناف بمنزلة يزيد بن معاوية. ولي إمرة دمشق والموسم والمدينة والبصرة، توفي سنة ١٨٥هـ/ شذرات الذهب، ج ١ ص ٣٠٧؛ النجوم الزاهرة، ج ١٠ ص ١٨٦؛ المختصر في أخبار البشر، ج ٢ ص ١٦؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٨٦.

(٣) التمثيل والمحاضرة، ص ١٣٥؛ العقد الفريد، ج ٢ ص ٥٠، وفيه أنه عزم عبدالله بن علي على قتل بني أمية بالحجاز، فقال له عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، إذا أسرعت بالقتل في أكفائك فبمن تباهي بسلطانك.

(٤) في (ج) أقدرهم على الانتقام.

(٥) التمثيل والمحاضرة، ص ٣١؛ سراج الملوك، ص ١٣٣؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٥٣.

(٦) عبدالملك بن مروان الخليفة الأموي ، ترد ترجمته في القسم الثاني.

(٧) عيون الأخبار، م ١ ج ١ص ٧٦؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٣٨؛ الإعجاز والإيجاز، ص ٤٢.

(٨) آداب ابن المعتز، ص ١٠٠؛ سراج الملوك، ص ١٧٢؛ غرر الخصائص، ص ٢٥٠، وفيها كفى بالظفر شفيعاً للمذنب إلى القادر.

(٩) آداب ابن المعتز، ص ١٠٠.

قُرِّعَ[1] بِهِ. وقالَ لا تُشِنْ وَجهَ العفو بالتأنيب[2]. وقالَ آخرُ: أولى السَّائلينَ بالإسعافِ مَنْ طَلَبَ العفوَ[3] وقالَ آعف عَمّن أبطأ بالذَّنْبِ وأسْرَعَ بالنَّدَمِ[4].
وَقالَ الأميرُ شَمْسُ المَعالي[5]: العفْو عَنِ المجرِمِ مِنْ واجبِ الكرَمِ، وقبولُ المعذرةِ مِنْ محاسِنِ الشِّيَمِ[6]، قِيلَ: اعتَذَرَ أَحمَدُ بنُ هِشامٍ الكاتبِ[7] إلى أحمدَ بنِ أبي خالدٍ[8] بِعُذْرٍ فقالَ لَهُ أحمدُ بْنُ خالدٍ واللهِ لاقبلتُ عذرَكَ حتَّى أُسيىءَ إليكَ قالَ ابنُ هِشام واللهِ لأنْ فعلتُ لاستعديتُ عليكَ إلا نَفْسَكَ ولا أطْمَعنِي فيكَ إلا ظُلْمُكَ. فاستحيَا مِنْهُ وَقبلَ عُذرَهُ[9]. وقالَ بعضُ البُلغاءِ: ليسَ مِنْ عادَةِ الكِرامِ إسراعُ الانتقامِ، ولا مِنْ شَرْطِ الكرامِ إزالةُ النِّعَمِ، ولا تأخُذْ بالسَّهوِ ولا تَزْهَدْ في العفوِ وارحمْ مَنْ دُونَك يرحمْكَ مَنْ فَوقَكَ[10].

وَهذا المعْنى قريبٌ مِنْ قَولِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «الرَّاحمونَ

---

(١) آداب ابن المعتز، ص ٨٢.
(٢) آداب ابن المعتز، ص ٦٩؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٧٧١؛ غرر الخصائص، ص ٢٥٠.
(٣) التمثيل والمحاضرة، ص ٤١٢.
(٤) آداب ابن المعتز، ص ١٨٨.
(٥) ... تقدمت ترجمته ص ١٧٤.
(٦) كمال البلاغة، (رسائل شمس المعالي)، ص ٤٢.
(٧) لم أجد له ترجمة فيما لدي من المراجع.
(٨) هو أحمد بن أبي خالد الأحول، وزير المأمون، كان جليل القدر من عقلاء الرجال بصيراً بالأمور كاتباً بليغاً، مات حتف أنفه سنة ٢١٠هـ/ الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٢٤ ــ ٢٢٥.
(٩) كتاب الفاضل والكامل (أو وصايا الملوك) مخطوط رقم ش ٢٣، أدب، دار الكتب، ورقة ٢٠.
(١٠) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٣٧؛ أدب الدنيا والدين، ص ٢٥٢.

يرحَمُهُمُ الرحمنُ: آرْحَموا مَنْ في الأرضِ يرحمُكُم من في السماء»[1]. وَقَالَ بَعْضُ الحُكماءِ: عَفوُ (الملوكِ)[2] أبقَى للمِلْكِ[3].

(١) سنن الترمذي، ج ٣ ص ٢١٧، وقال حديث حسن صحيح؛ سنن أبي داود، ج ٤ ص ٢٨٥؛ السنن الكبرى، م ٩ ص ٤٠، تكفل الله لمن رحم عباده بالرحمة منه ومن ملائكته ورحمة الملائكة لأهل الأرض دعاؤهم لهم بالرحمة والمغفرة والرحمة مقيدة باتباع الكتاب والسنّة، فإقامة الحدود والانتقام لحرمة الله تعالى لا ينافي كل منهم الرحمة/ عون المعبود، شرح سنن أبي داود، ج ١٣ ص ٢٨٥.

(٢) في (ج): الملك.

(٣) هذا نص حديث ذكره صاحب تميز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، ص ١٠٧، وقال رواه الرافعي من حديث على به مرفوعاً وذكره السيوطي في الجامع الصغير، ج ٢ ص ٦٠، من رواية الرافعي عن علي.

فَصْلٌ: واعلمْ أنَّهُ ليسَ لِسُرْعَةِ الانتقامِ وتعجيلِ العقوبةِ والإعراضِ عَنِ الصفحِ وقلّةِ الرَّغبَةِ في العفوِ سببٌ (سوى)[1] قوةِ الغَضبِ، فلنذكُرْ مِنْهُ جُمَلاً موجزةً:

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ: «ليسَ الشديدُ بالصرعةِ إنَّما الشديدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِندَ الغَضَبِ»[2].

وقالَ عَليهِ الصَّلاةُ والسلامُ: «مَنْ كَظَمَ غيظاً وَهُوَ يَقدِرُ أَنْ (يمضيهِ)[3] ملأ اللهُ قلبَهُ أَمْناً وإيماناً»[4]. وقالَ صلى اللهُ عليهِ وسلّمَ: إذا غَضِبَ أحدُكُم وَكانَ قائماً فليقْعُدْ أَوْ كانَ قاعِداً فليضطَجِعْ[5]. وَقالَ عَلَيْهِ السَّلامُ:

---

(١) في (ب): الا. وفي نسخة (ج): غير.

(٢) صحيح البخاري، ج ٨ ص ٣٤؛ صحيح مسلم، ج ٨ ص ٣٠؛ موطأ مالك بشرح الزرقاني، ج ٤ ص ٢٦٠؛ مسند أحمد، م ٢ ص ٢٣٦. ومعنى الحديث أنه ليس القوي هو الذي يصرع الرجال، بل القوي هو الذي يصرع غضبه، فيكظمه ويملك نفسه في ثورة الغضب، فهذا هو صاحب القوة لأن قهر النفس شيء صعب، فإذا تغلب عليها وملكها يكون قد قهر أقوى أعدائه وشر خصومه.

(٣) في (ج): إنفاذه.

(٤) سنن أبـي داوود، ج ٤ ص ٢٤٨ باختلاف في بعض الألفاظ؛ سنن الترمذي، ج ٣ ص ٢٥١، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٥) سنن أبـي داوود، ج ٤ ص ٢٤٩؛ مشكاة المصابيح، ج ٣ ص ١٤١٥؛ مجمع الزوائد، ج ٨ ص ٧٠، أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالقعود عند الغضب، لأن القائم متهيىء للحركة والبطش والقاعد دونه في هذا المعنى والمضطجع ممنوع منهما فيشبه أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أمره بالقعود والاضطجاع لئلا يبدر منه في حال قيامه وقعوده ما يندم عليه؛ عون المعبود، شرح سنن أبـي داوود، ج ١٣ ص ١٤٠.

«إذا عَضِبْتَ فَاسْكُتْ»[1]. وقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أوصِني، قال: لا تَغْضَبْ[2].

وقِيلَ: الغَضَبُ غُولُ العقْلِ[3]. وقيلَ الغضبُ مفتاحُ الشَرِ. وقال بعض الحكماءِ: الغَضَبُ يُفْسِدُ الإيمانَ كما يُفْسِد الصَّبْرُ العسل[5]. وقيلَ: إذا دَخَلَ الغَضَبُ على (الرَّجُلِ)[6] العاقِلِ الورِعِ، أَذْهَبَ مِنْهُ العقلَ والوَرَعَ، فكيفَ بِمنْ لا عَقْلَ ولا وَرَعَ.

وقالَ سَهْلُ بنُ هارونَ[7]: ثلاثَةٌ مِنَ المجانينِ وإنْ كانُوا مِنَ العقلاءِ: الغَيْرَانُ والغَضبانُ والسكرانُ[8]. وقالَ ابنُ المعتزِ: الغضبُ يُصدِي العقلَ، حتّى لا يرى صاحبه (صورة)[9] حَسَنٍ فيفعلَه ولا صورة قُبحٍ

---

(١) الجامع الصغير، ج ١ ص ٣١، وقال: حديث حسن؛ مسند أحمد، م ١ ص ٢٨٣ عن ابن عباس.

(٢) صحيح البخاري، ج ٨ ص ٣٥؛ سنن الترمذي، ج ٣ ص ٢٥٠ ـ ٢٥١، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقد تكلم الإمام الغزالي في الاحياء عن الغضب وبين أسبابه وحقيقته وعلاجه فليرجع إليه هناك.

(٣) عيون الأخبار، م ١ ج ٣ ص ٢٨٨؛ مجمع الأمثال، ج ٢ ص ٦١ ومعناه أن الغضب يهلك العقل. يقال: غاله يغوله: إذا أهلكه، وجاء بلفظ: الغضب غول الحلم.

(٤) بدائع السلك، ج ١ ص ٤٦٤.

(٥) ذكره صاحب تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، ص ١١١، وقال: رواه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب وسنده ضعيف؛ كشف الخفاء، ج ٢ ص ١٠٣.

(٦) ساقطة من (ب ـ ج ـ د).

(٧) سهل بن هارون: هو أبو عمرو سهل بن هارون بن راهابون من أهل نيسابور، انتقل إلى البصرة وخدم المأمون فكان صاحب خزانة الحكمة، وكان حكيمًا فصيحاً شاعراً فارسي الأصل، شعوبي المذهب شديد التعصب على العرب، له مصنفات تدل على بلاغته وحكمته، كانت وفاته بعد عام ٢٠٠هـ. سرح العيون، ص ٢٤٣؛ فوات الوفيات، ج ٢ ص ٨٤؛ الفهرست، ص ١٢٠.

(٨) عيون الأخبار، م ٢ ج ٤ ص ٤٩؛ البيان والتبيين، ج ٢ ص ٣١٠؛ بهجة المجالس، ق/١ ص ٥٤٤.

(٩) في (ب ـ ج): صوره.

فيجتنبهُ[1] وقالَ: أوّلُ الغضَبِ جُنونٌ وآخِرُهُ نَدَمٌ[2]. وقالَ: لا يحملنَّكَ الحَنَقُ على اقترافِ إثمٍ، فَتُشفى غيظَكَ وَتُسْقِمَ دينَك[3]. وقالَ: قـوَّةُ الحُلْمِ على الغَضَبِ أفضلُ مِنْ قُوَّةِ الانتقام[4]. وقالَ: ابْقِ لرضاكَ مِنْ غَضَبِكَ[5]. وقالَ بعضُ الحُكماءِ رأسُ الأدَبِ قَطْعُ الغَضَبِ. وَقالَ: (أسرَعُ)[6] النَّاسِ جواباً مَنْ لَمْ يَغْضَبْ[7]. وقالَ آخرُ: مَنْ يَمْلِكُ غَضَبَهُ ويكظِمُ غيظَهُ فَقَدْ كَمُلَ عَقْلُهُ.

وَقالَ بعضُهم: التباعُدُ مِنْ غَضَبِ اللهِ أَنْ لا يغضبَ العبدُ، فَإن ق/٢٤ بدءَ الغضبِ مِنَ الكِبْرِ والحميّةِ والانفةِ[8]. قالَ أبو الدرداءِ[9]: أقربُ ما يكونُ مِنَ العبدِ غَضَبُ اللّهِ تعالى إذا غَضَبَ[10]. ونَظَرَ عبدُالرحمنِ بنُ مُحَمّدٍ إلَى الرشيدِ وقدْ اشتدَّ غَضَبُهُ على رَجُلٍ، فَخَافَ أَنْ يستفزَّهُ الغضبُ، فقالَ يا أميرَ

---

(١) آداب ابن المعتز، ص ١٢١؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ١٠٠٩؛ بدائع السلك، ج ١ ص ٤٦٤.

(٢) آداب ابن المعتز، ص ١٢٤؛ بدائع السلك، ج ١ ص ٤٦٤؛ سراج الملوك، ص ٧٤.

(٣) آداب ابن المعتز، ص ١٢٥؛ غرر الخصائص، ص ٢٥٠.

(٤) آداب ابن المعتز، ص ١٥٢.

(٥) آداب ابن المعتز، ص ١٢١؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٤٥٠، وفيه: أبق لرضاك من سخطك إذا طرت فاقع قريباً.

(٦) في (ج): أسلم.

(٧) بدائع السلك، ج ١ ص ٤٦٤؛ سراج الملوك، ص ٧٢؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٤٤٩.

(٨) بهجة المجالس، ق/١ ص ٣٧٥ منسوب إلى عيسى بن مريم عليه السلام بلفظ: يباعدك من غضب الله أن لا تغضب.

(٩) هو عويمر بن مالك وقيل عامر بن مالك وعويمر لقب الخزرجي الأنصاري أسلم بعد بدر وكان فقيهاً عالماً حكيمًا، آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين سلمان الفارسي، وشهد ما بعد أحد من المشاهد، ولي قضاء دمشق لمعاوية في خلافة عثمان، توفي سنة ٣١هـ. الاستيعاب، ق/٤ ص ١٦٤٦؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٣٩.

(١٠) البيان والتبيين، ج ٢ ص ١٠؛ أدب الدنيا والدين، ص ٢٥٠؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٤٩٤.

المؤمنينَ إنَّما تَغْضَبُ لِلهِ فلا تغضبْ بمـا (لاتغضبُ بِهِ لِنفسِـكَ فيغْضَبَ عليكَ)[1].

وفي بَعضِ كُتبِ اللّهِ المنزّلةِ: يا بْنَ آدَمَ اذكُرني حينَ تَغْضَبْ أذكُـركَ حينَ أغضبُ[2].

(وقالَ بعضُ الحكماءِ: احتمالُ الصَّبْرِ عِنْدَ الغَضَبِ أَسْلَمُ من إطْفائِهِ)[3] بإظهارِ السَّفهِ. وَقيلَ: يَنْبَغي لِلْسُلْطانِ العَجول أَنْ يَحْذَرَ (الطيشَ)[4] والغضبَ والحد، فإنَّ السلطانَ الغضُوبَ المفرطَ في العقوبةِ يُهْلِكُ نَفْسَهُ وسلطانَهُ ورعيتَهُ.

وَدَفَعَ أردشيرُ[5] إلى رجلٍ كانَ يقومُ على رأسِهِ ثلاثةَ كُتُبٍ، وَقالَ: إذا رأَيتني وَقَدْ اشتدَّ غَضَبِي عَلَى أَحَدٍ فادفعْ إليَّ الكتابَ الأولَ، ثُمَّ الثَّانِي، ثم الثالثَ، فاشتدَّ يوماً غَضَبُهُ على رَجُلٍ فَدَفَعَ إليهِ الأولَ فإذا فيه أَمْسكْ فإنَّكَ لَسْتَ بإلهٍ، وإنَّما أَنْتَ جَسَدٌ يوشِكُ أَنْ يفنَى، ويأكلُ بعضُكَ بعضاً، وَدَفَعَ إليه الثَّاني فإذا فيه أرحِمْ العبادَ، تُرْحَمْ في المَعادِ، وَدَفَعَ إليهِ الثَّالثَ فإذا فيه احمِلْ الخلقَ على الحقِّ، فلا يَسَعُكَ إلا ذلكَ[6]. قالَ معاويةُ: ما غَضَبي على مَنْ لا أملِكُ وما غَضَبي على مَنْ أملِكُ[7].

---

(١) في (ب ــ ج): (لا تغضب بما لا يغضب به لنفسه فيغضب عليك)، وقد وردت الجملة في بدائع السلك، ج ١ ص ٤٦٥؛ سراج الملوك، ص ٧١؛ الفرج بعد الشدة، ج ١ ص ٣٨٧، وتجمع هذه المصادر على أن هذه الواقعة حصلت من جعفر بن محمد بن الأشعث عندما دخل على الرشيد وهو غضبان.

(٢) سراج الملوك، ص ١٢٨؛ المخلاة، ص ٢٩؛ أدب الدنيا والدين، ص ٢٥١، ونسبه الطرطوشي في سراج الملوك إلى الإنجيل.

(٣) ساقطة من (ج). (٤) في (ب): العلس. (٥) تقدمت ترجمته ص ١٢١.

(٦) عهد أردشير، ص ٨٨؛ غرر الخصائص، ص ٢٣؛ عيون الأخبار، م ١ ج ٣ ص ٢٧٣، وفيه: دفع أردشير الملك إلى رجل كان يقوم على رأسه كتاباً.

(٧) زهر الآداب، ج ١ ص ٥٣؛ الإعجاز والإيجاز، ص ٦٤؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٣١؛ نهاية الارب، ج ٦ ص ٨، ويريد بذلك: إني إن كنت مالكاً للمذنب فإني قادر عليه فلم ألزم نفسي الغضب وإن لم أملكه فليس يضره غضبي فلا أغضب عليه حتى لا أضر نفسي ولا أضره.

فَصْــلٌ :
في الانتقامِ مِمَّنْ يُجريهِ العفوُ على (الاقتحامِ)[1] الجرائمِ والآثامِ

قالَ بعضُ البلغاءِ: لا يكنْ عفوُكَ وإغضاؤُكَ سبباً للجراءَةِ عليكَ، وعلّةَ الإساءَةِ إليكَ، فإنَّ الناسَ رَجُلاَنِ، عاقلٌ يَكْتَفي بالعذْلِ[2] والتأنيبِ، وجاهِلٌ يُحوِجُ إلى الضَّرْبِ والتأديبِ[3]. وقالَ: العفوُ احتمالُ الذَّنْبِ الذي لا يكونُ عَنْ عَمْدٍ، ولا يقضِي بوجوبِ حَدٍّ، فأمَّا الذَّنْبُ الذي يُرْكَبُ عمداً ويوجِبُ حدّاً فذلكَ ما (لا)[4] تَحمِلُهُ السياسَةُ ولا تطابِقُهُ الشريعةُ[5]. قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم: «أقيلوا ذَوِي الهيئاتِ عثراتِهم إلاَّ في الحدودِ»[6]. قالَ

(*) لما تكلم عن الغضب وأضراره الدينية والدنيوية، أراد أن ينبه إلى حقيقة هامة وهي أنه يجب أن لا يؤدي الإفراط في العفو، إلى تهاون الناس بـالملك والسلطان وعبثهم بالمحارم. ومن هنا نجد الغزالي يقسم الناس في الغضب ثلاث درجات: إفراط، وتفريط، واعتدال. فلا يحمد الإفراط كما أن التفريط مذموم، وخير الأمور الوسط ولذلك قال: من مال غضبه إلى الفتور وأحس بنفسه ضعف الغيرة، فينبغي أن يعالج نفسه. الاحياء، م ٣ ص ١٦٩.

(١) في (ب): اقتحام.

(٢) عذلته عذلاً: لمته فاعتذل، أي لام نفسه ورجع. المصباح المنير.

(٣) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٦٤؛ لباب الآداب، ص ٦٣.

(٤) زيادة من (ب).

(٥) لباب الآداب، ص ٦٣؛ كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٦٤ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٦) سنن أبـي داوود، ج ٤ ص ١٣٣؛ السنن الكبرى، م ٨ ص ٣٣٤؛ كشف الخفاء، ج ١ ص ١٨٣. وقال الشافعي: ذوو الهيئات الذين يقالون عثراتهم الذين لا يعرفون بالشر يزل أحدهم زلة.

المنصورُ: إذَا كانَ الحِلْمُ مَفسَدَةً، كانَ الحُكْمُ معْجزَةً[1]. وقيلَ: مَنْ عفى عَمَّنْ يستوجبُ العقوبةَ، كانَ كَمَنْ عاقَبَ مَنْ يستوجِبُ المثوبةَ[2]، وَقيلَ: العفوُ يُفْسِدُ من اللئيمِ، بقدر ما يُصْلِحُ مِنَ الكريمِ[3].

قال أبو الطيّب المتنبّي[4]:

إذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ ... وإنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدا

وَوَضْعُ النَّدى مَوْضَعَ السَّيْفِ بِالعُلى ... مُضِرٌ كَوَضْعِ السَّيْفِ في مَوْضِعِ النَّدَا[5]

وقالَ (أيضاً)[6]:

إذا قِيلَ رِفقاً كانَ للحِلمِ موضِعٌ ... وَعِلمُ الفتى في غيرِ موضِعِهِ جَهْلُ[7]

---

(1) خاص الخاص، ص ٨٧؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٢١٢؛ أدب الدنيا والدين، ص ٢٤٩، وتطبق هذه المصادر على نسبة هذا للسفاح وتذكره بلفظ: إذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة؛ تاريخ الخلفاء، ص ٢٥٨.

(2) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٦٤ مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

(3) نهاية الارب، ج ٦ ص ٦٧؛ غرر الخصائص، ص ٢٤٧؛ ربيع الأبرار، ج ١ ص ٧٣٣.

(4) تقدمت ترجمته ص ١٥٤.

(5) ديوان المتنبي بشرح البرقوقي، ج ٢ ص ١١، ومعنى البيتين: أن الكريم يقدر الإكرام، فإذا أنت أكرمته صار كأنه مملوكاً لك. أما اللئيم فإنك إذا أكرمته زاد عتواً وجراءة عليك. ويبين في البيت الثاني ما يجب أن يعامل به الناس فمن استحق العطاء لم يستعمل معه السيف ومن استحق القتل لم يكرم بالعطاء، ومن فعل هذا أضر بعلاه، وهدم أركان دولته.

(6) زيادة من (ج).

(7) ديوان المتنبي بشرح البرقوقي، ج ٣ ص ٣٠٥. ومعنى البيت: أنه إذا طلب إليه الرفق في ساحات الوغى والحرب قال، قال: موضع الحلم والرفق في السلم أما الحرب فلا رفق فيها والمتحلم فيها جاهل أحمق يضع الشيء في غير موضعه. والشطر الأول من البيت في الديوان:

إذا قيل رفقاً قال للحلم موضع ... .

وهذا مِنْ قولٍ للأحنفِ بنِ قيسٍ[1]، قيلَ لَهُ: أينَ الحِلْمُ، فقالَ: عِندَ الحيي[2]. وقال أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي[3] طالبٍ عليهِ السَّلامُ: السَّيفُ أَنمَى عدَداً وأكثرَ وَلَداً[4].

(وقولُهُ)[5]: القتلُ أنفَى لِلقتلِ[6]. وَهُوَ معنى قَولِهِ تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[7].

---

(١) تقدمت ترجمته، ص ١٦٦.

(٢) عيون الأخبار، م ١ ج ٣ ص ٢٨٥.

(٣) تقدمت ترجمته ص ١٨٠.

(٤) نهاية الارب، ج ٣ ص ٢٢٦؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٤٣؛ البيان والتبيين، ج ٢ ص ٣٧٠. وقال الجاحظ بعد نقله لهذا القول: «ووجد الناس ذلك بالعيان الذي صار إليه ولده، من نهك السيف، وكثرة الذرء، وكرم النجل.

(٥) في (ب): قولهم.

(٦) خاص الخاص، ص ٣٧؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ١٠٣٥، ونسبه إلى علي رضي الله تعالى عنه؛ ثمار القلوب في المضاف المنسوب، ص ١٧٨ ونسبه إلى أردشير؛ الإعجاز والإيجاز، ص ١٢.

(٧) آية ١٧٩ من سورة البقرة. ومعنى الآية الكريمة: أن القصاص إذا أقيم وتحقق الحكم فيه، ازدجر من يريد قتل آخر، مخافة أن يقتص منه فيحييا بذلك معاً. وكانت العرب إذا قتل الرجل الآخر حمى قبيلاهما، وتقاتلوا وكان ذلك داعياً إلى القتل الكثير، فلما شرع الله القصاص قنع الكل به، فلهم في ذلك حياة. وقال أبو العالية: جعل الله القصاص حياة فكم من رجل يريد أن يقتل فتمنعه مخافة أن يقتل. وقد روي عن مجاهد وسعيد بن جبير والحسن وغيرهم. ولا شك أن هذه الآية أبلغ قولاً وأحسن بياناً وتفصيلاً وأوجز لفظاً مما كانت العرب تعتبره قمة البيان، نحو قولهم السابق: القتل أنفى للقتل، فها هو صاحب كتاب العقد الفريد للملك السعيد يعقد مقابلة بين قول العرب وبين ما صرحت به الآية. فيقول:

«أجمع أرباب علم المعاني والبيان، على أن قولهم: القتل أنفى للقتل أوجز كلمة كانت العرب تستعملها ويعدونها واسطة عقد الإيجاز ويحمدونها بلسان التفضيل والامتياز، فلما نزل القرآن الكريم وفيه قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ وقرعت آياته أسماعهم وقطعت فصاحته عن معارضته أطماعهم، أذعنوا له واعترفوا =

ولَمّا أنشَدَ النابغةُ الجعديُّ[1] رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وآلِهِ وسلَّم، قَولَهُ:

= برجحان قول الله لما فيه من الكشف والبيان، والتكملة والإيضاح وأوجه التفضيل هي خمسة أمور:

الأول: أن قوله في القصاص حياة، عري عن تكرار اللفظ، خلي عن إعادته، وقولهم القتل أنفى للقتل، مشتمل على تكرار لفظ القتل، وذكرها مرتين والتكرار يسقط فصاحة الكلام وجزالته.

الثاني: أن الآية أوجز وأخصر في العبارة وأقل تطويلاً فإن حروفها أقل عدداً من حروف قولهم.

الثالث: أن قول الله أحسن تأليفاً للحروف المباينة، فإن الخروج عند النطق من الفاء إلى اللام، في قوله تعالى في القصاص أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة، في قولهم القتل أنفى، وهي آخر القتل وأول أنفى، لبعد مخرج ما بين الهمزة واللام، وكذلك أيضاً الخروج من الصاد إلى الحاء آخر القصاص وأول حياة، أعدل من الخروج من الألف إلى اللام، وهي آخر أنفى ولام تعريف القتل، إذ الهمزة تسقط وحسن تأليف الحروف أدخل في الفصاحة.

الرابع: اشتماله على إقامة العدل والإنصاف بذكر القصاص الدال على المساواة، فإن القصاص مأخوذ من التساوي، ومنه سمي المقص مقصاً لاستواء جانبيه واعتدال طرفيه، ولا كذلك لفظة القتل، وما كان مشتملاً على إقامة العدل والإنصاف كان أرجح.

الخامس: تصريحه بالغرض المطلوب المرغوب فيه، وهو الحياة ولا كذلك قولهم فظهر بهذه الوجوه تفضيل أدلة الرجحان وتفضيل الجزالة والإيجاز. العقد الفريد للملك السعيد، ص ١٤٩ ـ ١٥٠؛ تفسير القرطبي، م ١ ج ٢ ص ٢٥٦؛ تفسير ابن كثير، ج ١ ص ٢١١.

(١) هو قيس بن عبدالله بن عدس، يكنى أبا ليلى أحد القدماء المشهورين والشعراء المخضرمين، أقام ثلاثين سنة منقطعاً عن الشعر، ثم نبغ فيه ومن هنا سمي بالنابغة، وكان ممن أنكر الخمر والأوثان في الجاهلية. ورد على النبي صلى الله عليه وسلم ومدحه بقصيدته التي مطلعها:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ... وإنا لنرجوا فوق ذلك مظهرا

فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: فأين المظهر يا أبا ليلى، فقال إلى الجنة.

فلما أتم القصيدة دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: «أجدت سلم فاك» وشهد=

ولا خَيْرَ في حلمٍ إذا لم تَكُنْ لَه بـوادرُ تَحْمِي صفـوَهُ أن يُكَـدَّرا
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكنْ لَهُ حليمٌ إذا ما أوْرد الأمرَ أصدرا[1]

فقالَ لَهُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «لا يفُضُّ فاكَ»[2].

وَللنُّعمانِ بنِ المُنْذِرِ[3]:

تَعفُـو الـملوكَ عَنِ الـكبيـرِ مِـنَ الـذُّنـوبِ لِـفـضـلِهَـا
وَلَـقَـدْ تُعـاقِبُ فـي الـقليـلِ ولـيس ذلـك لِـجـهـلِهـا[4]
(إلا لـيُـعـرَف فـضـلُهـا ويُـخـافُ شِـدَّةُ نَـكْـلِهـا)[5]

وقال آخَرُ:

فـلا يغـرُرْكَ طـولُ الحلمِ مِنِّي فمـا أبـداً تصـادفُنِي حَليمَـا[6]

= مع الإمام علي كرم الله وجهه صفين وظاهـره بيده ولسانه، توفي سنة ٥٨هـ بعد أن عمر ١٨٠ سنة. الإصابة، ج ٣ ص ٥٣٧؛ تاريخ الطبري، ج ١٣ ص ٢٣٩٧؛ الشعر والشعراء، ج ١ ص ٢٨٩.

(١) نهاية الارب، ج ٦ ص ٥٦؛ إنسان العيون (السيرة الحلبية)، ج ٣ ص ٣٧١؛ معجم الشعراء، ص ١٩٥؛ الشعر والشعراء، ج ١ ص ٢٨٩.

(٢) في (ب ـ ج): لا يفضض الله فاك.

(٣) هو أبو قابوس النعمان بن المنذر بن امرىء القيس أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية وهو ممدوح النابغة الذبياني، كان له يومان: يوم بؤس ويوم نعيم. وقتل عبيد بن الأبرص الشاعر يوم بؤسه وكان أتاه يمدحه ولم يعلم أنه يوم بؤسه. المعارف، لابن قتيبة، ص ٢٨٣؛ تاريخ اليعقوبي، م ١ ص ٢١٢ ـ ٢١٤؛ الكامل في التاريخ، م ١ ص ٢٨٦.

(٤) عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ١٠٠؛ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج ١ ص ٧٣٣ مع اختلاف في البيت الأول إذ ورد فيه: تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب لفضلها.

(٥) ساقطة من (ب ـ ج).

(٦) التمثيل والمحاضرة، ص ٤١٣؛ المخلاة، ص ١٣٣.

وقال آخَرُ:

بَطِرْتُم فطِرْتم والعصا زجْرُ مَن عَصا وتقويمُ عبدِ الهونِ بالهَوْنِ رادِعُ[1]

وقال بشّار[2]:

الحُــرُّ يُلْحَى والعصــا للعبــدِ[3] ....

وقال ابنُ دريدٍ[4]:

والــلوْمُ لِــلْحُــرِّ مُــقــيــمٌ رادِعٌ والعَبْـدُ (لا يردَعُـهُ)[5] إلا العَصَـا

(١) خاص الخاص، ص ١٥٩؛ زهـر الآداب، ج ١ ص ٢٦٩؛ التمثيل والمحـاضرة، ص ١٢٢ منسوب إلى أبـي الفتح علي بن محمد الحسين بن العميد.

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٨٦.

(٣) ديوان بشار، ج ٢ ص ٢٢٤؛ الشعر والشعراء، ج ١ ص ٣٥٥.

(٤) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي. ولد بالبصرة سنة ٢٢٣هـ ونشأ بها، وسكن عُمان ثم عاد إلى البصرة ورحل في نواحي فارس وصحب ابن مكيال فقلده ديوان فارس فأفاد مالاً عظيمًا إلا أنه لسخائه لم يكن يمسك درهماً، ثم انتقل إلى بغداد سنة ٣٠٨هـ واتصل بالخليفة المقتدر بالله، فأجرى عليه خمسين ديناراً في كل شهر، توفي ببغـداد سنة ٣٢١هـ. وفيـات الأعيان، م ٤ ص ٣٢٣؛ شـذرات الـذهب، ج ٢ ص ٢٨٩؛ النجوم الزاهرة، ج ٣ ص ٢٤٠؛ تاريخ بغداد، ج ٢ ص ١٩٥.

(٥) في (ب، ج): يزجره.

(٦) مقصورة ابن دريد بشرح الخطيب التبريزي، ص ٨٦.

بابٌ في (ذكرِ)[1] الأناةِ
وذمِّ العَجَلَةِ في الأمورِ التي لا يستعقِبُ ق/٢٥ فوتُها ضررٌ ولا يُخشَى من تأخيرِهَا غَرَرٌ

قالَ رسولُ اللـهِ صلّى اللـهُ عليهِ وسلّمَ لأشجِّ عَبْدِ القيسِ[2] إنَّ فيكَ خصلتينِ يحبُّهُمَا اللّـهُ: الحلمُ والأناةُ[3]. وقالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ «التوءدَةُ والاقتصادُ والتثبّتُ جُزءٌ من سِتّةٍ وعشرينَ جُزءاً من النبوّةِ»[4].

وقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ «مَنْ تأنّى أصابَ أو كادَ، ومَنْ عَجَّلَ أخطَأَ

---

(١) في (ب): مدح.

(٢) اختلف في اسمه فقيل هوعبدالله بن عوف الأشج، وفي الاستيعاب هو المنذر بن عائذ بن المنذر بن النعمان من عبدالقيس يعرف بالأشج سيد قومه وقائدهم إلى الإسلام وفد على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال له: «إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة»/ المعارف، ص ١٤٧؛ الاستيعاب ق/٤ ص ١٤٤٨.

(٣) السنن الكبرى، م ١٠ ص ١٠٤؛ سنن ابن ماجه، ج ٢ ص ١٤٠١؛ سنن الترمذي، ج ٣ ص ٢٤٧؛ مسند أحمد، م ٤ ص ٢٠٦، وفيه الحلم والحياء.

(٤) سنن الترمذي، ج ٣ ص ٢٤٧، ونص الحديث (السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة) وقال حسن غريب ومعنى هذا الحديث أن هذه الخلال من شمائل الأنبياء وخصالهم، وليس معنى ذلك أن النبوة تتجزؤ ولا أن من جمع هذه الأجزاء كان فيه جزء من النبوة فإن النبوة غير مكتسبة ولا مجتلبة بالأسباب إنما هي كرامة من الله تعالى. والحديث ذكره البخاري في الأدب المفرد بلفظ (الهدى الصالح والسمت والاقتصاد جزء من سبعين جزءاً من النبوة) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، ج ١ ص ٥٥٥.

أو كادَ»[1]. (وَقالَ)[2] الأنـاةُ حِصْنُ السَّلامـةِ والعَجَلَةُ مِفتاحُ النَّـدامةِ[3].
(وَقالَ)[4]: مَنْ رَكِبَ العَجَلَ أدْرَكَ الزَّلَلَ[5].

قال القِطاميُّ[6]:

قـدْ يُدْرِكُ المتـأنِّي بعضَ حاجتـهِ وَقدْ يكونُ مَعَ المستعْجِلِ الزَّلَلُ[7]

وقيـلَ: التَّأني في الأمـورِ أولُ الحـزمِ والتسـرُّعُ في الأمـورِ عَينُ الجهْلِ[8].

وقيلَ: إذا لم تُدرَكْ الحاجةُ بالرِّفقِ والدَّوامِ فَبأَيِّ شَيءٍ تَدْرَكُ[9].

وقيلَ: مَنِ استعملَ الرفقَ غِنمَ، وَمَن استعملَ الخرقَ نَدِمَ، ومن اقتَحَمَ الأُمورَ لقيَ المحذورَ، العجولُ مُخْطِىءٌ وإنْ مَلكَ، والمُتأني مصيبٌ وَأنْ هَلَكَ[10].

---

(١) مجمع الزوائد، ج ٨ ص ١٩؛ الجامع الصغير، ج ٢ ص ١٦٨. وذكره عن الطبراني في الكبير، وفي كشف الخفاء، ج ١ ص ٣٥٠، قال: روي بهذا اللفظ عن الطبراني والعسكري والقضاعي من حديث ابن لهيعة عن عقبة بن عامر.

(٢) في (ب ــ ج): وقيل.

(٣) زهر الآداب، ج ٢ ص ٩٨٤، ونسبه إلى يحيى بن معاذ؛ بدائـع السلك، ج ١ ص ٤٧٩.

(٤) في (ب ــ ج): وقيل.

(٥) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٥١.

(٦) القطامي: هو عمير بن شيم، من بني جشعم شاعر غزل، عده ابن سلام من الطبقة الثانية من شعراء الإسلام/ طبقات فحول الشعراء، ص ٤٥٢.

(٧) زهر الآداب، ج ٢ ص ٥٩٢؛ بهجة المجالس، ق/١ ص ٣٢٦؛ عيون الأخبار، ج ٨ ص ١٢١؛ أمالي المرتضى، ج ٢ ص ١٨؛ نهاية الأرب، ج ٣ ص ٧٤.

(٨) بدائع السلك في طبائع الملك، ج ١ ص ٤٧٩.

(٩) آداب ابن المعـتز، ص ١٢١؛ التمثيل والمحـاضرة، ص ٤٢٠؛ غـرر الخصائص، ص ٢١٩.

(١٠) الأمثال، للثعالبي، ص ٥٠،وقد ورد بعض هذه الجملة في ص ٥٣ ــ ٥٤.

وقال ابنُ المعتزّ: العجلَةُ تضمنُ العَثْرَةَ بِكُلِّ مكروهٍ[1]. وقالَ: الخرقُ بالرِّفقِ يلحمُ[2]. وقالَ غيرُه: (بالتَّأني)[3] تُدرِكُ الغَرَضَ[4].

---

(١) آداب المعتز، ص ١٧١.

(٢) آداب ابن المعتز، ص ١٥٢؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٤٢١؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٧٧١.

(٣) زيادة من (ب ـ ج).

(٤) التمثيل والمحاضرة، ص ٤٢٠، ويلاحظ من كل هذه الأقوال حاجة الناس إلى التثبت في الأمور والتأني مخافة الندم من التعجيل، كما يدلُّ على ذلك قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا إن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ . . . (آية ٦ من سورة الحجرات).

فَصلٌ:
اعلمْ أنَّ الأناةَ
إنَّما قُصِدت للاستظهار والاستبصارِ

والنَّظَرُ في العواقِبِ، وانفساحُ مذاهِبِ الرَّأيِ في المطالبِ، وَبَصْرُ أحْسَنِ الأمرين، وأنهج المسلكين، وعند العجلة والمغافصة يُفوِّتُ ذلك (فالخواطرُ)(١) كالبروقِ الخواطِفِ ليسَ لها ثباتٌ، فربَّما لاحَ لَهُ رأيٌ وَخَطَرَ لَهُ فِكْرٌ فَعَمِلَ بِهِ قبلَ التثبّتِ والتأمّلِ، ثُمّ يتبيَّنُ لَهُ بَعْدَ ذلكَ أنَّ الصوابَ كانَ في غيرِهِ، فيندمُ حينَ لا يُغني النَّدَمُ ولا ينفعُ السدمُ(٢)، فأمَّا ما وضُحَ فيهِ وجهُ الصَّوابِ السَّدادِ وأمنَ في عواقِبِه دَواعِي الفسادِ، فينبغي أَنْ ينتهزَ فيهِ الفرْصَةَ عِندَ (امكانِها)(٣) ويبادرَها قبلَ تعذُّرِها وفواتِها.

قالَ السفاحُ(٤): الأناةُ محمودةٌ إلاَّ عِندَ إمكانِ الفرصَةِ(٥). وَقَالَ غيرُهُ الفُرَصُ تمرُّ مرَّ السَّحابِ(٦). وقَالَ آخرُ: تجرَّعْ مِنْ عَدوِّكَ الغُصَّةَ، إلى أَنْ تَجِدَ الفرصةَ فإذا وجدتَها فانتهزْها قبلَ أن يفوتَك الدَّركُ أو يعينَه الفُلْكُ(٧).

قال الشاعِرُ:

---

(١) في (ب): والخواطر.
(٢) السدم بفتحتين الندم والحزن، ورجل سادم نادم، وسدمان ندمان/ مختار الصحاح.
(٣) في (ج): أمكانه.
(٤) ترد ترجمته في القسم الثاني.
(٥) زهر الآداب، ج ١ ص ٢١٣. تاريخ الخلفاء، ص ٢٥٨.
(٦) شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٢٥٢. وهذا القول، منسوب لأمير المؤمنين علي، كرم الله وجهه، بلفظ انتهزوا الفرص فإنها تمر مر السحاب. قوانين الوزارة، ص ١٥٣.
(٧) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٦٥. غرر الخصائص، ص ٢٠٣.

وإنْ فرصةٌ أمكنتْ مرةً فلا تَبْدَ فعلك إلا بها
فإن لم تلج بابَها مُسرعاً أتاكَ عدوُّكَ من بابِها[1]

ولآخرَ:

إذا هبّتْ رياحُك فاغتنِمها فعقبى كُلِّ عاصِفَةٍ سكونُ
ولا تَغْفُلْ تداركَها سريعاً فما تدرِي السَكونُ متى يكون[2]

ولابنِ الرومي[3]:

عيبُ الأناةِ وإنْ كانت مباركةً أنْ لا خلودَ وأنْ ليسَ الفتَى حَجَراً[4]

قيلَ: مَن غافصَ الفرصَ أمِنَ الغصصَ[5]. «وقيلَ إذا كانَ الموتُ غيرَ مأمونٍ طرفةَ عينٍ فَمنَ الخرَقِ تأخيرُ ما أمكنَ»[6]. «قالَ بعضُ الحكماءِ: مَن انتظرَ الفرصَةِ، مؤاجلةَ الاستقصاءِ سلبتُه الأيامُ فرصتَه لأنَّ صِناعةَ الأيام السلب وشرط الزمان الافاتة»[7].

---

(١) ديوان ابن المعتز، ص ٣١. غرر الخصائص، ص ٢٠٤. الحلة السيراء، ج ١ ص ٣٤.

(٢) ديوان الإمام علي بن أبي طالب، ص ١٢٦. نهاية الأرب، ج ٦ ص ١٣٨. قوانين الوزارة، ص ١٥٦.

(٣) هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، المعروف بابن الرومي، الشاعر المشهور، صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب، ولد سنة ٢٢١هـ ببغداد، وتوفي سنة ٢٨٣هـ مسموماً. وفيات الأعيان، م ٣ ص ٣٥٨. شذرات الذهب، ج ٢ ص ١٨٨. البداية والنهاية، ج ١١ ص ١٧٤.

(٤) ديوان ابن الرومي، ج ٣ ص ١١٤٧.

(٥) الأمثال، للثعالبي، ص ٥٣، وفيه من قانص الفرص أمن الغصص.

(٦) ساقطة (ب ــ ج).

(٧) ساقطة من (ب ــ ج).

بابٌ في إيثارِ السِّلمِ والموادَعَةِ على الحربِ والمنازعةِ وكيفيَّةِ الدُّخولِ (على)[1] الحربِ عِندَ الحملِ عَليهَا والاضطرارِ إليهَا

إعلمْ أنَّ السِّلمَ بابُ السَّلامةِ (وسبَبُ الاستقامةِ)[2].

قالَ الثعالبيُّ: السِّلْمُ سُلَّمُ السَّلامةِ[3]. قَالَ غيرُهُ: اغْمِدْ سيفَكَ ما نابَ عنه لسانُكَ واستَمِلْ عَدُوكَ ما مال به إحسانُكَ[4]. وقيلَ: مِنْ أتمِّ النُّصْحِ الاشارةُ بالصُّلْحِ[5]. وَقالَ بَعْضُهُم مَنْ استَصلَحَ عدوَّهُ زادَ في عَدَدِهِ ومن استفْسَدَ صديقَه نَقَّصَ مِنْ عَدَدِهِ[6]. وفي الزَّبورِ: مَنْ كَثُرَ عدوُّهُ فليتوقَّعَ الصَّرْعةَ[7]. وقالَ داودُ[8]، عليه السَّلامُ:

---

(١) في (ب): وكيفية الدخول في الحرب.

(٢) ساقطة من (ب ــ ج).

(٣) الأمثال، للثعالبي، ص ٥٦، وفيه السلم علة السلامة وسبب الاستقامة.

(٤) الأمثال، للثعالبي، ص ٥٩.

(٥) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٥٥. لباب الآداب، ص ٦٠.

(٦) آدب الدنيا والدين، ص ١٨٢. لباب الآداب، ص ٦٠.

(٧) التمثيل والمحاضرة، ص ١٤. الآداب الشرعية والمنح المرعية، ج ١ ص ٦٣.

(٨) هو داود بن ايشا بن عويد بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم، آتاه الله الملك والنبوة، بعد طالوت، فلما اجتمعت بنو اسرائيل على داود، بعد أن كان ملكاً على بني ياهوذا خاصة أنزل الله عليه الزبور، وعلمه صنعة الحديد، وآلانه له ولم يعط الله فيما يذكرون أحداً من خلقه مثل صوته، كان إذا قرأ الزبور فيما يذكرون ترنو له الوحش حتى يأخذ بأعناقها، وكان شديد الاجتهاد دائب العبادة كثير البكاء كما وصفه الله عز=

لا تشترِ عداوةَ واحدٍ بصداقةِ ألْفٍ[1].

قالَ الشاعرُ:

وليسَ كثيراً ألفُ خِلٍّ وصاحِبٍ وإنَّ عَدُواً واحِداً لكثيرُ[2]

وقالَ بعضُهُم: لا تفتحْ باباً يعييُكَ سَدُّهُ، ولا تُرْسِلْ سَهماً يُعْجِزُكَ رَدُّهُ، ولا تُفْسِدْ أمراً يعييكَ إصلاحُه، ولا تُغْلِقْ باباً يُعجزُكَ افتتاحُهُ[3].

وَقيلَ: لا لا يغرَّنكَ المُرتَقى السَّهلُ إذَا كانَ المنحدَرُ وعراً[4]. وقيلَ: تَوَقَّ كُلَّ التَّوقِي وَلا حارِسَ مِنَ الأجَلِ، وَتَوكَّل ق/٢٦ كلَّ التوكُلِ ولا عُذْرَ في التغريرِ[5]. وَمِنْ كِتابِ كَليلةَ ودمنةَ أرْبَعةٌ لا يرْكبُها إلا أَهْوَجُ ولا يَسْلَمُ منها إلا القليلُ، مناجزةُ العدُوِّ، وركوبُ البحرِ، وشربُ السَّمِ للتجرِبة وأئتمانُ النساءِ على الأسرارِ[6]. وفيهِ أيضاً القليلُ مِنْها كبيرُ النارِ والعداوةِ

= وجل في القرآن: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، سورة ص: آية ١٧. الطبري، ج ١ ص ٥٥٩ ــ ٥٦٦. اليعقوبي، م ١ ص ٥١. المعارف، ص ٢١.

(١) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥. الآداب الشرعية والمنح المرعية، ج ١ ص ٦٣.

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ص ٤٢٨. الصداقة والصديق، ص ١٣٣. أدب الدنيا والدين، ص ١٨٢، ونسبه لابن الرومي. الموشى أو الظرف والظرفاء، ونسبه إلى علي بن أبـي طالب، كرم الله وجهه، ديوان الإمام علي بن أبـي طالب، ص ٦٧.

(٣) كتاب الأمثال، للثعالبي، ص ٥٦. لباب الآداب، ص ٦٠.

(٤) زهر الآداب، ج ٢ ص ٨٥٧. نهاية الأرب، ج ٦ ص ١١. من كلمات تكلم بهن رجل عند هشام بن عبد الملك.

(٥) قوانين الوزارة، ص ٤٥. وهذا القول معنى حديث (لا يغني حذر من قدر). رواه السيوطي، في الجامع الصغير، ج ٢ ص ٢٠٥.

(٦) كتاب كليلة ودمنة، ص ١٣٧. وفيه وقد قالت العلماء إن ثلاثة لا يجترىء عليهن إلا أهوج، ولا يسلم منهن إلا قليل وهي صحبة السلطان، وأئتمان النساء على الأسرار وشرب السم للتجربة. التمثيل والمحاضرة، ص ٤٧١. بهجة المجالس، ق/٢ ص ١٢٩.

والمرضِ[١]. وَقيلَ: كُلُّ شيءٍ يُنفَقُ عليهِ مِنَ المالِ، إلا الحربُ فإنَّ النفقةَ (عليها)[٢] من النُّفوسِ[٣].

قال الشاعر:

كم بيـن قـوم انمـا نـفقـاتـهم مـال وقـوم ينفقـون نفوسـا[٤]

وكان السلف، رضي الله عنهم يستحسنون قول (عمرو بن معدي)[٥].

الحَـرْبُ أوَّلُ مـا تَكُـونُ فَتِيَّـةً تَسْعىٰ بِـزِينَتِهَـا لِكُـلِّ جَهُـولِ
حَتَّى إذا اشتـدت وشَبَّ ضِرَامُهَـا وَلَّتْ عجُـوزاً غَيْـرَ ذَاتِ حَلِيـلِ
شَمْـطَاءَ جَـزَّتْ رأسَهَـا وتنكَّـرَتْ مكـروهـةً للشَّمِّ والتِـقْبيـلِ[٦]

---

(١) كليلة ودمنة، ص ٢٨٧. وفيه «ويقال أربعة أشياء لا يستقل قليلها النار والمرض والعدو والدين». الأدب الصغير، ص ١٥١. بهجة المجالس، ق/٢ ص ١٣٤.

(٢) في (ج): عليه.

(٣) نهاية الأرب، ص ٣٥٠. الأعجاز والإيجاز، ص ٤٠. عيون الأخبار، م ١ ج ٢ ص ١١٢. وقد وردت فيه منسوبة إلى كتب الهند، الحازم يحذر عدوه على كل حال، ويكره القتال ما وجد بدا، لأن النفقة فيه من الأنفس، والنفقة في غيره من المال.

(٤) ديوان أبي تمام، ص ١٥٥.

(٥) ساقطة من (ج). وهو عمرو بن معد كرب بن عبد الله الزبيدي، وكنيته أبو ثور، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة، فأسلم ثم ارتد مع الأسود العنسي، فسار إليه خالد بن سعيد بن العاصي وأسره دفعه إلى أبي بكر، فأنبه واستتابه، وعاش إلى أيام عثمان وأبلى في وقائع الإسلام بلاء حسنا مثل يوم القادسية واليرموك، توفي سنة ٢٨هـ، وهو من شعراء العرب وفرسانها المعدودين. طبقات ابن سعد، ج ٥ ص ٣٨٣ ــ ٣٨٤. البداية والنهاية، ج ٧ ص ١١٩. الشعر والشعراء، ص ١٤٣. سرح العيون، ص ٤٣٦.

(٦) الشعر والشعراء، ج ١ ص ٣٧٣. مروج الذهب، ج ١ ص ٥٣٧. عيون الأخبار، م ١ ج ٢ ص ١٢٧ ــ ١٢٨. صحيح البخاري، ج ٩ ص ٦٨، ونسبها إلى امرىء القيس، ديوان امرىء القيس، ص ٣٥٣. من زيادات نسخة ابن النحاس. غرر الخصائص، ص ٢٠٥. سراج الملوك، ص ١٥٣.

وقال زهيرٌ[1]:

وَمَنْ يَعْصِ أطرافَ الرماحِ فإنَّـهُ ... يُطيعُ العوالي رُكِّبتْ لِكلِّ لَهْذَمِ[2]

يقولُ: مَن عَصَى الصُّلحَ والموادَعَةَ، قبلَ القتالِ، طَلَبَ ذلكَ وَرضيَ بِهِ وأطاعَه، بَعْدَ أنْ ضرَّسته الحربُ ونالتْ مِنْه الفتنةُ.

قالَ الشاعِرُ:

وسالمَت لمّا طالتِ الحربُ بيننَـا ... إذا لم تُظفِّرْكَ الحروبُ فسالمِ[3]

قال زهيرُ يَصِفُ الحرْبَ:

وما الحرْبُ إلا مـا علمتُم وذقتُمُ ... وَمَا هُوَ عَنْهـا بالْحـديثِ المرجَّمِ

متى تبعثُـوهـا تبعثُـوهـا ذميمـةً ... وَتَضْـرى إذا ضريتُمـوهـا فَتَضْـرمِ

فتعـرُكُكُمْ عَـرْكَ الـرَّحى بثِفـالِهـا ... وَتَلْقَـحْ كِشـافاً ثُمَّ تَحْمِـلْ فَتُتْئِمِ

وَتنتِـجْ لَكُمْ غِلمـانَ أشـأَمَ كُلهم ... كـأحمرِ عـادٍ ثُمَّ تُـرضـعْ فتفـطِمِ

فَتُغْلِلْ لَكُم مـا لا تغـلُ لِأهلِهَـا ... قرىً بالعـراقِ من قفيزٍ وَدِرْهَمِ[4]

---

(١) هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح بن قرة من مزينه من مضر، أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء، وهم امرىء القيس، وزهير، والنابغة الذبياني، وكان عمر بن الخطاب يسميه شاعر الشعراء. الأغاني، ج ٩ ص ١٤٦ ـ ١٥٨. الشعر والشعراء، ج ١ ص ١٣٧.

(٢) ديوان زهير، ص ٣٢، وفيه ومن يعص أطراف الزجاج، فإنه يطيع العوالي ركبت لكل لهذم. والعوالي جمع عالية، وهي التي يكون فيها السنان. واللهذم الحاد القاطع. ديوان الحماسة، للبحتري، ص ١٦٩.

(٣) يتيمة الدهر، ج ٣ ص ١٥٠، ونسبه إلى الشريف الرضي. التمثيل والمحاضـرة، ص ١٥٤.

(٤) ديوان زهير، ص ٢٥ ـ ٢٦. ومعنى الأبيات، أن زهيراً يقصد تنفير قومه من الحرب وويلاتها، فمعنى البيت الأول: وما حديثي عن الحرب وتخويفكم ويلاتها بالحديث المفترى، بل أنتم قد علمتم شر الحروب وبلائها فلا تقربوها.

ومعنى البيت الثاني: أن الحرب إذا أنبعت وشب أوارها انبعثت ذميمة مكروهة من كل عاقل.

=

فصـــل:
وينبغي لِمنْ ابتُلِيَ بعدوٍّ أنْ يكونَ مَعَهُ
كما قالَ بعضُ وزراءِ العَجَمِ

قالَ: ينبغِي لِلْمَلِكِ أنْ يبْني أمرَهُ مَعَ عَدوِّهِ، على أربعةِ أوجُهٍ على اللّينِ والبذلِ، والكيدِ، والمكاشفةِ، ومثلُ ذلكَ (مثل)[1] الخُرَّاج أولُ عـلاجِهِ التمكينُ، فإنْ لَمْ ينفعْ فالانضاجُ والتحليلُ وإنْ لم ينفعْ (فالضِّمادُ)[2]، فإنْ لَمْ يَنفعْ فالكيُّ، وهـوَ آخِرُ العِلاجِ[3]. وَمِنَ الدَّليلِ على (التدابيرِ)[4] في أمرِ العدوِّ باللينِ، حَيْثُ يتوقَّعُ نُجْعُهُ، ويُرْتَجَى نفعُهُ، أصوبُ وإلى استبدالِ المودةِ عن العداوةِ أقربُ (قال اللّـهُ)[5] جلَّ ذكرُهُ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[6].

= ومعنى البيت الثالث: أنكم إن هيجتم الحرب وأشعلتم نارها، كنتم وقودها فتطحنكم كالرحى وتدوم عندها زمناً طويلاً، فتكون كالناقة التي تحمل حملتين في عامين متتاليين، ثم هي لا تلد إلا توأمين.

ومعنى البيت الرابع: أن هذه الحرب قد يطول أمرها فتنتج لكم غلمان شؤم كأحمر عاد وهو خطأ من زهير، فإن الأحمر من ثمود واسمه قدار بن سالف عاقر الناقة، فكأن زهيراً سمع بعاد وثمود، فنسب الأحمر إلى عاد على ما توهم وهو من ثمود، وهو الذي ذكره الله في القرآن في سورة الشمس آية ١٢، بقوله ﴿إذا انبعث أشقاها﴾. قال ابن كثير أي أشقى القبيلة وهو قدار بن سالف. تفسير ابن كثير، ج ٤ ص ٥١٧. ثمار القلوب، ص ٨٠. ومعنى البيت الخامس: أن الحرب إن طالت غلت لكم غلة من نوع آخر لا كغلات قرى العراق وإنما تغل لكم غلة هي الموت والهلاك.

(١) ساقطة من (ب).

(٢) في (ب) فالشطي.

(٣) التمثيـل والمحاضـرة، ص ١٤٥؛ سكردان السلطان، ص ٣٧٣؛ آداب السيـاسـة بالعدل، مخطوط رقم ٤٣٠٠؛ أدب، ص ١٩٧.

(٤) في (ب) البداية.

(٥) في (ب) قول الله.

(٦) آية ٣٤، من سورة فصلت وقد قيل أن هذه الآية نسخت بآية السيف وبقي المستحب =

وقَالَ محمدُ بنُ (يندارِ)[1] إذا لـم تستطعْ أنْ تقطعَ يدَ عَدوِّكَ فقبلْها[2].

ومما يدلُّ على أنَّ البذلَ يُكْسِبُ المحبةَ وَينفي العدَاوَةَ ما رويَ عَنْ صفوانَ بنِ أميَّةَ[3] أنهُ قالَ: ما كَانَ أَحَدٌ أكرَهَ إلـيَّ مِنْ رسولِ اللّـهِ صلى الله عليه وسلم

= من ذلك، حسن العشرة والاحتمال والاغضاء فقد روي عن ابن عباس أنه قال في تفسير هذه الآية أي ادفع بحلمك، جهل من يجهل عليك وعنه أيضاً هو الرجل يسب الرجل فيقول الآخر إن كنت صادقاً غفر الله لي وإن كنت كاذباً فغفر الله لك وقوله تعالى: ﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ قال مقاتل نزلت في أبـي سفيان ابن حرب كان مؤذياً للنبي صلى الله عليه وسلم فصار ولياً في الإسلام حميًا بالقرابة، وقيل كان هذا الأمر قبل الأمر بالقتال. وقد ذكر الأستاذ سيد قطب في تفسيره ظلال القرآن: (إن النهوض بواجب الدعوة أمر شاق ولكنه عظيم الشأن. . ولا على الداعية بعد ذلك أن تتلقى كلمته بالإعراض، أو بسوء الأدب أو بالتبجح بالإنكار، فهو إنما يتقدم بالحسنة فهو في المقام الرفيع وغيره يتقدم بالسيئة فهو في المكان الدون (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة). . وليس له أن يرد بالسيئة، فـإن الحسنة لا يستـوي أثرهـا، كما لا تستوي قيمتها مع السيئة، والصبر والتسامح والاستعلاء، على رغبة النفس في مقابلة الشر، يرد النفوس الجامحة إلى الهدوء والثقة، فتنقلب من الخصومة إلى الولاء ومن الجماح إلى اللين ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ وتصدق هذه القاعدة في الغالبية من الحالات، وينقلب الهياج إلى وداعـة والغضب إلى سكينة، والتبجح إلى حياء على كلمة طيبة ونبرة هادئة وبسمة حانية، في وجه هائج غاضب متبجح مفلوت الزمام، ولو قوبل بمثل فعله ازداد هياجاً وغضباً وتبجحاً، ومروداً وخلع حياءه نهائياً وأفلت زمامه وأخذته العزة بالإثم/ القرطبـي، م ٨ ج ١٥ ص ٣٦١ ــ ٣٦٢؛ تفسير ابن كثير، ج ٤ ص ١٠٠ ــ ١٠١؛ ظلال القرآن، ج ٢٤ ص ١٣٠ ــ ١٣١.

(١) في (ب ــ ج) محمد بن يزداد: هو محمد بن يزداد بن سويد المروزي أحد كتاب المأمون ووزرائه كان إماماً كاتباً فاضلاً، مات بسر من رأى سنة ٢٣٠هـ بعد ما لزم داره سنين/ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٢٥٨.

(٢) عيون الأخبار، م ٣ ج ٧ ص ١١٢؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٧؛ أمراء البيان لمحمد كردعلي، ص ٢٢٠.

(٣) هو صفوان بن أمية بن خلف القرشي الجمحي، من أشراف قريش هرب يوم الفتح فاستؤمن له، فعاد وشهد حنيناً مع النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر له من غنائمها، =

فمَا زالَ عَلَيْهِ السَّلامُ يُعْطيني حَتَّى أنَّهُ لأحبُّ الناسِ إليَّ[1].

وَرُوِيَ أَنَّهُ كانَ لِعبدِاللَّـهِ بنِ الزُّبيرِ[2] أرضٌ متاخِمةٌ لأرضِ معاويةَ[3] قَدْ جَعَلَ فيها عبيداً مِنَ الزنوجِ يعمرونَها فَدَخلوا في أرضِ ابنِ الزبيرِ، فكتبَ إلى معاويةَ أمّا بَعْدُ: يا معاويةُ فانَهُ عُبدانَكَ عن الدُّخولِ في أرضي وإلا كانَ لي ولكَ شأنٌ فلمّا وَقفَ معاويةُ على الكتابِ دَفَعَهُ إلى ابنِهِ يزيدَ[4] فَلَمَّا قرأهُ قالَ لَهُ يا بنيَّ ما تَرَى، قالَ أرَى أنْ تنفذَ إليهِ جيشاً، أولُهُ عِنْدَهُ، وآخِرُهُ عندكَ يأتوكَ برأسِهِ قالَ أو خيرٌ مِنْ ذلك يا بنيَّ عليَّ بدواةٍ وقرطاسٍ فكتبَ إليهِ وقفتُ على كتابِ ابنِ حواريّ[5] رسولِ اللَّـهِ صلَّى اللَّـهُ عليهِ وسَلَّـم وساءني

= فأسلم وأقام بمكة توفي سنة ٤١هـ/ الاستيعاب، ق/٢ ص ٧١٨؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٥٢؛ الطبقات الكرى، ج ٥ ص ٣٣٢؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٢١؛ البداية والنهاية، ج ٨ ص ٢٣.

(١) مسند أحمد، م ٣ ص ٤٠٣؛ الطبقات الكبرى، ج ٥ ص ٣٢٢؛ السنن الكبرى، م ٧ ص ١٩.

(٢) هو عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي، يكنى أبا بكر على ما عليه أهل السير وأهل الأثر، وله كنية أخرى أبو خبيب، أمه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين رضي الله عنها، وهو أول مولود ولد للمسلمين بعد الهجرة. بويع له بمكة سنة أربعة وستين وبايعه أهل العراق وولي أخاه مصعباً البصرة واجتمع على طاعته أهل الحجاز واليمن والعراق وخرسان وقتل رحمه الله في أيام عبدالملك سنة ٧٣هـ وهو ابن ٧٢ سنة وكان عبدالله كثير الصلاة كثير الصيام شديد البأس كريم الجدات والأمهات والخالات/ الاستيعاب، ق/٣ ص ٩٠٥ ـ ٩١٠؛ وفيات الأعيان، م ٣ ص ٧١ ـ ٧٥.

(٣) ترد ترجمته في القسم ٢ ص ٢٣٣.

(٤) ترد ترجمته في القسم ٢ ص ٢٤٩.

(٥) ذكر البخاري أن الزبير كان من حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن جابر رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يأتيني بخبر القوم يوم الأحزاب» قال الزبير: أنا، ثم قال: «من يأتيني بخبر القوم»، قال الزبير: أنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن لكل نبي حوارياً وحواريي» الزبير: البخاري، ج ٤ =

ما ساءه والدنيا عِندي بأسْرِها هَينةٌ في جَنْبِ رضاهُ وقد كَتَبْتُ على نفسي صَكّاً بالأرضِ والعُبدانِ لَهُ وأشهدتُ عليَّ فيه، فليسْتَضيفَها مَعَ عبدانِها إلى (أرضِهِ وعِبدانِهِ)[1] والسَّلامُ فَلَمَّا وَقَفَ عَبْدُاللّـهِ بنُ الزّبيرِ على كتاب معاوية كتبَ إليهِ وقفتُ على كتابِ أميرِ المؤمنينَ أطالَ اللّـهُ بقاءَهُ ولا (عدمِه)[2] الرأيَ الذي أَحَلَّه من ق/٢٧ قريشٍ هذا المحلَّ والسلامُ فلمَّا وقَفَ معاويةُ على كتابِ عبدِاللّـهِ بنِ الزّبيرِ رماهُ إلى ابنِهِ يزيدَ فلما قرأهُ أسفر وجهُهُ (وقال)[3] يا بُنَيَّ إذا (بليتَ)[4] بِمثلِ هذا الدَّاءِ فداوِهِ بِمِثْلِ هذا الدواءِ[5].

= ص ٣٣؛ سنن الترمذي، ج ٥ ص ٣١٠. وقال حديث حسن صحيح، مسند أحمد، ج ٤ ص ٤.

(١) في (ج) أرضك وعبدانك.

(٢) في (ج) إعدامه.

(٣) في (ب) فقال.

(٤) في (ج): إذا رميت.

(٥) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ٣٤ ـ ٣٥؛ العقد الفريد للملك السعيد، ص ١١٣ ـ ١١٤.

فصـلٌ:

فـ(أمّـا)[1] إذَا كانَ العـدوُّ مِمَّنْ لا يُرْجَى (انصلاحُهُ[2]) بالبـذلِ واللينِ فيجبُ أنْ يُسارِعَ بالكيدِ (المبينِ)[3] إلى حسمِ مادتِهِ واستئصَالِ شأفَتِهِ

فقدْ قِيلَ: (إنَّ)[4] الكيدَ أبلغُ مِنَ الأيْدِ[5] وقالَ: المكيدةُ أبلغُ مِنَ النَّجدَةِ[6]. وقالَ ابنُ المعتزِّ[7]: أوهنُ الأعداءِ كيداً أظهرُهُم لِعداوتِهِ[8].

وقالَ الشَّاعِرُ:

(إذا كنتُ)[9] لا أرْمِي الضِّبـاءَ   فإنّني أدُسُّ لها تَحْتَ الترابِ دسايسا[10]

وبالجملةِ فينبغي أنْ لا يدخلَ في الحربِ ويكاشِفَ بِها ما دامَ يطمعُ في

---

(١) في (ب ـ ج ـ د): وأما.

(٢) في (د) استصلاحه.

(٣) في (د) المتين.

(٤) زيادة من (ب).

(٥) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٢ (آد يئيد أيداً وآداً: قوي واشتد)؛ المصباح المنير.

(٦) البيان والتبيين، ج ٢ ص ٣٠٨، من وصية المهلب لبنيه/ العقد الفريد، ج ١ ص ٨٧؛ الأمتاع والمؤانسة، ج ٢ ص ١٥٠؛ نهاية الأرب، ج ٦ ص ١٧٦.

(٧) تقدمت ترجمته، ص ٩٧.

(٨) آداب ابن المعتز، ص ١٠٠؛ نهاية الأرب، ج ٦ ص ١٠٢.

(٩) في (ب ـ د) وإن كنت.

(١٠) الأمالي للقالي، ج ٢ ص ٢١٣، ونص البيت ـ كما أورده:

فـإن كـنـت لا أرمـي الـضـبـاء   فإنني أدس لها تحت التراب الدواهيا

التمثيل والمحاضرة، ص ٣٦١.

بلوغ مآربِه ونجاحِ مطالبِه أنْ لا يدخلَ في الحربِ ويكاشِفَ بِها ما دامَ يطمعُ في بلوغِ مآربِه ونجاحِ مطالبِهِ (بما)[1] هو دونَها.

قال أبو الطَّيِّب[2]: وإنَّما الحرْبُ غايةُ المكايدِ[3].

فحينئذٍ، ينبغي أنْ (يعاجِلَهُ)[4] قبلَ أنْ تتمكَّنَ بوائقُهُ وتتسعَ طرائقُهُ فكلُّ أمرٍ لا يُداوَى مِنْ قبلِ أنْ يعضِلَ ولا يدبَّرَ قبلَ أنْ يستفحِلَ عيـي بِهِ مداويهِ وصعُبَ (تداركُه)[5] وتلافيهِ.

قالَ بعضُهم: تفقدْ عدوَّكَ قبلَ أنْ يمتدَّ باعُهُ ويطولَ ذِراعُهُ وتكبُرَ شكيمتُهُ وتشتدَّ شوكتُهُ ويعضلَ داؤهُ ويعجزَ دواؤهُ[6]. ومِنْ أمثالِ العرَبِ دواءُ للشقِّ أنْ يحاصَ فيهِ[7]. فيستعينَ عليهِ حينئذٍ بالدُّخولِ في الهيجاءِ ومكاشفةِ الأعداءِ.

قال الشَّاعِرُ:

إذا لم يكنْ إلا الأسنَّـةُ مـركبـاً فلا رأيَ (للْمضطرِّ)[8] إلا ركوبُها[9]

---

(١) في (ب ـ د) ما هو دونها.

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٥٤.

(٣) هذا عجز بيت قاله أبو الطيب من قصيدة له يمدح بها عضد الدولة أبا شجاع وصدر البيت:

يَـبْـدَأُ مِـنْ كَـيْـدِه بِـغـايَـتِـهِ وإنَّـما الْـحَـرْبُ غَـايَـةُ الكَـائِـدْ

ومعنى ذلك، أن عدوكم إن بادر إلى محاربتكم من أول وهلة فيكون قد ابتدأ الكيد من آخره لأن الحرب لا يلجأ إليها إلا إذا لم تجد الوسائل/ ديوان المتنبي بشرح البرقوقي، ج ٢ ص ١٧٧.

(٤) في (ب) يكابده.

(٥) ساقطة من (ب ـ ج).

(٦) كتاب الأمثال للثعالبي، ص ٦٦؛ لباب الآداب، ص ٦٤.

(٧) مجمع الأمثال، ج ١ ص ١٠، ونص هذا المثل أن دواء الشق أن تحوصه والحوص الخياطة يضرب في رتق الفتق وإطفاء الثائرة.

(٨) في (ب) للمحمول.

(٩) نهاية الأرب، ج ٣ ص ٧٤؛ عيون الأخبار، م ٢ ج ٧ ص ١١٢؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٣٨١، والبيت منسوب في هذه المراجع للكميت بن زيد الأسدي.

ولآخرَ:

ولا أتمنّى الشَّـرَّ والشَّـرُّ تَـارِكِي ... ولكنْ متى أُحمَلْ على الشَّرِّ أركبِ[1]

وهذا مِثلُ قولِهِ صلَّى اللَّـهُ عليهِ وسلَّمَ: «لا تتمنوا لقاءَ العدوِّ وإذا لقيتموهُ فاصبروا»[2].

قال الشاعرُ:

لم أكنْ في جنبـاتِهـا يَعْلُم اللَّـهُ ... وأنّـي بِـحَـرِّهـا صَـالـي[3]

وقال آخرُ:

الحربُ يلحقُ فيها الكارهونَ كما ... تدنُو الصِّحاحُ من الجَرْبى فتُعديها[4]

وقالَ أبو الطيِّب[5]:

لا تلقَ أشجَـعَ مِـنْـكَ تعـرِفُـهُ ... إلا إذا مـا ضـاقتِ الحِيَـلُ[6]

---

(١) نهاية الأرب، ج ٣ ص ٧٣، ونسبة إلى زياد بن زيد؛ العقد الفريد، ج ٢ ص ٢٩٤، ونسبه إلى هدبه العذري؛ عيون الأخبار، م ١ ج ٣ ص ٢٧٦، ونسبه إلى البعيث؛ شعر هدبة بن الخشرم العذري، ص ٦٩.

(٢) صحيح البخاري، ج ٤ ص ٧٧، بلفظ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «لا تتمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموهم فاصبروا» سنن أبي داود، ج ٣ ص ٤٢، برواية أخرى؛ السنن الكبرى، م ٩ ص ١٥٢؛ سنن الدارمي، ج ٢ ص ٢١٦؛ وحكمة النهي أن المرء لا يعلم ما يؤول إليه الأمر. وقيل إنما نهى عن تمني لقاء العدو، لما فيه من صورة الإعجاب والاتكال على النفوس، والوثوق بالقوة وقلة الاهتمام بالعدو، وكل ذلك يباين الاحتياط والأخذ بالحزم/ عون المعبود، شرح سنن أبي داود، ج ٧ ص ٢٩٤.

(٣) ديوان الحماسة للبحتري، ص٣٣؛ ٤٣؛ المحاسن والمساوي، ج ٢ ص ٢٨٧؛ منسوب للحارث بن عباد فارس النعامة.

(٤) حماسة ابن تمام، ج ١ ص ١٥٤: التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٤ ويريد بهذا البيت أن شر الحرب يعدي إعداء الجرب وتنال مضرتها غير الجاني إذا دخل مع الجناة كما يدنو الصحيح إلى الأجرب فيعديه.

(٥) تقدمت ترجمته أبو الطيب المتنبي، ص ١٥٤.

(٦) ديوان المتنبي بشرح البرقوقي، ج ٤ ص ٢٥، والبيت في الديوان:

لا تلق أفرس منك تعرفه.. يريد بذلك أن الحزم أن لا تعارض من هو أقوى منك إلا إذا اضطررت إلى ذلك.

فصـــلٌ

ويجبُ أنْ يُستعمَلَ الحزمُ في تدبيرِهِ، ويلاحِظَ العواقبَ في جميعِ أمورِهِ، فمن نـظرَ في العـواقِبِ سلِمَ مـن (المعاطِبِ)[1]، ومن أخِرِ تدبيرِهِ تقدُّمِ تدميرِهِ

وقيلَ: مَنْ نَظَرَ بالرأيِ غَنِمَ وَمَنْ نَظَرَ في العواقِبِ سَلِمَ ومن أَخْلَدَ إلى التواني حَصَلَ على الأماني ومَنْ تَرَكَ حَزْمَه أعانَ خَصْمَهُ[2].

قالَ ابنُ دُرَيدٍ[3]:

مَنْ ضَيَّـعَ الحـزمَ جَنَى لِنفسِـهِ ندامةً ألـذعَ مِنْ سَفْعِ الـذّكي[4]

وقال آخرُ: الحزمُ إنْ ضيعتَه أبشرْ بقربِ التَّلفِ[5].

قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: «الحزْمُ سوءُ الظَّنِ»[6].

---

(١) في (ج) المعاطف.

(٢) كتاب الأمثال للثعالبي، ص ٥٢ مع اختلاف في بعض الألفاظ فقد وردت الجملة بلفظ من عمل بالرأي غنم، ومن نظر بالعواقب سلم، ومن أخلد إلى التواني لم يحصل على الأماني، ومن قل حزمه كثر غمه.

(٣) تقدمت ترجمته ص ٢١٩.

(٤) مقصورة ابن دريد بشرح الخطيب التبريزي، ص ٨٣.

(٥) البصائر والذخائر، م ١ ص ٤٢٧.

(٦) كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق على هامش الجامع الصغير، ج ١ ص ١٢٠، وقال حديث ضعيف، ونسبه السيوطي في تاريخ الخلفاء إلى الإمام علي كرم الله وجهه، ورفعه صاحب المنهج المسلوك في سياسة الملوك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير إسناد/ كشف الخفاء، ج ١ ص ٤٢٥، وقال أخرجه الديلمي في مسنده عن علي من قوله وهو ضعيف. وقال الميداني في مجمع الأمثال أنه من كلام أكثم بن صيفي، ج ١

وَقِيلَ لِمعاوية[1]: مَا بَلَغَ مِنْ حَزْمِكَ قالَ لَمْ أَثِقْ بِأَحَدٍ[2].

(قال بعضُ الحكماءِ: الاحتراسُ مِنْ كُلِّ أحد حزمٌ وقلةُ الاسترْسَالِ إلى النَّاسِ أَسْلَمُ)[3]. وكَتَبَ طاهِرُ بنُ الحسينِ[4] إلى إبراهيمَ بنِ المهدِّيّ[5] هذه الأبياتِ:

رُكوبُكَ الهولَ ما لم تلقَ فرصةَ جَهْلٍ ... ورأيُـكَ في الاقحـامِ تَـغـريـرُ

(أهونُ بِدنيا ينالُ المخـطئونَ بِهَـا ... حظَّ المصيبينَ والمغرورُ مغرورُ)[6]

فـإنْ ظَفِرتَ بعجـزٍ أو نَجَوْتَ بِـهِ ... قـالـوا جَهـولٌ أعـانَتْهُ المقـاديـرُ

وإنْ حُرِمْتَ بِحَزْمٍ أو هلكتَ بِـهِ ... فَأَنْتَ عِنْدَ ذَوي الألبابِ معذورُ[7]

ولآخرَ في المعنى:

على كُلِّ حالٍ فَآجعَلْ الحزمَ عدةً ... لِمَا أَنْتَ باغِيهِ وعوناً على الدَّهْرِ

= ص ٢٠٨؛ وكذلك قال النويري عنه في نهاية الأرب، ج ٣ ص ١٥؛ الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، ج ٢ ص ٨٠؛ منتخب كنز العمال، ج ١ ص ١٦٤.

(١) ترد ترجمته ص ٢٣٣.

(٢) البصائر والذخائر، م ١ ص ٣٢٦؛ نثر الدرر للأبـي مخطوط رقم ٢٢٨٠؛ أدب، ج ٢ ص ١٢ وفيه قيل معاوية ما بلغ من عقلك، قال: لم أثق بأحد.

(٣) ساقطة من (ب ـ ج).

(٤) هو أبو الطيب طاهر بن الحسين بن مصعب نائب العراق وخرسان، ولد سنة ١٥٩هـ وهو الذي انتزع بغداد والعراق من يد الأمين وقتله وخلع المأمون في أواخر أيامه وعزم على الخروج عليه وخطب ولم يدعو للمأمون فوجد في فراشه ميتاً، بعدما صلى العشاء الآخرة فاستبطأ أهله خروجه لصلاة الفجر فدخل عليه أخوه وعمه فوجوده قتيلاً سنة ٢٠٧هـ/ وفيات الأعيان، م ٢ ص ٥١٧؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ١٦؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٦٠.

(٥) تقدمت ترجمته ص ٢٠٣.

(٦) زيادة من النخسة (ب).

(٧) تهذيب تاريخ ابن عساكر، ج ٢ ص ٢٧٤؛ مجمع الحكم والأمثال، ص ١٣٤؛ لباب الآداب، ص ٧٤ مع تقديم وتأخير بعض الأبيات.

فــإنْ نِلْتَ أمــراً نِلْتَــهُ بعــزيمــة وإنْ قصرتْ عنك الحظوظُ فَعَنْ عذرِ[1]

(وهذا المعنَى مأخوذ مِنْ قَوْلِ بَعْضِ الحُكماءِ: استعملِ الحزمَ في الأمورِ وليسَ عليكَ ما قضَى اللَّـهُ مِنْهَا فَإِنْ فُزْتَ بِحَظٍّ أحرزْتَ إليهِ حمداً وإِنْ غَرِمْتَهُ عوضت عليه عذراً)[2].

وقَالَ بعضُهُم: أذكرْ حسراتِ التفريطِ يلذُّ لَكَ الحزمُ[3]. وَمِنَ الحزمِ أنْ لا يحتقرَ عدوَّهُ، وإِنْ كانَ حقيراً، ولا يستصغرَهُ وإنْ كان صغيراً، (فإنَّ ذلكَ عنوانُ الخِذلانِ وفيهِ تَرْكٌ لِلْحَزمِ وتوهينٌ لِلْعَزمِ)[4].

قالَ ابنُ نباتَةَ[5]:

فــلا تــحــقَــرَّن عَــدوّاً رَمــاكَ وَإِنْ كــانَ في سَــاعــديهِ قِصــر

فــإنَّ السُّيــوفَ تحــزُّ الــرقــابَ وتعجــزُ عن مــا تنــالُ الأبــرْ[6]

قيلَ ق/٢٨ لِلمُهلّبِ[7]: مِنْ أحزمِ النَّاسِ قالَ مَنْ يوهَمُ عليهِ الجبنُ مِنْ

---

(١) غرر الخصائص، ص ٢٠٣.

(٢) ساقطة من (ب ـ ج ـ د).

(٣) لباب الآداب، ص ٦٦.

(٤) في (ب ـ ج): فكم برغوث أسهر فيلا، ومنع الرقاد ملكاً جليلاً.

(٥) هو أبو نصر عبدالعزيز بن عمر بن محمد السعدي، من الشعراء المجيدين جمع بين حسن السبك وجودة المعنى. مدح الملوك والرؤساء وله في سيف الدولة بن حمدان جملة قصائد توفي سنة ٤٠٥هـ، شذرات الذهب، ج ٣ ص ١٧٥؛ النجوم الزاهرة، ج ٤ ص ٢٣٨؛ البداية والنهاية ج ١١ ص ٣٥٥.

(٦) ديوان ابن نباتة السعدي، ج ٢ ص ٧٣ وفيه فإن الحسام يحز الرقاب؛ يتيمة الدهر، ج ٢ ص ٣٩٥؛ خاص الخاص، ص ١٦٩.

(٧) المهلب: هو ظالم بن سراق بن صبح الأزدي، ولد عام الفتح في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كان جواداً شجاعاً ولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير وانتدب لقتال الأزارقة فشرد بهم، ولاه عبدالملك بن مروان خراسان توفي سنة ٨٣هـ في خلافة عبدالملك بن مروان، الطبقات الكبرى، ج ٧ ص ٩٤؛ المعارف، ص ٧٥؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ٤٣.

شِدة احتياطِهِ. وكانَ في قتالِ الأزارِقَة[١] يبثُّ الأحراسَ في الأمْنِ كان يبثُّهم في (الأمْنِ)[٢]، وَيذْكِي العيونَ في الأمْصارِ كَما يُذْكيها في الصَّحاري ويأمرُ أصحابَهُ بالتحرّزِ ويخوفُهُم البياتَ وإن بَعُدَ (عَنْهُم)[٣] العدوُّ ويقولُ أنظروا أنْ تكادوا كما تكيدونَ، ولا تقولُوا هَذِهِ مِنَّا ولا عَلينا[٤]، فإنَّ القومَ خـائفونَ وَجِلونَ وإنَّ الضُّرورَة تفتحُ بابَ الحيلَةِ[٥].

---

(١) الأزارقة: هم أتباع نافع بن الأزرق الذين خرجوا معه إلى الأهواز وغلبوا عليها في أيام عبدالله بن الزبير فأنفذ إليهم عبدالله بن حارث بصاحب جيشه مسلم بن عبيس فقتله الخوارج وتولى المهلب أمر حربهم مدة تسع عشرة سنة ومن بدعهم إباحة قتل أطفال المخالفين ونسائهم وإسقاط الرجم عن الزاني وإسقاط حد القذف عمن قذف المحصنين من الرجال وإن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر ملة خرج به عن الإسلام جملة/ الملل والنحل، ج ١ ص ١١٨ ــ ١٢٢.

(٢) في (ب ــ ج ــ د): الخوف وهو الصواب.

(٣) في (ب) منهم.

(٤) في الكامل ولا تقولواهزمناهم وغلبناهم،وفي شرح نهج البـلاغة ولا تقـولوا هـزمناهم وغلبناهم.

(٥) شرح نهج البلاغة، م ١ ص ٣٨٥؛ الكامل في اللغة والأدب، ج ٢ ص ٢٢٨.

فَصْلٌ

وَيَنبغِي لَهُ أَنْ يكونَ في حالِ محاربتِهِ وقتالِهِ كَما قَالَ عبدُاللـهِ بنُ صالحٍ[1] في وَصيّةٍ لَهُ (لِقائِدٍ)[2] في مُقدّمِ جَيْشٍ مضى إلى بِلادِ الرومِ فقالَ إنَّكَ تاجِرُ اللـهِ لِعبادِهِ فَكُنْ كالمضارِبِ الكيّسِ إنْ رأيتَ رِبحاً لا يشُكُّ فيه اتجرتَ وإلا احتفظتَ برأسِ المالِ لا تطلبْ الغنيمةَ حتى تحرزَ السلامَةَ وكنْ في احتيالِكَ على عدِّوكَ أخوفَ مِن احتيالِ عدوّكَ عليكَ[3].

وكانت الفُرْسُ إذا بَعَثْت أميراً على جَيْشٍ قالتْ احفظْ ما يُلْقَى إليكَ وانتهزْ الفرصَةَ فإنَّها خلسةٌ، وأثبتْ عِندَ رأسِ الأمرِ لا عِندَ ذَنْبِهِ، وإيّاكَ وشفيعاً مهيباً، وإيَّاكَ والعجزَ فإنَّهُ أوطأُ مَرْكَبٍ، وعليكَ بالصَّبرِ فإنَّهُ سببُ الظَّفَرِ، ولا تخضْ الغَمَرَ[4]، حتى تعرفَ القدرَ[5].

وقال قَطَريُّ بنُ الفُجاءَةِ[6]: وَقَدْ ذَكَرَ المهلَّبُ بنُ أَبي صُفْرَةِ لأصْحابِهِ هُوَ

---

(١) الصواب هو عبدالملك بن صالح كما أطبقت على ذلك المراجع كالعقد الفريد، ج ١ ص ٩٤؛ وشرح نهج البلاغة، م ٣ ص ٤٢٩.

وغرر الخصائص، ص ٢١٧؛ وعبدالملك هذا هو أبوعبدالرحمن عبدالملك بن صالح بن علي بن عبدالله بن العباس رضي الله عنه وكانت منبج إقطاعاً له وكان مقيماً بها وتوفي سنة ١٩٩هـ بالرقة وله بلاغة وفصاحة، وفيات الأعيان، م ٦ ص ٣٠.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) عيون الأخبار، م ١ ج ٢ ص ١٠٩.

البيان والتبيين، ج ٢ ص ٢٦٨؛ نثر الدرر مخطوط، ص ٢٥٦.

(٤) الغمر: بوزن الجمر الكثير من الماء والمغمر بضمها الملقى بنفسه في المهالك والشدائد/ مختار الصحاح، القاموس المحيط.

(٥) العقد الفريد للملك السعيد، ص ٩٦، ونسبه لعبدالله بن المقفع مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

(٦) هو أبو نعامة قطري بن الفجاءة المازني أحد رؤساء الخوارج وفرسانهم المعدودين، معدود في جملة خطباء العرب المشهورين حارب المهلب بن أبي صفرة سنين وادعى أمرة المؤمنين =

مَنْ قَدْ عرفتموهُ، إنْ أخذْتم بِطَرَفِ ثَوْبٍ أَخَذ بِطَرَفِهِ الآخرِ يمدُّهُ إذا أَرْسلتُموهُ ويرسلُهُ إذا مَددتُموهُ ولا يبدُؤكُم حَتّى تبدؤوه إلا أنْ يَجِدَ فُرْصَةً فينتهزَهَا فهو الليثُ المبِّرزُ والثَّعْلَبُ الرّواغُ[1].

وقالَ مرةً: إنْ جَاءكم المهلَّبُ[2] لا يُناجِزُكُم حَتَّى تناجِزُوه، ويأخذَ مِنْكُم ولا يُعطيكُم، فَهو البلاءُ اللازمُ والمكروهُ الدَّائمُ[3].

وكانت الخوارجُ[4] (تُسمِّيه)[5] السَّاحِرَ، لأنَّهم كَانوا يُدَبِّـرونَ الأَمْرَ فيجدونَه قَدْ احترسَ مِنْهُمْ، ويدبِّرونَ التدبيرَ لِأنفُسِهِم فيجدونَهُ قَدْ سَبقَ إلى بعضِ تدبيرِهِم[6]. وسَألَ الحجَّاجُ بريداً وَرَد عليهِ مِنْ قبلُ المهلبُ، أيَّامَ حربِهِ للأزارِقةِ عَنِ المهلَّبِ والجندِ اللذين مَعَهُ فقالَ يسوسُهُم سياسَةَ الملوكِ ويقاتِلُ بهم قتالَ الصُّعلوكِ[7].

= وسلم عليه بها، حتى توجه إليه سفيان الأبرد الكلبي فظهر عليه وقتله في سنة ٧٨هـ/ شذرات الذهب، ج ١ ص ٨٦ ـ ٨٧؛ وفيات الأعيان، م ٤ ص ٩٣.

(١) الكامل في اللغة والأدب، ج ٢ ص ٢٤٢.

(٢) تقدمت ترجمته، ص ٢٣٨.

(٣) الكامل في اللغة والأدب، ص ٢٤٧.

(٤) كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان إلا أن هذا الاسم غلب على بعض الفرق كالأزارقة والنجدات والعجاردة أصحاب عبدالكريم العجرد والاباضية والصفرية/ الملل والنحل، ج ١ ص ١١٤.

(٥) في (ج): يسمونه.

(٦) الكامل في اللغة والأدب، ج ٢ ص ٢٥٤.

(٧) زهر الآداب، ج ٢ ص ٧٨٧ من قول بشر بن مالك لما أرسله المهلب إلى الحجاج يبشره بالانتصار على الحرورية.

وَقَالَ عَبدُاللـه بنُ[1] خالدِ بنِ الوليدِ لمعاويةَ إنَّكَ لتقدَّمُ إقداماً أراكَ تتعرّضُ للقتلِ، وتتأخَرُ تأخراً أراكَ تَهمُّ بالهرَبِ، فقالَ واللّهِ ما أتقدَّمُ لِأقتلَ، ولا أتأخرُ لأهربَ، ولكنّني أتقدَّمُ إذا كانَ التقدُّمُ غُنْماً وأتأخرُ إذا كانَ التأخرُ حزماً[2]. كَما قالَ الشّاعِرُ:

شجــاعٌ إذا مــا أمكنتني فــرصــةٌ وإنْ لم تكنْ لي فرصةٌ فجبــانُ[3]

وقالَ بعضُهم: احتلّ للشّمسَ (والقمرَ)[4] والريـحَ أَنْ يكونـا مَعَك لا عليكَ[5]. وقيلَ: الاقدامُ أنفى لِلْعارِ وأدرَكُ للثأْرِ[6]. والشُّجاعُ موقَّى والجبانُ مُلْقَى[7].

وقال المتنبي[8]:

يُقْتَـلُ العَاجِـزُ الجبَانُ وَقَـدْ يَعْجِزُ عَـنْ قَـطْعِ بُـخْنُـقِ الـمَـوْلُــودِ

---

(١) نسبت المراجع هذا القول لعدة أعلام ففي نثر الدرر للأبي، ج ٣ ص ١٢ أن الذي قال لمعاوية هو خالد بن الوليد، وفي مروج الذهب، ج ٢ ص ١٣ ـ ١٤. أن الذي قال لمعاوية هو عمرو بن العاص ومثله في العقد الفريد، ج ١ ص ٧١؛ عيون الأخبار، م ١ ج ٢ ص ١٦٣؛ وفي لباب الآداب، ص ١٩٣ أن قائله لمعاوية هو عبدالرحمن بن خالد بن الوليد.

(٢) بهجة المجالس، ق ١ ص ١٠٠؛ نثر الدرر مخطوط، ج ٣ ص ١٢.

(٣) مروج الذهب، ج ٢ ص ١٤، ونسب البيت الذي استشهد به معاوية إلى القطامي.

(٤) زيادة من (ب ـ ج).

(٥) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٣ بدون كلمة القمر.

(٦) الاعجاز والايجاز، ص ٤٥ ونسبه إلى الاسكندر المكدوني، التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٢.

(٧) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٢؛ العقد الفريد، ج ١ ص ٧٢؛ عيون الأخبار، م ١ ج ٢ ص ١٢٥ وفيه تقول العرب الشجاع موقى وهذا نظير قول الصديق لخالد بن الوليد احرص على الموت توهب لك الحياة/ غرر الخصائص، ص ٢٢٢.

(٨) تقدمت ترجمته، ص ١٥٤.

وَيُوقَّى الفَتَى المِخَشُّ وَيَدْ خَوَّضَ . فِي مَاءِ لَبَّةِ الصِّنْدِيدِ[1]

ومنْ أمثالِ العَربِ: إنَّ الجبانَ حتفُهُ مِنْ فَوقِهِ[2]. عصى الجبانِ أطولُ[3]. مُحَرِّضٌ خيرٌ مِنْ ألفِ مقاتلٍ[4]. إذكاءُ العيونِ أنفى للظنونِ[5]. لا تغفلْ الحسكَ[6] إنْ كنتَ نازلاً، والخندقَ إنْ كنتَ مُقيماً[7]. إذا ابتليتَ بالبياتِ فعليكَ بالثَّباتِ[8]. الانصرافُ قبلَ الهزيمةِ هزيمةٌ[9] . الحربُ سِجالٌ وعثراتُها لا تُقالَ[10].

---

(١) ديوان المتنبي، ج ٢ ص ٤٦ ومعنى البيت الأول: أن العاجز الجبان قد يقتل فلا تظنن أن العجز والجبن من أسباب البقاء، البخنق: خرقه يقنع بها الرأس وتشد تحت الحنك ومعنى البيت الثاني: أن الشجاع المغوار قد يسلم وقد خاض الحروب حتى غاص في دماء الصناديد يحث على الاقدام كما نهى عن الجبن قبله، والمخش: الجريء في الأمور والحروب وخوض: بالغ في الخوض واللبة: أعلى الصدر وماؤها: دمها، والصنديد: الشجاع.

(٢) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٤؛ مجمع الأمثال، ج ١ ص ١٠؛ العقد الفريد، ج ٣ ص ٥٣، يشير بذلك أن الحتف إلى الجبان أسرع منه إلى الشجاع لأنه يأتيه من حيث لا مدفع له وأول من قال هذا المثل عمرو بن امامة في شعر له:

لقد حسوت الموت قبل ذوقه . إن الجبان حتفه من فوقه

(٣) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٤؛ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٦٢٨؛ مجمع الأمثال، ج ٢ ص ١٩. وإنما يطول الجبان عصاه من فشله يرى أن طولها أشد ترهيباً لعدوه من قصرها.

(٤) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٣.

(٥) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٣.

(٦) الحسك: حسك السعدان، والحسك أيضاً ما يعمل من الحديد على مثاله وهو من آلات العسكر/ مختار الصحاح.

(٧) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٣؛ الاعجاز والايجاز، ص ٤٥.

(٨) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٣.

(٩) التمثيل والمحاضرة. ص ١٥٣ وفيه الانصراف قبل التمكن هزيمة.

(١٠) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٢؛ الاعجاز والايجاز، ص ٦١ ونسبه إلى المنذر بن ماء السماء.

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامَ (الحربُ خَدْعَة)[1].

ومن أمثالِ العربِ: إذا لَمْ تغلب فاخلِبْ[2]. المحاجزةُ قبلَ المناجزةِ[3].

التغريرُ مفتاحُ البؤسِ[4]. لا تمنعْ عدوَّكَ السَّبيلَ في هزيمتِهِ[5].

الهارِبُ لا يُعرِّجُ على صاحبٍ[6]. الليل جنة الهارب[7].

الفرار في وقته ظفر[8]. وقال بعضُهم الفرارُ (عِندَ)[9] الخوفِ من سننِ

---

(١) صحيح البخاري، ج ٤ ص ٧٧؛ سنن ابن ماجة، ج ٢ ص ٩٤٥؛ سنن الترمذي، ج ٣ ص ١١٢. وقال حديث حسن صحيح قوله خدعة فيها ثلاث لغات مشهورات أفصحهن خدعة بفتح الخاء وإسكان الدال قيل هي لغة الرسول صلى الله عليه وسلم، والثانية بضم الخاء وإسكان الدال، والثالثة بضم الخاء وفتح الدال. واتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب كيف أمكن الخداع إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحل/ عون المعبود، شرح سنن أبي داود، ج ٧ ص ٢٩٨.

(٢) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٤؛ مجمع الأمثال، ج ١ ص ٣٤. ويريد بذلك أن نفاذ الرأي في الحرب أنفذ من الطعن والضرب. يقال خلب يخلب خلابه وهي الخديعة ويراد به الخدعة في الحرب.

(٣) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٤، خاص الخاص، ص ٨١؛ مجمع الأمثال، ج ١ ص ٤٠. وفيه إن أردت المحاجزة فقبل المناجزة هذا المثل يروى عن أكثم بن صيفي وقال أبو عبيد معناه انج بنفسك قبل لقاء من لا تقاومه. فالمحاجزة الممانعة وهو أن تمنعه عن نفسك ويمنعك عن نفسه.

(٤) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٣.

(٥) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٣.

(٦) خاص الخاص، ص ٨١؛ بدائع السلك، ج ١ ص ١٦٨.

(٧) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٣.

(٨) خاص الخاص، ص ٨١ وفيه الهرب في وقته ظفر، نهاية الأرب، ج ٣ ص ٣٥٠.

(٩) في (ج) قبل.

المرسلينَ[1]، قال اللـهُ تعالى حِكايةً عنْ موسى عليهِ السلامُ ق/٢٩ ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾[2].

ومن أمثال العربِ: الفرارُ بقرابٍ أكيسُ[3].

ومن أمثالِ العامةِ (فرَّ)[4] أخزاهُ اللـهُ خيرٌ مِنْ قُتِلَ رَحمَهُ اللـه[5].

ومنْ أبلغِ ما قيلَ في الاعتذارِ من الفرارِ. قولُ الحارثِ بنِ هِشامٍ[6] حيثُ يقولُ:

اللـهُ يعلمُ مـا تـركتُ قتـالَهـم　　　حتى علوا فَرسي بـأشقَرَ مُزبِـدِ

---

(١) خاص الخاص، ص ١٩ وفيه الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٢٠. ولكنه يكون عندها على نية التحرف للقتال والتحيز إلى فئة حتى لا يكون فاراً من الزحف الذي حرمه الله على المرسلين والمؤمنين في أكثر من آية.

(٢) آية ٢١ من سورة الشعراء ونص الآية ﴿ففرت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكمًا وجعلني من المرسلين﴾.

(٣) مجمع الأمثال، ج ٢ ص ٧٦، خاص الخاص، ص ١٩. وهذا المثل لجابر بن عمرو المازني وذلك أنه كان يسير في طريق فرأى أثر رجلين وكان خائفاً. فقال أرى أثر رجلين شديدا كلبهما عزيزا سلبهما والفرار بقرار أكيس.

(٤) زيادة من (ج).

(٥) التمثيل والمحاضرة، ص ١٥٣، نعم إنه قول العوام من الناس والجهلة الذين لا يعرفون ما أعد الله للمرابطين من الأجر وجليل الثواب ولا يعرفون أمر الله الذي أمر به المؤمنين من مصابرة عدوهم وحرمة الفرار عليهم بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ورابطوا واتَّقوا اللَّـهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة آل عمران: آية ٢٠٠.

(٦) هو الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبدالله القرشي، شهد بدراً كافراً مع أخيه أبي جهل وفر حينئذ وقتل أخوه وعير بفراره فاعتذر عن هذا الفرار بما زعم الأصمعي أنه لم يسمع بأحسن من اعتذاره ذلك، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وشهد مع الرسول حنينا فأعطاه كما أعطى المؤلفة قلوبهم خرج إلى الشام أيام عمر رغبة في الرباط والجهاد مات في طاعون عمواس سنة ١٨هـ/ الاستيعاب، ق ١ ص ٣٠١؛ الطبقات الكبرى، ج ٧ ص ١٢٦.

وعلمتُ أني إنْ أُقـاتِـلْ واحـداً ... أُقتـلْ ولا يبكي عدوِّي بمشهَـدِي
فصـدرتُ عَنْهُم والأحبـةُ فيـهُم ... طمعاً لهمْ بعقابِ يومٍ مُرصـدِ[1]

(وقال هبيرةُ بنُ أبي وهبٍ المخزوميّ[2]:

لعمـرك مَـا ولَّيْتُ ظَهْـري مُحَمَّـداً ... وأصحـابه جبنـاً ولا خِيفَـةَ الْقَتْـلِ
وَلَكِنَّي قَلَّبْـتُ أَمْـرِي فَلَمْ أجِـدْ ... لِسَيْفِي غَنَـاءً إنْ ضَرَبْتُ وَلاَ نَبْلِي
وَقَفْتُ فَلَمَّـا خِفتُ ضيعةَ مـوقفي ... رجعتُ بعودٍ كالهزبرِ إلى القتل)[3]

---

(١) نهاية الأرب، ج ٣ ص ٣٥٢؛ ديوان الحماسة للبحتري، ص ٤٠؛ حماسة أبي تمام، ج ١ ص ٥٦ ــ ٥٧؛ الاستيعاب، ق ١ ص ٣٠١. ومعنى البيت الأول أنه ما إنهزم حتى جرح فرسه فعلاه دمه أو جرح هو فعلا فرسه دمه.

ومعنى البيت الثاني: أنه إذا بقيت وحدي في ساحة الوغى أقتل لا محالة لكثرة من فر ولا يضر ذلك عدوي شيئاً.

ومعنى البيت الثالث: أنني أعرضت عن عدوي طمعاً في مقابلتهم في يوم آخر أدرك به ثاري.

(٢) هو هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن مخزوم أحد شعراء المشركين هرب إلى نجران لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فاتحاً وأقام هناك حتى مات كافراً/ الطبري، ج ٣ ص ١٦٤٦ ــ ١٦٤٧؛ سيرة ابن هشام، ج ٤ ص ٣٤.

(٣) هذه الأبيات ساقطة من نسخة الأصل وذكرت في النسخة (ب ــ ج ــ د): ونسبها البحتري في ديوان الحماسة لصاحبها، ص ٥٧؛ سيرة ابن هشام، ج ٣ ص ٢٢٣ ــ ٢٢٤ ويعتذر فيها عن فراره يوم الخندق ويبكي عمرو بن عبدود.

بابٌ
في ذَمّ الحِجاب

قالَ رَسولُ اللّـهِ صَلّى اللَّهُ عَلْيهِ وَسَلَّم (مَنْ وَلي مِنْ أُمورِ النَّاسِ شَيْئاً فاحتجبَ عَنْهُم احتجبَ اللهُ (عَنْهُ)[1] دونَ حاجتِهِ وَفاقَتِهِ وَفَقْرِه)[2]. وَلمَّا أخبرَ معاويةُ بِهَذا الحديثِ، جَعَلَ على حوائجِ الناسِ رَجلاً[3]. وَقَالَ الفضلُ بنُ[4] سَهْلٍ لِثمامَةَ بنِ[5] الأشرسِ ما أدْري ما أصنَعُ في كَثْـرة طلابِ الحوائجِ وغاشيةِ البابِ فقالَ زلْ عَنْ مَوضِعِكَ وَعليَّ أنْ لا يلقاكَ أحدٌ قالَ صدقتَ وَقَعَدَ لَهُم[6].

وَفي مَعْنى قولِ ثُمامةَ (قولُ)[7] الشَّاعِرِ:

---

(١) ساقطة من (ج).

(٢) سنن أبي داوود، ج ٣ ص ١٣٥؛ سنن الترمذي، ج ٢ ص ٣٩٥، وقال حديث غريب، وقد روى هذا الحديث من غير هذا الوجه؛ المستدرك، ج ٢ ص ٩٤، وقال صحيح الإسناد؛ مشكاة المصابيح، ج ٢ ص ١١٠٠.

(٣) سنن الترمذي، ج ٢ ص ٣٩٥؛ بدائع السلك، ج ١ ص ٣٧٠؛ الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء، ص ٦٨.

(٤) تقدمت ترجمته، ص ١٦٢.

(٥) هو أبو معن ثمامة بن أشرس النميري، من كبار المعتزلة كان على اتصال بالرشيد ثم المأمون، وقال عنه الشهرستاني في الملل والنحل أنه كان جامعاً بين سفاهة الدين وخلاعة النفس مع اعتقاده بأن الفاسق يخلد في النار، توفي سنة ٢١٣هـ، تاريخ بغداد، ج ٧ ص ١٤٥؛ الملل والنحل، ج ١ ص ٧٠.

(٦) وفيات الأعيان، ج ٤ ص ٤٢؛ نثر الدرر ــ مخطوط، ج ٢ ص ١٤٨.

(٧) في (ب ــ ج): قال.

فلا تَعْتَذِرْ بالشُّغْلِ عني فإنَّما تُناطُ بكَ الحاجاتُ ما اتّصَلَ الشُّغْلُ[1]

(وقولُ)[2] الآخرِ:

افْـرُغْ لحاجـاتنا مـا دمتَ مشغولاً فلو فَرَغْتَ لقد أصبحت مملولا[3]

(قلنا)[4] وَلَيْسَ المرادُ بتركِ الحجابِ، أَنْ يبرزَ السلطانُ إلى العوامِ على الدوامِ، في الطرقاتِ ويباشرَ بِنفسِهِ أحوالَ الرعيةِ في جميعِ الأوقاتِ إنَّما المرادُ بذلكَ ألا يحجبَ (عن مَجْلِسِهِ خواصَ النَّاسِ، وَذوي المروءاتِ وأربابِ الشرفِ والبيوتاتِ)[5] وأنْ يأذنَ لِلْعُلماءِ وَأَهلِ الدينِ إذا استأذَنُوا عليهِ لإبلاغِ نُصْحِ، يَرْجِعُ صلاحُهُ إليهِ وإلى كافَةِ المُسْلمينَ. وَأَنْ يُصغيَ بِنفسِهِ إلى مخاطبتِهم ويأذَن لكلامِهم (ومحاوراتِهم)[6] ولا يكلَ ذلكَ إلى وُزرائِهِ وَحُجّابِهِ وسائرِ مَنْ يَعْتَمِدُ عليهِ مِنْ نوابِهِ، فإنَّ أهلَ العِلْمْ والفضلِ وَذوي الرياسةِ والنبلِ قدْ يأْنَفونَ مِنْ رَفْعِ حاجتِهم إلى مَنْ لَعَلّهُ دونَهُم على الحقيقةِ في القدرِ والمنزلةِ، وإنْ كانَ الملكُ قد أهَّلَهُ من الرياسَةِ لِما (هو أهْلُهُ)[7] وَرُبّما استشعرَ بذلكَ عليهم شرفاً وفخراً وشمخَ بأنفِهِ عليهم صَلَفاً وكِبْراً وذوي المناصبِ العلّيةِ قدْ لا تسمحُ أنفُسُهم الأبيةُ بقبولِ ذلك وإن عَمّتْهُم البلية

---

(١) نهاية الأرب، ج ٣ ص ٩٣، والبيت منسوب إلى أبي علي البصير (الفضل بن جعفر الكوفي) المتوفى سنة ٢٥١هـ؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٢٨٦؛ عيون الأخبار، م ٢ ج ٨ ص ١٢٥؛ أدب الدنيا والدين، ص ٢٠٣، مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) زيادة من (ب ــ ج).

(٣) عيون الأخيار، م ٢ ج ٨ ص ١٢٥، والبيت من شعر الحمدوني في الحسين بن أيوب والي البصرة.

(٤) في (ب ــ ج ــ د): قلت.

(٥) زيادة من (ب ــ ج ــ د).

(٦) في (ب ــ ج ــ د): محاورتهم.

(٧) في (ب ــ د): لما أهله.

ودهمتُهم الرزِّيةُ[١]، وَرُبَّما قلّدَهُم بِمَا يرفَعُ من مآربِهِم وينجحُ على يديهِ مِنْ مطالبِهِم مِنْه يصعُبُ على مثلِهِم مِنْ مثلِهِ تحملُها (ويعسرُ)[٢] عليهم تقلُّدها وأيضاً (فقد)[٣] لا ينقلونَ لَفظَهُم على صيغَتِهِ ولا يُصيبونَ المعنَى المرادَ على حقيقَتِهِ فيصيِّرونَ لسوءِ نَقْلِهِم ونقصانِ عَقْلِهِم، المدحَ قدحاً، والتلطُّفَ تعسّفاً، والتوددَ تهدُداً والإبانةَ (نيابةً)[٤]، والأمانةَ خيانَةً. ثُمَّ ينبغي للمَلِكِ إذا اتَّخذَ حاجِباً أنْ يكونَ أميناً عاقِلاً، أديباً فاضِلاً عارفاً بمقادِيرِ النَّاس ومنازِلِهم وعالِماً بحقِهِم وَحُرْمَتِهِم، ليأذَنَ لَهُم على قدرِ أحوالِهِم ويقدِّمَهُم في الدُّخولِ على حَسَبَ دَرَجاتِهِم.

قالَ عَبْدُالملِكِ بنُ مروانَ لأخيهِ عَبْدُالعزيزِ بنِ مروانَ[٥] حينَ وَجَّهَهُ إلى مصرَ: اعرفْ حاجبَكَ وكاتبَكَ وجليسَكَ فإنَّ الغائبَ عَنْكَ يخبرُهُ عَنْكَ كاتبُكَ والمتوسِمَ لكَ يُعَرِّفُكَ بِحاجِبِكَ (والخارجَ)[٦] يُعَرِّفُكَ بجليسِكَ[٧]. قَالَ رجلٌ

---

(١) الرزية: المصيبة والجمع رزايا.

(٢) في (ب): يصعب.

(٣) ساقطة من (ج ــ د).

(٤) في (ب ــ ج ــ د): عناية، أول من رتب المراتب في الدخول على السلطان زياد بن أبيه في العراق، ولعله اقتبسها من الفرس فجعل الإذن للناس على البيوتات، ثم على الأسنان، ثم على الآداب، فصار ذلك قاعدة مرعية فإذا استأذن جماعة في الدخول، قدم أشرفهم نسباً، ثم أكبرهم سناً، ثم أكثرهم أدباً، وضلت هذه القاعدة مرعية في سائر العصور الإسلامية.

(٥) هو أبو عمر عبدالعزيز بن مروان، ولي مصر عشرين سنة، وكان مولده بالمدينة وكان ولي العهد بعد عبدالملك، عقد لهما أبوهما كذلك، فلما مات عقد عبدالملك البيعة لولده توفي سنة ٨٥هـ وتولى مصر من بعده عبدالله بن عبدالملك بن مروان، النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٧١ ــ ١٧٤؛ شذرات الذاهب، ج ١ ص ٩٥.

(٦) في (ب): والداخل.

(٧) عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٤٤، وفيه والداخل عليك يصرفك بجليسك؛ نثر الدرر ــ مخطوط، ج ٣ ص ٢٩.

لزيادٍ أنَّ حاجبَكَ يبدأُ بالاذْنِ لمعارفِهِ، فقالَ قَدْ أحْسَنَ فالمعرفةُ تنفعُ عِندَ الكلْبِ العقورِ والجَملِ العضُوضِ، كُنْ من معارفِهِ أنتَ أيضاً[1]. ثُمَّ يُقيمُ لحوائِجِ النَّاسِ (وتعريفَها)[2] إليهِ، منْ خواصِهِ أورعَهم وآدبَهم وأحرصَهم على الخيرِ وطلبِ الأجرِ، (وتجنُّب)[3] العارِ والوِزْرِ واكتِسابِ الثناءِ والشُّكْرِ، ثُمّ يجعلُ لِعوامِ الناسِ وكافةِ ذَوي الحوائِجِ والمتظلمينَ يوماً في الأسبوعِ أوْ في الشَّهْرِ، على قَدرِ الحاجَةِ إليهِ، يأذَنُ لَهُم في الدُّخولِ عليهِ ليستدركَ (كُلُّ)[4] مِنهم ما عَجَزَ عن تداركِهِ بالوسائِطِ والذَّرائِعِ ويصلَ مِنْ حقِّهِ إلى ق/٣٠ ما (لمْ)[5] يوصِلُهُ إليهِ القُضاةُ (وأربابُ الصنائعِ وَعَجزَ عَنْ إنصافِهِ)[6] ولاةُ المظالِمِ (وكادَ يخرجُ عمَّا هُوَ فيهِ عَنْ معلومِ المعالِمِ)[7]. فهذِه أحَمدُ

---

(١) المحاسن والمساوىء، ج ١ ص ٢٦٤؛ العقد الفريد، ج ١ ص ٥١، ونسبه لمعاوية؛ الكامل للمبرد، ج ١ ص ٥٤، ونسبه للمغيرة بن شعبة؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٣٢، ونسبه لزياد؛ فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، ج ٢ ص ٦٨١، ونسبه للمغيرة بن شعبة.

(٢) في (ب): وتبليغها.

(٣) ساقطة من (ب).

(٤) زيادة من (ب ــ ج ــ د).

(٥) زيادة من (ب ــ ج ــ د).

(٦) ساقطة من (ب ــ ج ــ د).

(٧) ساقطة من (ب ــ ج ــ د).

إلى كل هذا ذهب ابن الأزرق فيما بعد، عندما قسم الظهور الواجب على السلطان، للنظر في سياسة ملكه ورعيته، فجعله نوعين: الأول للعامة ونقل قول ابن حزم أنه يوم من الجمعة، لا يمنع منه مشتكي كائناً من كان وهو نفس ما ذهب إليه الإمام القلعي وإن كان الإمام قد قلل منه فجعله يوماً في الأسبوع أو في الشهر.

النوع الثاني: للخاصة المستعان بهم في التدبير وقد جعله ابن حزم سائر الأيام، وهو عين ما ذهب إليه المؤلف وتكلم الطرطوشي في سراج ــ الملوك عن الحجاب، وأن شدته قد تضر بالسلطان فقال: وأما الاحتجاب فهو أوحى الخلال في هدم السلطان، وأسرعها خراباً للدول، ثم شبهه بالموت الحكمي وقال لا تزال الرعية ذات سلطان =

السِّيَرِ وأرْضاها عِندَ ذَوي الرَّأي والنظَرةِ ومما قيلَ في ذَمِّ الحُجَّابِ قولُ (أبـي)[1] العتاهيةِ[2] في أحمدَ بن يوسفَ[3] وَقَدْ حُجَبَ عَنْهُ.

لَأنْ عدتُ بعدَ اليـومِ إنّي لظالمٌ   سأصرِفُ وجهي حيثُ تُبغَى المكارمُ
متى يـظفرِ الغـادي إليكَ بحـاجةٍ   ونصفُك محجوبٌ ونصفُك نائِمُ[4]؟

وقال أيضاً: في عَمرِو بنِ العلاءِ[5]:

أتيتُـكَ يـا هـذا فـأغلقتَ بـابَـكَ   أكنتَ تـراني حَيْثُ أبغِي بـابَكَـا
وليسَ لشيءٍ غيـرُ تسليـمِ مـرةٍ   أتيتُـكَ فأشـدُدْ ما بقيتِ حِجـابكـا
لك الله ألا جئتُ بابَك غيرَ مـا   فعلتُ ولا كلفتُ نفسي طِـلابَكَـا

ولأحمد (بن عبدِالله)[6] مؤلِّفِ كتابِ العقدِ في آخِرِه:

مـا بالُ بـابُـكَ محجـوبٌ بِنـوَّابِ   تَحميـهِ مِنْ طـارقٍ يـأتي ومنتـابِ

= واحد، ما وصلوا إلى سلطانهم، فإذا احتجب فهناك سلاطين كثيرة. انظر: بدائع السلك، ج ١ ص ٣٦٢ ــ ٣٧٢؛ سراج الملوك، ص ٥٠.

(١) في (ج ــ د): أبو.

(٢) أبو العتاهية تقدمت ترجمته، ص ١٩٧.

(٣) هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح، كاتب المأمون على ديوان الرسائل كان من أفضل الكتّاب في عصره وأذكاهم وأجمعهم للمحاسن، يقول الشعر الجيد توفي سنة ٢١٣هـ، النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٢٠٦؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٦٩.

(٤) ديوان أبـي العتاهية، ص ٤١٠؛ المحاسن والمساوىء، ج ١ ص ٢٦٧؛ عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٨٥.

(٥) عمرو بن العلاء: لم أجد له ترجمة فيما لدي من المراجع.

(٦) في (ب ــ ج ــ د): ابن عبد ربه وهو الصواب ـ كان من العلماء. المكثرين من المحفوظات، والاطلاع على أخبار الناس وصنف كتاب العقد وهو من الكتب الممتعة وله ديوان شعر وكانت ولادته سنة ٢٤٦هـ، وتوفي سنة ٣٢٨هـ ودفن في مقبرة بني العباس بقرطبة، وفيات الأعيان، م ١ ص ١١٠ ــ ١١٢.

لا تحجبْ وجهَكَ الممقوتَ مِنْ أحدٍ   فـالمقتُ يحجُبُه منْ غيـرِ حجابِ
واعزلْ عَنِ البابِ مَنْ قدْ ظلَّ يحرسُهُ   فإنَّ وجهَكَ طلسمٌ على البابِ[1]

وقال آخرُ:

حجـابُـكَ من مهـابَتِـهِ عسيـرُ   وخيـرُكَ من بَـرٍّ يـدهِ يـسيـرُ
خـرجتُ كما دخلتُ إليـكَ إلا   تـرابـاً طـارَ في جَفني كثيـرُ[2]

---

(١) ديوان ابن عبد ربه، ص ٢٤، والبيت الأول في الديوان ورد:
مـا بـال بـابـك محـروساً ببـواب   يحميـه من طـارق يـأتي ومنتـاب
العقد الفريد، ج ١ ص ٥٧.

(٢) العقد الفريد، ج ١ ص ٥٥ ــ ٥٦، والشعر منسوب لمحمود البغدادي مع اختلاف في البيت الأول فقد روى في كتاب العقد:
حجـابـك من مهـابتـه عسـير   وخيـرك في اليـدين غـدا يسيرا

القسمُ الثاني من الكتابِ: في الحكاياتِ عنِ الخلفاءِ والوزراءِ والعمالِ والأمراءِ الدالةِ على مناقبِهم وارتفاعِ مراتِبِهم ولنبدأُ بذكرِ معاويةَ بـنِ أبـي سفيانَ، رَضي اللهُ عنهُ، لقربِ عهدِهِ ثُمّ من بعدِهِ على ترتيبِ وجودِهم وتعاقُبِ أزمنتِهم إلى حيثُ ينتهي بنا الكلامُ وباللهِ التوفيقُ..

رُويَ أنَّ معاويةَ(١) كانَ يجلسُ ويأذنُ كُلَّ يومٍ خمسَ مراتٍ كانَ إذا صلّى الفجرَ جلسَ فيقرأ القصصَ (ويقضي حاجةَ مَنْ حَضَرَ ثُمّ يأخذ

---

(١) هو معاويةُ بنُ أبـي سفيانَ، صخرِ بنِ حربِ بنِ أميةَ بنِ عَبدِشمس الأمويُّ، كانَ أبوهُ صخرَ بن حربٍ أحدِ أشياخِ مكةَ، وأمهُ هِندُ بنتُ عتبةَ، يكنى أبا عبدالرحمن أسلم يوم الفتح على المشهور، وذكر ابن سعد في الطبقات انه أسلم عام الحديبية، ولكنه كان يكتم إسلامه من أبـي سفيان ولكن المشهور انه من مسلمة الفتح شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنيناً والطائف وأعطاه رسول الله من غنائم حنين، مائة من الإبل وأربعين أوقية وزنها له بلال، وحسن إسلامه وجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتبة الوحي، روى عن النبـي صلى الله عليه وسلم مائة وثلاثة وستين حديثاً، بعضها في الصحيحين وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين، وكان موصوفاً بالدهاء والحلم حتى قال فيه عمر: تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية ومرة أخرى يقول فيه: احذروا فتى قريش وابن كريمها الذي لا ينام إلا على الرضى، ويضحك عند الغضب وهو يتناول من فوقه ومن تحته. ولقد كان عمر خبيراً بالرجال عندما قال لمعاوية وقد لقيه في موكب ويهرجه وأنبه على ذلك فقال له ان العدو قريب منا ولهم عيون وجواسيس فأردت أن أظهر عزة الإسلام، فقال له عمر إن هذا لكيد رجل لبيب، =

. . . .

= أو خدعه رجل أريب. ويوضح لنا معاوية سياسته التي مكنته من الوصول إلى سدة الحكم وامرة المؤمنين، فلقد كان يكرر «لو أن بيني وبين الناس شعره ما انقطعت إذا رخوها شددتها وإذا شدوها أرخيتها». وهذا ابن طباطبا يصف لنا معاوية فيقول كان عاقلاً في دنياه، لبيباً عالماً، حليمًا ملكاً قوياً، جيد السياسة حسن التدبير لأمور الدنيا، عاقلاً حكيمًا فصيحاً بليغاً يحلم في موضع الحلم ويشتد في موضع الشدة، إلا أن الحلم اغلب عليه. ومما يدل على سعة حلمه انه قال لقيس بن سعد يا قيس والله كنت أود أن تنكشف الحروب التي بيني وبين علي وأنت حي، فقال قيس إني كنت أكره أن تنكشف تلك الحروب وأنت أمير المؤمنين. فلم يحرك معاوية منه ساكناً. وأجمع أهل التواريخ على أنه من دهاة العرب المعدودين، الذي لا تعجزه الحيلة ولا تنطلي عليه الأمور. فقد كان بحق كما قال الفخري في الآداب السلطانية مربـي دول، وسائس أمم، وراعي ممالك ابتكر في الدولة أشياء لم يسبقه أحد إليها. تولى أمرة الشام لعمر بعد موت أخيه، وأقره عثمان عليها اثنتي عشرة سنة، فعامل أهلها باللطف واللين حتى وصل إلى قلوبهم، وبهم حارب علياً بن أبـي طالب خمس سنين. واجتمع الناس عليه سنة ٤١هـ بعد تنازل الحسن بن علي، رضي الله عنه، في عام الجماعة، فساس معاوية دولة مترامية الأطراف متباينة الأجناس، فكان يمزج اللين بالقوة والحلم والكرم بحد السيف فكان يعطي المقارب، ويداري المباعد، ويعامل كل طائفة بما يناسبها يشتد في موضع الشدة، ويلين حيث ينفع اللين، ويجود حيث ينفع الجود فلقد لامه قومه في إغداقه على بني هاشم، فقال ويحكم ان الحرب تتطلب نفقات أكثر. ولقد اعتمد معاوية في تثبيت أركان دولته على رجال محنكين ضمهم إليه من أمثال المغيرة وعمرو بن العاص وزياد بن أبيه فهم الذين ساعدوه في ضبط زمام الأمور وإشاعة الأمن والهدوء في أرجاء دولته المترامية الأطراف. ولقد اعجب المؤرخون قديماً وحديثا بسياسة معاوية وأخلاقه فنجد المسعودي يقول ولقد تبعه في سياسته، عبدالملك بن مروان وغيره، فلم يدركوا حلمه ولا اتقانه للسياسة. وهذا نلكسون يقول كان معاوية سياسياً محنكاً لا يقل في مضمار السياسة عن ريشيليوا فقد مكنته معرفته التامة بالطبائع البشرية من أن يجذب إليه الرجال ذوي الآراء المعتدلة في جميع الأحزاب المعارضة، توفي بدمشق، سنة ٦٠هـ.

ودفن بها وهو ابن ٧٨ سنة وكانت خلافته تسع عشرةسنة ونصف وهو أول من جعل ابنه ولي العهد بعد، وأول من اتخذ ديوان الخاتم وأول من قام على رأسه، وكان يقول أنا أول الملوك/ الاستيعاب ق/٣ ص ١٤١٦ ــ ١٤٢٢؛ الطبقات الكبرى، ج ٧ ص ٧ ص ١٢٨؛ الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٠٣ ــ ١١١؛ الطبري، ج ٧ =

المصحَفَ فيقرأُ أجزاءً مِنَ القرآنِ الكريم)[١]، ثُمَّ يَدْخُلُ بيتَه فيأمُر وَيَنْهَى وَيُصلِّي أَرْبَعَ ركعاتٍ، ثُمَّ يقعُدُ في مَجْلِسِه وَيدْخُلُ إليهِ خاصةُ الخاصةِ ويدْعُو بالغداء الأصغَرِ مِنْ (فضلاتِ)[٢] العشاءِ، ثم يأمُر بكرسيِّهِ حيثُ المقصورةُ مِنَ المسجِدِ، فيأتيه ابنُ السبيلِ والأعرابيُّ، وَمَنْ تُستدعَى من (الاماءِ)[٣] والعجائزِ والصبيانِ فيقضي حوائجَهُم، ولا يضجَرُ، ثُمَّ يدخُلُ منزلَهُ (فيأتِيه)[٤] أشرافُ النَّاسِ والعلماءِ فيقضِي لَهُم الحوائِجَ، ثُمَّ يدعُو بغدائِهِ الأكبَرِ، فيطيلُ الأكلَ وَيُصْغِي لِكلِّ أصحابِ الحوائجِ، ثُمَّ يدخُلُ منزلَهُ إلى الظُّهرِ فلا يراهُ أحدٌ، ثُمَّ يخرُجُ يُصلِّي الظُّهرَ ويدخلُ إليهِ الخواصُ، فإنْ كانَ أيامُ الشِّتاء دَعا بالحلواتِ اليابسةِ وانْ كانَ صيفاً دعا بالفواكِهِ، فيأخذُ (من الأكلِ)[٥] إلى العصْرِ، ثم يَجْلِسُ على سريرِهِ ويأذنُ للنَّاسِ إلى الغروبِ، ثم يأذنُ لخاصتِهِ إلى ثُلُثِ الليلِ يسامرونَهُ، وينامُ الثلثَ الأوسطَ، ويصلي الثلثَ الأخيرَ، فلم يزَلْ على ذلكَ حَتّى قَبَضَهُ اللهُ تعالى[٦]. قِيلَ سَمِرَ معاويةُ ذاتَ ليلةٍ، فَذَكَرَ كلامَ الزرقاءِ[٧] بنتِ عديّ، امرأةٍ مِنْ أَهْلِ الكوفةِ ممنْ نَصَرَ عليًّا (عليه

= ص ١٩٨ ــ ٢١٦؛ تاريخ الخلفاء، ص ١٩٤ ــ ٢٠٥؛ البداية والنهاية، ج ٨ ص ١١٧؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٥٣ ــ ١٥٤؛ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج ١ ص ٢٨٤؛ الكامل في التاريخ، م ٣ ص ٢٦٢؛ تاريخ ابن خلدون، م ٣ ص ٤.

(١) ساقطة من (ج ــ د).
(٢) في (ج ــ د): فضول.
(٣) في (ب ــ د): النساء.
(٤) في (د): ويحضر.
(٥) في (ج): بالأكل.
(٦) مروج الذهب، ج ٢ ص ٢٣ ــ ٢٤؛ باختلاف يسير في بعض الأمور؛ بدائع السلك، ج ١ ص ٣٦٥.
(٧) من ربات الفصاحة والبلاغة والعقل، كوفية الأصل ناصرت علي بن أبي طالب يوم =

السلامُ)[1] يومَ صِفينَ[2] فقالَ لأصحابِهِ أيّكُم يحفَظُ كلامَ الزرقاءِ، فقالُوا كُلُّنا يا أميرَ المؤمنينَ نحفظُهُ فقالَ فما تُشيرونَ عليَّ فيها، فقالوا نشيرُ بقتلِها، فقالَ بِئْسَ الرأيُ رأيتُمْ أيحْسِنُ بِمثْلي أنْ يتحدَّثَ الناسُ (على)[3]، أني قَتَلْتُ امرأةً بعدَما ملكتُ فظفرتُ ثُمّ دَعا بكاتِبِه، فَكَتَبَ إلى واليهِ بالكوفةِ أنْ أوفدْ إلى الزرقاءِ بنتِ عَدِيّ مَعَ نفرٍ من عشيرتِهَا (وعدةٍ مِنْ فرسانِ قومِها)[4] وَمَهّدْ لَها وِطاءً لَيناً[5] فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الكتابُ رَكِبَ إليهَا فأقرأَهَا الكتابَ، فقالت أَمَّا أنَا فغيرُ زائغةٍ عَنْ الطاعةِ، فإنْ كانَ أميرُ المؤمنينَ جَعَلَ الاختيارَ إليَّ لَمْ أرم منْ بَلَدي، وانْ كانَ حَتَّمَ الأمرَ فالسمعُ والطاعةُ لَهُ، فَحَمَلها (على أَحْسَنِ مَطيةٍ)[6] في هَودَجٍ وَجَعَلَ غشاءَهِ خزاً مُبَطّناً، وأحسَنَ صحبتَها فَلَمَّا قَدِمْت على معاويةَ، قالَ لها مَرْحباً وأهلاً خيرَ مقدمٍ قَدِمَهُ وافدٌ كَيْفَ حالُكِ يا خالةُ، وَكَيْفَ رأيتِ ق/ ٣١ مَسيرَكِ فقالتْ خيرَ مسيرٍ كَأنِّي ربيبةُ (بيتٍ)[7] أو طفل في مهد، فهلْ تعلمينَ لِمَ بعثتُ إليكِ، فقالتْ لا يعلَمُ الغيْبَ إلا اللهُ فقالَ ألستِ راكبةَ الجملِ الأحمرِ يومَ صفينَ، وأنت بينَ الصُّفينِ تُوقدينَ نارَ الحربِ، (وتحضينَ)[8] على القتالِ، قالتْ بلى قالَ فما حملَكِ على ذلكَ، فقالتْ

= صفين، ولما تم الأمر لمعاوية استقدمها وأكرمها، وكتب إلى والي الكوفة بالوصية بها وبعشيرتها/ أعلام النساء، ج ٢ ص ٣٢.

(١) في (ج، د): رضي الله عنه.

(٢) معركة بين علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، ومعاوية بن أبي سفيان سنة ٣٦هـ، وكان بعدها التحكيم الذي كان سبب خروج الخوارج.

(٣) في (د): عني.

(٤) في (د): وعدة فرسان من قومها.

(٥) أي فراش.

(٦) ساقطة من (ب – ج – د).

(٧) ساقطة من (د).

(٨) في (د): تحرضين الناس.

يا أميرَ المؤمنينَ إنَّهُ قدْ ماتَ الرأسُ وَبترَ الذنبُ، والدَّهْرُ ذو غِيَرٍ[١]، ومنْ تفكرَ أبصرَ، والأمرُ يحدثُ بعدهُ الأمرُ. قالَ صدقتِ فَهلْ تحفظينَ كلامَكِ، قالتْ لا واللهِ، قالَ لِلَّهِ أبوكِ لَقدْ سمعتُكِ تقولينَ: أيُّها النّاسُ انكُم في فِتْنَةٍ (عمياءَ صماءَ)[٢] غشيتُكم جلابيبُ الظُّلمِ، وجارتْ بِكُم عنْ قَصْدِ المحجَّةِ فيا لَها من فَتنَةٍ لا يُسمعُ لقائِلَها، ولا تنقادُ لسائِقِها[٣]، أيُّها النـاسُ إنَّ المصباحَ لا يضيىءُ في الشَّمْسِ وإنَّ الكواكِبَ لا تنيرُ مَعَ القَمرِ وانَّ البغلَ لا يَسبِقُ الفرسَ، ولا يقطَعُ الحديدَ إلا الحديدُ، ألا مَنْ استرشَدَ أرشدْنَاهُ وَمَنْ سألَنا أخبرناهُ أنَّ الحقَّ كانَ يطلبُ ضالتَهُ (فوجدَها)[٤] فصبْراً يا معاشرَ المسلمينَ من المهاجرينَ والأنصارِ (على الغصصِ)[٥] فكأنَّه قَدْ التَأمَ شعبُ الشَّتاتِ وَظَهَرَتْ كلمةُ (العدْلِ)[٦] وَغَلَبَ الحقُّ باطِلَهُ، فلا يُعَجِّلَنَّ[٧] أحدُكُم يقولُ كيفَ ذلكَ لِيقضَيِ اللهُ أمراً كانَ مفعولاً، إنَّ خِضابَ النّساءِ الحناءُ، وخضابَ الرِّجالِ الدماءُ، والصَّبرُ خَيْرٌ في الأمـورِ عواقب، أيها[٨] إلى الحربِ قُدَماً غيرَ ناكصينَ فهذا يومٌ لَهُ ما بعدَهُ، قالَ يا زرقاءُ لقدْ شاركتِ عليًّا (عليهِ السلامُ)[٩]

---

(١) غير أحداث جمع غيره بالكسر ومنه تغايرت الأشياء اختلفت وغير الدهر أحداثه المغيرة/ القاموس المحيط.

(٢) ساقطة من (د).

(٣) في صبح الأعشى ولا تسلس لقائدها.

(٤) في (د) فأصابها.

(٥) زيادة من صبح الأعشى وجمهرة خطب العرب.

(٦) في (د): الهدى.

(٧) في جمهرة خطب العرب وصبح الأعشى فلا يجهلن أحد.

(٨) أية اسم فعل فإذا قلت لغيرك أيه بلا تنوين فقد أمرته أن يزيدك من الحديث الذي بينكما المعهود وان وصلته بكلام آخر نونته وقد أمرته أن يزيدك حديثاً ما لأن التنوين تنكير/ مختار الصحاح؛ المصباح المنير.

(٩) ساقطة من (ب ـ ج ـ د).

في كُلِّ دَمٍ سَفَكَهُ، قالتْ أحسنَ اللهُ بِشارتَكَ يا أميرَ المؤمنينَ وأدامَ سلاَمَتَكَ مِثْلُك بشَّرَ بخيرٍ وَسرَّ جَليسَه قالَ لَها وقدْ سرَّكِ ذلكَ، قالتْ نَعَمْ واللَّهِ سرَّني قولُكَ وأنَّى لِي بتصديقِهِ قالَ معاويةُ واللهِ لوفاؤُكُم لَهُ بَعْدَ موتِهِ، أعجَبُ إليَّ من حُبِّكُمْ لَهُ في حياتِهِ، اذْكِري حاجَتَكِ فقالَتْ يا أميرَ المؤمنينَ إنّي آليتُ على نَفْسِي أنْ لا أسألَ أحداً أعنتُ عليه شيئاً أبداً، ومثلُكَ مَنْ أعطى مِنْ غيرِ مسألةٍ، وجادَ مِنْ غيرِ طُلبةٍ قالَ صدقتِ ثُمّ اقطعَها ضيعةً استغلَّتْ مِنْها أولَ سَنةٍ عَشَرَةَ آلافِ درهمٍ(١).

وَذُكِرَ أنَّ سَوْدَةَ بنتَ عمارةَ(٢) بنِ أَسَدٍ استأْذَنتْ عَليهِ فَلَمَّا أذِنَ (لها)(٣) قالَ هيهِ يا بنتَ الأسَدِ ألسْتِ القائلةُ يومَ صِفّينَ:

شَمِّرْ كفعْلِ أبيكَ يابن عِمارةٍ ... يومَ الطِّعانِ ومُلتقى الأقرانِ
وانصرُ عليّاً والحسيْنَ ورَهطَه ... واقصِدْ لهِندٍ وابنِها بهَوَانِ
إن الإمامَ أخو النبيِّ محمدٍ ... عَلَمُ الهدى ومنارةُ الإيمانِ
فقُدِ الجيوشَ وسِرْ أمامَ لوائِه ... قُدُماً بأبيضَ صارمٍ وسِنانِ

فقالت بَلَى يا أميرَ المؤمنينَ فَما مِثْلي مَنْ رَغِبَ عَنِ الحقِّ ولا اعتذَرَ بالكذِبِ قالَ فَما حملكِ على ذلكَ، قالتْ حُبُّ عليٍّ واتباعُ الحقِّ، فقالَ واللّهِ ما أرى عَلَيكُمْ مِنْ أَثَرِ علي شيئاً، فقالَتْ نشدتُكَ اللّهَ يا أمير المؤمنينَ مَن إعادَةِ ما مضَى وتذكارِ ما خَلا، فقالَ هيهاتَ ما مِثْلُ مقامِ أخيكِ يُنْسَى،

---

(١) العقد الفريد، ج ١ ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥؛ صبح الأعشى، ج ١ ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣؛ جمهرة خطب العرب، ج ١ ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤؛ العقد الفريد للملك السعيد، ص ١١٢ ـ ١١٣؛ أعلام النساء، ج ٢ ص ٣٢ ـ ٣٤.

(٢) هي سودة بنت الأشتر الهمداني، شاعره من شواعر العرب ذات فصاحة وبيان وفدت على معاوية بن أبي سفيان فانصفها وقومها/ اعلام النساء، ج ٢ ص ٢٧٠ ـ ٢٧٢.

(٣) زيادة من (ب).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وما لقيتُ مِنْ أَحَدٍ ما لقيتُ مِنْ أخيكِ (وقومِكِ)[1]، قالتْ صدقتَ يا أميرَ المؤمنينَ لَمْ يكُنْ أخِي واللّهِ دَهِشَ[2] (المقالِ)[3]، ولا خفيَّ المكانِ، وكانَ والله كما قالتِ الخنساءُ[4]:

وإنّ صخراً لتأْتَمُّ الهُداةُ بِهِ كـأنّـــ ـــه عَـلَـمٌ فـي رأسِـه نـارُ[5]

وأنا أسألُ أميرَ المؤمنين إعفائِي مما استعفيتُه مِنْه،، فقالَ قد فعلتُ فما حاجتُكِ فقالتْ يا أميرَ المؤمنينَ إنَّكَ أصبحتَ لِلنَّاسِ سيِّداً، وَلِأمرِهِم والياً، واللّهُ سائلُك عَنْ أمورِنا، وما افترضَ اللهُ عليكَ من حَقِّنَا، وما يزالُ يُقَدِّمُ علينَا مَنْ يهجُمُ بعزِكَ ويبطِشُ بسُلْطانِكَ، فيحصدُنا حَصْدَ السُّنْبلِ ويَدوسَنا دَوْسَ البقَرِ، ويسوَمنا الخِسْفَ، هَذا ابنُ أراطةَ[6] قَدِمَ عَلَينَا فقتَلَ

---

(١) زيادة من (ب ـ ج ـ د).

(٢) دهش الرجل تحير، ودهش دهشا فهو دهش ذهب عقله حياء أو خوفاً/ مختار الصحاح؛ المصباح المنير.

(٣) في (ج ـ د): المقام.

(٤) هي تماضر بنت عمرو بن الشريد، الشاعرة المعروفة بالخنساء قدمت على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مع قومها بني سليم، فأسلمت معهم وكان الرسول يستنشدها الشعر. اشتهر شعرها في أخيها صخر حضرت القادسية، ومعها بنوها الأربعة فاستشهدوا كلهم فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم. وكان عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، يعطي الخنساء أرزاق أولادها الأربعة/ الاستيعاب ق/٤، ص ١٤٢٩.

(٥) ديوان الخنساء، ص ٤٥؛ طبقات الشعراء، ج ١ ص ٢١٠.

(٦) هو بسر بن أراطة بن أبي أراطة القرشي العامري، يكنى أبا عبدالرحمن لم يسمع من النبي، صلى الله عليه وسلم، لأن رسول الله قبض وهو صغير، كان فارساً فتاكاً، ذبح ابني عبيدالله بن العباس وهما صغيرين بين يدي أمهما، فتولهت عليهما وأشرع القتل في أهل البيت حتى خدلهم الأخاديد، وسبى النساء المسلمات ولذلك يجمع أهل السير أنه رجل سوء مات بالمدينة وقيل بل مات بالشام في بقية من أيام معاوية/ الحلة السيراء، ج ٢ ص ٣٢٤؛ الاستيعاب ق/١، ص ١٥٧؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٦٨؛ الطبقات الكبرى، ج ٧ ص ١٣٠.

رجالاً وأخَذَ أموالاً، ولولا الطاعةُ لكانَ فينا عِزٌّ ومنعةٌ، فإما عزلته فشكرنَاك، وإلاّ عرفنَاكَ فقالَ معاويةُ أبقومِك تُهـدِّديني لَقدْ هممتُ أحملك على قتبِ أشرسٍ[1] فاردُّك إليهِ فينفذَ فيكِ حُكْمَهُ، فاطرقْتَ وبَكَتْ. وأنشأتْ تقولُ:

صلّى الإلهُ على (قبرٍ)[2] تَـضَمَّنَهُ قبرٌ فأصبـحَ فيه العَـدْلُ مدْفـونـا
قد حالَفَ الحقّ لا يَبغِي به بدلاً فصـار بـالحقّ والإيمـانِ مقْـرُونـاً

قالَ ومَنْ ق/٣٢ ذلكَ قالتْ (أميرَ المؤمنينَ)[3] عليُّ بنُ أبـي طالبِ (عَليهِ السلامُ)[4] قالَ وما علمكِ بذلكَ، فقالت أتيتُهُ في رَجُلٍ (ولاهُ عَلَينا)[5] لَمْ يكُنْ بيننَا وبينَهُ إلا ما بينَ الغَثِّ والسمينِ، فوجدتُهُ قائماً يُصَلّي فلمَّا نَظَرَ إليَّ انفتلَ مِنْ صلاتِهِ فقالَ برأفةٍ ورحمةٍ ألكِ حاجةٌ، فأخبرتُهُ فَبَكى وقالَ اللهمَّ أشهدْ (عليَّ وعليهِم)[6] إني لَمْ أمْرهُم بِظُلْمِ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ وَلا بِتَرْكِ شَيءٍ مِنْ حَقّكَ، ثُمّ أَخْرَجَ مِنْ جيبه قطعةَ جِلْدٍ، وكَتَب فيها ﴿بِسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن ربِّكُمْ فَأَوْفُوا الكَيْلَ والمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُم﴾[7] ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾[8].

إذا قرأتَ كتابِـي هَذَا فاحتفظْ بما في يدِكَ، حَتّى يقدِمَ (عليكَ)[9] من

---

(١) أشرس: أي سيء الخلق، وهو من القتب الخشن الغليظ والقلب: هو ما يوضع على ظهر البعير/ مختار الصحاح؛ المصباح المنير.
(٢) في (ج ـ د): روح.
(٣) ساقطة من (د).
(٤) في (ب ـ ج ـ د): كرم الله وجهه.
(٥) في جمهرة خطب العرب ولاه صدقاتنا.
(٦) زيادة من (ج ـ د).
(٧) سورة الأعراف: آية ٨٥.
(٨) سورة هود: آية ٨٥ ـ ٨٦.
(٩) في (ب ـ ج): إليك.

يقبضُه مِنْكَ والسلامُ. فأخذْتُهُ مِنْهُ واللهِ ما حَزَمَهُ بحزامِهِ، ولا خَتَمه بطينٍ فَعَزَلَهُ بِهِ. فقالَ معاويةُ اكتبوا لَها بِرَدِّ مالِها، والعدلِ عَلَيْهَا، فقالتْ إليَّ خاصةً أمْ لِقومي عامةً فقالَ ما أنتِ وقَومك فقالتْ هِي واللهِ الفَحْشَاءُ (اذن اللؤمُ)[1]، إنْ كانَ عَدْلاً شامِلاً، وإلا فَأنا كسائرِ قومِي. قالَ هيهاتَ يا أهلَ العراقِ (لمظكم)[2] عليُّ بنُ أبي طالبٍ الجرأَةَ على السُّلطانِ، اكتُبوا لها بحاجَتِهَا ولسائِرِ قومِهَا[3]. (وَرُوِيَ)[4] أنَّهُ أُتِيَ معاويةُ برجلٍ مِنْ أصحابِ (أميرِ المؤمنين)[5] عليِّ بْنِ أبي طالبٍ (عَلَيهِ السلامُ)[6] كانَ قد أبْلَى معه بلاءً حسناً فقالَ معاويةُ الحمدُ للهِ الذي أمكَن مِنْكَ فقالَ لا تَقُلْ ذلكَ ولكنْ قُلْ إنا لِلَه وإنَّا إليهِ راجعونُ، فإنَّها مُصيبَةٌ، قالَ وأيُّ نعمةٍ هي أكبَرُ مَنْ أنْ اللَّهَ قَدْ أظفَرني برَجُلٍ، قَتَلَ بِساعَةٍ واحدةٍ جماعةً مِنْ أصحابي، اضربا عنقَه فقالَ اللهمَّ اشهدْ أنَّ معاويةَ لَمْ يقتلْني فيكَ وَلا أنَّك رضيتَ قتْلي ولكنْ يقتلُني على سبيلِ الغلَبةِ علَى حُطامِ هذه الدُّنيَا، (فإنْ فَعَلَ فافعلْ بهِ ما هو أهلُهُ)[7] وإنْ لَمْ يفعلْ فافعلْ بِهِ ما أنتَ أهلُهُ، قالَ معاويةُ قاتلكَ اللهُ لقدْ سببتَ فابلغتَ بالسُّبِّ ودعوتَ فابلغتَ في الدُّعاءِ خليا عَنْهُ[8].

---

(١) ساقطة من (ب ـ ج ـ د).

(٢) تلمظ إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فمه وأخرج لسانه فمسح به شفتيه/ مختار الصحاح.

(٣) العقد الفريد، ج ١ ص ٢٩١ ـ ٢٩٢؛ جمهرة خطب العرب، ج ٢ ص ٣٧٥ ـ ٣٧٧؛ بلاغات النساء، ص ٣٥.

(٤) في (ب ـ ج ـ د): ذكر.

(٥) ساقطة من (ب ـ ج ـ د).

(٦) في (ب ـ د): رضي الله عنه.

(٧) في (ب ـ د): فإن فعل فافعل به ما أنت أهله.

(٨) عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٩٩؛ العقد الفريد، ج ٢ ص ٣٨؛ مروج الذهب، ج ٢ ص ٣٧؛ وفيه أن اسم ذلك الرجل جميل بن كعب الثعلبي وكان من سادات ربيعة، وشيعة علي وأنصاره.

وَرويَ عَنْ معاويةَ[1] أنَّهُ قالَ اجْعَلوا (لِلشعرِ أكثرَ هَمكُم)[2] وأحد دَأْبِكُم فإنَّ فيه مآثِرَ أسلافِكُم، ومواضِعَ إرشادِكُم، فَلَقَدْ رأيتُني يومَ الهريرِ[3] وقد عزمتُ على الهربِ، فما يَردُّني إلّا قولُ عَمْروِ بنِ الاطنابةِ[4] (حيثُ يقولُ)[5]:

أبتْ هِمَّتي وأَبى حيائي ... وأخْذي الحمدَ بالثَّمنِ الربيحِ
وَقوْلي كُلما جشأتْ وجاشَت ... مكَانِك تُحْمدي أو تستريحي
واقدامِي على المكروهِ نَفْسِي ... وَضربي هامَةَ البطلِ المُشِيحِ
لأني عالمٌ أنْ سوفَ تْنئا ... مسافَةُ بَينَ جُثماني وَروحي[6]

وقال معاوية:

كأنَّ الجبانَ يَرى أنَّهُ ... يُدافِعُ عَنْهُ الفرارُ الأجلْ
فقد تدركُ الحادثاتُ الجبانَ ... ويسلمُ منها الشجاعُ البطلْ[7]

---

(١) تقدمت ترجمته، ص ٢٥٣.
(٢) في (ب ـ د) اجعلوا الشعر أكبر همكم.
(٣) يقال ليلة الهرير. كانت بصفين فاشتد فيها القتال، وكشفت الحرب عن ساقها، وتناثرت الرؤوس وكثر عدد القتلى، وكان علي، رضي الله عنه، كلما قتل واحداً كبر تكبيرة، فأحصيت تكبيراته تلك الليلة فبلغت سبعمائة وضرب المثل بهذه الليلة في الشدة واستفحال المطاردة/ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٦٣٧.
(٤) عمرو بن الاطنابة: هو عمرو بن عامر بن زيد الكعبي الخزرجي، شاعر جاهلي فارس كان أشرف الخزرج، واشتهر بنسبته إلى أمه الاطنابة بنت شهاب ومن الرواة من يعده من ملوك العرب في الجاهلية، كانت إقامته بالمدينة، وكان على رأس الخزرج في حرب لها مع الأوس/ الأعلام، ج ٥ ص ٢٥٠.
(٥) ساقطة من (ب ـ د).
(٦) وفيات الأعيان، م ٥ ص ٢٤١؛ الكامل في اللغة، ج ٢ ص ٣٥١؛ شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٢٨٦؛ العمدة لابن رشيق، ج ١ ص ٢٩، ولم تذكر هذه المراجع البيت الأخير؛ ديوان الحماسة، ص ٩.
(٧) الكامل في اللغة والأدب، ج ٢ ص ٣٠٢، وفيه أكان الجبان يرى أنه..؛ غـرر=

وقالَ معاويةُ لعبدِالرحمنِ بنِ الحكمَ[1] يا ابنَ أخي إنَّكَ (لَقَدْ)[2] لَهِجْتَ تقولُ الشِّعْرَ، فإياكَ والتشبيبَ، فَتُعِرَّ شريفاً، وإياكَ والهجَاء، فتهجِيَ كريماً أو تثربَهُ لئيماً، وإياكَ والمدحَ، فإنَّه كسبُ الخسيسِ، ولكنْ أفخرْ بِمآثِرِ قومِكَ وقلْ في الأمثالِ، ما تزِّينُ نَفْسَكَ وَتَؤَدَّبُ بِهِ غيرَكَ، فإنْ لَمْ تجدْ بُدّاً مِنَ المديحِ، فكنْ كالمبرار حينَ مَدَحَ، فإنَّه شَفَعَ بِنفسِهِ حينَ بدأَ بغيرِهِ فقالَ:

أنــزلتُ نَفــسي فــي بنــي ثُعَــلٍ   إنَّ الكــريمَ للكــريمِ مُجِــلُّ[3]

وقيلَ حَجَّ معاويةُ فلمّا دَخَلَ المدينةَ، قالَ الحسينُ[4] بنُ علي لأخيهِ الحسنِ[5] بنِ علي صلواتُ اللهِ عليهم أجمعينَ لا تَلْقَهُ ولا تُسَلِّمْ عَليهِ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ

= الخصائص، ص ٢٢٢؛ بهجة المجالس، ق ١ ص ٤٧٨؛ عيون الأخبار، م ١ ج ٢ ص ١٦٥، وكان معاوية يتمثل بهذين البيتين.

(١) هو أبو مطرف عبدالرحمن بن الحكم بن أبي عاص الأموي، شاعر إسلامي، متوسط الحال في شعراء زمانه، وهو أخو مروان بن الحكم شهد يوم الدار وهجا معاوية حين استلحق زياداً، فغضب عليه وحلف أن لا يرضى عنه حتى يرضى عنه زياد، فخرج عبدالرحمن إلى زياد فاسترضاه، فرضي وكتب إلى معاوية برضاه عنه، توفي في حدود السبعين للهجرة؛ فوات الوفيات، ج ٢ ص ٢٧٧ ــ ٢٧٩.

(٢) في (ب ــ ج ــ د): قد.

(٣) المحاسن والمساوي، ج ٢ ص ١٧٢؛ الطبري، ج ٧ ص ٢١٣ ــ ٢١٤؛ نثر الدرر ــ مخطوط، رقم ٢٢٨٠، ج ٣ ص ١١، والبيت لأمرىء القيس في ديوانه، ص ١٩٩، ونصه في الديوان: أحللت رجلي في بني ثعل.

(٤) هو أبو عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته، ولد بعد أخيه الحسن سنة ٤ للهجرة، سماه رسول الله حسينا. أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم جسداً، وكان الرسول يحبه والصديق يكرمه وعمر وعثمان يحفظون له قرابته، أخرجه أهل الكوفة فسار إليهم، فلما قرب من الكوفة عرض له ابن مرجانة عبيدالله بن زياد فقتله وأهل بيته سنة ٦١هـ فباؤا بإثمه حتى يبعث الله من في القبور ويحصل ما في الصدور؛ المعارف، ص ٩٣؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٦٦؛ الاستيعاب، ق ١ ص ٣٩٢ ــ ٣٩٩.

(٥) تقدمت ترجمته، ص ١٨٣.

الحسنُ إنَّ علينَا دَيْناً ولا بدَّ مِنْ إتيانِه، فَرَكِبَ في أثرِهِ فَلَحِقَهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وأخبَرهُ بِدَيْنِه، فمروا عَليهِ بُبختيّ[1] عليهِ ثلاثونَ ألفِ دينارٍ، قَدْ أعيى وتخلَّفَ عن الإبلِ وقومُ يسوقونَهُ فقالَ معاويةُ ما هذا فَذكرَ لَهُ فقالَ اصرِفُوا ما عَلَيْهِ لأبي مُحَمَّدٍ[2].

قالَ زيادٌ[3]: ما غَلَبني معاويةُ في شيءٍ منْ أمورِ السِّياسَةِ قطُّ، إلا في شيءٍ واحدٍ، وذلكَ أنِّي استعملتُ رجلاً، على دَستْ ميسانِ[4] فكسر عليهِ الخراجُ فلحقَ بمعاويةَ، فكتبتُ إليهِ أسألُهُ تسليمَهُ إليَّ (فكتبَ في جوابه)[5] أمَّا بَعْدُ فليسَ ينبغِي لِمثلي ومثلكَ، أنْ نسوسَ الناسَ جميعاً بسياسةٍ واحدةٍ لكنْ ق/٣٣ تكونُ أنتَ للغلظَةِ والفظاظةِ، وأكونُ أنا للرأفةِ والرَّحمةِ، فإذَا هَرَبَ هاربٌ وَجَدَ لَهُ باباً يلِجُ فيه والسلامُ[6].

وقيلَ لمعاويةَ أنتَ أدْهى أَمْ زيادٌ، فقالَ إنَّ زياداً (ليس يدعُ)[7] الأمورَ

---

(١) البخت: نوع من الإبل الواحد بختي والجمع بخاتي، مختار الصحاح.

(٢) المستجاد من فعلات الأجواد، ص١٣ ــ ١٤؛ غرر الخصائص، ص ١٥٥. ولكن يا ترى هل كان الخلفاء، يهبون العطايا الطائلة والمبالغ الكبيرة من أموالهم الخاصة أم من بيت مال المسلمين، وهو أمر لم يذكر فيه المؤرخون نصاً صريحاً وإن كانت أغلب الروايات تشير إلى أنه يدفع من المال العام، فالخليفة يرى نفسه مسؤولاً عن مال الدولة، فهو ينفقه في ما يعود على الدولة بفائدة قد يكون منها إدناء المباعد، وكسب تأييد من يخشى منه خلافاً ولنا على ذلك تحفظ كبير.

(٣) تقدمت ترجمته، ص ١٣٢.

(٤) دست ميسان: بفتح الدال وسين مهملة ساكنة، وتاء مثناه من فوق وميم مكسورة، وياء مثناه من تحت، وسين أخرى مهملة، وآخره نون مكسورة كورة جليلة بين واسط والبصرة والأهواز، معجم البلدان، م ٢ ص ٤٥٥.

(٥) في (ب ــ ج ــ د): فكتب إلي في جوابه.

(٦) العقد الفريد، ج ٥ ص١٠٦؛ البداية والنهاية، ج ٦ ص ١٣٦؛ تاريخ الخلفاء، ص ٢٠٢؛ بدائع السلك، ج ١ ص ١٨٤ ــ ١٨٥.

(٧) في (ب ــ ج ــ د): لا يدع.

تتفرَّقُ عليهِ، بلْ يجمعُها قبلَ ذلكَ، وإنَّها لتتفرقُ عَليَّ ثُمَّ أجمعُها[1].

(قالَ قومٌ لزيادٍ)[2] بِمَ ضبطتَ العِراقَ، قالَ بالسَّيفِ، قالَ أنا ضبطت العراقَ والشَّامَ والحجازَ بالحِلْمِ.

وَلمَّا هَمَّ معاويةُ بالبيعةِ لابنِهِ يزيدَ[3]، كتبَ إلى زيادٍ يستشيرُهُ فيه فدعا زيادُ. عبدَ بنَ كَعْبٍ النميري[4]، فأوفَدَه على معاويةَ فقالَ إنَّ لِكُلِّ مستشيرٍ ثِقَةً، ولكُلِّ سِرٍّ مستودَعاً، وإنَّ النَّاسَ قَدْ ابتُدِعَتْ لَهُمْ خِصلتان، إضاعةُ السرِّ وإفسادُ النَّصيحةِ، وليسَ يُسْتَوْدَعُ إلاّ (عِندَ)[5] رَجلينِ: رجلٌ يَرْجُو ثوابَ الآخِرَة، ورجلٌ لَهُ حَسَبٌ وعقلٌ، يصونُ حَسَبَهُ وعقلَهُ، وإنَّ أميرَ المؤمنينَ يستشيرني، وعلاقةُ الإسلامِ وضمانُه شديدٌ، لأنَّ يزيدَ صاحِبُ لَعِبٍ وتهاونٍ، مَعَ ما أولِعَ فيهِ من الصَّيدِ. فالْقَ أميرَ المؤمنينَ مؤدياً عَنِّي، فَأَخبرْهُ وَقُلْ لَهُ رويدَكَ في الأمرِ يستقيمُ، فإنَّ دَرْكاً في تأخيرٍ خيرٌ مِنْ تعجيلٍ أخافُ عاقبَتَهُ ولا تدرِي إلى ما يصيرُ الأمرُ فلمَّا (بَلَّغَهُ)[6] الرسالةَ، أخذَ معاويةُ برأيِ زيادٍ وأخَّرَ بيعتَهُ[7]. وكتبَ إلى سعيدِ بنِ العاصِ[8] يستشيرُه، فرجَعَ جوابُه إليهِ أنَّهُ

---

(١) نثر الدرر للأبـي ــ مخطوط، رقم ٢٢٨٠، ج ٣ ص ١١، وفيه قيل له أنت أنكر أم زياد فقال أن زياد لا يدع الأمر يتفرق عليه وإنه يتفرق عليَّ فأجمعه.

(٢) في (ب ــ ج ــ د): قال له يوماً.

(٣) ترد ترجمته عند الكلام على خلافته.

(٤) الصواب عبيد كان صاحباً أكيداً لزياد، البداية والنهاية، ج ٨ ص ٧٩.

(٥) ساقطة من (د).

(٦) في (د): بلغ.

(٧) استشارة معاوية لزياد، بشأن البيعة ليزيد، وجواب زياد ذكرت في تاريخ الطبري، ص ٧٤ ــ ١٧٥؛ الكامل في التاريخ، ج ٣ ص ٢٤٩ ــ ٢٥٠؛ البداية والنهاية، ج ٨ ص ٧٩.

(٨) هو سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، القرشي الأموي قتل أبوه يوم بدر كافراً وكان عمر سعيد يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين، وكان من =

قد بَقيتْ مشيخَةٌ مِنْ أصحابِ رَسولِ اللـهِ صلى اللـهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فرويداً بهذا الأمرِ، لعلَّهُم ينقرضونَ. فقال معاويةُ صَدَقَ سعيدٌ فأخَّرَ البيعةَ ولم يزلْ يُداري النَّاسَ، بعدَ ذلكَ (سبعَ)[1] سِنينَ، إلى أَنْ تَمَّ لَهُ الأمرُ.

وقيلَ إنَّهُ استشارَ الأحنفَ[2] (بنَ قيسٍ)[3]، فقالَ أدخلُ على يزيدَ فأدخَلَهُ عليهِ، فَلَمَّا خرجَ قال لَهُ معاويةُ كيفَ رأيتَ يزيدَ، فقالَ رأيتُ شباباً وجلداً ونشاطاً، ثُمَّ قالَ نخافُكم إنْ صدَقنا ونخافُ اللـهَ إنْ كَذبنَا، وأنْتَ أعلمُ يا أميرَ المؤمنينَ بليلِهِ ونهارِهِ، (ومدخلِهِ ومخرجِهِ)[4]، وسرِّهِ (وجهارِهِ)[5]، وإيرادِهِ وإصدارِهِ، فإنْ كنتَ تعلَمُ أنَّ فيهِ لِلّـهِ رِضىً، ولهذه الأمةِ صلاحاً، فلا تشاوِرْ الناسَ، وإنْ كنتَ تعلَمُ مِنهُ غيرَ ذلكَ، فلا تزوِّدهُ الدّنيا وأنت عائِدٌ إلى الآخرةِ وإنَّما علينَا السَّمعُ والطاعةُ فقالَ معاويةُ جزاكَ اللـهُ عن الطَّاعةِ خيراً[6].

ولما أخذَ معاويةُ (في)[7] البيعَةِ ليزيدَ، قالَ لَهُ يا بُنَّي، لَقَدْ ذَللتُ لكَ الشدَّةَ، ومنحتُكَ اللينَ، وتحملتُ دونَك الغِلْظَةَ، وقد وليتُكَ أمراً عظيماً مِنْ

= سادات المسلمين والأجواد المشهورين، تولى الكوفة لعثمان، وولي المدينة مرة لمعاوية واعتزل الفتنة، وكانوا يقولون أن عربية القرآن، أقيمت على لسان سعيد بن العاص، لأنه كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم توفي سنة ٥٩هـ ودفن بالبقيع، شذرات الذهب، ج ١ ص ٦٥؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٥٢ ــ ١٥٣؛ الطبقات الكبرى، ج ٥ ص ١٩؛ البداية والنهاية، ص ٨٣ ــ ٨٧.

(١) في (ب ــ ج ــ د): تسع.

(٢) تقدمت ترجمته، ص ١٦٦.

(٣) زيادة من (ب ــ ج ــ د).

(٤) زيادة من (ب ــ د).

(٥) في (د): علانيته.

(٦) الكامل في التاريخ، م ٣ ص ٢٥٠ ــ ٢٥١؛ البداية والنهاية، ج ٨ ص ٨٠؛ الكامل في اللغة، ج ١ ص ٣٠؛ زهر الأداب، ج ٢ ص ٦٤٥.

(٧) ساقطة من (ب ــ ج ــ د).

أمرِ الأمةِ، وليسَ حيٌّ مِنْ أحياءِ العَرَبِ إلا وَلَهُ عِندي ترةٌ[1] قدْ كنتُ أشغلُهُ عنَها بحسنِ الوفادَةِ، وجزيلِ الرِّفدِ، حَتّى تركتُ قلوبَهُم كالطينَةِ (المؤتثةِ)[2] فلا تخالِفنّ فِعْلِي فِيهِم فعليكَ بإدرارِ عَطّيتكَ، ومباشَرَةِ أمورِكَ، ولا تشغَلْ نفسَكَ بمفاكهة الإماءِ ومداعبتِهنَّ، فإنَّ ذلكَ مِن فِعْلِ ضَعَفَةِ الرِّجالِ. وأنظرْ هؤلاءِ الأربعةِ مِنْ قريشٍ، أما الحسينُ بنُ عليّ فإني قد أوصيتُكَ فيهِ بِحفْظِ قرابتِهِ ورعايةِ حَقِّ رَحِمِهِ فإنَّ القلوبَ إليهِ جانحةٌ فاجعلْ لَهُ عِندَ ظَفَرِكَ نصيباً من رحملَ، واطوي كشحاً عَن ابنِ عُمَرَ، وابنِ أبي بَكرٍ، فإنَّهما (كمثلِ)[3] الهقلِ[4] لا يحملُ ثقلاً ولا يجمعُ نهوضاً وأما ابنُ الزُّبيرِ فكالثعلَبِ رواغ بالحيلةِ وكالليثِ صال بالجراءةِ[5].

وفي روايةٍ أُخرَى أنّه قالَ: أمّا عبدُاللـهِ بنُ عُمرَ[6] فقدْ شغلتْه العبادَةُ

---

(١) تره: الترهات الطرق الصغار الغير جادة تتشعب عنها الواحدة وهي أيضاً الداهية والريح والسحاب واستعيرت للأباطيل والأقاويل الخالية من الطائل، القاموس المحيط؛ مختار الصحاح.

(٢) في (ب ــ ج ــ د): المرنة.

(٣) في (ب ــ د): كَمَثَلَيْ.

(٤) الهقل: بالكسر الفتى من النعام والطويل الأخرق، القاموس المحيط.

(٥) وردت وصية معاوية لولده يزيد، بروايات كثيرة مختلفة، تدور كلها حول نصيحته ليزيد، بأن يأخذ حذره، ويحسن سياسته، وأن يشارف الأمور بنفسه وتذكر بعض هذه المصادر أنها كانت من معاوية ليزيد. والبعض الآخر يذكر أن يزيداً كان غائباً، وأن معاوية أوصى الضحاك بن قيس أن يؤدي عنه هذه الرسالة إلى يزيد بعد عودته، الكامل لابن الأثير، م ٣ ص ٢٥٩؛ الفخري في الآداب السلطانية، ص ١١١ ــ ١١٢؛ البداية والنهاية، ج ٨ ص ٢٢٩؛ وذكر الروايتين الطبري، ج ٧ ص ١٩٦ ــ ١٩٧؛ تاريخ ابن خلدون، م ٣ ص ١٨.

(٦) هو أبو عبدالرحمن عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نفيل، القرشي العدوي أسلم مع أبيه صغيراً، لم يبلغ الحلم أول مشاهده الخندق وكان رضي الله عنه من أهل الورع والعلم، كثير الأتباع لآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد التحري والاحتياط والتوقي في =

وأمّا عبدُالرحمنِ بنُ أبي بكرٍ[1] فليسَ لَه هِمةٌ إلا في النِّساءِ واللهو[2].

فَلمَّا بُويعَ يزيدُ[3] حَجّ بالنَّاسِ وَقَسَّم بمكةَ والمدينةِ أموالاً كثيرةً وقالَ لَهُ

= فتواه وكل ما يأخذ به نفسه، حتى قال فيه جابر بن عبدالله: ما منا أحد إلا مالت به الدنيا ومال بها ما خلا عمر وابنه عبدالله. توفي بمكة سنة ٨٣هـ، الاستيعاب، ق ٣ ص ٩٥٠ ــ ٩٥٣؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٨١.

(١) هو أبو عبدالله عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق، شهد بدراً وأحداً مع قومه كافراً، ثم أسلم وحسن إسلامه، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية، وكان عبدالرحمن من أشجع رجال قريش، حضر اليمامة مع خالد بن الوليد، فقتل سبعة من كبارهم، وكان عبدالرحمن أسن أولاد أبي بكر توفي سنة ٥٣هـ على المشهور، الاستيعاب، ق ٢ ص ٨٢٤ ــ ٨٢٦؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٥٩؛ المعارف، ص ٧٦.

(٢) وعلق الفخري على هذه الوصية بأنها دليل على ما سبق من وفور رغبته في تدبير الملك، وشدة كلفه بالرياسة، ويبدو على الروايتين آثار التحريف، لأن فيهما الوصية بأربع، ومن جملتهم عبدالرحمن بن أبي بكر، وكان قد توفي قبل موت معاوية بسنوات، والثابت أن الوصية كانت سنة ٦٠هـ قبيل موت معاوية، وهذا ما نبه إليه ابن الأثير وابن كثير.

(٣) هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية. يكنى بأبي خالد ولد سنة ٢٦ للهجرة، وأمه ميسون بنت بحدل الكلبية، بويع له بالخلافة بعد موت أبيه معاوية سنة ٦٠هـ، وكان ضخمًا سميناً مجدوراً وله ديوان لا يصح عنه إلا القليل. واختلف في عده من الصحابة فقد سئل علي بن محمد بن علي الطبري الملقب عمادالدين المعروف بالكيا الهراسي عن يزيد بن معاوية، فقال: إنه لم يكن من الصحابة لأنه ولد في أيام عمر بن الخطاب، وأما قول السلف فيه ففيه لأحمد قولان تلويح وتصريح، ولمالك قولان تلويح وتصريح، ولأبي حنيفة قولان تلويح وتصريح ولنا قول واحد، التصريح دون التلويح، وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالنرد، والمتصيد بالفهود، ومدمن الخمر. وقد أفتى الغزالي رحمه الله بعدم جواز لعن يزيد، فقد سئل عمن صرح بلعن يزيد، هل يحكم بفسقه فأجاب لا يجوز لعن المسلم أصلاً، ومن لعن مسلمًا فهو الملعون، ويزيد صح إسلامه. لكن نقل الأتابكي في النجوم الزاهرة أن رجلاً قال في مجلس عمر بن عبدالعزيز عن يزيد، هذا أمير المؤمنين فقال له عمر بن عبدالعزيز تقول أمير المؤمنين وأمر به فضرب عشرين سوطاً تعزيراً له وكان فارساً شجاعاً استعمله =

(عبدُاللـهِ بنُ الزبير)[1]، إذا خرجْتَ فاخرِجْ مَعَكَ الحسينَ بنَ عليّ، واطلبْ من مروانَ دارَه فإنَّكَ لا تأتي بفائدةٍ مِثلَها، فقالَ ما اتَّهِمُ رأيكَ، أما الحسينُ فإني أوفدُ إليهِ فإنْ خَرج مَعَهُم وأقامَ بالشَّامِ، عرفنا حَقَّهُ، ورعينا قرابتَهُ وإن رجعَ إلى أهلِهِ، لم ندعْ صِلَتَه، فقدْ أقام دهرَه بالمدينةِ، لم يأتِنا مِنْه ما نكرهُ

وَكَتبَ معاويةُ إلى سعيدِ بنِ العاصِ[2]، وهو أميرُ بالمدينةِ، بالقبضِ على مالِ مروانَ بنِ الحكمِ[3]، فَلَمْ يفعلْ فراجَعَهُ فيهِ، ثُمّ (كَتَبَ كِتـاباً ثانياً)[4] (فدافَعَه)[5] واحتفظَ ق/٣٤ بالكتابينِ، فَلَمّـا عُزِلَ سعيـدُ وَوليَ مروانُ بنُ الحَكَمِ المدينةَ وَكَتَبَ إليهِ بالقَبْضِ على أموالِ سَعيدٍ فأرسل مروانُ

= معاوية على الحج غير مره، وأغزاه في الصوائف وأمره على أول جيش أرسل لفتح القسطنطينية وهيأ له معاوية الأمر قبل موته، وعقد له البيعة في حياته توفي سنة ٦٤هـ فكانت خلافته ثلاثة سنين وسبعة أشهر، تاريخ الطبري، ج ٧ ص ٤٢٧ ــ ٤٢٩؛ وفيات الأعيان، م ٣ ص ٢٨٧ ــن ٢٨٨؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٦٢ ــ ١٦٣؛ البدء والتاريخ، ج ٦ ص ٦؛ فوات الوفيات، ج ٤ ص ٣٢٧ ــ ٣٣٢؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٧١ ــ ٧٢؛ المعارف، ص ١٥٣.

(١) في (ب ــ د): عبدالرحمن بن الزبير.

(٢) تقدمت ترجمته، ص ٢٦٥.

(٣) هو أبو الحكم مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني سنين، عده ابن سعد من الطبقة الأولى من تابعي أهل المدينة وكان من سادات قريش وفضلائها، استكتبه عثمان وكان معه يوم الدار تولى الخلافة ثم عهد إلى ولده عبدالملك من بعده توفي سنة ٦٥هـ، الطبقات الكبرى، ج ٥ ص ٢٢٤؛ البداية والنهاية، ج ٨ ص ٢٥٧؛ فوات الوفيات، ج ٤ ص ١٢٥؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٧٣؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٦٩.

(٤) في (ب ــ ج ــ د): ثم كتب إليه ثانياً.

(٥) ساقطة من (د).

بالكتابِ مع ابنِهِ عبدِ الملكِ[1] إلى سعيدٍ وقالَ لو لَمْ يكنْ الكتابُ لتجافيتُ عَنْ ذلكَ، فدعَا سعيدٌ بالكتابينِ، فَأعطاهُما عَبْدَالملكِ فَجَاءَ بِهما إلى مروانَ، فَلَما قرأَهُما قالَ هو أفضلُ مِنّا فكفَ عن قبضِ أموالِ سعيدٍ[2].

وقالَ سعيدٌ لولدِهِ مَنْ أتاكُم في مجالِسِكم، فقد وَجَبَ حَقُّهُ عليكُم ومن أتاكُم في منازِلكم، فقد وَجَبَتْ حُرمتُهُ عليكُمْ، ومن أتاكُم في حاجَةٍ فَلاَ تدخروهُ شيئاً، فمنّتُهُ عليكُم أعظمُ إذ رأكم موضعاً لحاجتِهِ.

وَلَمّا حَضَرتْ سعيدَ بنَ العاصِ الوفاةُ، قالَ لبنيهِ أيّكُم يكفلُ بديني فقالَ ابنُهُ عمروٍ الأشدقُ[3]، وَكَمْ دينُكَ، قالَ ثمانون ألفاً، قالَ وفيمَ استدنتها قالَ سَدَدْتُ بِها خلةً من كريمٍ واشتريتُ بِها عِرضي مِنْ لئيمٍ، فإذنْ أنَا بها زَعيمٌ، قالَ هَذِهِ خصلةٌ واحدةٌ (يا بُنيَّ)[4] وخصلتانِ قالَ ما هُما قالَ بنَاتي لا تزوجوهُنَّ إلا من الأكفاءِ، ولو تعلّقَ حبلٌ مِن الشَّعْرِ، قالَ عَلَيَّ يا أبتي قالَ وإخواني إنْ فَقَدُوا وَجْهِي لم يفقدُوا مَعروفي قالَ عليَّ يا أبتي قالَ واللـهِ يا بُنيَّ، ما زِلتُ أعرِفُ الكرمَ في وجهِكَ، وحماليقِ عينيكَ، وأنتَ في المهدِ، واللـهِ يا بُنيَّ ما شتمتُ أحداً، منذُ كنتُ رَجُلاً، ولا زاحمتُ بركبتي رجلاً ولا كلفتُ من

---

(١) ترد ترجمته عند الكلام على خلافته.

(٢) الطبري، ج ٧ ص ١٦٤؛ الكامل في التاريخ، م ٣ ص ٢٤٦؛ جمهرة رسائل العرب، ج ٢ ص ٥٢؛ أنساب الأشراف، ق ١ ج ٤ ص ٢٥.

(٣) هو عمرو بن سعيد بن العاص، أحد الأشراف الأمويين ولي المدينة ليزيد بن معاوية، وكان يسمى الأشدق لتشادقه في الكلام، استخلفه عبدالملك بن مروان بعد تأمينه سنة ٧٠هـ، سير أعلام النبلاء، ج ٣ ص ٢٩٧؛ الطبقات الكبرى، ج ٥ ص ١٧٦؛ فوات الوفيات، ج ٣ ص ١٦١؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٧٧؛ مروج الذهب، ج ٢ ص ٧٨ ــ ٧٩.

(٤) ساقطة من (ج).

يرتجيني أنْ يسألني[1]. وقالَ زيادُ[2] استوصوا بثلاثةٍ منكُم خيراً الشريفِ، والعالمِ، والشيخِ واللـهِ لا يأتيني شريفٌ بوضيعٍ، (استخفَّ)[3] بـهِ إلا ضربتُهُ، ولا يأتيني شَيْخٌ بشابٍ استخفَّ بِهِ إلا أوجعْتُهُ، ولا يأتيني عـالِمٌ بجاهِلٍ استخفَّ بِهِ إلا نكلتُ بِهِ[4]. (ولهذا قالَ ارحموا ثلاثةً: غنيَّ قومٍ افتقرَ، وعزيزَ قوم ذلَّ، وعالماً بينَ جُهّالٍ)[5].

واختصمَ إلى زيادٍ رَجلان، فقالَ أحدُهما أصلَحَ اللـهُ الأميرَ إنَّ هذا يدُلُّ بخاصتِهِ، يَزْعَمُ أنَّها لَهُ مِنكَ، قالَ صَدَقَ وسأخبرُكَ بما ينفعُهُ عندي مِنْ مودتِهِ، إنْ كانَ الحقُّ لَهُ عليكَ أخذتُكَ بِهِ أخذاً عنيفاً، وإنْ كانَ الحقُّ لكَ عليهِ (أقضي)[6] عليهِ، ثم أقضِي عَنْهُ[7].

وكانَ زيادٌ إذا وَلّىَ رَجُلاً، قالَ لَهُ خُذْ عَهْدَكَ وَسِرْ إلى عَمَلِكَ، واعلمْ أنَّكَ مصروفُ رأسٍ (سنتك)[8]، وأنتَ تصيرُ إلى إحدَى (ثلاثِ خصالٍ)[9]،

---

(١) المراثي والتعازي، ص ١٢٧؛ تهذيب تاريخ ابن عساكر؛ البداية والنهاية ج ٨ ص ٨٧، ونسب ابن كثير قول سعيد: ما شتمت رجلاً منذ كنت رجلاً إلى ابنه عمرو الأشدق، البداية والنهاية، ج ٨ ص ٣١١؛ أنساب الأشراف، ج ٤ ق ٢ ص ١٣٣؛ غرر الخصائص، ص ١٥٤.

(٢) تقدمت ترجمته، ص ١٣٢.

(٣) في (ب ــ ج ــ د): يستخف.

(٤) الكامل في اللغة، م ٢ ص ٦٧؛ البيان والتبيين، ج ٢ ص ٢٨٧؛ شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٧٤؛ العقد الفريد، ج ٤ ص ١٧٤.

(٥) زيادة من (د).

(٦) في (ب): أقصر.

(٧) عيون الأخبار، م ١ ص ٧٠؛ تاريخ اليعقوبي، م ٢ ص ٢٣٥؛ شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٧٤؛ المحاسن والمساوىء، ج ٢ ص ٢٤٣؛ البيان والتبيين، ج ٢ ص ٣٦٢.

(٨) في (د): سبيلك.

(٩) في (ج ــ د): أربع خصال.

فاخترْ لِنفسِكَ، إنْ وجدناكَ أميناً ضعيفاً استبدلْنَا بِكَ لِضَعفِكَ وَسلَّمتكَ من معرَّتِنَا أمانتُكَ وإنْ وجدنَاكَ خائِناً قوياً استهنَا بِقوتِكَ وأحسنَا على خيانتِكَ أدبَكَ وأوجعنَا ظَهرَكَ وإنْ وجدناكَ قويًّا أميناً زِدنَا في عَمَلِكَ وَرَفعنَا لَكَ ذِكْركَ وأوطئنَا (كعبكَ)[1] وَكثْرنا مالكَ[2].

وكانَ لزيادٍ سياسةٌ عظيمةٌ، حتّى إنَّهُ كانَ لا يُغْلِقُ أبوابَ الحوانيتِ في الليلِ[3]. وَمَا ذُكِرَ مِنْ حُسْنِ تدبيرِهِ أنَّهُ أُتـيَ بإمرأةٍ كانتْ قَدْ خَرَجتْ مَعَ الخوارجِ في الحرْبِ، فَقَتَلَها ثُمَّ عرَّاها. فَلَمْ يخرجْ النساءُ عليه بَعْدَ ذلكَ وكُنَّ إذا دعينَ إلى الخروجِ قُلْنَ لولا التعريةُ لَسَارعنَا إلى الخروجِ[4]. وكان يقتُلُ المظاهرِ بالخروجِ، ويستصِلحُ المسر مِنْهُم، حتَّى يستكفي شرَّهُم، وخروجَهم عَلَيهِ وكان يبعثُ إلى الجماعةِ مِنهْم، فيقولُ مـا أحسَبُ الذي يمنُعُكم مِن إتيانِي إلا الرُّجلةُ[5] فيقولونَ أَجَلْ، فيحملُهُم فيقولُ أغشوني الآنَ، واسمرُوا عِنْدِي[6].

وَكَانَ (عُمَرُ بنُ عبدِالرحمنِ رَحِمَهُ اللّـهُ)[7] يقولُ: قاتلَ اللّـهُ زياداً جمعَ

---

(١) في (ب ـ ج): عقبك.

(٢) بدائع السلك، ج ١ ص ٣٣٩؛ نهج البلاغة، م ٤ ص ٦٢؛ الأمالي، ج ٢ ص ٩١؛ عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٥٥، وتطبق هذه المصادر على قول زياد (تصير إلى أربع خلال، وليس ثلاث وتزيد خصلة رابعة، وهي أن جمعت بين الجرمين جمعنا عليك العقوبتين وإن وجدناك قوياً أميناً زدنا عملك.

(٣) الطبري، ج ٧ ص ٧٧، وفيه أن المرأة كانت تبيت فلا تغلق عليها بابها، الكامل في التاريخ، م ٣ ص ٢٢٤، وذكر فيه شيء من سياسة زياد، ومنها ولا يغلق أحد بابه.

(٤) العقد الفريد، ج ١ ص ١٥١.

(٥) رجل ورجلان إذا لم يكن له ظهر يركبه والرجلة بالضم بياض في إحدى رجلي الدابة، القاموس المحيط.

(٦) الكامل في اللغة، ج ٢ ص ١٩٢.

(٧) في (ب ـ ج ـ د) عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه وهو الصواب.

لَهُم كما تجمعُ الذرةُ، وحاطَهُمْ كما تحوطُ الأمُّ البَرَة، وأصلَحَ العراقَ بأهلِ العراقِ، وتَرَكَ أَهْلَ الشَّامِ في شامِهِم[1].

ولمّا وَلِيَ يزيدُ بنُ معاوِيَةَ سَلْمَ بنَ زيادٍ[2] قالَ: إنَّ أَبـي استكفَى أباكَ كبيراً، وقَدْ استكفيتُكَ صغيراً، فلا تتكلنَّ عليَّ عُذْر مني فَقَدْ اتكلتُ على كفايةٍ منكَ، وإيَّاكَ مِنِّي قبلَ أَنْ أقولَ إيايَ مِنْكَ، فإنَّ الظَّنَّ إذا أخلفَ مِنْكَ أخلفَ لَكَ، وأنتَ في أدنى حَظِّكَ، فاطلبْ أقصاهُ وَقَـدْ أتعبَكَ أبـوكَ، فـلا تريحنَّ نفسَـكَ، واطلبْ في يـومِـكَ أحـاديثَ غـدِكَ، وَكُنْ لِنفسِـكَ تَكُنْ لَكَ[3].

وَدَخَلَ عبدُاللّـهِ بنُ جعفرٍ[4] على يزيدَ بنِ معاويةَ فأكرَمَهُ، وقالَ بِكَمْ كانَ يصلُكَ معاويةُ، فقالَ كان يصلُني بألفِ ألفِ درهمٍ (وترَّحمَ عليهِ)[5]. قالَ

---

(١) الكامل في اللغة، ج ٢ ص ١٩٢؛ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٤٤٠؛ محاضرات الأدباء، ج ١ ص ٨١؛ وفي جميع هذه المصادر إلى عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه.

(٢) هو سلم بن زياد بن أبيه، ولاه يزيد بن معاوية خراسان وكان جواداً أحبه الناس ومدحه الشعراء، ومات بالبصرة سنة ٧٣هـ/ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٩٠.

(٣) عيون الأخبار، م ١ ج ٢ ص ١١٠؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٩٩٢ ــ ٩٩٣؛ تهذيب تاريخ ابن عساكر، ج ٦ ص ٢٣٧، مع اختلاف في بعض ألفاظ الوصية فقد ذكرت المصادر أن يزيداً قال لسلم، إن أباك كفى أخاه (يعني معاوية) عظيًا وقد استكفيتك صغيراً. .

(٤) هو أبو جعفر عبدالله بن جعفر بن أبـي طالب القرشي الهاشمي، أول مولود ولد في الإسلام بأرض الحبشة، آخر من رأى النبـي صلى الله عليه وسلم من بني هاشم. وكان من أسخى الناس ويسمى بحر الجود توفي بالمدينة سنة ٨٠هـ وهو ابن ٩٠ سنة وصلى عليه أمير المدينة إبان بـن عثمان/ الاستيعاب، ق/٣ ص ٨٨٠ ــ ٨٨١؛ سير أعلام النبلاء، ج ٣ ص ٣٠١.

(٥) في (ب ــ ج ــ د) رحمه الله.

يزيدُ: وَقَدْ زدناكَ ألفَ ألفٍ أخرى، لِتَرَحُّمِكَ عَلَيْهِ[1].

أَخَذَ مُصْعَبُ بنُ الزبيرِ[2] رَجُلاً مِنْ أصحابِ المختارِ[3]، فأمرَ بضربِ عُنقِهِ فقالَ: أصلحَ اللَّـهُ الأميرَ، ما أقبحَ مِنْ أَنْ أقومَ يومَ القيامةِ إلى صورتِكَ هذه الحسنةِ، ووجهكَ هذا الحسنِ، الذي يُستضاء بِهِ فأتعلَّقُ ق/٣٥ بأطرافِكَ فأقولُ أي رَبِّ سَلْ مُصْعَباً فيمَ قتلَني، فقالَ أطلقُوهُ، قالَ: أيُّها الأميرُ اجعلْ ما وهبتَ لي مِنْ (عُمْرِي)[4] في خفضٍ، قال: قد أمرتُ لك بمائةِ ألفِ درهمٍ، فإنِّي أُشهِدُ اللَّـهَ تعالى وأشهِدُ الأميرَ، أنَّ لابنِ قَيْسِ الرقياتِ[5] نصفَها، قالَ: وَلِمَ قَالَ لِقولِهِ:

---

(١) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ٢٢٠؛ سير أعلام النبلاء، ج ٣ ص ٣٠٣؛ غرر الخصائص، ص ١٥٥.

(٢) هو أبو عيسى وقيل أبو عبدالله بن الزبير بن العوام، كان من أحسن الناس وجهاً، وأشجعهم قلباً، ولي امرة العراقين لأخيه عبدالله حتى قتله عبدالملك بن مروان، على نهر دجيل عند دير الجثاليق، وكان من أجود الناس وأكثرهم عطاء، لا يستكثر ما يعطي، وهو من الطبقة الثانية من تابعي أهل المدينة سنة ٧٢هـ/ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٨٧؛ شذرات الذهب الذهب، ج ١ ص ٧٩؛ البداية والنهاية، ج ٨ ص ٣١٧.

(٣) هو المختار بن أبي عبيد أسلم أبوه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم نشأ المختار في ثقيف وكان من ذوي الشجاعة والدهاء، وقلة الدين متلوناً كذاباً كان يدعو لمحمد بن الحنفية وادعى آخر الأمر أن جبريل يأتيه بالوحي من السماء فلما تحقق عبدالله بن الزبير منه ذلك أرسل إليه أخاه مصعب فقتله سنة ٦٧ ــ٨/ شذرات الذهب، ج ١ ص ٧٤؛ سير أعلام النبلاء، ج ٣ ص ٣٥٣؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٨٠.

(٤) في (ب ــ ج ــ د) حياتي..

(٥) هو عبيدالله بن قيس بن شريح بن مالك، من أشهر شعراء العصر الأموي، لقب بابن قيس الرقيات لأنه كان يشبب بثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن رقية، وكان صاحب مصعب بن الزبير وخرج معه على عبدالملك بن مروان فلما قتل مصعب سكن الكوفة، واستأمن عند عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وأقام بالشام حتى توفي بنحو من سنة ٨٥هـ/ الشعر والشعراء، ص ٢١٢؛ الأعلام، م ٤ ص ٥٢.

إنّما مُصْعَبٌ شِهابٌ مِنَ اللّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْمَاءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ رَحمةٍ ليسَ فيهِ جبروتٌ مِنْهُ ولا كِبْرياءُ
يتقي اللّهَ في الأمورِ وَقَدْ أفلَحَ مَنْ كَانَ هَمُّهُ الاتّقاءُ[1]

فَضَحِكَ مصعبٌ، وقالَ: أرَى فيكَ مَوْضِعاً للصنيعةِ، فأحْسَنَ جائزَتَهُ[2].

ولَمّا بَلغَ عَبدَالله بنُ الزبيرِ[3]، قتلُ أخيهِ مُصعَبٍ (خطبَ الناسَ)[4] فقالَ: الحمد لله الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء إنه لم يذل من كانَ الحقُّ مَعَهُ، وإنْ كَانَ فرداً، ولم يُعزَّ مَنْ كان مِنْ أولياءِ الشيطانِ وإنْ كانَ مَعَهُ الثَّقلانِ. أتانا خبرٌ من العراقِ، أحزنَنَا، وأفرَحَنا، قتلُ مُصْعَبٍ يرحمه اللّهِ، فأَما الذي أحزَنَنا، فإنَّ لفراقَ الحميمَ لَوعةً، يجدُها حميمُهُ عندَ المصيبةِ، ثُمَّ يَرْعوي ذَوي الرأيِ، إلى جميلِ الصَّبْرِ وكريمِ العزاءِ، وأَمَّا الذي أفرَحَنا فَعَلِمْنَا أنَّ قَتْلَهُ شهادةٌ، وأنَّ ذلكَ لَنا ولَهُ فيه الخيرةُ. ألا وإنَّ أهلَ العراقِ أهلُ الشِّقاقِ والنِّفاقِ؛ (باعوهُ)[5] بأقلِّ ثَمَنٍ كانوا يأخذونَهُ مِنْهُ، إنَّا واللّهِ ما نموتُ حبجاً، وما نموتُ إلا قصعاً بالرماحِ، وتحتَ ظلالِ السيوفِ وليسَ كما يموتُ بنو مروانَ، حبجاً، واللّهِ إنْ قُتِلَ منهم رجلاً في جاهليةٍ ولا إسلامٍ ألا وإنَّ الدُّنيا عاريةٌ مِنَ الملكِ الأعلى، فإنْ تُقْبِلْ عليَّ لا آخذُها أخذَ البَطِرِ الأشرِ[6]، وإنْ تدبرْ عنِّي لا أبكي عليها بكاءَ الحَزِنِ المهترِ[7].

---

(١) ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات، ص ٩١.

(٢) العمدة لابن رشيق، ص ٧١؛ ربيع الأبرار، ج ١ ص ٧٤٩؛ المحاسن والأضداد للجاحظ، ص ٣٠؛ العقد الفريد، ج ٢ ص ٣٨.

(٣) تقدمت ترجمته ص ٢٣١.

(٤) ساقطة من (د).

(٥) في (ج) باحوه.

(٦) أشر أشراً، بطر وكفر النعمة فلم يشكرها/ المصباح المنير.

(٧) الطبري، ج ٨ ص ٨١٨ مع اختلاف في بدايتها وبعض ألفاظها؛ الكامل في التاريخ، =

قلتُ الحبجُ، إنْ ينتفخَ بطنُ الدابةِ، مِنْ كثرةِ الأكلِ فتموتَ. والقصْعُ أنْ يطْعَنَ ويضربَ، فيموتَ مكانَهُ في الحالِ. والمهترِ الذي يسقطُ في كلامِهِ من الكِبَرِ. وقالَ المهلّبُ[1]: (بنُ أبي صفرةَ)[2] لبنيه: يا بنيَّ إنَّ ثيابَكم على غيـرِكم أحسنُ مِنْهَا عليكُم، وإنَّ دوابَكم تحْتَ غيـرِكم، أحسنُ منهـا تحتَكم[3].

وقـالَ أيضاً لبنيـهِ: (لا تتكلوا)[4] على مـا سبقَ من فِعْلِي، وافعَلوا ما يُنْسَبُ إليكُم. (وأنشد)[5]:

إنَّما المجدُ مـا بنا والـدُ الصِّدْقِ   وأَحـيـا فِـعـالَـهُ الـمـولـودُ[6]

وقالَ لابنِهِ يزيدَ[7]: اخفضْ جناحَكَ، واشتدَّ في سلطانِكَ فإنِّي رأيتُ الناسَ للسلطانِ، أهيبَ مِنْهم للقرآنِ[8].

= م ٤ ص ١٦؛ البداية والنهاية، ج ٨ ص ٣٢٢ ـــ ٣٢٣؛ عيون الأخبار، م ١ ج ٥ ص ٢٤٠ ـــ ٢٤١.

(١) تقدمت ترجمته ص ٢٣٨.

(٢) ساقطة من (ب ـــ ج ـــ د).

(٣) وفيات الأعيان، م ٥ ص ٣٥٣؛ المحاسن والمساوي، ج ١ ص ٣١١؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٢١٠؛ سرح العيون، ص ٢٠٤.

(٤) في (ب ـــ ج ـــ د) لا تتعلموا.

(٥) ساقطة من (د).

(٦) المحاسن والمساوي، ج ١ ص ٣١١، وفيها تتكلوا على مـا سبق من فعلي وافعلوا ما ينسب إلـيّ، وهو خطأ.

(٧) هو يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، ولد سنة ٥٨هـ ولي البصرة والعراق وخرسان، ونشبت حروب بينه وبين مسلمة بن عبدالملك انتهت بتغلب مسلمة. وقتل يزيد سنة ١٠٢هـ وكان يزيد كريماً كثير الغزو والفتوح/ شذرات الـذهب، ج ١ ص ١٢٤؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ٢٢٠.

(٨) بهجة المجالس، ق/١ ص ٣٤٣.

ومرَّ في الكوفةِ بِحيٍّ من همدانَ، في نادٍ لَهُم فقالَ رجلٌ مِنْهُم واللّـهِ ما يساوي إلا خَمسمائةِ درهمٍ، وكانَ المهلبُ أعوراً، فنظر إلى الرجلِ حتى أثبتَه، فلما خَرَجَ بالعشى، حَمَلَ في كَفِّهِ خمسمائةِ دِرْهمٍ، ثُمَّ ضَرَبَ دابتَه حتى وقَفَ في نادي همدانَ، فبصرَ بالشّاب فقالَ: افتحْ حِجْرَكَ، وقالَ دونَكَ يا بنِ أخي قيمةَ عمِّكَ. فوالله لَوْ قَوَّمتَهُ بأكثرَ مِنْ هذا لجاءتك فقالَ الفتى واسوأتاهُ قالَ المهلبُ: لا ضيرَ، فقالَ شيخٌ من همدان: ما أخطأ من سَوَّدَكَ[1].

وَقَدِمَ زيادُ بنُ الأعجمِ[2]، على المُهلّبِ بنِ أبي صُفْرَةَ (الأزديّ)[3] بخرسانَ فنزلَ على ابنِهِ حبيبٍ[4] فَجَلَسَا على شرابٍ، وفي الدّارِ شجرةٌ عليهَا حمامةٌ فَجَعَلَتْ تُغَرِّدُ فقالَ زيادُ:

تَغَنّيْ أنتِ في ذِمَمِي وعَهْدِي ... وذِمَّةِ والدي أن لا تُضاري
إذا غنيت أو طربت يوماً ... ذكرتُ أحبّتي وذكرتُ داري
فإمَّا يَقتلوك طلبتُ ثَأْري ... بقتلِهم لأنَّكَ في جِواري

فَأَخَذَ حبيبُ سَهْماً، فَرماهَا فأثبتَها، (بِهِ فماتَتْ)[5]. فقالَ زيادُ: قَتَلْتَ جاري، بيني وبينَك المهلّبُ، ثُمَّ أتى المهلّبَ، فأخبَرَهُ فقالَ يا حبيبُ ادفعْ إلى أَبي أُمامةَ ألفَ دينارٍ، فقالَ حبيبُ: أعزَّ اللّـهُ الأميرَ إنَّما كُنْتُ أَلْعَبُ،

---

(١) سرح العيون، ص ٢٠٤؛ المخلاة، ص ٩٥.
(٢) تقدمت ترجمته ص ١٤٦.
(٣) زيادة من (ب ـ ج ـ د).
(٤) هو حبيب بن المهلب بن أبي صفرة، صحب والده في حرب الأزارقة تولى إمارة كرمان ثم عزله الحجاج عنها سنة ٨٧هـ، ثم صحب أخاه يزيد وقتل معه سنة ١٠٢هـ/ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢١٣؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ٢٢١.
(٥) ساقطة من (د).

فقالَ: مَعَ هذا اللَّعِبِ جارُ أبـي أُمامةَ جارِي، فَدَفَعَ حبيبُ إليهِ أَلْفَ دينارٍ، فَأَنْشَأَ زيادُ يقولُ:

فَلِلَّهِ عَينـا مَنْ رأى مِنْ قَضِيَّـةٍ ... قضـاهَا فَـأَمْضَاهَـا الأميـرُ المهلَّبُ
قَضَى ألفَ دينـارٍ لجـارِ أجـرْتُـه ... مِنَ الطَّيرِ حَضانٌ على البَيْضِ يَنْعَبُ
رمـاهُ حبيبٌ بنَ المهـلَّبِ رميـةً ... فـأنفذَهُ بـالسَّهْمِ والشمسُ تغـربُ
فـألـزَمَـهُ عقـلَ القتيـلِ بِـأَسْـرِهِ ... فقـالَ حبيبُ إنَّمـا كنتُ أَلْعَـبُ
فــقــالَ زيــادُ لا يـروعُ جــارَهُ ... وجارُهُ جاري بل من الجارِ أقربُ

فَلَمَّا سَمِعَها المهلَّبُ أجازَهُ بجائزةٍ حَسَنَةٍ وصرفه مكرَّماً. فَبَلَغَ ذلك الحجاجَ فقالَ ما أَخطَأَتَ العربِ إذْ جَعَلَتْ المهلَّبَ شَيْخَها[1].

وَقَفَ أعرابـيٌّ على عَبدِالمِلكِ بْنِ مروانَ[2]، فَسَلَّمَ ثُمَّ قالَ: يَرْحَمُكَ اللَّـهُ أَنَّهُ مَرَّتْ (بِنا)[3] سنونَ ثلاثٌ أَمّا إحدَاها (فأخذَتْ)[4] المواشيَ وأَمَّا الثانِيَةُ فَنَفَضتِ اللَّحمَ، وأَمَّا الثالِثَةُ فخَلَصت إلى العظم، وعِنْدَكَ مالٌ فإن يكنْ لِلَّـهِ فأعطِهِ عِبادَ اللَّـهِ وأنْ يكُنْ لَكَ فَتَصَدَّق علينا، إن اللَّـهَ يَجْزِي المُتَصَدِّقينَ فَأَعْطَاهُ عشَرَةَ آلافِ درهمٍ وقالَ: لَوْكانَ النَّاسُ يُحْسِنُونَ يَسْأَلُونَ ما حَرَمنا أحداً[5]. (ذكرتْ نسخةُ (ب ـ ج ـ د) قصةَ إبراهيمَ بنِ محمدٍ بنِ طلحةَ مع الحجاجِ الواردَةَ في صَفْحَةِ ١٤٤ ـ ١٤٦ في هذا الموضِعِ ولَمّا كنتُ أُحَقِّقُ

(١) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٦؛ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٢٣٧؛ ربيع الأبرار، ج ١ ص ٤١١ ـ ٤١٤.
(٢) هذه الواقعة منسوبة إلى هشام بن عبدالملك كما جاء في المراجع التاريخية مثل أخبار الدول وآثار الأول، ص ١٤١؛ والأخبار الموفقيات، ص ١٤٦.
(٣) في (ب ـ ج ـ د) علينا.
(٤) في (د) فأهلكت.
(٥) البيان والتبيين، ج ٢ ص ٢٤٧؛ سراج الملوك، ص ٢٨؛ غرر الخصائص، ص ١٦٥ وفيه أن ذلك الأعرابـي هو درواس بن حبيب العجلي.

الأصلَ فَقَدْ اكتَفَيْتُ بِذكرِهَا هُنَاكَ وَكَما وَرَدَتْ في الأَصْلِ مراعاةً لِحرمةِ الأصلِ).

ولَمَّا وَلَّى عبدُ الملِكِ[1]، الحجَّاجَ[2] كَتَبَ إليهِ إنِّي قَدْ استعملتُكَ على

---

(١) هو عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي أمير المؤمنين بويع له بالخلافة بعهد من أبيه، في خلافة ابن الزبير ثم تغلب على ابن الزبير ودانت له البلاد. يكنى أبا الوليد استعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة وكان عابداً ناسكاً، حتى عُد من فقهاء المدينة فقال أبو الزناد فقهاء المدينة سعيد بن المسيب وعبدالملك بن مروان، وعروة بن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب وكان له سبعة عشر ولداً. لقب برشح الحجر لبخله، وفي أيامه حولت الدواوين إلى العربية، ونقشت الدنانير والدراهم بالعربية سنة ٧٦هـ وكان من أول من منع مراجعة الخلفاء، ونهى عن الكلام بحضرتهم، وكان الناس قبله يراجعون الخلفاء ويعترضون عليهم فيما يفعلون توفي سنة ٨٦هـ بعد أن عهد بالخلافة إلى ولديه الوليد، ثم سليمان من بعده/ المعارف، ص ١٥٥؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢١٢؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٩٧.

(٢) هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، ولاه عبدالملك الحجاز فقتل ابن الزبير ثم عزله عنها وولاه العراق. وقال ابن خلكان أن أم الحجاج هي الفارعة بنت همام، كانت تحت الحارث بن كلد، فطلقها وتزوجها يوسف بن أبي عقيل فولدت له الحجاج مشوهاً، لا دبر له. وذكر ابن عبدربه أن الحجاج وأباه كان يعلمان الصبيان بالطائف، ثم لحق الحجاج بروح بن زنباع الجذامي، وزير عبدالملك بن مروان فكان في عديد شرطته. قالوا وكان مولد الحجاج في سنة ٣٩هـ وقيل في سنة ٤٠هـ ثم نشأ لبيباً فصيحاً، بليغاً حافظاً للقرآن، حتى قال أبو عمر بن العلاء ما رأيت أفصح منه ومن الحسن البصري، وكان الحسن أفصح منه. ويكاد يجمع المؤرخون على خبثه وشناعة فعله، وحبه لسفك الدماء. فهذا الأتابكي في النجوم الزاهرة يقول: هو مشؤوم هو وأجداده وعليهم اللعنة والخزي، فإنه كان مع الظلمة، وإسرافه في القتل مشؤوم الطلعة. ويقول ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب عن السنة التي هلك فيها الحجاج وفيها أراح الله العباد والبلاد بموت الحجاج بن يوسف الثقفي هلك سنة ٩٥هـ/ وفيات الأعيان، م ٢ ص ٢٩ ـ ٥١؛ شذرات الذهب، ج ١٠٦ ص ١١٠؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٣٠ ـ ٢٣١؛ المعارف، ص ١٧٣.

العراقين، صَدْمَـةً فَأخْـرجَ إلَيْهِمَا كميشَ الأزارِ، شـديدَ العـذارِ، مُنْطويَ الخصيلةِ، قليلَ الثميلةِ، غرارَ النومِ، طويلَ اليومِ.

فَلَمَّا دَخلَ الحجاجُ الكوفَةَ، أتاهُم آتٍ فقالَ إنَّ الحجاجَ قَدْ قَدِمَ أميراً على العراقِ فاشْرَأَبَّ الناسُ نَحْوَهُ، وتطاوَلُوا ثم أَفْرَجُوا لَهُ فُرْجَةً عَنْ صَحْنِ المسجدِ، فإذا هو يَتَبهنسُ في مِشيتِهِ، مُتَلَثِّماً بعمامةِ خِزّ حمراءَ، مُتنكباً قَوْساً عربيةً يؤمُّ المنبرَ فرقاهُ وجَلَسَ. وأهلُ الكوفةِ إذْ ذاك لَهُمْ مَنَعَةٌ وفي المسجدِ عُميرُ بنُ ضابِـي[1]، فقالَ لِمحمّدِ بنِ عطاءٍ[2]: هَلْ لَكَ أَنْ أحصَبُهُ فقالَ: لا حتى نسمَعَ كلامَهُ، فقالَ: لَعَنَ اللَّـهُ بَني أميةَ حيثُ يستعملونَ علينَا هذا لوكَانَ هذا كُلُّه كلاماً، لم يكُن شيئاً.

فقالَ الحجاجُ: يا أهلَ العراقِ (أَنَا)[3] لا أعْرِفُ قَدرَ اجتماعِكُمْ أفقدْ اجتمعتُمْ، فقالَ رَجُلٌ: قد اجتَمَعْنَا (أعَـزَّ اللَّـهُ الأميرَ)[4] فَسَكَتَ هنيهـةً لا يتكلَّمُ، فَقَالوا يمنعُهُ العيُّ والحَصْرُ ثُمَّ قامَ (فَحدَّرَ)[5] اللثامَ وقالَ:

أنــا ابْنُ جَـلا وطـلَّاعُ الثَنـايـا ... مَتى أَضَــعُ العمـامَـةَ تَعْـرِفَــوني
صليبُ العــود من سَـلَفِي نِـزارٍ ... كَنصــلِ السَّيفِ وضــاحِ الجبينِ

---

(١) هو رجل من أهل الكوفة، من الذين دخلوا على عثمان يوم الدار، فلما قتل عثمان داس عمير أضلاعه، فكسر ضلعين من أضلاعه. وهو الذي أراد أن يحصب الحجاج وهو على المنبر فلما نزل الحجاج قيل له هذا الذي صنع بعثمان ما صنع فأمر بضرب عنقه/ الفخري في الآداب السلطانية، ص ٩٨؛ وفيات الأعيان، م ٢ ص ٣٣ ـ ٣٤؛ الكامل للمبرد، ج ١ ص ٢٢٥.

(٢) لم نعثر له على ترجمة فيما لدينا من المراجع.

(٣) في (ب ـ ج ـ د) أني.

(٤) في (ب ـ د) أعزك الله.

(٥) في (ب ـ د) فحسر اللثام.

أخــو خمسينَ مجتمــعٌ أشــدّي ونـجــذني مــداورَةَ الـشُّؤونِ(١)

يا أهلَ العراقِ إنّي أرَى رؤوساً، قدْ أينعتْ وحانَ قطافُها، وإنِّي لصاحِبُها وكأني أنظرُ إلى الدماء، بين العمائِمِ واللِّحَى.

لــيس أوانُ عشــكِ فــادْرجــي لـيسَ أوانٌ يـكـثُـرُ الــخِـلاطُ
قــد لَفَّهــا الـلَّيـلُ بعـصْلَبيٍّ أرْوَع خَــرّاجٍ مــن الــدَوِّيِّ
مُـهــاجــرٍ لــيس بـأعــرابيِّ

. . . . قَـد لَفَّهَـا الليــلُ بسـواق حُـطَمْ
لَـيْسَ بِـراعِـي إبِـلٍ ولاَ غَـنَـمْ ولاَ بجـزارٍ على ظَـهْـر وَضمْ(٢)

إني واللـهِ يا أهلَ العراقِ، ما يُغْمَزُ جانبي من اللّينِ، ولا يقعقعُ لي بالشَّنانِ(٣) ولقد فررتُ عن تجربةٍ، وأجريتُ مع الغايةِ،وأنَّ أميرَ المؤمنينَ نكثَ كِنانَتَهُ بينَ يديهِ، فَعَجَمَ عيدانَها، فوجدَني أمرَّها عُوداً، وأصلبَها مَكْسِراً فوجهني إليكُم.

فوالله لاعصبَّنكُم عَصْبَ السَّلَمَةِ، ولألحوَّنكم لَحْوَ العودِ، وَأَضرِبنَّكُمُ ضَرْبَ غرائبِ الإبلِ، وَلآخذنَّ الوليَّ بالولي، حتى تستقيمَ لي قناتُكم، حَتَّى يَلقَى أحدُكم أخاهُ فيقولُ انجُ سعدُ فَقَدْ قُتِلَ سُعَيْدُ ألا وأيايَ وَهذه السقفاءِ

---

(١) الأبيات لسحيم بن وثيل الرياحي من قصيدة له ذكرها الأصمعي في الأصمعيات وذكرها البحتري منسوبة لصاحبها في ديوان الحماسة، ص ١٣، ونسب المبرد في كتابه الكامل البيت الأول لسحيم ولم يورد بقية الأبيات.

(٢) الأبيات من شعر رشيد بن رويض العنبري أحد بني عنزة يقول في شريح بن ضبيعة حين غزا اليمن في جموع جمعها من ربيعة/ ديوان الحماسة لأبي تمام، ج ١ ص ١٣٢ ــ ١٣٣؛ الكامل في اللغة، ج ١ ص ٢٢٤.

(٣) الشنان القربة البالية تحرك إذا أرادوا حثَّ الإبل على السير مثل يضرب لمن لا يروعه ما لا حقيقة فيه.

والزرافاتِ، فإنّي لا أجِدُ أحداً من الجالسينَ في زرافةٍ، إلا ضربتُ عُنُقَهُ. فاستوسِقُوا واعتدِلوا، ولا تميلُوا وأطيعُوا. واعلمُوا أنَّه ليسَ مِنّي الاكثارُ والإهذارُ ولامعي ذلكَ الفرارُ والتعرارُ، وإنَّما هو انتضائِي هذا السيفَ، ثُمّ لا أغمدُهُ الشتاءَ ولا الصيفَ حَتّى يَظْهَرَ أمرُ اللـهِ، ويذلَّ لأميرِ المؤمنينَ صعبُكُم، ويستقيمَ له أودُكُم وصعرُكم، وإنَّ أميرَ المؤمنينَ أمَرني بِأعطياتِكُم، وأشخاصِكُم إلى مجاهدةِ عَدوِّكُم، وقد أمرتُكم بذلكَ، وأجلتُكم ثـلاثاً، وأعطيتُ اللّـه عهداً لأنْ تَخَلّفَ أحدٌ مِنْكُم، بعدَ قبضِه عطائِهِ يوماً واحداً لأضربَّن عنقَهُ، ولأنهبنَّ مالَهُ. يا غلامُ إقرأ كتابَ أميرِ المؤمنينَ، فقرأَهُ ثُمّ دَخَلَ دارَ الإمارةِ[1].

وهذه الحكايةُ قَدْ اشتملتْ على ألفاظٍ كثيرةٍ، من الغريبِ، وأنا أُشيرُ إلى بيانِها على سبيلِ الاختصارِ. قولُهُ صَدْمَةً، أي ضربةً واحـدةً ودفعةً واحدةً، وكميشَ الازارِ، مُشمَر الازارِ ويقالُ في المَثَلِ لِمنْ جَدَّ في الشيءِ وَشَمّرَ فِيهِ هو كميشُ الازارِ، شديدُ العذارِ، والخصيلةُ، لَحمُ الفخذينِ وَلَحْمُ السَّاقينِ وأراد بذلكَ الاسراعَ والجدَّ في الأمرِ. والثميلةُ، البقيةُ مِن الطَّعامِ والشرابِ في بطنِ الإنسانِ، أرادَ أنْ لا يستكثرَ مِنَ الطعامِ ويشتغلَ بصنوفِهِ، ولكن اقتصرَ على ما لا بُدَّ مِنْهُ فعلَ الجادِّ المُشَمِّـر وغرارَ النَّومِ، قليلَهُ ويقالُ لِمنْ عَمِلَ في يومِهِ ق/٣٧ وَجدَ فيهِ، وَلَمْ يشتغلْ بِلهوٍ ولا لَعِبٍ هو طويلُ اليومِ، فَإنْ اشتغلَ بالشَّرابِ واللهو قِيلَ هُوَ قصيرُ اليومِ. واشرأبَّ الناسُ تطاولوا وأشرفُوا.

تبهنَسَ: تمايلَ في مَشيَتِهِ وتخايلَ وَيُقالُ لِمنْ كانَ ظاهِراً مشهوراً غيرَ

---

(١) تاريخ الطبري، ج ٨ ص ٨٦٣ ـ ٨٦٦؛ الكامل في التاريخ، م ٤ ص ٣٣ ـ ٣٤؛ عيون الأخبار، م ٢ ج ٥ ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤؛ الكامل للمبرد، ج ١ ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤؛ جمهرة خطب العرب، ج ٢ ص ٢٨٨ ـ ٢٩١؛ البيان والتبيين، ج ٢ ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦.

خافٍ ولا خاملٍ هُوَ ابنُ جَلا. والثَّنايا: ما ارتفعَ مِنَ الأرضِ وَغَلُظَ ويقالُ لِمنْ لَم يزلْ يفعلُ أفعالاً شريفةً هُو طلاّعُ الثَّنايا. ويقالُ للقوِّي في أمرِهِ هو صليبُ العودِ، والأشدّ، جَمْعُ شِدَّةٍ وهو القوةُ، يقالُ لِمنْ جَرَّبَ الأمورَ وأحكَمَها هو منجِذٌ والناجذُ: أقصى الأضراسِ، والشؤونُ جمعُ شأنٍ يقالُ أينعتِ الثمرةُ إذا أدركتْ وبلغتْ وقطْفُ الثمرةِ أَخذُهَا فَشَبَّه الرؤوسَ بذلك، ليسَ أوان عشك فادْرجي يُضْرَبُ مَثَلاً لِلْمطمئنّ وَقدْ أظلَّهُ أمرٌ عظيمٌ يحتاجُ إلى مباشرتِهِ والقيامِ بأمرِهِ. والخلاطُ الفسادُ وهو شبيهٌ بالمثلِ الأولِ. ويقالُ العصلبيُّ الشديدُ مِنَ الرِّجالِ فَجَعَلَهُم بمنزلةِ ناقةٍ أو إبلٍ لِرَجُلٍ قَوِّيٍ شديدٍ يسري عليها ويتبعُها ولا يَرْكَزُ إلى دَعَةٍ ولا سكونٍ، فجعلَ ذلكَ كذلك وَلَفَّ: جمع وأروعُ: جميلٌ. والدَّاوي: جمع داويةٍ وهي الفلاةُ يريدُ أنَّهُ صاحبُ أسفارٍ وَرَحْلٍ، والحُطَمُ: العنيفُ من السَّوقِ وهو شبيهٌ بالمثلِ الأولِ: والوضِمْ: كل ما وقيتْ بِهِ اللحمُ من خَوانٍ أوحصيرٍ أو غيرِه، يقالُ يُقعقِعُ بالشِّنانِ: أيْ يُحَرِّكُ الشنانَ وهو ما خَلُقَ من الأسقيةِ وأصلُهُ أنْ يُحَرِّكَ الشَّنَ، حَتى يُسْمَعَ لَهُ صَوْتٌ، لِيفِّرَ بِهِ الوحوشَ ويجلِبَ بِهِ على الطَّيرَ وشَبَهَهَا، يقولُ لستُ مِمَّنْ يروعُ بالأباطيلِ وَيقرعُ بالتخيلاتِ، وقولَهُ فررتُ عن تجربةٍ أصلُهُ أنْ يفرَّ الدابَةَ أي يكشِفُ جَحْفَلَتها، لينظرَ إلى أسنانِها فيعرفَ بِها سِنَّها والكنانةُ التي يكونُ فيها السِّهامُ، وَنَكَثَها أي كَبَّها وصبَّ ما فيها، والعجْمُ الاختبارُ يُريدُ أنَّه اختبرَهَا، لِيعلَمَ صلابَتها من خَوَرِهَا وقويّها من ضعيفِها، وعصْبُ السَّلَمةِ يقالُ إنَّ الرجلَ إذا خَطَبَها شَدَّها بنسعَةٍ لئلا يصيبُه شوكُها، يَضرَبُ مَثَلاً لِمَنْ عصبْتُه بِشَرٍ وأمرٍ شديدٍ، يُقالُ لحوتُ العودَ وَلَحيتُهُ إذا قَشْرتُهُ، يُقالُ في المَثَلِ ضَرَبَهُ ضَرْبَ غرائِبِ الإبلِ والأصلُ فيه أنَّ الإبلَ إذا وَردتْ فدخَلَ فيها غريبُهُ (ليستْ مِنَ الإبلِ)[1] عن الماءِ وضربتْ حتى تَخْرجَ عَنها، ويقالُ في المثلِ لِمنْ يُعنى

---

(١) في (ب ـ د): ليست من إبل أهلها.

برحمه أو حميمه أنجُ سعدُ فَقَد قُتلَ سُعَيْدُ وَأَصلُه أنَّ سعداً وَسُعَيْداً (ابني)[1] ضَبّةُ خرجا يطلبان (أباهما)[2] فَرَجَعَ سَعْدُ ولم يرجعْ سعيدٌ، والزرافاتُ: الجماعاتُ، وأمّا السقفاءُ فلم يذكرْ أحدٌ لَها تفسيراً. وقالَ بعضُهم إنّهـا تصحيفٌ وإنّما هو الشُفعاءُ وَهُمْ الذينَ يَشفعونَ عندَ السلطانِ في المذنب فنهاهُم عنْ ذلكَ[3].

وقالَ عبدُالملكِ بنُ مروانَ[4] لكثيرِ بنِ هراثةَ الكلابيِّ[5]. هذا الحجاجُ قادماً منَ العراقِ، وَقَدْ شمخَ بأنفِهِ ونفخَ الشيطانُ في منخرِهِ، فإذا دخلَ عليّ فتعرضْ لَهُ بما يكرهُ، قالَ أفعلُ يا أميرَ المؤمنينَ. فلمّا دخلَ الحجاجُ وأخذ مجلسَهُ وأفاضوا في الحديثِ، قال لَهُ عبدُالملكِ ما تقولُ في ثقيفٍ يا حجاجُ فَقَد زَعمَ أُناسٌ أنّهم من إيادٍ وقالَ آخرونَ مِنْ قيسٍ، وأنتَ أعرفُ بقومِكَ فقال: أصلحَ اللـهُ أميرَ المؤمنينَ الحقُّ أبلجُ وطريقُ الرّشدِ أبهجُ (وَلَنْ)[6] يجدَ مَنْ ركبَ الحقَّ وقصدَ الصدِّقَ نحنُ مِنْ قيسٍ ثابتةٌ أصولُنا، نابتةٌ غصونُنا باسقةٌ فرُوعنا (فَعَلى)[7] ذلكَ قومُنا. فقالَ كثيرُ لَقَدْ كانَ لَكَ مُنذُ دَهْرٍ طويلٍ، وهو على أهلِهِ عارٌ وبيلٌ، وخطبٌ جليلٌ، دخولُ رجلٍ في قومٍ ليس مِنْهُم وتركُهُ قومَه رغبةً (عَنْهُم)[8]. قالَ الحجاجُ أمّا واللـهِ لولا مكانُ أميرِ المؤمنينَ

---

(١) في (ب ــ ج ــ د): ابنا ضبه.

(٢) (ب ــ ج ــ د): ابلا لهما.

(٣) وهذا ما ذهب إليه الفيروز أبادي في القاموس المحيط في باب الفاء فصل السين مادة سقف فقال وقول الحجاج إياي وهذه السقفاء تصحيف صوابه الشفعاء كانوا يجتمعون عند السلطان فيشفعون في المريب.

(٤) تقدمت ترجمته، ص ٢٦٠.

(٥) لم أجد له ترجمة فيما لدي من المراجع.

(٦) في (ب ــ ج ــ د): ولم.

(٧) في (ج ــ د): يعلم.

(٨) في (د) عنه.

لاستوعرتُ موطنَكَ، ولاستعظمتُ مركَبكَ، ولأوردتُكَ مورداً يعباً بالاصدارِ عَنْهُ ذوو القوةِ. فقالَ كُثيرُ أنتَ أضعفُ كوعاً وأملى روعاً، ولن تنالَ ذلك بشيءٍ يا حجاجُ على ما ضيعْتَ مِنَ الأمانةِ وأظهرتَ من الخيانةِ مَعَ سوءِ سيرةٍ وقبحِ ـ سياسةٍ، فإنَّكَ خربتَ وما عمَّرتَ، وأفسدْتَ وما أصلحتَ، وجرْتَ وما عدلتَ وتركتَ الحقَّ إذ حكمتَ ق/٣٨. فقالَ الحجاجُ أمَّا إنَّكَ (يا كثيرُ)[1] لتمدُّ يداً قصيرةً، وأناملَ حقيرةً. لا يستعاذُ بكَ في المظالِمِ ولا يستعانُ (بكَ)[2] في المغارِمِ ولا تؤهلُ لدفعِ المظالِم. فلمَّا خَشِيَ عبدُالملكِ أَنْ يعْظُمَ بينَهُما الخطبُ عزَّمَ عليهما أنْ يسكتا، فخرجَ كُلُّ واحدٍ مِنْهما مملياً غيظاً وَحِقْداً ولم يلبثِ الحجاجُ أنْ خرجَ إلى العراقِ وَقَدِمَ وفدٌ مِن العراقِ على عبدِالملكِ فلما أرادوا الانصرافَ. قالَ لكثيرِ بنِ هراثةَ انطلق مَعَ هؤلاءِ القومِ، إلى الحجاجِ حتّى تقومَ خطيباً، وتذكرَ السَّمعَ والطاعةَ لولاة الأمرِ، وكيفَ ينزِلُ بأهلِ الخلافِ والشّقاقِ مِنَ النقمةِ في العاجِلِ والآجِلِ. فقالَ لَهُ كثيرُ إنَّكَ قد علمتَ يا أميرَ المؤمنينَ ما بيني وبينَه وأنتَ لي ملجأٌ إنْ قهرتُ، وعزًّا إنْ (أذللتُ)[3] فإنْ أصابتني جائحةٌ أو حلَّتْ بي مصيبةٌ مِنَ الحجاجِ فأنتَ (المطالبُ)[4] بثأري، وأنتَ بَعْدَ اللهِ ثِقَتي، وقد بعثْني أميرُ المؤمنينَ إلى بلدٍ أتخوفُ أهلَهُ وأميراً أحذرُ فعلَهُ، وقدْ شمخَ بأنفِهِ نحوَ السماءِ واجترأَ على سفكِ الدماءِ، وليسَ بحضرتي حفدة[5] يعينونني (عليه)[6] ولا أنصارٌ

---

(١) زيادة من (ب ـ ج ـ د).
(٢) زيادة من (ب ـ ج ـ د).
(٣) في (ج) ذللت.
(٤) في (ج ـ د): الطالب.
(٥) حفد حفداً: خدم والحفد محركه الخدم والأعوان وحفدة الرجل بناته وأولاد أولاده/ القاموس المحيط، المصباح المنير.
(٦) زيادة من (ج).

ينصرونني. فقالَ لَهُ عبدُالملكِ أنفذْ لِأمري، فلعمْري الحجاجُ أحكُم رأياً أنْ يأخذَكَ بأحنةٍ[1] ويعرفَكَ بسيئةٍ، ولعمري لأنْ فعلَ لأحولنَّ (زعامتَه)[2]، ولأنبذَنَّ منزلتَهُ وليفارقنَّ كرامَتَهُ وبالحرّى أنْ يكـونَ قد أحكمتْـهُ تجاربُـهُ، وقصدَتْ بِهِ مذاهبُهُ وعزبَ عنهُ جهلُهُ وثابَ إليه حِلمُه فخرَج إليه كثيرُ في أصحابِهِ حتى قَدِمَ عَلَيهِ فلما دخلَ (إليه)[3] قالَ لَهُ مرحباً بكثيرِ بنِ هراثة من قومٍ سادةٍ كِرامٍ قادةٍ بها ليلٍ[4] زاده. قالَ لَهُ (هراثةُ)[5] قَدْ كانتْ بيني وبينَ الأميرِ أشياءُ امتلأتُ منها رُعباً، وَضِقْتُ بِهَا ذَرْعاً، والأميرُ صحيحُ الأديمِ في الحَسَبِ الصميمِ والشرفِ القديمِ، لا يشتكي مِنهُ الضعفُ، ولا يخافُ منهُ العنفُ. فقال الحجاجُ ما احتجنَا إلى ثنائِكَ، ولاَ رغبنا في دُعائِكَ ولا تلامُ على فِعْلِكَ ولا يعاقَبُ مِثلُكَ وأجازَهُ وفضلَّهُ على أصحابِهِ فلَمّا قَدِمَ على عَبْدِالملكِ قالَ كيفَ (رأيتَ رأيي)[6] في الحجاج يا كثيرُ ألم تجدْهُ مُصيباً، لا يأخذُ في أمرِهِ بالعجلةِ حتَّى يرى من عدوِّه الغرةَ. قالَ بلى يا أميرَ المؤمنينَ ما أحسنَ لفظَهُ، وأدومَ لحظَهُ وأسكَنَ فورَهُ وأبعدَ غورَهُ. واللـهِ لو لَمْ يسهلْ من أمرِهِ ما توعرَ لطحنَني طَحْنَ المروةِ الململمةِ[7]، متساقطَ حبِّ الجمجمِ[8].

---

(١) أحن الرجل يأحن حقد وأضمر العداوة والأحنة اسم منه والجمع أحن/ المصباح المنير.

(٢) في (ب ـ ج): عزامته.

(٣) في (ب ـ د): عليه.

(٤) البهلول: الضحاك والسيد الجامع لكل خير/ القاموس المحيط، مختار الصحاح.

(٥) في (ب ـ ج ـ د): كثير.

(٦) في (ج ـ د): كيف رأيت رأيك ورأيي.

(٧) المروة: حجارة بيض براقة تقدح منها النار، الواحدة منها مروة/ القاموس المحيط، مختار الصحاح.

(٨) كتاب الكامل والفاضل (وصايا الملوك مخطوط رقم ش أدب ٢٣، ورقة ١٥ ـ ١٦. والجمة: بالضم مجتمع شعر الرأس وجمجم الرجل وتجمجم إذا لم يبين كلامه، والجمجمة القدح من خشب/ مختار الصحاح.

وكانَ الشعبيُّ[1] مِمَّنْ خَرَجَ مع ابنِ الأشعثِ[2]، فَلَمَّا قَدِمَ على الحجّاجِ بعد قتلِ ابنِ الأشعثِ، قالَ وأنتَ أيضاً مِمنْ خرجَ علينَا يا شعبيُّ قالَ أحزنَ المنزلُ، وأجدبَ الجنابُ، واكتحلنا السُّهرَ، واستحلَسنا الخوفَ، ووقعنَا في حربةٍ لمْ نكنْ فيها بررةً أتقياءُ، ولا فجرةً أقوياءَ. قالَ صَدَقَ واللهِ ما بروًا بخروجِهِم علينا، ولا قوُّوا إذْ برزوا إلينَا، أطلقا عنه[3].

ودخلَ عليهِ ابنُ أَبي ليلَى[4] وقالَ أصلحَ اللهُ الأميرَ، مشهورَ النصيحةِ صحيحَ الأديمِ، شاكرَ اللسانِ خرجَ أُبي مع ابنِ الأشعَثِ فهدَمَ مَنْزِلي وَحلَّقَ على اسمي[5] وَحُرِمتُ عَطائي، فقالَ أو ما سمعتَ الشاعرَ حيثُ يقولُ:

جـانيـكَ مَنْ يَجْني عَلَيْـكَ وَقَـدْ   تُعْـدِي الصِّحَـاحَ مبَـارِكُ الجُـرْبِ
ولَـرُبَّ مـأخـوذٍ بِـذَنْبِ قـريبـه   ونَجـا المُقـارِفُ صاحِبُ الـذَّنْبِ

قالَ لا ولكنّي سمعتُ اللَّهَ يقولُ: غيرَ هذا في إخوةِ يوسفَ ﴿قَالُوا يا أيُّها العزيزُ إنَّ لَهُ أباً شَيْخاً كَبيراً فَخُذْ أَحدَنَا مَكَانَهُ إنَّا نَرَاكَ مِنَ المُحْسِنِينَ قَالَ مَعَاذَ اللَّه أَنْ نَأْخُذَ إلا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إنَّا إذاً لظالِمُونَ﴾[6].

---

(١) تقدمت ترجمته، ص ١٧٨.

(٢) هو أبو محمد عبدالرحمن بن الأشعث، استعمله الحجاج على سجستان فحارب الترك ثم خلع طاعة الحجاج وانقاد له أهل البصرة والكوفة ثم خلع طاعة عبدالملك بن مروان، فحاربه الحجاج في دير الجماجم وقتله سنة ٨٤هـ/ مروج الذهب، ج ٢ ص ١٠١؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ٥٤٠؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٩٤.

(٣) الفرج بعد الشدة، ج ١ ص ٣٣٤؛ عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ١٠٤؛ صبح الأعشى، ج ٢ ص ٢٢٢؛ العقد الفريد للملك السعيد، ص ٤٤.

(٤) هو عبدالرحمن بن أبي ليلى. واسم أبي ليلى يسار، أدرك مائة وعشرين من الصحابة وهو من الطبقة الأولى من التابعين. خرج على الحجاج بن يوسف قتل بدجيل مع ابن الأشعث سنة ٨٣هـ/ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٠٦؛ الطبقات الكبرى، ج ٦ ص ٧٤؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٩٢.

(٥) أي ضرب عليه بحلقة من المداد، وكانوا يفعلونه إذا أرادوا حبس العطاء عن صاحبه.

(٦) آية ٧٨ ـــ ٧٩ من سورة يوسف.

فقالَ يا غُلام علي بيزيدِ بنِ أَبي مُسَلِمٍ[1] فأتاهُ فقالَ ابنِ لَه دارَهُ واردد اسمَه واعطِه عطاءه[2].

وقالَ عبدُالملكِ بنَ مروانَ لأسماءَ بنِ خارجةً[3] بَلَغني عَنْكَ خِصالٌ فحدثني بِهَا (قالَ)[4] هِي مِنْ غيري أحسنُ مِنْهَا مِني فقالَ عزمتُ عليكَ ألاَّ حدثتني فقالَ يا أميرَ المؤمنينَ ما مددتُ رجلي بينَ (يدي)[5] جليسٍ لِي قطُّ ولا صنعتُ طعاماً فدعوتُ عليه قوماً إلا كانوا أَمَنَّ عليّ مِنْهُمْ ولا نَصَبُ لي رَجُلَ وَجْهَهُ يسألُني حاجةً فاستكثرتُ شيئاً أعطيتُه إياه[6].

وَلمَّا وُليَّ الوليدُ بنُ عبدِالملكِ[7] بنُ مروانَ الخلافةَ ق/٣٩ عَدَلَ في

---

(١) هو أبو العلاء يزيد بن أبي مسلم، كان مولى الحجاج وكاتبه استعمله الحجاج على خراج العراق، وأقره الوليد ثم عزله سليمان وبعث مكانه يزيد بن المهلب. وكان عمر بن عبدالعزيز يقول لسليمان أنشدك الله يـا أمير المؤمنـين أن لا تحيي ذكرى الحجـاج باستكتاب كاتبه قتل سنة ١٠٢هـ/ وفيات الأعيان: م ٦ ص ٣٠٩ ــ ٣١٢.

(٢) العقد الفريد، ج ١ ص ٢٢. وفيه أن الداخل على الحجاج هو سليك بن سلكه وهو خطأ فلعله المعروف بابن سلكه المسمى بفرعون بن عبدالرحمن؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٢٤؛ محاضرات الأدباء، ج ١ ص ١١٩.

(٣) هو أسماء بن خارجه الفزاري، أحد الأجواد من الطبقة الأولى من التابعين من الكوفة. ساد الناس بمكارم الأخلاق، وفد على عبدالملك بن مروان وتوفي في سنة ٨٢هـ/ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٠٤؛ فوات الوفيات، ج ١ ص ١٦٨ ــ ١٦٩.

(٤) في (د): فقالت.

(٥) زيادة من (ب).

(٦) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ٢٢٢؛ فوات الوفيات، ج ١ ص ١٦٨؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٠٤.

(٧) هو أبو العباس الوليد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي بويع له بالخلافة، بعد وفاة أبيه سنة ٨٦هـ، وكان الوليد أسن ولد عبدالملك، وكان يحبه فتراخى في تأديبه، لشدة حبه إياه، فكان لحاناً حتى قال عبدالملك أضرنا في الوليد حبنا له. وكان الوليد عند أهل الشام أفضل خلفائهم، وأكثرهم فتوحاً، وأعظمهم نفقة في سبيل الله.

الرعيةِ، وأحسنَ السيرةَ، وأعطى (المحرومينَ)[1]، وقالَ لا تسألُوا النـاسَ شيئاً. وأعطى كُلَّ مُقعَدٍ خادِماً وَكلَّ ضريرٍ قائداً. وكانَ يَمرُّ بالبقَّالِ فيقفُ عليهِ فيأخذُ حزمةً البقلِ، فيقولُ بكَمْ هذِه، فيقولُ بفلسٍ فيقولُ زِدْ عليها[2].

ورويَ عن الزهريّ[3] أنَّهُ قالَ دخلتُ (على عبدِالملكِ)[4] مسجدَ رسولَ اللـهِ صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بالمدينةِ، عامَ حَجَّ، فتفرَّقَ النَّاسُ منَ المسجدِ، وبقيَ سعيدُ بنُ المسيبِ[5] قاعداً في مجلِسِه، فلم يتحركْ عَنْهُ فجعلتُ أطـوفُ بالـوليدِ، في نـواحِي بعيـداً عن مجلِسِ سعيـدٍ واشغِلُهُ (بالحديثِ)[6]، مخافةَ أنْ يَرى مكانَهُ، فحانتْ مِنْهُ التفاتةٌ فرآهُ. فقالَ لي

= استعمل عمر بن عبدالعزيز على المدينة، وتوفي الحجاج في خلافته. ونقل السيوطي قول الذهبي في الوليد أنه أقام الجهاد في أيامه، وفتحت فيها الفتوحات العظيمة، كأيام عمر بن الخطاب فكان عهده عهد يسر ورخاء واتسعت الدولة في أيامه شرقاً وغرباً، توفي سنة ٩٦هـ بدير مروان من دمشق وصلى عليه أخوه سليمان. وكانت مدة ملكه ٩ سنين و٨ أشهر فوات الوفيات، ج ٤ ص ٢٥٤؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ١١١؛ تاريخ الخلفاء، ص ٢٢٣ ــ ٢٢٥؛ تاريخ الطبري، ج ٨ ص ١٢٦٩ ــ ١٢٧١.

(١) في (ب ــ ج ــ د): المجذومين.

(٢) الكامل في التاريخ، م ٤ ص ١٣٧؛ تـاريخ ابن خلدون، م ٣ ص ٦٨؛ تـأريخ الطبري، ج ٨ ص ١٢٧١؛ الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٢٧؛ العقد الفريد، ج ٥ ص ١٦٠؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٦٤ ــ ١٦٥.

(٣) تقدمت ترجمته، ص ١٨٨.

(٤) في (ب ــ ج ــ د): مع الوليد بن عبدالملك وهو الصحيح كما أشارت إليه رواية الزهري في تكملة القصة وكما أشارت إلى ذلك المراجع في حج الوليد سنة ٩١هـ.

(٥) هو الإمام أبو محمد سعيد بن المسيب المخزومي، سيد التابعين ولد في السنة الثانية من خلافة عمر وكان من أورع الناس وأكثرهم زهداً، روى عن عمر وعثمان وعلي، وغيرهم وكان معدوداً من فقهاء التابعين، مات بالمدينة سنة ٧٤هـ في خلافة الوليد بن عبدالملك/ الطبقات الكبرى، ج ٥ ص ٨٨؛ المعارف، ص ١٩٣؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ١٠٢.

(٦) في (د) بالكلام.

يا محمدُ مَنْ هذا الشيخُ، قلتُ سعيدَ بنَ المسيبِ، وَقَدْ كَفَّ بصرُهُ، ولا عِلْمَ لهُ بمكانِ أميرِ المؤمنينَ، وَلَوْ عَلِمَ لكانَ قَدْ أَدَّى الواجبَ عليهِ، من الحقِّ فقالَ بلْ نحنُ أحقُّ (بالمصير إليهِ)[1]، والزيارةِ لَهُ. فجاءهُ الوليدُ فَسَلَّمَ عليهِ وجلَسَ عِنْدَهُ، وَسَأَلَهُ عَنْ حالِهِ. فواللّـهِ ما قَامَ لَهُ سعيدُ، ولا تزحزحَ عَنْ مكانِهِ فلما انصرفَ الوليدُ قالَ لي يا محمدُ هذا مِنْ بقِّيةِ الناسِ[2].

وَرَوَى الشافعيُّ[3] رَحِمهُ اللهُ، عَنْ عمِّـهِ محمَّدٍ (بنِ عليٍّ)[4] بْنِ

---

(١) في (ب ـ د): أحق بالوصول إليه.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٨ ص ١٢٣٢ ـ ١٢٣٣؛ تاريخ اليعقوبي، م ٢ ص ٢٨٤؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ٨٢. وفيها أن الوليد قال لعمر بن عبدالعزيز الذي كان والياً على المدينة وكان يرافقه داخل المسجد هذا فقيه الناس.

(٣) هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع، القرشي المطلبي، ولد بغزة. وقيل بعسقلان، وقيل باليمن سنة ١٥٠هـ، ومات أبوه وهو صغير فحملته أمه إلى مكة وهو ابن سنتين. لئلا يضيع نسبه، فنشأ بها وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر، وأفتى وله من العمر خمس عشرة سنة. تفقه على مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة ولازم الإمام مالك مدة، وأخذ عنه الموطأ، وأعجب بحفظه، ثم رحل إلى بغداد سنة ١٩٥هـ فاجتمع عليه علماؤنا وأخذوا عنه، وصنف بها مذهبه القديم، ثم عاد إلى مكة، ومنها خرج إلى مصر، وصنف فيها مذهبه الجديد. وقد أثنى الأئمة على الشافعي، فقال أبو عبيد: ما رأيت أفصح ولا أعقل ولا أورع من الشافعي. وكان أحمد بن حنبل يدعو له في صلاته نحواً من أربعين سنة، ويجعله المعني بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» فعمر بن عبدالعزيز على رأس المئة الأولى والشافعي على رأس المئة الثانية، توفي بمصر سنة ٢٠٤هـ عن أربع وخمسين سنة، وقبره مشهور يزار، بنى الملك الكامل القبة على ضريحه. البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٥١ ـ ٢٥٥؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ١٧٦؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ٩ ـ ١١؛ وفيات الأعيان، م ٤ ص ١٦٣ ـ ١٦٩.

(٤) زيادة من (ب ـ ج ـ د).

شافِعٍ[1] قال: دخَلَ سليمانُ[2] بنُ يسارٍ، عَلَى الوليدِ بنِ عبدِالملكِ[3]، فقالَ لَهُ يا سليمانُ مَنْ الذي تولّى كِبْرَهُ[4]، فقالَ: عبدُاللهِ بنُ أَبي بنُ سلولٍ[5]، فقالَ: كذبتَ لا أمّ لَكَ هوعليُّ بنُ أَبي طالب، قالَ أنتَ أعلَمُ وما تقولُ، قالَ: فَمَا حديثٌ حدّثنا بِهِ أهلُ الشّامِ أين اللّهَ عزَّ وجلَّ إذا استرعَى عبداً رعيةً، كَتَبَ لَهُ الحسناتِ ولم يكتبْ عليهِ السيئاتِ، قالَ لا أدري، ثُمَّ دَخَلَ مُحَمَّدُ بنُ شِهابِ الزُّهري فقالَ له الوليدُ: يا محمدُ مَنِ الذي تَولّى كِبْرَهُ، فقالَ: عبدُاللهِ بنُ أُبيٍّ بنُ سَلولٍ، فقـال كَذبتَ لا أُمَّ لَـكَ، هوعليُّ بنُ أَبي طالبٍ (كرَّمَ اللهُ وَجهَهُ)[6] فقالَ: واللهِ لو كانَ الكذبُ مكتوباً بَينَ الدَّفتينِ بأنَّ اللّهَ تعالى قَدْ أَباحَهُ لي أو نادَ منادٍ مِنَ السَّماءِ، أَنَّ اللهَ قَدْ أَباحَ الكذبَ ما رآني أتحلَّى بِهِ.

حدثني عددٌ مِنَ الرِّجالِ، مِنْهُم سعيـدُ بنُ المسيّبِ[7]، وعلقمةُ بْنُ

---

(١) لم أقع له على ترجمة.

(٢) هو أبو أيوب ويقال أبو عبدالرحمن سليمان بن يسار، مولى ميمونة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، روى عن ابن عباس وأبي هريرة وأم سلمة رضي الله عنهم. وروى عنه الزهري وجماعة من الأكابر وكان المستفتي إذا أتى سعيد بن المسيب يقول له: إذهب إلى سليمان بن يسار فإنه أعلم من بقي اليوم، توفي سنة ١٠٧هـ وهو ابن ٧٣ سنة. وفيات الأعيان، م ٢ ص ٣٩٩؛ الطبقات الكبرى، ج ٢ ص ١٣٢.

(٣) تقدمت ترجمته ص ٢٨٨.

(٤) يشير بذلك إلى قوله تعالى في سورة النور: ﴿إِنَّ الذِينَ جَاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ ما اكتسب من الإثْمِ والَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آية ١١).

(٥) هو عبدالله بن أبي بن سلول، زعيم الكفر ورأس المنافقين، توفي في السنة التاسعة من البعثة. شذرات الذهب، ج ١ ص ١٣؛ البداية والنهاية، ج ٥ ص ٣٤ ــ ٣٥.

(٦) في (ب ــ ج ــ د): رضي الله عنه.

(٧) تقدمت ترجمته ص ٢٨٩.

وَقّاص[1] وعروةُ بنُ الزبيرِ[2] وَأبـو سَلَمَة بنُ عبـدِالرحمنِ[3] وعبيـدُاللهِ بنُ عبدِاللهِ بنُ عتبةَ بنُ مسعودٍ[4] عن عائشة[5] رَضيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ الذي تولّى كِبْرَه عبدُاللهِ بنُ أُبـي بنُ سَلولٍ، قالَ صدقتَ. إنَّما أردتُ أَنْ أَعلَمَ، هَلْ أحدٌ ينكرُ باطِلاً ثمَّ قالَ يا محمدُ، مـا حديثٌ حَـدَّثَنا بـهِ أهلُ الشَّـامِ، قالَ: وما الحديثُ، قالَ: حدَّثونَا أن اللهَ إذا استَرعى عبداً رَعيَّةً كتبَ لَهُ الحسناتِ ولَمْ يكتبْ عليهِ السيئاتِ، قالَ (كذبتَ)[6] والله يا أميرَ المؤمنينَ. قالَ: وكيفَ ذلكَ، قالَ: آتيكَ بحديثٍ (من كتابِ اللهِ[7] الَّذي) لا يأتيهِ الباطِلُ مِنْ بينَ

---

(١) هو علقمة بن محصن، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ثقة قليل الحديث، توفي بالمدينة في خلافة عبدالملك بن مروان. الاستيعاب، ق/٣ ص ١٠٨٨.

(٢) هو أبو عبدالله عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي. ولد سنة ٢٩هـ وكان أحد فقهاء المدينة السبعة، جمع العلم والسيادة والعبادة وكان يصوم الدهر، ومات صائمًا، ولحضوره في الصلاة قطعت رجله فلم يتحرك، توفي سنة ٩٤هـ. الطبقات الكبرى، ج ٥ ص ١٣٢؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٨٨؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٠١؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ١٠٣.

(٣) هو أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف بن عبدعوف الزهري. قيل اسمه عبدالله وقيل اسماعيل، وقيل اسمه كنيته، روى عن أبيه وعثمان وطلحة وعبادة بن الصامت وجمع كثير، وأمه تماضر بنت الاصبغ الكلبية، كان من كبار التابعين وأحد فقهاء المدينة المشهورين، فقيهاً ثقة، كثير الحديث، توفي سنة ٢٤هـ، وقيل سنة ١٠٤هـ وهو ابن ٧٢ سنة. تهذيب الأسماء واللغات، ج ٢ ص ٢٤٠ ــ ٢٤١؛ تهذيب التهذيب، م ١٢ ص ١١٦.

(٤) هو عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي وكان ثقة كثير الحديث والعلم، شاعراً. وهو مؤدب عمر بن عبدالعزيز، وكان الزهري يلازمه وأخذ عنه، توفي بالمدينة سنة ٩٨هـ. الطبقات الكبرى، ج ٥ ص ١٨٥؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٧٧؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٣٦.

(٥) تقدمت ترجمة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ص ١٠٢.

(٦) في (ب): كذب والله أهل الشام يا أمير المؤمنين.

(٧) زيادة من (ج).

يديهِ وَلاَ مِنْ خلفِهِ، قالَ اللهُ عَزَّ وجلَّ: ﴿يا دَاوُدُ إنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إنَّ الذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ﴾[1].

فهذا وعيدُ اللهِ لنبـيٍّ هُوَ خليفةٌ، فيكفَ وعيدُهُ لخليفةٍ (غيرَ)[2] نبـيٍّ، قالَ صدقتَ، ثُمَّ نزلَ عَنْ سريرِهِ (ووضعَ خَدَّهُ في)[3] التُّرابِ، وقالَ: يغروننا عن دينِنَا، ثُمَّ أغرَى جلساءَهُ بابنِ شهابٍ فقالَ: عَنْ مثلِ هذا يُؤْخَذُ الدينُ[4].

ولمَّا وُلِّيَ سليمانُ بنُ عبدِالملكِ[5] أطلَقَ المحبسينَ، وأَحْسنَ إلى

---

(١) سورة ص: آية ٢٦.

(٢) زيادة من (ب ــ ج ــ د).

(٣) زيادة من (ب ــ د).

(٤) تفسير القرطبـي، م ٦ ج ١٢ ص ١٩٨؛ تفسيرات ابن كثير، ج ٣ ص ٢٦٩ وكلها تنص على أن الذي تولى كبره (أي حديث الافك هو عبدالله بن أبـي بن سلول) وذكر القرطبـي من حديث الزهري عن عروة عن عائشة والذي تولى كبره عبدالله بن أبـي بن سلول؛ العقد الفريد، ج ١ ص ٤٥؛ سراج الملوك، ص ٣٢ ــ ٣٣؛ نهاية الارب، ج ٦ ص ١٠ ــ ١١؛ تاريخ الخلفاء، ص ٢٢٣ وفيها بيان الزهري للوليد بن عبدالملك بطلان ما حدث به وجهره أمامه بالحق وصدعه بأمر الله حتى رجع الوليد عن غيه وثاب إلى رشده.

(٥) هو أبو أيوب سليمان بن عبدالملك بن مروان بن الحكم. ولد سنة ٥٤هـ بالمدينة، ونشأ بالشام عند أبيه، وكان فصيحاً مفوهاً، محباً للعدل والغزو ذا همة عالية، جهز الجيوش لحصار القسطنطينية. ولي الخلافة بعهد من أبيه سنة ٩٦هـ ومن محاسنه أن عمر بن عبدالعزيز كان له كالوزير يمتثل أوامره في الخير. وعزل عمال الحجاج، وأحيا الصلاة لأول مواقيتها، وكان بنو أمية أماتوها بالتأخير. قال فيه ابن سيرين: يـرحم الله سليمان، افتتح خلافته بإحيائه الصلاة لمواقيتها، واختتمهـا باستخـلافه عمر بن عبدالعزيز، توفي بدابق سنة ٩٩هـ عن ٤٥ سنة وكانت خلافته دون ثلاث سنين. وفيات الأعيان، م ٢ ص ٤٢٠ ــ ٤٢٦؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٤٠ ــ ٢٤١؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ١١٦؛ تاريخ الخلفاء، ص ٢٢٥ ــ ٢٢٦؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٧٧.

الناسِ وسموهُ مفتاحَ الخيرِ. وفي أيامِهِ فُتِحَتْ القسطنطينيةُ، وَلَوْ لَمْ يكنْ لَهُ حسنةٌ إلا (استخلافَ)[1] عُمرَ بنِ عبدِالعزيزِ بعدَهُ لكانَ كافياً[2].

وَروِيَ أَنَّ أعرابيّاً وَقَفَ بينَ يَديّ سليمانَ، فقالَ: إنِّي مُكلِّمُكَ يا أميرَ المؤمنينَ بكلامٍ فاحتملْهُ، وإنْ كرهتَهُ فَإنَّ وراءَهُ ما تُحِبُّ إنْ قبلتَهُ. قالَ هاتِ، قال: إنِّي سأطلقُ لِساني، بِمَا خرستْ عنهُ الألسنُ مِنْ عِظَتِكَ، تأديةً بِحقِّ اللهِ تعالى وحقِّ إمامتِكَ، (إنَّهُ)[3] قَدْ اكتنفكَ رِجالٌ، أساءُوا الاختيارَ لأنفسِهم، فابتاعُوا (دنياهُم)[4] بدينِهم، وَرِضَاكَ بِسخطِ اللهِ، خافوكَ في اللَّهِ، وَلَمْ يخافُوا اللهَ فيكَ، (فهم)[5] حَرْبٌ للآخرةِ، سِلْمٌ الدُّنيا، فَلا تأمنْهُم على ما ائتمنكَ اللهُ عليهِ، فإنَّهُمْ لم يأْلُوا الأمانةَ تضييعاً، والأمةَ خسْفاً، وأنتَ مسؤولٌ عَمَّا اجترَحوا، وليسُوا مسؤولين عما اجترحتَ، فَلا تُصْلِحْ دُنياهُم بفسادِ آخرتِكَ فإنَّ أعظمَ الناسِ غُبناً، مَنْ باعَ آخرتَهُ بِدُنيا غيرِهِ. فقالَ: أمَّا أنتَ يا أعرابِيُّ فقد سللت لسانَكَ وَهُوَ أقطعُ مِنْ سيفِكَ، قال: أَجَلْ يا أميرَ المؤمنينَ لكَ لا عليكَ[6].

---

(١) في (ب ـ د): إلا استخلافه لعمر.

(٢) الكامل في التاريخ، م ٤ ص ١٥١؛ البدء والتاريخ، ج ٦ ص ٤١؛ خلاصة الذهب المسبوك، ص ١٣؛ العقد الفريد، ج ٥ ص ١٦٢، والصواب أن القسطنطينية لم تفتح في عهد سليمان وإن كان قد حاول فتحها وقد جهز جيشاً على رأسه مسلمة بن عبدالملك، فوصلوا إلى أسوار القسطنطينية ولكن اليون امبراطور الروم، خدع مسلمة بن عبدالملك، واستولى على مؤن الجند، حتى أكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر حتى فنى أكثرهم وبقيت القسطنطينية عاصمة الروم حتى فتحها محمد الفاتح؛ الكامل في التاريخ، م ٤ ص ١٤٦ ـ ١٤٧.

(٣) في (ب ـ ج ـ د): انك.

(٤) في (ب ـ ج): دينك بدنياهم.

(٥) زيادة من عيون الأخبار.

(٦) عيون الأخبار، م ٢ ج ٦ ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨؛ سراج الملوك، ص ٣٠.

وَرُوِيَ أَنَّ سعيدَ بنَ خالدٍ[1]، دَخَلَ على سليمانَ بنِ عبدِالملكِ وكانَ سَعيدُ جواداً، فإذا لَمْ يجدْ شيئاً كَتَبَ لِمَنْ يسألُه الصِّكاكَ على نفسِهِ حَتَّى يخرجَ عطاؤه فَلَمَّا نَظَرَ إليهِ سليمانُ تَمَثَّلَ بِهذا البيتِ ق/ ٤٠ :

إني سمعتُ مَعَ الصَّباحِ منادياً   يَا مَنْ يُعينُ على الفتى المِعوانُ

ثم قالَ: حاجتُك، قالَ: دَيْنِي، قالَ: فَكَمْ هُوَ؟ قالَ: ثلاثونَ ألفِ دينارٍ، قالَ: لكَ دَيْنُكَ وَمِثْلُهُ[2].

وَرَوَى رجاءُ بنُ حيوةَ[3] أَنَّ سُليمانَ بنَ عَبدِالملكِ، لَمَّا كَتَبَ العهْدَ لِعمرَ بنِ عبدِالعزيزِ[4] وَمَنْ بَعْدَهُ يزيدَ بن

---

(١) هو سعيد بن خالد بن عبدالله بن أسيد. كانت تصيبه موتة أو ما يشبه الصرع نصف سنة، ونصف سنة يصح فيجود ويمنح، فطلبوا له الطب لمعالجته فتكلمت امرأة على لسانه، وقالت: أنا رقية بنت ملحان سيد الجن ولو علمت مكان رجل أشرف منه لعلقته وإن عالجتموه قتلته، فتركوا علاجه. حياة الحيوان، للجاحظ، ج ٦ ص ١٧٠.

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج ١ ص ٥٩٥ ــ ٥٩٦؛ المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١٧٥ ــ ١٧٦.

(٣) هو أبو المقدام رجاء بن حيوة الكندي، الشامي الفقيه، تابعي جليل القدر، فاضلاً، روى عن معاوية وطبقته. قال فيه مكحول: هو سيد أهل الشام في أنفسهم. وكان وزير صدق لخلفاء بني أمية، أثنى عليه غير واحد من الأئمة، ووثقوه في الرواية، توفي سنة ١١٢هـ. البداية والنهاية، ج ٩ ص ٣٠٤؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ١٤٥؛ الطبقات الكبرى، ج ١ ص ١٦١.

(٤) هو أبو حفص عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي. ولد بمصر وقيل بالمدينة سنة ٦٠ للهجرة، وقيل ٦١ للهجرة، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. وكان يلقب أشج بني أمية، جمع القرآن وهو صغير وبعثه أبوه من مصر إلى المدينة، ليتأدب فيها فكان يختلف إلى عبيدالله بن عبدالله بن مسعود يسمع منه العلم. وكان قبل الخلافة على قدم من الصلاح والورع، إلا أنه كان يبالغ في التنعم، ولما مات أبوه طلبه عمه عبدالملك فضمه إلى ولده، وزوجه بابنته فاطمة. ولاه الوليد المدينة ومكة والطائف من سنة ٨٦هـ ــ سنة ٩٣هـ وأقام للناس الحج، وبنى في مدة ولايته هذه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من أحسن الناس معاشرة لأهل المدينة، وأعدلهم سيرة حتى =

عبدِ الملكِ[1] وختمَهُ ودفعَهُ إليهِ، قالَ: اخرجْ إلى النَّاسِ، فمرهُمْ بالمبايعَةِ على ما فيهِ مختوماً، فلمَّا دعاهُم رجاءُ إلى ذلكَ، وأخبرَهُم بقولِ سليمانَ امتنَعُوا، وقالوا: لا نبايعُ حتَّى نعلمَ (مَنْ)[2] فِيهِ، فَرَجَعَ إلى سليمانَ فأخبَرَهُ، فقالَ سليمانُ: إنطلقْ بأصحابِ الحرسِ ونادِ الصَّلاةَ جامعةً، فإذا اجتمعَ النَّاسُ، فمرْهُمْ بالبيعةِ على ما في الكتابِ فَمَنْ أَبَى فاضْرِبْ عُنقَه، (ففعلتُ)[3] ذلكَ فبايعوا على ما فيهِ[4].

قالَ رجاءُ: فلما خرجوا خرجتُ إلى منزِلي، فبينَما أنا في الطَّريقِ إذْ سمعتُ جَلبةَ موكبٍ فالتفتُّ فإذا هشامُ بنُ عَبدِالملكِ، فقالَ: يا رَجاءُ قد علمتَ موقَعَك مِنَّا وأرَى أميرَ المؤمنينَ قَدْ صَنَعَ شيئاً، ما أدري ما هُوَ، وأنا أتخوَّفُ أنْ يكونَ قَدْ أزالَها عَنِّي، فإنْ يكنْ أزالَها عَنِّي فاخبرْني ما دامَ في الأمرِ نَفَسٌ،

= أنه إذا وقع أمر مشكل، جمع فقهاء المدينة عليه، وعين عشرة منهم فكان لا يقطع أمراً بدونهم. بويع له بالخلافة بعهد من سليمان سنة ٩٩هـ فملأ الأرض عدلاً، ورد المظالم وأحيا السنن الحسنة، ورد ما كان غصبه بنو أمية من أموال المسلمين وصدق ميمون بن مهران، حيث يقول: إن الله كان يتعاهد الناس بنبي بعد نبي وإن الله تعاهد الناس بعمر بن عبدالعزيز، توفي بدير سمعان سنة ١٠١هـ وصلى عليه يزيد بن عبدالملك وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً. فوات الوفيات، ج ٣ ص ١٣٣ ــ ١٣٤؛ تاريخ الخلفاء، ص ٢٢٨ ــ ٢٣٥؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ١١٩ ــ ١٢٠؛ الكامل، لابن الأثير، ج ٤ ص ١٦١؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٩٢ ــ ١٩٦؛ وفيات الأعيان، ج ٦ ص ٣٠١ ــ ٣٠٦.

(١) هو أبو خالد يزيد بن عبدالملك بن مروان. كان يسمى يزيد الماجن، تولى الخلافة بعد عمر بن عبدالعزيز سنة ١٠١ وله من العمر ٣٧ سنة، وتوفي سنة ١٠٥ وكانت أيامه أربع سنوات وشهر. فوات الوفيات، ج ٤ ص ٣٢٢ ــ ٣٢٣.

(٢) في (د): ما.

(٣) في (ب ــ ج ــ د): ففعل.

(٤) البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٨٢؛ تاريخ الخلفاء، ص ٢٢٦ ــ ٢٢٧؛ تاريخ الطبري، ج ٩ ص ١٣٤١ ــ ١٣٤٢.

حتَّى أنظرَ في هذا الأمرِ، قبلَ أنْ يموتَ سليمانُ. فقلتُ: سبحانَ اللهِ، يَسْتكتِمُني أميرُ المؤمنينَ أمراً أطلَعَكَ عليهِ، لا يكونُ ذلكَ أبداً، فداراني فأبيتُ فانصرفتُ، فبينَما أنا أسيرُ سمعتُ جلبةً خلفي، فالتفتُّ فإذا عمرُ بنُ عبدِالعزيزِ، فقالَ: يا رجاءُ إنَّه قد وَقَع في نفسِي، أمرٌ كبيرٌ مِنْ هذا الرَّجُلِ، أتخوَّفُ أَنْ يكونَ قَدْ جعَلَها إليَّ ولستُ أقومُ بِهذا الشَّأْنِ، فأعلمني ما دامَ في الأمرِ نَفَسٌ، لَعلِّي أتخلَّصُ ما دامَ حَيّاً. فقلتُ: سبحانَ اللهِ العظيمِ، يستكتِمُني أميرُ المؤمنينَ أمراً أطلَعَكَ عَليهِ، فداراني فأبيتُ، قالَ رجاءُ: فلمَّا ماتَ سليمانُ أَجلستُهُ وهيأْتُهُ، وخرجتُ إلى النَّاسِ فقالوا: كيفَ أميرُ المؤمنينَ، فقلتُ: قَد أصبحَ ساكِتاً، وَقَدْ أَحَبَّ أَنْ تُسلِّموا عليهِ وتبايعُوا على ما في الكتابِ بينَ يديهِ، فَدخلوا عليهِ، وأَنَا قائمٌ عندَهُ، فلما دنَوا قلتُ: أميرُ المؤمنينَ يأمُركم بالوقوفِ، ثُمَّ تقدَّمتُ إليهِم بالكتابِ، فقلتُ: أميرُ المؤمنينَ يأمُركم أنْ تبايعُوا على ما في هذا الكتابِ بِمرأًى مِنْهُ ومسمعٍ فبايعُوا أجمعينَ[1].

فلمَّا فَرغوا مِنْ مبايَعتِهِم، (قالَ)[2] لَهُم: أجركُم اللّهُ في أميرِ المؤمنينَ. قالُوا: فَمَنْ ففتحوا الكتابَ فإذا فيه العهدُ لِعمرَ بنِ عبدِالعزيزِ، فلما قرأوا عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ تغيرتْ وجوهُهم فلما قرأوا منْ بعدِهِ يزيدَ بنَ عبدِالملكِ تراجعوا، فقالوا أينَ عمرُ بن عبدِالعزيز فطلبُوه فلمْ يجدوهُ في القومِ، فَنَظرُوا فإذا هُوَ في (مُؤَخّرِ)[3] المسجدِ، فأتوهُ فسلَّموا عليه بالخلافةِ،

---

(١) الكامل في التاريخ، م ٤ ص ١٥٢ ـ ١٥٣؛ الطبقات الكبرى، ج ٥ ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨؛ خلاصة الذهب المسبوك، ص ١٨ ـ ١٩؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٨٢ ـ ١٨٣؛ تاريخ الخلفاء، ص ٢٢٧.

(٢) في (ب ـ ج ـ د) قلت.

(٣) في (ج) آخر.

فَعقَرَ فلمْ يستطعِ النُّهوضَ حتى أخذُوا بضبعيهِ فَساروا إلى المنبَرِ فلمْ يقدرْ أنْ يَرقَى حتى أصعدوهُ، فجلسَ طويلاً لا يتكلّمُ. فلما رآهُم رجاءُ جلوساً قالَ ألا تقومونَ فتبايعونَ لأميرِ المؤمنينَ فنهضَ القومُ إليه فبايعوهُ رَجُلاً رجلاً قالَ فما مَدَّ يَدَهُ إليهِم. فلمّا صَعَد هِشامُ مَدَّ يَدَهُ إليهِ. وقالَ هشامُ: إنَّا لِلَّـهِ وإنَّا إليه راجعونَ، فقالَ عُمَرُ نَعَمْ إنَّا لِلَّـهِ وإنَّا إليه راجعونَ حين صارَ يلي هذا الأمرَ أنا وأنتَ ثُمّ قامَ فَخَطَبَ فحمَدَ اللَّـهَ وأثنى عليهِ وقال: «أيُّها النَّاسُ إنِّي لستُ بقاضٍ ولكنِّي مُنَفِّذٌ، ولستُ بمبتدعٍ ولكني متبعٌ وإنَّ حَولَكُم (كثيراً)[1] مِنَ الأمصار والمدنِ، فإنْ هُم أطاعُوا كما أطعتُم فأنا وليُّكم وإنْ هُمْ امتنعُوا فلستُ عليكُم بوالي»، ثُمَّ نَزَل يَمشي فأتاهُ صاحبُ المراكبِ، قالَ ما هذا قالَ مراكبُ الخليفةِ، قال لا حاجةَ لي بهذا فَأْتوني بدابّتي فأتوا بدابتِهِ، فركِبَهَا ثُمَّ خرجَ وخَرَجُوا مَعَهُ، فقالوا نسيِّرُها هُنا قال: إلى أينَ؟ فقالوا: إلى البيتِ الذي يُهيَّأُ للخليفة، فقال: لا حاجةَ لي فيهِ، انطلقُوا بـي إلى منزلي، فأتى منزلَهُ فنزلَ عَنْ دابتِهِ، ثُمَّ دَعا بدواةٍ وقِرطاسٍ وجَعَلَ يكتُبُ بيدِهِ إلى العُمَّالِ والأمصارِ ويملي على نَفْسِهِ[2]. وقيلَ أنَّه كانَ رُبَّما اشتريْتُ لَهُ الحِلةُ بِأَلْفَيْ دِرْهَمٍ قبل

---

(١) زيادة من (ج).

(٢) تاريخ الخلفاء، ص ٢٢٧؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٨٢، وفيه أن كل هذا كان قبل دفن سليمان، بدليل قوله بعد أن ساق الخطبة ثم نزل فأخذوا في جهاز سليمان قال الأوزاعي فلم يفرغوا منه حتى دخل وقت المغرب فصلى عمر بالناس صلاة المغرب، ثم صلى على سليمان ودفن بعد المغرب. فلما انصرف عمر أتي بمراكب الخلافة فأبى أن يركبها وهذا يخالف ما ذكره ابن سعد في الطبقات، ج ٥ ص ٢٥٠ من أنه لما دفن سليمان بن عبدالملك أتي بدابة سليمان فلم يركبها ثم خرج إلى المسجد فحمد الله وأثنى عليه.. ثم ساق الخطبة وذكر المسعودي في مروج الذهب، ج ٢ ص ١٤٤، أن هشام لم يبايع إلا بعد يومين. ورواية الطبري، ج ٩ ص ١٣٤٤، تؤيد رواية ابن كثير وأن هشاماً بايع في نفس اليوم وأن المبايعة حصلت قبل دفن سليمان/ الكامل في التاريخ، م ٤ ص ١٥٢ ـ ١٥٣.

الخلافةِ فيقولُ أَمَا وجدتُم ألينَ مِنْ هَذه فلمّا وُلّيَ الخلافَةَ كانَ يشتري لَهُ الحِلّةُ بأربعةِ دَرَاهِمَ فيقولُ: أما وجدتُم أغْلظَ منها، فقيلَ لهُ في ذلك فقالَ إنَّ لي نفساً توّاقةً لا تصلُ إلى منزلةٍ إلا تاقت إلى ما هُوَ أعلى مِنْهَا، فَلَمّا نالتِ الخلافَةَ تاقتْ إلى ما هُوَ أعلى مِنْهَا فلم تجدْ في الدُّنيا ما هو أرفعُ مِنَ الخلافةِ فتاقتْ إلى الآخرةِ وإلى ما أعدَّ اللَّـهُ فيها(١).

وقيلَ ق/٤١ إنَّ ثيابَهُ قُوِّمَتْ عَلَيْهِ يومَ الجمعةِ، وهُوَ يخطُبُ باثني عشرَ دِرْهَمٍ وكانتْ قميصاً وسراويلَ وعِمامةً ورداءً. مـلأ الأرض عَدْلاً ورَفَـعَ (السَّبَّ)(٢) (عن أميرِ المؤمنينِ عليِّ بنِ أبـي طالب كَرَّمَ اللَّـهُ وجهَهُ)(٣) على المنابِرِ وَأَمَرَ الخطباءَ أن يقولوا في آخِرِ الخطبةِ، في الموضِعِ الذي كانوا يذكرونَ اللَّعْنَ(٤) فيهِ ﴿إنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُ بالعَدْلِ والإحْسانِ وإيتاءِ ذِي القُرْبَـى وَيَنْهَى عنِ الفَحْشَـاءِ والمُنْكَـرِ والْبَغْيِ يَعِـظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَـذَّكَّـرون﴾(٥).

ولَما حضرتْهُ الوفاةُ دَعَا بنيه وكانوا أحدَ عشر رجلاً، ولمْ يُخَلِّفْ غيرَ بِضعِ عَشَرَ دينار، فأمرَ أَنْ يُكَفَّنَ ويُشتَرى لَهُ موضعٌ يُدْفَنُ فيه (بخمسةِ دنانير)(٦) وَيُقصدُ المالُ على وارثيهِ فأصابَ كلُّ ابن مِنْهُم نِصفَ دينارٍ وربع دينار وقالَ: يا بنيَّ ليسَ لي مالٌ فأوصي فيهِ ولكنّي قَدْ تركتُكُمْ وما لِأحدٍ عِنْدَكُمْ تَبِعَةٌ ولا يقعُ على أَحَدٍ مِنْكُم

---

(١) البداية والنهاية، ج ٩ ص ١٨٤ و٢٠٨؛ عيون الأخبار، م ١ ج ٣ ص ٢٣١؛ بدائع السلك، ج ١ ص ١١٣؛ مروج اذهب، ج ٢ ص ١٤٥ ـ ١٤٦؛ تاريخ الخلفاء، ص ٢٣٦.

(٢) في (ج ـ د) اللعن.

(٣) ساقطة من (ب ـ ج ـ د).

(٤) تاريخ الخلفاء، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤؛ الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٢٩؛شرح نهج البلاغة، م ١ ص ٣٥٧؛ المختصر في أخبار البشر، ج ١ ص ٢٠١.

(٥) آية ٩٠، من سورة النحل.

(٦) في (ج) أحد عشر دينار.

عينُ أَحَدٍ إلا ويرى لَكُم عليهِ حقّاً. فقالَ له مُسلِمةُ بنُ عبدِالملكِ[1] أوْ خيرٌ مِنْ ذَلِكَ يا أميرَ المؤمنينَ قال ومَا هُوَ قال هذِهِ ثلاثُ مائةِ ألفِ دينارٍ، فرقها فيهم وإن شئتَ فتصدَّقْ بها، وأوصِ فيها بما شئتَ، فقالَ أوْخيرٌ من ذلكَ يا مسلمةُ تردُّها إلى مَنْ أخذتها مِنْهُ، فإنَّها ليستْ لَكَ بحقٍّ. ثم قالَ إنَّ وَلَدي أحدُ رجلين، فإمَّا صالحٌ فاللَّـهُ يتولى الصالحين، وإمَّا فاسقٌ فلا أُحِبُّ أنْ أترِكَ لهُ ما يستعينُ بِهِ على معصيةِ اللَّـهِ فقال مسلمةُ يرحمُكَ اللَّـهُ يا أميرَ المؤمنينَ حيّاً وميِّتاً، فقدْ ألنتَ لنا قلوبـاً قاسيةً وذكّرْتَها وكانتْ ناسيةً وأبقيتَ لنا في الصالحاتِ ذكراً، فيقالُ إنَّه ما رُؤِيَ أحدٌ مِنْ أولادِ عُمَرَ بنِ عبدِالعزيزِ إلا وهو غنيٌّ ولَقَدْ شُوهِدَ أحدُهُم وقد جَهَّزَ مِنْ خالِص مالِهِ، مائةَ فارسٍ على مائةِ فَرسٍ في سبيلِ اللَّـهِ تعالى[2]. ولمّا حضرتْ هِشامُ بنُ عبدِالملكِ[3] الوفاةُ،

---

(١) هو أبو سعيد مسلمة بن عبدالملك بن مروان، القرشي الأموي من رجالات بني أمية. ولي الموسم، أيام أخيه الوليد، غزى الروم غزوات وحاصر القسطنطينية تولى العراقين ليزيد بن عبدالملك ثم عزله وولاه أرمينيا وقيل أنه كان في غزواته كخالد بن الوليد في أيامه وهذا رأي ابن كثير في البداية والنهاية، أوصى بثلث ماله لأهل الأدب توفي سنة ١٢٠هـ وقيل سنة ١٢١هـ/ البداية والنهاية، ج ٩ ص ٣٢٨؛ المعارف، ص ٢٤٨ ــ ٢٤٩؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٨٥.

(٢) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١٨٣ ــ ١٨٤؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ٢١٠؛ العقد الفريد، ج ٥ ص ١٧٤ ــ ١٧٥.

(٣) هو هشام بن عبدالملك بن مروان بن الحكم. يكنى أبا الوليد، ولد سنة ٧٢ للهجرة وبويع له بالخلافة بعد أخيه يزيد بن عبدالملك بعهد منه إليه وكان له من العمر أربع وثلاثون سنة، وهو الرابع من ولد عبدالملك الذين ولوا الخلافة وكان هشام في خلافته حازم الرأي شديد الجمع للمال قليل البذل متيقظاً، لا يغيب عنه شيء من أمر ملكه وكان مع ذلك فيه حلم وأناة، ذا سياسة حسنة. ويعتبره المؤرخون بحق ثالث خلفاء بني أمية بعد معاوية وعبدالملك. حتى قال المسعودي ختمت به أبواب السياسة وحسن السيرة وكان المنصور في أكثر أموره وتدبيره وسياسته متبعاً لهشام بن عبدالملك في أفعاله لكثرة ما كشف عن أخبار هشام توفي بالرصافة سنة ١٢٥ هـ وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام وكانت أيامه تسعة عشر سنة وسبعة أشهر/ مروج الذهب للمسعودي، ج ٢ =

خَلَّفَ أَحَدَ عشر ابناً، كما خَلَّف عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزَ، وأوصى فأصابَ كُلُّ ابنٍ ألفَ ألفِ دينارٍ. فيقالُ إنَّه ما رُؤِيَ أَحَدٌ مِنْهُم إلاّ وهُوَ فَقيرٌ ولَقَدْ شُوهِدَ أحدُهم وهو يوقِدُ في الأتونِ(١). ووجدتُ في كتابِ تفاوتِ التواريخِ أَنَّ هِشامَ ابن عبدِالملكِ، كانَ يأكلُ من بيتِ المالِ كلَّ سَنَةٍ مائتي دِرْهَمٍ وأَنَّهُ كانَ ديوانُهُ من بيتِ المالِ، كديوانِ بعضِ الجُنْدِ(٢). وحُكِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قالَ أرسلَني هشامُ إلى خرسانَ وكانَ عليهِ إذْ ذاكَ، قِباءُ أخضرُ، فلمّا رَجعتُ مِنْ خرسانَ (رأيتُهُ عليه)(٣)، قال تنظرُ إلى هذا القباءِ، واللّـهِ كانَ عليّ قبلَ الخلافةِ ومالي غيرُهُ(٤). وَفقدَ بعضُ (أولادِهِ)(٥) في الجمعةِ فسأَلَهُ عن تأخرِهِ فقالَ نفقتْ دابتي، يَعني ماتتْ، فقالَ أَعجزْتَ عَنِ المَشْيِ، ثُمّ تسقُطُ عنكَ

= ص ١٦١ ــ ١٦٥؛ فوات الوفيات، ج ٤ ص ٢٣٨ ــ ٢٣٩؛ تاريخ الخلفاء، ص ٢٤٧ ــ ٢٥٠؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ١٦٣ ــ ١٦٤؛ تاريخ الطبري، ج ٩ ص ١٧٢٨ ــ ١٧٣٢؛ العقد الفريد، ج ٥ ص ١٧٩ ــ ١٨٤.

(١) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١٨٤؛ وفي البداية والنهاية، ج ٩ ص ٢١٠. ولقد رأينا بعض أولاد عمر بن عبدالعزيز يحمل على ثمانين فرس في سبيل الله، وكان بعض أولاده سليمان بن عبدالملك مع كثرة ما ترك لهم من الأموال يتعاطى، ويسأل من أولاد عمر بن عبدالعزيز، لأن عمر وكل ولده إلى الله عز وجل، وسليمان وغيره إنما كلون أولادهم إلى ما يدعون لهم، فيضيعون وتذهب أموالهم في شهوات أولادهم.

(٢) ذكر الطبري، ج ٩ ص ١٧٣١ ــ ١٧٣٢، أنه لم يكن أحد من بني مروان يأخذ العطاء إلا عليه الغزو فمنهم من يغزو ومنهم من يخرج بدلاً وكان لهشام ابن عبدالملك مولى يقال له يعقوب فكان يأخذ عطاءهشام مائتي دينار ودينار يفضل بدينار فيأخذها يعقوب ويغزو.

(٣) في (د) رأيت عليه ذلك القباء.

(٤) الطبري، ج ٩ ص ١٧٣٠ وفيه أن الذي ذكر ذلك هو عقال بن شبه وهو الذي وجهه إلى خرسان/ البداية والنهاية، ج ٩ ص ٣٥٣، وفيه أنه قال دخلت على هشام وعليه قباء فتك أخضر فوجهني إلى خرسان ثم جعل يوصيني وأنا أنظر إلى القباء ففطن وقال مالك تنظر إلى هذا القباء.

(٥) في (ب ــ ج ــ د) ولده.

الجُمعةُ فمنعَهُ (الركوبَ)[1] سنةً[2]. وروِيَ أنَّ عُروةَ بنَ أذينَةَ[3] أتى مَعَ جَماعةٍ من الشُّعراء إلى هشامِ بنِ عبدِالملكِ فانتسبَهم فانتسبُوا فلما انتسبَ له عِروةُ قالَ ألستَ القائلُ:

لقد علمتُ وما الإسرافُ[4] من خُلُقي أنَّ الذي هُوَ رِزقي سَوْفَ يأتيني
أَسعى إليه فيُعْييني تطلُّبه ولو أقمتُ أتاني لا يُعَنّيني

فقالَ نعمْ أنا قائلُها، قالَ أفلا قعدتَ حتى يأتيكَ رزقُكَ، وغفل عَنْهُ هِشامُ فخرَجَ مِنْ وقتِهِ وَرَكِبَ راحِلَتَهُ ومَضى منصرِفاً. فتفقَّدهُ هشامُ فَعرف خبرَهُ فاتبعَهُ بجائزتِهِ وقالَ لِلرسولِ (قُلْ لَهُ)[5] أردتَ أَنْ تكذِّبَنا وتُصدّقَ نفسَكَ، فمضى الرسول فَلَحِقَهُ، وقَدْ نزلَ على ماءٍ يَتَغَذّى عليهِ فأبلَغَهُ رسالَتَهُ ودَفَعَ إليهِ الجائزةَ، فقالَ قُلْ لَهُ قد صَدَقَني ربي وكذّبَكَ[6].

وَوَفدَ على هشامٍ وفدُ أهلِ الحجازِ فتكلّموا رَجُلاً رجُلاً حتّى قامَ محمّدُ بنُ أبي الجهمِ[7] بنِ حذيفةَ العَدَويّ وكانَ أعظم القومِ قَدْراً وأكبرَهُمْ سنّاً،

(١) في (ج ـ د) فمنعه الدابة.

(٢) الطبري، ج ٩ ص ١٧٣٣؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ٣٥٢.

(٣) هو عروة بن أذينة الليثي الشاعر الحجازي المشهور، كثير القناعة وله في ذلك أشعار سائرة روى عنه مالك في الموطأ وكان من فحول الشعراء وفد على عبدالملك بن مروان توفي في حدود ١٣٠هـ/ وفيات الأعيان، م ٢ ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦.

(٤) في الأصل الإسراف وهي الأشراف بالشين لأنه يريد أن ينفي عن نفسه الحرص والتهالك ومنه الحديث: «من أخذ الدنيا باشراف لم يبارك له فيها».

(٥) زيادة من (ج).

(٦) وفيات الأعيان، م ٢ ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦؛ الفرج بعد الشدة، ص ١٤٧ ـ ١٤٨.

(٧) الصواب أنه إسماعيل بن أبي الجهم، كما ذكره صاحب لباب الآداب، وصاحب المستجاد، والأمالي، وليس محمد بن أبي الجهم لأن محمد بن أبي الجهم ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل يوم الحرة سنة ٦٣هـ على ما ذكره ابن سعد في الطبقات، ج ٥ ص ١٢٨؛ الاستيعاب، ق/٣ ص ١٣٦٨، بينما هشام بن عبدالملك =

فقالَ: أصلحَ اللّـهُ الأميرَ إنَّ خُطباءَ قريشٍ، قَدْ قالتْ فيكَ فأقلَّتْ وأكثَرَتْ وأطنبتْ، وواللّـهِ ما بلغَ قائلُهُم قَدْرَكَ، ولا أَحصَى (مُطْنِبُهم)[1] فضلَكَ، فإنْ أذِنْتَ في القوْلِ قلتُ قالَ: قُلْ وأوجِزْ قالَ تولاّكَ اللّـهُ بالحُسنى وزَيَّنَكَ بالتّقوى وجَمَعَ لَكَ خَيْرَ الآخرَةِ والأولى. إنَّ لي حوائجَ فأذكُرُها، قالَ هاتِها قالَ كَبُرَ سنّي ودَقَّ عَظْمي (ومالَ)[2] الدَّهرُ مِني فإنْ رَأى أميرُ المؤمنينَ أَنْ يُجْبَرَ كَسْرِي ويُنْفَى فَقْرِي فَعَلَ قالَ وما الذي يَنفي ق/٤٢ فقرَكَ، ويجبرَ كسركَ، قالَ ألفُ دينارٍ وألفُ دينارٍ وألفُ دينارٍ فأطرقَ هِشامُ (قليلاً)[3]، ثُمّ قالَ هيهَاتَ (هيهات)[4] يا ابن أبـي الجهْمِ بيتُ المالِ لا يحتَمِلُ ما سألتَ، ثُمّ قالَ هيه وما هِيه أَما واللّهِ إنَّ أميرَ المؤمنينَ لواجِدٌ، ولكنَّ اللّهَ آثركَ لمجلسِكَ، فإنْ تُعطِنَا فحقّنا أدّيْتَ، وإنْ تمنَعنا فنسألَ الذي بِيدِهِ ما حَويْتَ يا أميرَ المؤمنينَ إنَّ اللّـهَ جعلَ العطاءَ محبةَ والمنعَ مبغَضَةً واللّـه لَئِنْ تُعْطِني فأُحبك أحبُّ إلـيَّ مِنْ أنْ (تحرَمني)[5] فأبغضُكَ قالَ فألفُ دينارٍ لماذا قالَ أَقضِي بها دَيْناً عليَّ حَمَّ قضاؤه وآذاني حَمْلُهُ وأضر بـي أهلُهُ، قالَ فلا بأسَ بتنفيسِ كُربةٍ وتأيدةِ أمانةٍ، وألفُ دينارٍ لماذا قالَ أزوّجُ بِها مَنْ بَلَغَ مِنْ (أولادي)[6]، قالَ نَعَمْ المسلكُ سلَكتَ، غضضتَ بصراً، وأعففتَ فرَجاً، ورجوتَ نسْلاً. قالَ فألفُ دينارٍ لماذا قالَ أشتَري بِها أرضاً يعيشُ بها وَلَدي، وأستعينُ بفضلِهَا على

= ولد سنة ٧٢هـ وبويع له بالخلافة سنة ١٠٥هـ ولم ينسبها إلى محمد بن أبـي الجهم إلا صاحب العقد الفريد وهو خطأ.

(١) في (د) مصيبهم.

(٢) في (ب ــ ج ــ د) ونال.

(٣) في (ب ــ ج ــ د) طويلاً.

(٤) زيادة من (ب ــ د).

(٥) في (ج) تمنعني.

(٦) في (ب) ولدي.

نوائِبِ دَهري، وتكونُ ذُخراً لِمن بَعْدي. قالَ: فَإِنَّا قَدْ أَمَرنا لَكَ بِما سألتَ فقالَ الحمدُ للّـهِ على ذلكَ فأتبعَهُ هِشامُ بصرَهُ وقالَ: إذا كان القرشيُّ، فليكُنْ مِثْلَ هذا، ما رأيتُ رَجُلاً أوجزَ في مقالٍ مِنْهُ ثمّ قالَ أما واللّـهِ إنَّا لَنعرفُ الحقَّ إذا نَزَلَ ونَكرهُ الإسرافَ والبخلَ، فلا نُعْطي تبذيراً، ولا نمنع تقتيراً، وما نَحْنُ إلا خُزانُ اللّـهِ في بلادِهِ، وأمناؤُهُ على عِبادِهِ، فإن أَذِنَ أعطينا، وإِنْ مَنَعَ أبينا، فلو كانَ كُلَّ قائِلٍ يُصَدَّقُ وكُلُّ سائِلٍ يستَحِقُّ ما حَرَمْنَا سَائِلاً ولا جبهنا قائلاً. فنسأَلَ مَنْ بِيدِهِ ما استخفضناه أَنْ يجريه على أَيْدينا فإِنَّهُ يفتحُ الرِّزقَ لِمَنْ يشاءُ ويقدِرُ إنَّهُ بعبادِهِ خبيراً بصيراً. فقالوا يا أميرَ المؤمنينَ لَقَدْ تكلّمتَ فأبلغتَ، وما بَلَغَ في كلامِهِ ما قصصتَ فقالَ إنَّه مبتدىءُ وليسَ المقتدِي كالمبتدي[1].

(وخَطَبَ)[2] خالدُ بنُ عبدِاللّـهِ القسريُّ[3] وَقَدْ أُرْجِفَ بموتِ هِشام بنِ عبدِالملكِ فقالَ ما هذهِ الجماعةُ التي قد أَلِفها الطَّيْشُ واستخفَّها الجهلُ وأقبلتْ (دبرَ)[4] الوجوهِ قد أَشْخَصَ لها الرجيمُ نصباً فأوقصتْ إليهِ وأناخَ قعودَ الضلالةِ فاحتملتْ عليهِ أوْ كُلّما خَطَرَتْ للشياطينِ بينَ أظهرِكُمْ (خطوةً)[5]

(١) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ٢١٤ ــ ٢١٥؛ ولم يكمل القصة حتى النهاية، صبح الأعشى، ج ١ ص ٢٦٤ ــ ٢٦٥؛ الأمالي، ج ١ ص ١٨٤؛ العقد الفريد، ج ٥ ص ١٨٢ ــ ١٨٣؛ لباب الآداب، ص ١٤٦ ــ ١٤٧.

(٢) في (د) كتب.

(٣) هو خالد بن عبدالله بن يزيد القسري، والقسري بفتح القاف وسكون السين نسبة إلى قسر بن عبقر بطن من بجيلة كان أمير العراقين من جهة هشام بن عبدالملك الأموي. ولي مكة سنة ٨٩ للهجرة ولجده يزيد صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وزعموا أن خالداً كان من جملة خطباء العرب، وكان جواداً كثير العطاء. وإن كان الأتابكي في النجوم الزاهرة يقول: وكان بخيلاً على الطعام جداً. وقال ابن معين فيه خالد رجل سوء يقع في علي رضي الله عنه ولي العراق لهشام وهلك تحت التعذيب سنة ١٢٦هـ وله ستون سنة/ شذرات الذهب، ج ١ ص ١٦٩؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٩٨؛ وفيات الأعيان، م ٢ ص ٢٢٦، ٢٣١.

(٤) في (ب) ربد.

(٥) في (ب ــ ج ــ د) خطرة.

أوكَادَ كم ينكر، أوبَعَثَ فيكُمْ مُنكراً، أقبلتُم قمصاً[1]، وسعيتُم حرصاً. فتَعْسَاً ونُكْساً قلتُم ماتَ هِشامُ، أفبدعٌ الموتُ أومستنكَرٌ أومبرّأٌ مِنْهُ أَحَدٌ قَدْ مَاتَ الذي خلقَهُ اللّـهُ ونفخَ فيهِ مِنْ رُوحِهِ وأسجَدَ له ملائكَتَهُ أخرُجوا يا فراشَ النَّارِ وبَقِيَّةَ الأشرار.

وخَطَبَ مَرَّةً فارتجَّ عليهِ[2] فقالَ: أيُّها الناسُ إنَّ القولَ يجيىءُ أحياناً، ويعزُبُ أحياناً، فيتيسرُ عندَ مجيئِهِ سَبَبُهُ، ويعزُّ عِنْدَ ذَهابِهِ طَلَبُهُ، وربَّما طلبَ فَأَبَى وَكُوبِرَ فعَصى، فالتأنِّي لمجيئِهِ أَيْسَرُ مِنَ التَّعاطي لأَبِيِّهِ وقَدْ يختَلِجُ مِن الجريءِ جَنانُهُ، ويرتجُّ على البليغِ لسانُهُ فَلاَ يغيِّرُهُ المنطقُ إذا امتنَعَ كما لا يبطُرُهُ القولُ إذا اتَّسَعَ[3].

ودخلتْ امرأةٌ مِنْ بَنِي كِلابٍ، على خالدِ القِسْرِيِّ، وهُوَ في مَجْلِسِهِ فَسَلَّمْتَ عليهِ وأنشدْتُهُ شِعْراً. فقالَ لها خالدُ ما حاجتُكَ، قالتْ عندِي للأميرِ نصيحةٌ. قالَ وَمَا هِيَ قالتْ أَكَبَّ على دَهْرُ بجرانهِ[4]، وعضَّنا بنابِهِ، فما تركَ لنا سَبْداً، ولا لُبَداً[5] ولا ماهياً[6]، ولا صافياً[7]، فما بِنا خفضٌ ولا نَبضٌ.

---

(١) قمص الفرس وغيره يقمص قمصاً بالضم والكسر إذا صار عادة له/ القاموس المحيط.

(٢) ارتج على القارىء إذا لم يقدر على القراءة وقيل الرتاج الباب المغلق/ مختار الصحاح.

(٣) بهجة المجالس وأنس المجالس، ق/١ ص ٧٤؛ العقد الفريد، ج ٤ ص ٢٠٣؛ آمال المرتضى، ج ٢ ص ١٠٢، ثم قال تعقيباً فيما رؤي حصر أبلغ منه، عيون الأخبار، م ١ ج ٥ ص ٢٥٧؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٨.

(٤) الجران: مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره، فإذا برك البعير ومد عنقه على الأرض قيل ألقى جرانه بالأرض/ القاموس المحيط.

(٥) السبد: حلق الشعر كالأسباد والتسبيد وبالكسر الذئب والداهية وماله سبد ولا لبد محركتان أي لا قليل ولا كثير/ القاموس المحيط.

(٦) الماهي: من المهو الرطب واللؤلؤ واللبن الرقيق الكثير الماء.

(٧) والصفى خالص كل شيء والناقة الغزيرة: القاموس المحيط. تريد أن تقول ذهبت الإبل وما ينتج عنها.

فكنتَ أنتَ المنتجَعُ[1] وإليكَ المفزَعُ. فنصيحتي أصلحَ اللّـهُ الأميرَ، أنْ تأمرَ لي بخادمٍ، وما يُصْلِحني وإياهُ فواللّهِ لقد عُودتُ الرّخاءَ، وما قاسيتُ الشَّقاءَ. قالَ خالدٌ هذه نصيحةٌ لكِ دونَنا قالتْ أيُّها الأميرُ ليستْ لي دونَك، لَكَ أجرُها وذِخْرُها، وحمدُها وشكرُها، ولي منفعتُها معَ أنَّ الأجوادَ لوْلَمْ يَجِدوا، مَنْ يقبلُ العطاءَ ما ذُكروا بالسَّخاءِ قال صدقت فَهَلْ لَكِ مِنْ زوجٍ، قالتْ واللّـهِ ماليَ زوجٌ، ولا وجدتُ كُفئاً ولا أتزوّجُ (دَنِيّاً)[2]، وإنْ كانَ مُتْرَفاً غنيّاً، ولئنْ كنتُ فقدتُ نسباً، ما فقدتُ حسباً، وما كنتُ أشتري عاراً يبقى، بمالٍ يفنى. أعوذُ بجلالِ اللّـهِ مِنْ ذَلِكَ، وماليَ أبقَ اللّـهُ الأميرَ بزوجٍ مِنْ أربِ. فأمرَ لَها بِخادمٍ، وما يصلُحُها، وأَمَر صاحبَ نفقاتِهِ أن يُجري لهما ما وَسِعَهُما.

وَرُوِيَ ق/٤٣ عَنِ الوليدِ بنِ يزيدَ[3] مَعَ ما كـانَ فيهِ مِنَ الخـلاعَةِ واللعب، والتهاونِ بالدّينِ أَنَّه لما وُلّي أَجْرَى على الزّمنَى والعميانِ، وكساهُمْ وأعطى كلَّ واحدٍ مِنهُم خادماً، وزادَ النَّاسَ، على ما كانَ يُعطيهِم هشامُ، وَلَمْ يسأَلْ سائِلاً قَطُّ، إلا قالَ نَعَمْ وأعطاهُ[4]. وكانَ أديباً شاعراً، فَمِنْ أحسنِ قَولِهِ

(١) انتجع القوم إذا ذهبوا لطلب الكلاء في موضعه ونجع الدواء ظهور أثره/ المصباح المنير.

(٢) في (ج ـ د) غنياً.

(٣) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، الخليفة الفاسق لقب بخليع بن مروان والفاتك والزنديق. ولد سنة ٩٠هـ، وقيل ٩٢هـ، وأمه بنت محمد بن يوسف الثقفي، فالحجاج عم أمه. بويع له بالخلافة سنة ١٢٥هـ، وهو مقيم بالرصافة فصدرت عنه الأمور القبيحة، من شرب الخمر والفجور، وانتهاك محارم الله. فخرج الناس عليه، ففتح المصحف يقرأفتسوروا عليه، فضربه عبد السلام اللخني على رأسه، وضربه آخر على وجهه وحزوا رأسه، وكان ذلك سنة ١٢٦هـ، وله أربعون سنة وكانت أيامه سنة وشهرين وأياماً. فوات الوفيات، ج ٤ ص ٢٥٦ ـ ٢٥٩. النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩. تاريخ الخلفاء، ص ٢٥٠ ـ ٢٥١. البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٦ ـ ٨. مروج الذهب، ج ٢ ص ١٦٧.

(٤) الطبري، ج ٩ ص ١٧٥٤. البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٤.

ما (حدَّثني)[1] اسحاقُ الموصليُّ[2] قالَ: دخلتُ يوماً على الرَشيدِ، وَهُوَ مستلْقٍ وَهُوَ يقولُ أحسنَ واللهِ أظرفُ قريشٍ، وأفتاها (وأسْخاها)[3]، وأشعرُها وأغزلُها. فقلتُ مَنْ هُوَ يا أميرَ المؤمنينَ وفي أيِّ شيءٍ، فقالَ: أمَّا بَعْدُ ما سمعتَ مني في وَصفِهِ فلا أُسمِّيهِ ولكنْ أذكرُ الشِّعرَ فإنْ كنتَ تعرفُهُ فاكتمْ عنِّي ما سمعتَ مِنِّي وهو الذي يقولُ:

لا أسألُ اللَّهَ تغييراً لِما صنعتْ ... نامت وإن أسهرت عَيْنيَّ عَيْناها

فالليلُ أطولُ شيءٍ حين أفقدُها ... والليلُ أقصرُ شيءٍ حينَ ألقاها[4]

أتعرِفُه قلتُ لا بصوتٍ ضعيفٍ، قال بحياتي، فقلتُ بَلى وحياتِكَ هُوَ الوليدُ بنُ يزيدَ، فضحكَ وقالَ ما قلتُ في وصفِهِ إلا دونَ ما يستحِقُّ وَلكنَّ المُلكَ عقيمٌ.

وكتبَ إلى هشامِ بنِ عبدِ الملكِ برسالةٍ وفي آخرِها شِعْرٌ:

رأيتُكَ تبني دائماً في قطيعَتي ... ولو كنتَ ذا حزمٍ لهدمتَ ما تبني

تثيرُ عليَّ الباقينَ مني ضغينةً ... فويلٌ لَهُم إنْ مِتُّ مِنْ شَرِّ ما تَجْني

كأنّي بِهِمْ واللَّيْتَ أكثر قَولهمْ ... ألا ليتنا كنا إذا ليت لا تُغْني[5]

---

(١) في (ب ـ ج): حدث.

(٢) هو أبو محمد إسحاق بن ابراهيم التميمي. ولد سنة ١٥٠هـ، وكان إماماً عالماً، إخبارياً نافق السوق عند الخلفاء. ويعد من الأجواد، وكان المأمون يقول: لولا ما سبق لإسحاق على ألسنة الناس، واشتهر بالغناء، لوليته القضاء، توفي سنة ٢٣٥هـ. وفيات الأعيان، م ١ ص ٢٠٢ ـ ٢٠٥. شذرات الذهب، ج ٢ ص ٨٢. البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٣١٤. النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٢٨٠.

(٣) ساقطة من (ب ـ ج ـ د).

(٤) فوات الوفيات، ج ٤ ص ٢٥٨. شعر الوليد بن يزيد، ص ١٣١.

(٥) شعر الوليد بن يزيد، ص ١٢٥. الفخري، في الآداب السلطانية، ص ١٣٤. تاريخ الخلفاء، ص ٢٥١. تاريخ الطبري، ج ٩ ص ١٧٤٩.

وقالَ أيضاً وَقَدْ رَجَعَ إليهِ جوابُ هشامٍ بما يكرهُهُ:

أليسَ عجيباً أَنْ أرى كلَّ واردٍ حياضَكَ يوماً صادراً بالنَّوافِلِ
وأرجعِ مجذوذَ الرَّجاءِ مُصَرَّداً بتخلِّيه عَنْ وردِ تلكَ المناهلِ(1)

وقالَ أيضاً فيه:

أَنا النَّذِيرُ لمُسْدِي نِعْمَة أَبداً إلى المَقاريف ما لَمْ يَخْبُرِ الدَّخَلا
إنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَهُمْ أَلْفيْتَهُمْ بُطُراً وإنْ أهَنْتَهُمْ أَلْفَيْتَهُمْ ذُلُلا
أَتَشْمُخُونَ ومِنّا رأسُ نِعْمَتِكُمْ سَتَعْلَمُونَ إذا كانَتْ لَنا دُوَلا
انْظُرْ فإنْ أنت لم تقدر على مَثَلٍ لهم سِوَى الكلْبِ فاضرُبْهُ لهم مَثَلا
بَيْنما يُسَمِّنُهُ للصَّيْد صاحِبُهُ حَتَّى إذا ما قوي من بعدما هزلا
عدا عليه فَلَمْ تَضْرُرْهُ عَدْوَتُهُ ولَوْ يطيق له أكْلاً لَقَدْ أَكَلا(2)

وذلكَ أَنَّ يزيدَ بنَ عبدِ الملكِ، كَانَ قَدْ أخذَ البيعةَ لِأخيهِ هشامٍ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ لابنهِ الوليدِ. وَلَمّا قَتل يزيدُ بنُ الوليدِ بنُ عبدِ الملكِ(3)، الوليدَ بنَ يزيدٍ(4) وَوُلي الخِلافةَ خَطَبَ فَحَمَدَ اللهَ وأثنَى عليهِ أيُّها الناسُ واللهِ ما

---

(1) شعر الوليد بن يزيد، ص ١٠٤.

(2) تاريخ الطبري، ج ٩ ص ١٧٤٥. شعر الوليد بن يزيد، ص ٩٤.

(3) هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان. لقب بالناقص لأنه نقص ما كان زاده الوليد، في اعطيات الناس، وهي عشرة دراهم ورده إياهم إلى ما كان الأمر عليه في زمن هشام. ولد في الكعبة سنة ٩١ للهجرة، في حياة جده عبد الملك، وأمه شاهفرند بنت فيروز بن يزد جرد، بويع له بالخلافة سنة ١٢٦هـ وله من العمر ٣٥ سنة، وكانت خلافته خمسة أشهر ويومين، توفي في ذي الحجة سنة ١٢٦هـ، ويقال أنه كان من أبلغ بني أمية. وكان فيه زهد وعدل، لكنه كان قدري، فلقد ذكر صاحب شذرات الذهب عن الشافعي قوله: ولي يزيد بن الوليد فدعا الناس إلى القدر وحملهم عليه. شذرات الذهب، ج ١ ص ١٦٧. النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٩٩ ــ ٣٠٠. فوات الوفيات، ج ٤ ص ٣٣٣.

(4) تقدمت ترجمته، ص ٣٠٦.

خرجتُ (بَطِراً ولا أَشِراً)[1]، وَلا رياناً ولا حِرْصاً على الدُّنيا، ولا رغبةً في الملكِ. وما بـي اطراءٌ لنفسي إني لظلومٌ لَها إلا ما يرحمُني اللـهُ عزَّ وجلَّ. ولكنّي خرجتُ غَضَباً للـهِ عزَّ وجلَّ ولدينِهِ، داعياً إلى اللـهِ وإلى سنَّةِ نبيهِ صلّى اللـهُ علَيْهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ، لَمَّا هُدِّمتْ معالمُ الدِّينِ، وأُطْفِيءَ نورُ التَّقوى، وَظَهَرَ الجبارُ العنيدُ، (مُستخفاً بِكلِّ حرمةٍ)[2] وراكِباً لِكلِّ بِدعةٍ، الكافرُ بيومِ الحسابِ وإِنَّهُ لابنُ عمِّي في النَّسَبِ وَكُفئي في الحَسَبِ، فَلمَّا رأيتُ ذلكَ، استخرتُ اللـهَ تعالى في أمرِهِ، وسألتُهُ أنْ لا يكَلني (على نفسي)[3]، ودعوتُ إلى ذلكَ مَنْ أجابني مِنْ أهلِ وِلايتي حتَّى أراحَ اللـهُ مِنْهُ العبادَ، وطهَّرَ مِنْهُ البلادَ، بحولِهِ وقوّتِهِ، لا بِحولي وقوَّتي. أيُّها الناسُ إنَّ لكم عليَّ أنْ لا أضعَ لبنةً على لبنةٍ ولا حجَراً على حجرٍ ولا أكنِزُ مالاً ولا أُعطيه زوْجاً ولا ولداً ولا أنقُلُهُ مِنْ بَلَدٍ إلى بَلَدٍ أخرى حتى أَسُدَّ (فقرَ)[4] تِلكَ البلدِ ولا أجبرُكم في ثُغورِكُم، حَتَّى أفتتنَ أهليكم، ولا أُغلِقُ بابـي دونَكُم، فيأكلَ قويُّكُم ضعيفَكم، وَلا أَحمِلُ على أهلِ جِزْيتِكُم، ما أَجلّيهم بهِ عَنْ بلادِهِم، وأقطَعُ بِهِ نسلَهُم، ولكنْ أُدرِ ق/٤٤ العطاءَ في كلِّ سنةٍ، والرزقَ في كلِّ شهرٍ حتَّى تستويَ بِكم الحالُ، فيكونَ أفضلُكم كأدناكُم. فإنْ أنا وفيتُ لكُم، فعليكُم السَّمْعُ والطاعةُ، وَحُسْنُ المؤازَرةِ والمكاتفةِ، وإنْ لَمْ أفِ لَكُم، فلكُم أنْ تخلعوني إلا أنْ تستتيبوني فإنْ تبتُ، قبلتُم توبتي، وإنْ عرفتُم أحداً بالصلاحِ، يُعطيكُم مِنْ نَفْسِهِ مثلَ الذي أعطيتُكم، فأردتُم أنْ تبايعُوه، فأنا أولُّ من يبايعُهُ، ويدخلُ في طاعتِهِ أيُّها النَّاسُ إنَّهُ لا طاعةَ لِمخلوقٍ في معصيةِ

---

(١) في (ب ـ ج): أشرا ولا بطر.

(٢) في (ج): المستخف بكل حرمة.

(٣) في (ب ـ ج ـ د): إلى نفسي.

(٤) في الطبري، ثغر ذلك البلد.

الخالقِ أقولُ هذا واستغفرُ اللّـهَ لي وَلَكُم، ولجميعِ المسلمينَ إنَّهُ غفورٌ رحيمٌ[1].

وكتبَ إلى مروانَ بن مُحَمّدٍ[2] وقدْ بلغَهُ تلكؤُهُ في بيعتِهِ. أمَّا بَعْدُ: فإنِّي أراكَ تُقَدِّمُ رِجلاً، وَتُـؤَخِّرَ أُخرى، فاعتمدْ على أيِّهما شِئْتَ، والسلامُ[3].

ولما تفرّقَ الأمرُ على مروانَ بنِ مُحَمّدٍ وأيقنَ بزوالِ مُلْكِهِ، وَغَلَبَةِ بني هاشمٍ عليهِ، قالَ لِعبدِ الحميدِ بنِ يحيَ[4] كاتبِهِ إنِّي قدْ احتجتُ، أنْ تكونَ مَعَ عدّوي عليَّ، وَتظْهِرَ لَهُم (الغدرَ)[5] بي فإنَّ إعجابَهُم بأدبِكَ، وحاجتِهِم إليكَ تدعوهُم إلى حُسْنِ الظَّنِ بكَ. فإنْ استطعتَ أنْ تنفعَني في حياتي، وإلا

---

(١) الطبري، ج ٩ ص ١٨٣٤. البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٣. البيان والتبين، ج ٢ ص ٢٨٤. الفخري، في الآداب السلطانية، ص ١٣٦. تاريخ الخلفاء، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(٢) هو أبو عبد الملك مروان بن محمد بن مروان بن الحكم. آخر خلفاء بني أمية، يلقب بالجعدي نسبه إلى مؤدبه الجعد بن درهم، وبالحمار لأنه كان لا يجف له لبد في محاربة الخوارج. وقيل لأن العرب تسمي كل مئة سنة حماراً، فلما قارب ملك بني أمية مائة سنة، لقبوا مروان بالحمار لذلك. ولد بالجزيرة سنة ٧٢هـ، وكان أبوه المتولي عليها، من قبل ابن عمه الخليفة عبد الملك بن مروان، فنشأ في دولة أقاربه وولي الولايات الجليلة قبل الخلافة، وافتتح عدة فتوح، وكان مشهوراً بالفروسية والإقدام، والدهاء والعسف، بويع له سنة ١٢٧هـ، وكانت أيامه أيام فتن، وهرج ومرج، فلم تطل أيامه حتى هزمته جيوش بني العباس، وتبعته إلى مصر، فقتل في قرية بوصير، سنة ١٣٢هـ. فوات الوفيات، ج ٤ ص ١٢٧ ـ ١٢٨. النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٣٢٣. تاريخ الخلفاء، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥. الفخري، ص ١٣٨. تاريخ اليعقوب، م ٢ ص ٣٣٨. شذرات الذهب، ج ١ ص ١٨٣ ـ ١٨٤.

(٣) العقد الفريد، ج ٥ ص ١٩٥. صبح الأعشي، ج ٦ ص ٣٩١. فوات الوفيات، ج ٤ ص ٣٣٣. جمهرة رسائل العرب، ج ٢ ص ٤٩٧. نثر الدرر مخطوط، ج ٣ ص ٤٤.

(٤) تقدمت ترجمته، ص ٢٠٣.

(٥) في (ب): العدوىء.

لَمْ تعجزْ عَنْ حِفظِ حُرْمتي بَعَدَ وَفاتي. فقالَ عبدُ الحميدِ إنَّ الذي أمرتَني بِهِ أنفعُ الأمرينِ لَكَ وأقبحُهما بي. وما عِنْدي إلا الوفاءُ، حتى يفتَح اللـهُ لكَ أو أُقتلَ مَعَكَ، ثُمَّ قالَ:

أُســرُّ وفــاءً ثُمَّ أُظهــرُ غــدْرةً   فَمن لي بعذرٍ يوسِعُ النَّاسَ ظاهرُهُ[1]

وقالَ (مروانُ)[2] إذا انقضتِ المدةُ لم تنفعِ العدَّةُ[3].

وكتبَ إلى عبدِ اللهِ بنِ عليّ[4]، يوصيهِ في حرَمِهِ، فكتبَ إليهِ عبدُ اللهِ يامابق الحقُّ لنا في دَمِكَ، وَعَلينا في حرَمِكَ[5].

وَلَمَّا استُخلِفَ أبو العباسِ السّفاح[6]، وَهُوَ أولُ ملوكِ بني العباسِ.

---

(١) المستجاد، من فعلات الأجواد، ص ١٩٤. الوزراء والكتاب، ص ٧٩. مروج الذهب، ج ٢ ص ١٩٦. عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) ساقطة من (ب ـ ج ـ د).

(٣) غرر الخصائص، ص ٢٢٢. تاريخ الموصل، ص ١٢٦. محاضرات الأدباء، ج ١ ص ٢١٦.

(٤) هو عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس، عم المنصور والسفاح، كان من الدهاة المعدودين ومن الشجعان الأبطال. ولد سنة ١٠٣هـ، وانتدب لحرب مروان بن محمد ولح في طلبه، وتبعه إلى دمشق وفتحها وأسرف في قتل بني أمية. ولي دمشق للسفاح، فلما ولي المنصور خرج عليه ودعا لنفسه، فهزمه أبو مسلم الخرساني فشفع له أخوته، وأخذوا له الأمان، فلما قدم عليه حبسه حتى مات في الحبس سنة ١٤٧هـ. فوات الوفيات، ج ٢ ص ١٩٢. النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٧. شذرات الذهب، ج ١ ص ٢١٩. البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٠٤.

(٥) تاريخ اليعقوبي، م ٢ ص ٣٤٦. جمهرة رسائل العرب، ج ٢ ص ٥٠٠.

(٦) هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس. أول خلفاء بني العباس. ولد بالحميمة سنة ١٠٨هـ، وأمه ربطه من بني الحارث بن كعب، بويع له بالخلافة سنة ١٣٢هـ، في حياة مروان بن محمد الخليفة الأموي. وكان من الكرم، ووفور العقل على جانب كبير، سمي السفاح، لأنه سفح دماء بني أمية، وكان يعد من أسخى الناس، فما وعد عده فأخرها عن وقتها، ولا قام من مجلسه حتى يقضيها، توفي =

رويَ أنَّ أولَ خُطْبةٍ، خَطَبَها السفاحُ، في بلدةٍ تُسمَّى العباسيَّةِ، فَلمَّا صارَ إلى موضعِ الشهادةِ قامَ رَجلٌ من الطالبيينَ في عُنقِهِ مُصْحَفٌ، فقالَ أذكِّرُكَ الذي ذكرتَهُ، إلا أنصفتني مِنْ خَصْمي، وحكمتَ بيني وبينَه، بما في هذا المُصْحَفِ، فقالَ: ومنْ خصمُكَ، قال: أبو بَكرٍ الذي منَعَ فاطمةَ فدكاً. قالَ وأقامَ على ظُلمِكُم، قالَ نَعمْ، قالَ وهلْ كانَ بعدَهُ أحدٌ، قالَ نعمْ، قالَ مَنْ، قالَ عُمرَ، قالَ وأقامَ على ظُلمِكُم، قالَ نعم، قالَ وهلْ كانَ بعدَهُ أحدٌ، قالَ مَنْ، قال عثمانُ، قالَ وأقامَ على ظلمِكُم، قالَ نعمْ، قالَ وَهَلْ كانَ بعدَه أحدٌ، قالَ نَعَمْ قالَ مَنْ، قال علي قال وأقام على ظلمِكم، فأُسكتُ الرّجُلُ، وجَعَلَ يتلفتُ إلى ورائه يطلبُ تَخلّصاً[1]. وأقبلَ السَّفاحُ على خُطبتِهِ وَصَعَدَ المنبرَ بوجهٍ كأنَّهُ مصحفٌ، فلم يستطعْ الكلامَ مِنَ الحياءِ، فنهضَ عَمُّه داوودُ بنُ عليٍّ[2] حَتَّى صَعَدَ المنبَر، فقالَ المنصورُ فقلتُ في نَفسي، هذا شيخُنا وكبيرُنا، يدْعو إلى نفسِهِ، فلا يختلفُ عليه اثنان. فانتضبتُ سيفي وغطيّتُه بثوبي، وقلتُ إنْ فَعَلَ ناجزتُه فَلما رَقى استقبلَ النّاسَ بوجهِهِ أبـي العبّاسِ.

= سنة ١٣٦هـ، وعهد الخلافة إلى أخيه أبـي جعفر المنصور، وكانت مدة خلافته أربع سنين وثمانية أشهر. فوات الوفيات، ج ٢ ص ٢١٥. الفخري، ص ٢٥١. تاريخ الخلفاء، ص ٢٥٦ ــ ٢٥٩. تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ٣٤٩. النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٣٣٣. البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٥٨. شذرات الذهب، ج ١ ص ١٩٥.

(١) كتاب الأذكياء، لابن الجوزي، ص ٣٦ ــ ٣٧. وفيه أن السفاح قال له والله الذي لا إله إلاَّ هو لولا أنه أول مقام قمته، ثم لم أكن تقدمت إليك في هذا قبلُ لأخذت الذي فيه عيناك، اقعد وأقبل على الخطبة. المصباح المضيء، في خلافة المستضيء، ج ١ ص ٣٩١ ــ ٣٩٢.

(٢) هو داوود بن علي بن عبد الله بن العباس. عم الخليفة السفاح، كان فصيحاً مفوهاً، ولي أمرة المدينة، فقتل من كان فيها من بني أمية، استخلف حين احتضر على عمله ولده موسى، توفي سنة ١٧٣هـ. النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٣٥٤ ــ ٣٥٥. البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٥٦.

فقال أيُّها الناسُ إنَّ أميرَ المؤمنينَ يكرهُ أنْ يتقدَّم قولُه فعلَه، وأثرُ الفعالِ عليكُم أجدى من تشقيقِ الكلامِ، وحسبُكم بكتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ متلوٌ فيكم وابنَ عَمِّ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ خليفةٌ عليكم. فواللهِ قسماً باراً ولا أريدُ بهِ إلا اللَّهَ ما قامَ هذا المُقامَ، أحدٌ بَعْدَ عليّ بنِ أبي طالِب، عليه الصلاةُ والسلامُ عليه وعلى آلِهِ،[1] أحقَّ مِنْ أميرِ المؤمنينَ هذا فليطمأنَّ ظانُكم، وليهمسْ هامِسُكم قالَ المنصُورَ فَشممتُ[2] سيفي[3].

وخطبَ داوودُ بن علي فقال:

شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ   من يلق آساد الرجال يكلم[4]

مهلاً مهلاً يا روايا[5] الأرجاف، وبقايا النفاق، وأنسال الأحزاب عن الخوض فيما كفيتم، والتخطي إلى ما حذرتم، قبل أن تتلف نفوس، وتحز رؤوس. ألم تجدوا ما وعدكم ربكم حقاً، من إيراث المستضعفين مشارق

---

(١) ساقطة من (ب ـ ج ـ د).

(٢) الشيمة بالكسر الطبيعية، وتشيم أباه أشبهه والشامة علامة تخالف البدن وشام سيفه يشيمه غمده ويستعمل أيضاً بمعنى سله/ القاموس المحيط.

(٣) عيون الأخبار، م ٢ ج ٥ ص ٢٥٢. شرح نهج البلاغة، ج ٣ ص ١٨٥. نثر الدرر مخطوط، ج ١ ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٤) الشنشنة الطبيعة والعادة، وهو مثل لأبي أخزم الطائي، وهو جد أبي حاتم أوجد جده، وكان له ابن يقال له أخزم، وكان عاقاً فمات وترك بنين فوثبوا يوماً على جدهم أبي أخزم فادموه فقال:

إنَّ بنيَّ ضَرَّجُوني بالدَّمِ   شِنْشِنَةٌ أعرِفُهَا من أخزم

أي أن هؤلاء، أشبهوا أباهم في العقوق. وقيل أن ابن عمر قال لابن عباس، رضي الله عنهم، حين شاوره فأعجبته إشارته: شنشنة أعرفها من أخزم: يعني أنه أعرف فيك مشابهة أبيك في رأيه وعقله. وذلك أنه لم يكن لقرشي مثل رأي العباس. مجمع الأمثال، ج ١ ص ٣٦١. البيان والتبين، ج ١ ص ١٧٥.

(٥) الراوية البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقى عليه كل يوم والعامة تسمى المزادة راوية، وهو جائز استعاره/ مختار الصحاح.

الأرض ومغاربها. لا والله بل (ضب مضمر)[1] وحسك[2] وكمد، رغما للمعاطس وبعداً للقوم الظالمين[3]. ق/٤٥.

وصعد المنبر مرة فارتج عليه (الكلام)[4] فقال أما بعد: فقد يجد المعسر ويعسر الموسر، (ويثقل)[5] الحديد، ويقطع الكليل. وأن الكلام بعد الأفحام كالاشراق بعد الاظلام وقد يعزب البيان ويعقم الصواب وإنّما اللسان بضعة من الإنسان يفتر بفتوره إذا (أكتل)[6] وينبسط بانبساط إذا ارتجل. وإنا لا ننطق أشراً، ولا نسكت حصراً، بل ننطق مرشدين، ونسكت معتبرين. فإنا أمراء القول، فمنا وشجت[7] اعراقه، وإلينا تعطفت أغصانه وعلينا تهدلت ثمرته فنجنى منه ما احلو لى وعذب، ونترك منه ما املولح وخبث. ومن بعد مقامنا مقام، ومن بعد أيامنا أيام، يعرف فيها فضل الكلام. إنشاء الله وهو أحمد مستعان[8].

---

(١) الضب الحقد والضبة من حديد أو صفر أو نحوه يشعب بها إنـاء، المصباح المنير. وفي جمهرة خطب العرب ولكنه حسد مضمر.
(٢) الحسك حسك السعدان، نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم، والحسك أيضاً الحقد والعداوة/ القاموس المحيط.
(٣) جمهرة خطب العرب، ج ٣ ص ١٦. نثر الدرر، ج ١ ص ٢٤٦. العقد الفريد، ج ١ ص ١٦١. وعزاها إلى أبي جعفر المنصور حين خروجه إلى الشام مع اختلاف في بعض الألفاظ.
(٤) ساقطة من (ب ـ د).
(٥) في (ب): ينفل وفي (د): ينقل.
(٦) في (ب) نكل.
(٧) الوشيجة عرق الشجرة وليف يفتل ويشد بين خشبتين ينقل فيها المحصود والواشجة الرحم المشتبكة/ القاموس المحيط.
(٨) جمهرة خطب العرب، ج ٣ ص ١٧؛ الصناعتين، ص ٢١؛ زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٦٣.

وخطب سليمان بن علي[1] بن عبدالله بن العباس فقال: (إياكم أن يتكلم الرجل)[2] في ما لا يعنيه ويرعى ما لا يسترعيه. فينزل به منا فاقرة ليست لها باقية، وإياكم إياكم. واحذروا مصارع الحائنين فإني وإياكم كما قال الأول:

بـــدأتكم بـــالخيـــر حتى بـــطرتم   فلما كفرتم شكـر ما كنت أصنـع
سنعـطيكم صـابـا ومـرا وعلقمـــا   فإن عدتم فـالسيف عندي مقنـع

وما بعد السوط، إلا السيف، فأبقوا على أنفسكم أو ذروا.

وخطب المنصور[3] فحمد الله وأثنى عليه، فلما انتهى إلى قوله أشهد

---

(١) هو سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس الهاشمي. أحد أعمام السفاح والمنصور ولي الموسم في خلافة السفاح، وولي البصرة للسفاح وللمنصور. ولد سنة ٨٢هـ وكان سليمان كريماً جواداً توفي سنة ١٤٢هـ/ فوات الوفيات، ج ٢ ص ٧٠ ــ ٧١؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٢١٠؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٣٤٨.

(٢) في (ب ــ ج ــ د): إياي والرجل منكم يتكلم.

(٣) هو أبو جعفر المنصور عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس. ولد سنة ٩٥هـ وكان قبل الخلافة يقال له عبدالله الطويل، جاب الآفاق وكان يعد فحل بني العباس، هيبة وشجاعة، وحزماً ورأياً وجبروتاً حريصاً على جمع المال، كامل العقل جيد المشاركة في العلم والأدب، قتل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه لقب بأبي الدوانق لمحاسبته العمال، والصناع حتى على الدوانق تولى الخلافة أول سنة ١٣٧هـ فأول ما فعل أن قتل أبا مسلم الخراساني صاحب دعوتهم، ومهد ملكهم، وبنى مدينة بغداد. وفي عصره شاع تدوين العلوم والحديث والفقه والتفسير، فصنف ابن جريج بمكة، ومالك الموطأ بالمدينة والأوزاعي بالشام، وكثر تدوين العلم وتبويبه. وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم، أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة. توفي ببئر ميمون من أرض الحرم سنة ١٥٨هـ ودفن باب المعلى وكان عمره يوم وفاته ٦٣ سنة وعهد إلى ولده محمد المهدي، بعد أن عزل عيسى بن موسى من ولاية المعهد/ تاريخ الخلفاء، ص ٢٥٩ ــ ٢٧١؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٣٢ ــ ٣٣؛ فوات الوفيات، ج ٢ ص ٢١٦ ــ ٢١٧؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٢٤٣ ــ ٢٤٤؛ العقد الفريد، ج ٥ ص ٢٣٧؛ الفخري، ص ١٥٩؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٢١ ــ ١٢٩.

أن لا إله إلّا الله. وثب رجل من أقصى المسجد فقال أذكرك الله ما تذكر. فقال سمعاً لمن فهم عن الله عز وجل (وذكربه)[1]، وأعوذ بالله أن أكون جباراً عصياً، وأن تأخذني العزة بالاثم. لقد ضللت إذاً، وما أنا من المهتدين. وأنت والله أيها القائل ما أردت بها الله ولكنك حاولت أن يقال قام، فقال وعوقب فصبر، وأهون بقائلها لقد هممت فاهتبلتها[2]. ويلك إذ عفوت، وإياكم معاشر الناس وأختها. فإن الموعظة علينا نزلت، ومن عندنا أنبئت، فردوا الأمر إلى أهله يصدروه كما أوردوه. ثم رجع إلى خطبته فأتمها[3].

وصعد المنبر مرة فحمد الله وأثنى عليه، ثم سكت طويلاً. فقال رجل ما لأمير المؤمنين لا يتكلم، فإنه والله ممن يهون عليه صعب الكلام، فأكمل خطبته ثم قال:

مالي أُكَفْكِفُ عن سَعْدٍ وَيشْتِمُني ... ولو شتمتُ بني سَعْدٍ لقد سكنوا

جهلاً علينا وجبنا عن عدوكم ... لبئست الخُلَّتانِ الجَهْلُ والجُبُنُ[4]

(ثم حسر رأسه وقال:

وألقيت عن رَأْسِي القِناعَ ولم أَكُنْ ... لأكْشِفَهُ إلّا لاحْدَى العَظائم[5]

ثم قال والله لقد عجزوا، عن أمر قمنا به، فما شكروا، ولقد مهدنا

---

(١) زيادة من (ج).

(٢) والاهتبال الاغتنام وانتهاز الفرصة/ القاموس المحيط.

(٣) النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٣٣؛ عيون الأخبار، م ١ ج ٥ ص ٣٣٦؛ خلاصة الذهب المسبوك، ص ٦١؛ الطبري، ج ١٠ ص ٤٢٧؛ صبح الأعشى، ج ١ ص ٢٦٢؛ تاريخ الخلفاء، ص ٢٦٤.

(٤) ذكر البيت الثاني منسوباً إلى قعنب بن أم صاحب شاعر إسلامي كان في أيام الوليد بن عبدالملك/ ديوان الحماسة لأبي تمام، ج ٢ ص ١٨٨.

(٥) زيادة من (ب ـ د).

ما استوعروا وأعطينا الحق وغمطوا[1]. والله لا أكرم أحداً، بمهانة نفسي، والسعيد من وعظ بغيره، لأن سادة الناس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء[2].

وقام عمرو بن عبيد[3] بين يدي المنصور فقال: إن الله عز وجل أعطاك الدنيا بأسرها فاشتري نفسك ببعضها. واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة فيه. فوجم أبو جعفر في قوله فقال الربيع[4] له يا عمرو غممت أمير المؤمنين فقال عمرو أن هذا قد صحبك عشرين سنة لم ير عليه أن ينصحك، يوماً واحداً. وما عمل وراء بابك، بشيء من كتاب الله عز وجل ولا سنّة نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله. فقال أبو جعفر فما أصنع قد قلت لك خاتمي بيدك، فتعال أنت وأصحابك فاكفوني هذا الأمر. فقال عمرو أدعنا بعد ذلك تسمح نفوسنا بعونك، ببابك ألف مظلمة، أردد منها شيئاً نعلم أنك صادق[5].

---

(١) غمط النعمة لم يشكرها يقال غمط عيشه أي بطره وحقره وغمط الناس الاحتقار لهم والازدراء بهم.

(٢) الطبري، ج ١٠ ص ٤٣٠ وذكر فيه الخطبة باستثناء الجملة الأخيرة فإنها من كلام علي بن عبدالله بن عباس استشهد بها المنصور في خطبته على ما ذكر ذلك صاحب عيون الأخبار، م ١ ج ٣ ص ٢٢٥؛ مروج الذهب، ج ٢ ص ٢٣٥.

(٣) هو أبو عثمان عمرو بن عبيد المتكلم الزاهد المشهور. كان جده من سبي كابل من جبال السند، يعد شيخ القدرية والمعتزلة في وقته. ولد سنة ٨٠هـ وجالس الحسن البصري ثم اعتزله هو وجماعة معه فسموا المعتزلة. جرحه كثير من الأئمة ولم يعدوه من الثقات بل قالوا أنه يكذب في الحديث. وكان محضياً عند أبي جعفر المنصور توفي سنة ١٤٢هـ؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٢١٠ ــ ٢١١؛ وفيات الأعيان، م ٣ ص ٤٦٠ ــ ٤٦٢.

(٤) هو أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد. حاجب المنصور ووزيره فقد وزر له بعد أبي أيوب المورياني. وكان المنصور كثير الميل إليه، حسن الاعتماد عليه. وقيل أن المنصور كان إذا أراد بإنسان خيراً أمر بتسليمه إلى الربيع توفي أول سنة ١٧٠هـ/ وفيات الأعيان، م ٢، ص ٢٩٤ ــ ٢٩٩؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٢٧٤؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٦٥.

(٥) عيون الأخبار، م ٢ ص ٣٣٧؛ مروج الذهب، ج ٢ ص ٢٣٩؛ زهر الآداب، ج ١ ص ١٠٢ ــ ١٠٣؛ تاريخ الخلفاء، ص ٢٦٥.

وقيل بينما المنصور يطوف (بالبيت)[1] ليلاً، إذ سمع قائلاً يقول اللهم إنّي أشكو إليك ظهور البغي، والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق وأهله، من الطمع. فخرج المنصور فجلس ناحية من المسجد، وأرسل إلى الرجل يدعوه، فصلى ركعتين واستلم الركن، وأقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة. فقال له المنصور ما الذي سمعتك (تذكر)[2]، من ظهور البغي والفساد ق/٤٦ في الأرض، وما يحول بين (الحق وأهله)[3]، من الطمع فوالله لقد حشوت مسامعي بما أرمضني. فقال يا أمير المؤمنين إن أمنتني أنبأتك بالأمور على جليتها، ومن أصولها، وإلا احتجزت على نفسي. فقال أنت آمن على نفسك، فقال إن الذي دخله الطمع، حتى حال بينه وبين إصلاح ما ظهر من البغى والفساد أنت. فقال ويحك وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في قبضتي والحلو والحامض عندي. قال وهل دخل أحد من الطمع مثل ما دخلك، إن الله تعالى استرعـاك المسلمين وأموالهم، فجعلت بينك وبينهم حجاباً، من الجص والآجر وأبواباً من الحديد، وحجبة معهم السلاح والكراع، وأمرت أن لا يدخل عليك إلا فلان وفلان، نفر سميتهم ولم تأمرهم بإيصال الملهوف والمظلوم، ولا الجائع ولا العـاري، ولا الضعيف ولا الفقير وما أحد إلا وله في هذا المال حق، فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يحجبوا عنك (جباء)[4] الأموال وأمرتهم بجمعها ولا يقسموها، قالوا هذا قد خان الله عز وجل، فمالنا لا نخونه وقد (سجن)[5] لنا نفسه فأتمروا بينهم أن لا يصل

---

(١) ساقطة من (ج).

(٢) في (ج ــ د): تقول.

(٣) في (ج) بين الباطل وأهله.

(٤) في (ب ــ ج ــ د): تجبي الأموال ولا تعطيها وتجمعها ولا تقسمها.

(٥) في (ب ــ د): سخر.

إليك من أخبار الناس إلا ما أرادوا. ولا يخرج لك عامل، فيخالف أمرهم إلا أقصوه ونفوه، حتى تسقط منزلته ويصغر عندك قدره فلما انتشر ذلك (عنك)[١] وعنهم، أعظمهم الناس وهابوهم، فكان أول من صانعهم، عمالك بالهدايا والأموال، ليتقووا به على ظلم رعيتك، ثم فعل ذلك، ذوو القدرة والثروة من رعيتك، لينالوا به ظلم من دونهم. فامتلأت بلاد الله بالطمع بغياً وفساداً، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل. وإن جاء متظلم حيل بينه، وبين الدخول عليك، فإذا رفع قصته إليك عند ظهورك، وجدك وقد نهيت عن ذلك، وأوقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم، فإن جاء ذلك الرجل، فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته إليك، فإن للمتظلم منه حرمة عندهم، فأجابهم خوفاً منهم فلا يزال المظلوم، يختلف إليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث، وهو يدافعه ويماطله، ولا يقبل عليه. فإذا أجهد وأحوج وظهرت، صرخ بين يديك فيضرب ضرباً عنيفاً شديداً مبرحاً، ليكون نكالاً لغيره وأنت تنظر، فلا تنكر فما بقاء الإسلام على هذا. ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى الصين فقدمتها مرة، وقد أصيب ملكها بسمعه فبكى يوماً بكاء شديداً فحثه جلساؤه على الصبر. فقال أما إني لست أبكي للبلية النازلة، ولكني أبكي للمظلوم بالباب يصرخ، فلا أسمع صوته. ثم قال أما إذا ذهب سمعي: فإن بصري لم يذهب فأذنوا في الناس، أن لا يلبس ثوباً أحمر إلا (مظلوم)[٢]. ثم كان يركب الفيل طرفي النهار، ينظر هل يرى مظلوماً، فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله عز وجل غلبت رأفته على المشركين (وأنت تؤمن بالله واليوم الآخر ثم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غلب شح نفسك عليك)[٣]. فإن كنت إنما تجمع المال لولدك، فقد

---

(١) زيادة من (ب ـ ج ـ د).

(٢) في (ب): متظلم.

(٣) زيادة من (ب ـ ج ـ د).

أراك الله عز وجل، الطفل يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مال، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه، فما يزال الله جل ثناؤه يلطف بذلك للطفل، حتى تعظم رغبة الناس إليه ولست بالذي يعطي، بل الله يعطي من يشاء بغير حساب. وإن قلت أنا أجمع المال لتشديد السلطان، فقد أراك الله عز وجل عبراً في بني أمية ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وأعدوا من الرجال والسلاح والكراع، حين أراد الله بهم ما أراد. وإن قلت أنا أجمع المال لطلب غاية، هي أجسم من الغاية التي أنا فيها، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تنال إلا بالطاعة يا أمير المؤمنين، هل تعاقب من عصاك بأكثر من القتل والصلب. قال المنصور لا قال فكيف يصنع أمير المؤمنين يوم القيامة عند لقاء الملك الذي خولك ملك الدنيا، ولا يعاقب من عصاه من عبيده، وعمل بخلاف ما أمره به في كتابه بالقتل ولكن يعاقبه بالخلود ق/٤٧ في العذاب الأليم وقد رأى ما عقد عليه قلبك، وتحملته جوارحك، ونظر إليه بصرك واجترحته يداك ومشت إليه قدماك، هل يغني ما شححت عليه من ملك الدنيا إذا انتزعه من يديك، ودعاك إلى الحساب على ما خولك. فبكى المنصور وقال ليتني لم أخلق، ويحك فكيف احتال لنفسي. فقال يا أمير المؤمنين إن للناس أعلام يفزعون إليهم، في دينهم ويرضون (نفوسهم)[1] فاجعلهم بطانتك يرشدوك، وشاورهم في أمرك يسددوك. قال قد بعثت إليهم فهربوا مني، قال خافوا أن تحملهم على طريقتك، ولكن افتح بابك وسهل حجابك وانصر المظلوم واقمع الظالم، وخذ الفيء والصدقات مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل على أهله وأنا الضامن عليهم، أن يأتوك ويساعدوك على صلاح الأمة. وجاء المؤذنون فسلموا عليه فصلى وعاد إلى مجلسه، فطلب الرجل فلم يوجد[2]. وقال المنصور لبعض عماله وقد بلغه أنه خانه،

---

(١) في (د) قولهم.

(٢) عيون الأخبار، م ٢ ج ٦ ص ٣٣٣ ـ ٣٣٦؛ العقد الفريد، ج ٣ ص ٩٣ ـ ٩٦؛ =

يا عدو الله وعدو أمير المؤمنين، أكلت مال الله. فقال نحن عباد الله، وأنت خليفة الله والمال مال الله، فمال من تأكل إذاً. فأعجبه جوابه فقال خلوا عنه ولا تولوه شيئاً[1].

ووجد على بعض الكتاب فأمر بتجريده وضربه فقال:

ونحن الكاتبون وقد أسأنا   فهبنا للكرام الكاتبين[2]

وروى أن بعض (أهل العبث)[3] كان قد خرج بفلسطين، فكتب إلى العامل بها، (دمه بدمك)[4] مرتهن، إنْ لم توجه به إلى، فظفر به فأشخصه إليه، فأدخله الربيع عليه فقال: «أنت المتوثب علينا عمال أمير المؤمنين»[5] (لا يوزن)[6] من لحمك أكثر مما يبقى على عظمك فقال بصوت ضعيف:

أَتَرُوضُ عِرْسَكَ بَعْدَمَا هَرِمَتْ   وَمِنَ العَنَاءِ رِيَاضَةُ الهَرِمِ

فلم يتبين المنصور ما قال، لضعف صوته. فقال يا ربيع ما يقول قال يقول:

الْعَبْدُ عَبْدُكُمُ والمالُ مالُكُمُ   فهل عذابُك عنّي اليَوْمَ مصروف

= شرح نهج البلاغة، م ٤ ص ٢٥٥ ــ ٢٥٦؛ العقد الفريد للملك السعيد، ص ١١٦ ــ ١١٨؛ بدائع السالك، ج ١ ص ٣٧٤ ــ ٣٧٦.

(١) نهاية الارب، ج ٣ ص ٣٦٩؛ غرر الخصائص، ص ٣٧؛ كتاب الفاضل والكامل، مخطوط ٢٣، ش أدب ورقة ١٥.

(٢) العقد الفريد، ج ٤ ص ٢٣٢؛ العمدة لابن رشيق، ج ١ ص ٧٠؛ الوزراء والكتاب، ص ١٣٦.

(٣) في (د) أهل الكتاب.

(٤) في (ب ــ ج ــ د): دمك بدمه.

(٥) في (ج ــ د): أنت المتوثب على أعمال أمير المؤمنين.

(٦) الصواب لأنثرن كما في المراجع.

فعفى عنه وخلى سبيله[١].

وكان يقول عقوبة الحليم التعريض، وعقوبة السفيه التصريح[٢].

وروي عن الربيع أنه قال: جمع المنصور مالكاً[٣] وأبا حنيفة[٤] وابن أبـي ذؤيب[٥] (رضي الله عنهم)[٦] فقال: كيف ترون في هذا الأمر، الذي أعطاني الله تعالى. فقال ابن أبـي ذؤيب: ملك الدنيا يؤتيه الله من يشاء

---

(١) الطبري، ج ١٠ ص ٤٣٦؛ الوزراء والكتاب، ص ١٣٤ ــ ١٣٥.

(٢) الطبري، ج ١٠ ص ٤٢٦؛ سراج الملوك، ص ٦٦؛ وفيه عقوبة الأحرار التعريض، وعقوبة الأشرار التصريح، عيون الأخبار، م ١ ج ٣ ص ٢٨٥.

(٣) تقدمت ترجمته، ص ١٨٣.

(٤) هو الإمام أبو حنيفة، واسمه النعمان بن ثابت بن زوطي. الفقيه الكوفي صاحب المذهب، ولد سنة ٨٠ من الهجرة ورأى أنس بن مالك الصحابـي وذكر بعضهم أنه روى عن سبعة من الصحابة. تفقه على حماد بن سليمان، وجمع الفقه والعبادة، والورع والسخاء، وكان لا يقبل جوائز الدولة، بل ينفق ويؤثر من كسبه. قال الشافعي فيه: الناس في الفقه عيال على أبـي حنيفة. وقال عبدالله بن المبارك: أبو حنيفة أفقه الناس حاوله المنصور على القضاء، فأبـى فضربه فلم يقبل. وقال علي بن عاصم: لو وزن علم أبـي حنيفة بعلم أهل زمانه لرجح عليهم. توفي ببغداد سنة ١٥٠هـ وصلي عليه ست مرات لكثرة الزحام ومناقبه كثيرة وعلمه غزير وفي شهرته ما يغني عن الاطناب. البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٠٧ ــ ١٠٨؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٢٢٧ ــ ٢٢٩؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ١٢ ــ ١٥.

(٥) هو الإمام أبو الحارث محمد بن عبدالرحمن بن المغيرة بن أبـي ذؤيب القرشي، العامري المدني، الفقيه أحد الأئمة المشاهير وهو صاحب الإمام مالك رضي الله عنه وكانت بينهما إلفة أكيدة ومودة صحيحة. وقال الواقدي: كان ابن أبـي ذؤيب يصلي الليل أجمع، ويجتهد في العبادة فلو قيل له أن القيامة تقوم غداً، ما كان فيه مزيداً من الاجتهاد. كان مولده سنة إحدى وثمانين للهجرة وقيل ثمانين، توفي سنة ١٥٩هـ بالكوفة. وفيات الأعيان، م ٤ ص ١٨٣؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٢٤٥ ــ ٢٤٦؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٣٥.

(٦) زيادة من (ب).

وملك الآخرة يؤتيه، (من وفقه له)[٥]، وأن الخلافة تكون بإجماع أهل التقوى عليها، وأنت وأعوانك خارجون من التقوى، عالين على الخلق فإن سألت الله السلامة، كان في ذلك نجاتك، وإلا أنت المطلوب. فقال لأبي حنيفة: ما تقول، قال: المسترشد لدينه يكون بعيد الغضب، وأنت إذا نصحت نفسك علمت أنك لم ترد الله باجتماعنا فنقول بما تهواه، خوفاً من سيفك وحبسك ولقد وليت الخلافة، وما اجتمع عليك نفسان من أهل التقوى. فقال لمالك: ما تقول؟ فقال: لو لم يرك الله أهلاً لذلك، ما قدر لك أمر الأمة، أعانك الله على ما ولّاك. ثم أمر بانصرافهم، قال الربيع: ثم أعطاني ثلاث بدر[١]، وقال: إتبع القوم فإن أخذ ابن أبي ذؤيب وأبو حنيفة منها شيئاً، فأتني برؤوسهما وإن أخذها مالك كلها فادفعها إليه. فأتيت ابن أبي ذؤيب وعرضت عليه، فقال: ما أرضى له هذا المال، فكيف أرضاه لنفسي، وقال أبو حنيفة: لو ضربت رقبتي ما مسست منها درهماً واحداً، فأتيت بها مالكاً فأخذها كلها. قال الربيع: فأعلمته ما جرى، فقال: بهذه الصيانة حقنوا دماءهم[٢].

وروي عن الربيع قال: ما رأيت رجلاً أربط جاشاً، من رجل رفع عليه إلى المنصور أن عنده ودائع، وأموالاً لبني أمية، فأمرني بإحضاره فأحضرته فدخلت به عليه. فقال له المنصور: قد رفع إلينا خبر الودائع، والأموال التي

---

(١) في (ب): من اتقاه.

(٢) البدرة: عشرة آلاف درهم، سميت بذلك لوفورها، قال بعضهم ومنه سمي القمر ليلة أربع عشرة بدراً لتمامه وامتلائه من النور، ويقال لمبادرته الشمس، وقيل بل البدرة: جلدة السخلة إذا فطمت والجذع من المعز يملأ مالاً فسمي المال بدرة باسم الوعاء مجازاً. العمدة، لابن رشيق، ج ٢ ص ٣١٦.

(٣) أخبار أبي حنيفة وأصحابه، للمحدث والمؤرخ الكبير الإمام الصيمري، ص ٥٩ ــ ٦٠؛ الإمام أبو حنيفة، للشيخ محمد أبو زهرة، ص ١٨٥.

لبني ق/٤٨ أمية عندك، فأخرج إلينا منها. فقال: يا أمير المؤمنين أَوَارِثٌ أنت لبني أمية، فقال لا ، فقال: فوصي لهم في أموالهم وربايحهم، قال لا ، قال: فما (مسألتك)[1] عما في يدي من ذلك. قال: فأطرق المنصور ساعة، ثم رفع رأسه فقال: إن بني أمية ظلموا المسلمين فيها، وأنا وكيل للمسلمين في حقهم وأريد أن آخذ ما ظلموا المسلمين فأجعله في بيت مالهم، فقال: يا أمير المؤمنين تحتاج إلى إقامة البينة العادلة، على أن ما في يدي لبني أمية، مما خانوه وظلموا، دون غيره، فقد كان لبني أمية أموال غير أموال المسلمين. قال: فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال: صدق يا ربيع، ما يجب على الشيخ شيء، ثم قال: هل لك من حاجة، فقال: نعم، حاجتي يا أمير المؤمنين أن تنفذ كتابي على البريد إلى أهلي، ليسكنوا إلى سلامتي، فإنهم قد راعهم إشخاصي. وقد بقيت لي حاجة أخرى يا أمير المؤمنين، قال: قل، قال: تجمع بيني وبين من سعى بي إليك، فوالله ما لبني أمية في يدي مال، ولا وديعة، ولكني لما مثلت بين يديك، وسألتني عما سألتني عنه، قابلت بين هذا القول وما قبله، فرأيت ذلك أقرب إلى الخلاص والنجاة. فقال: يا ربيع إجمع بينه وبين من سعى به، فجمعت بينهما، فقال: هذا غلام لي، سرق علي ثلاثة آلاف دينار من مالي وأبق[2]. فشد المنصور على الغلام، فأقر بأنه غلامه، وأنه أخذ المال الذي ذكره وأبق منه، وسعى به خوفاً وكذباً حتى لا يقع في يده. فقال المنصور للشيخ: نسألك أن تصفح عنه، فقال: قد صفحت عنه وأعتقته ووهبت الثلاثة آلاف التي أخذها وثلاثة آلاف (دينار)[3]، فقال المنصور: ما على ما فعله الشيخ من مزيد، فقال: يكون هذا بحق

---

(١) في (ج): سؤالك.

(٢) أبق العبد أبقا: إذا هرب من سيده من غير خوف ولا كد عمل. المصباح المنير.

(٣) في (ب ــ ج): أخرى.

شفاعتك يا أمير المؤمنين وانصرف. فكان المنصور يتعجب منه كل ما ذكره، ويقول: ما رأيت مثل هذا الشيخ يا ربيع[1].

وقيل: كان المنصور في صدر نهاره، يأمر وينهى، ويدبر الملك والنظر في النفقات، ومعاش الرعية، فإذا صلى العصر، جلس لأهل بيته، فإذا صلى العشاء نظر فيما ورد عليه، من كتب الثغور والآفاق، فإذا مضى ثلث الليل قام إلى فراشه فنام، فإذا بقي الثلث الأخير من الليل، قام فأسبغ وضوءه وصف قدميه في محرابه، حتى يطلع الفجر ثم يخرج ويصلي[2].

حديث زينب ابنة سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس[3]، قالت: كنت عند الخيزران[4]، وعادتها إذا كنت عندها أن تقعد في عتبة الرواق المقابل للإيوان، وأجلس بإزائها، وفي الصدر مجلس المهدي[5]، يقعد فيه

---

(١) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١٨٤ ــ ١٨٥؛ إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، ص ٧١ ــ ٧٢؛ العقد الفريد للملك السعيد، ص ١١٥ ــ ١١٦؛ ثمرات الأوراق، لابن حجة الحموي على هامش المستطرف، ج ١ ص ٢٣٣.

(٢) الطبري، ج ١٠ ص ٤٠٢؛ الكامل في التاريخ، م ٥ ص ٤٧؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٢٥؛ خلاصة الذهب المسبوك، ص ٦١.

(٣) هي زينب بنت سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس، من ربات النفوذ والسلطان، والعقل والفصاحة، حدثت عن أبيها سليمان وروى عنها عاصم بن علي الواسطي وكانت تكره آل مروان وتحن إلى آل علي حنواً عظيماً وكان المأمون شديد الاحترام لها، توفيت بعد سنة ٢٠٨هـ. أعلام النساء، ج ٢ ص ٦٨.

(٤) هي جارية المهدي، وأم ولديه الهادي والرشيد، يمانية الأصل اشتراها المهدي وأعتقها وتزوجها، وكانت عاقلة لبيبة، توفيت سنة ١٧٣هـ ومشى الرشيد في جنازتها حافياً. يخوض في الوحل والطين والمطر الذي كان في ذلك اليوم، حتى أتى مقابر قريش فغسل رجليه وصلى عليها، ودخل قبرها ثم تصدق عنها بمال كثير. النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٧٢ ــ ٧٣.

(٥) هو محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس أبو عبدالله المهدي، لقب بالمهدي، كما يقول ابن كثير رجاء أن يكون الموعود به في الأحاديث، فلم يكن به وإن =

وهو يقصدنا في كل يوم، فيجلس ساعة ثم ينهض. فبينما نحن كذلك إذ دخلت جارية من جواريها، اللواتي يحجبنها. فقالت: أعز الله السيدة، امرأة لها جمال وخلقة حسنة، وليس من وراء ما هي عليه، من سوء الحال غاية، تستأذن عليك. وقد سألتها عن اسمها، فامتنعت أن تخبرني، فالتفتت إلى الخيزران فقالت: ما ترين، فقلت: أدخليها، فإنه لا بد من فائدة أو ثواب. فدخلت امرأة كأجمل النساء وأكملهن، لا تتوارى فوقفت إلى (جانب)[1] عضادتي الباب، ثم سلمت متضائلة، ثم قالت: أنا مزنة بنت[2] مروان (بن عبدالملك)[3]، فقالت زينب: وكنت متكئة، فاستويت جالسة، فقلت: مزنة، فلا حياك الله ولا قرَّبك، والحمد لله الذي أزال نعمتك وهتك سترك وأذلَّك، أتذكرين يا عدوة الله، حين أتاك عجائز أهل بيتي يسألنك أن تكلمي صاحبك، في الإذن في دفن إبراهيم بن محمد[4]، فوثبت عليهن

= اشتركا في الاسم فقد افترقا في الفعل. وكان مولد المهدي سنة ١٢٧هـ وكان جواداً ممدحاً، مليح الشكل محبباً إلى الرعية، قصاباً للزنادقة بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ١٥٨هـ وعمره إذ ذاك ثلاث وثلاثون سنة، توفي سنة ١٦٩هـ وكانت خلافته عشر سنين وشهراً وبعض شهر، وصلى عليه ولده هارون الرشيد. فوات الوفيات، ج ٣ ص ٤٠٠ ــ ٤٠٢؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٥٨؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٢٦٦ ــ ٢٦٨؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٥١ ــ ١٥٤؛ العقد الفريد، ج ٥ ص ٣٣٨.

(١) زيادة من (ب ــ ج).

(٢) هي مزنة بنت مروان بن عبدالملك بن مروان. من فواضل نساء عصرها. أعلام النساء، ج ٥ ص ٥٠.

(٣) في (ج): مزنة بنت مروان بن محمد بن عبدالملك. وفي الفرج بعد الشدة: مزنة امرأة مروان.

(٤) هو إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، الملقب بالإمام. كان العباسيون ودعاتهم يدعون إليه، بعد وفاة الإمام محمد بن علي وكان القائم له بالدعوة، أبو مسلم الخرساني، فقد ولاه أمر خراسان، في سنة ١٢٨هـ، ثم أطلع مروان بن محمد على كتاب =

وأسمعتهن، وأمرت بإخراجهن على الحالة، التي أخرجن عليها، فلا أنسى حسن ثغرها، وعلو صوتها بالقهقهة. وقالت: أي بنت عم، أي شيء أعجبك من حسن صنع الله في العقوق، حتى أردت ق/٤٩ أن تنافسيني فيه والله إني فعلت بنسائك الذي فعلت، فأسلمني الله عز وجل إليك، ذليلة جائعة عريانة، فكان هذا مقدار شكرك لله على ما أولاك فيَّ. ثم قالت السلام عليكم وولت، فصاحت بها الخيزران: ليس هذا لك، عليَّ استأذنت وإليَّ قصدت فما ذنبي. فرجعت وقالت: لعمري فقد صدقتي يا أخيَّة.

وكان مما ردَّني إليك، ما أنا عليه من الضرر والجهد. قالت زينب فنهضت إليها الخيزران لتعانقها، فقالت: ليس فيَّ لذلك موضع، مع الحال التي أنا عليها. فقالت الخيزران لها: فالحمام إذاً، وأمرت جماعة من جواريها بالدخول معها إلى الحمام، فدخلت وطلبت ماشطة ترمي ما على وجهها من الشعر. فلم تزل حتى خرجت من الحمام، فوافتها الخلع والطيب، فأخذت من الثياب ما أرادت، ثم تطيَّبت وخرجت إلينا، فعانقتها الخيزران وأجلستها في الموضع الذي يجلس فيه أمير المؤمنين المهدي إذا دخل، فقالت لها الخيزران: هل لك في الطعام فإنا لم نطعم بعد، فقالت: والله ما فيكن أحد أحوج إليه منِّي، فعجلوه، فأتِيَ بالمائدة فجعلت تأكل غير محتشمة وتلقِّمنا وتضع بين أيدينا، إلى أن اكتفت، ثم غسلنا أيدينا. فقالت لها الخيزران: من وراءك ممن تعنين به، فقالت: ما خارج الدار أحد من خلق الله، بيني وبينه سبب، فقالت الخيزران: إن كان هذا هكذا، فقومي

= منه موجه إلى أبي مسلم يدعوه إلى منابذة بني أمية بالسيف، فأرسل إليه من أتى به من الحميمة، وسجنه ومات في سجن مروان سنة ١٣٢هـ واختلف في سبب موته، وكان إبراهيم خيراً فاضلاً كريماً وكان مولده سنة ٨٢هـ، وأمه أم ولد بربرية اسمها سلمى. الكامل في التاريخ، م ٤ ص ٣٢٩؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٣٢١؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٣٩.

حتى تختاري لنفسك مقصورة من مقاصيرنا، ونحول (إليه)[1] جميع ما تحتاجين إليه، ثم لا نفترق حتى يفرق الموت بيننا. فقالت: فطفنا بها في المقاصير، فاختارت أوسعها وأنزهها، ولم نبرح حتى حوِّل إليها جميع ما تحتاج إليه من الفرش والكساء والجواري والرقيق، ثم تركناها وخرجنا عنها. فقالت الخيزران: إن هذه المرأة كانت فيما قد كانت فيه، وقد مسَّها ضرّ، وليس يغسل ما في قلبها، إلا المال، فاحملوا إليها خمس مائة ألف درهم، فحُمِلَت إليها. ووافانا المهدي فسألنا عن الخبر فحدثته بحديثها، وما (لقيته به)[2]، فوالله ما انتظر أن أعرِّفه جوابها حتى وثب مغضباً في وجهي، وقال: يا زينب، هل هذا مقدار شكر الله على نعمه، وقد مكَّنك من مثل هذه المرأة، على هذه الحال التي هي عليها فوالله لولا محلك من قلبي، لحلفت أن لا أكلمك أبداً. قالت: فقلت: قد اعتذرت إليها، ورضيت ثم قصصنا عليه قصتها كلها، وما فعلت الخيزران لها، فقال لخادم معه: إحمل إليها مئة بدرة، وادخل إليها وأبلغها السلام عني. وقل لها، والله إني ما سررت منذ دهري سروري بمكانك، وأنا أخوك وممَّن يوجب حقك، لا تدعي حاجة إلا سألتيها. ولولا أني أكره أن أحشمك[3] لصرت إليك مسلماً عليك، وقاضياً حقك. فمضى الخادم إليها بالمال والرسالة، فأقبلت إلينا معه، فسلمت على المهدي، وشكرت له فعله، وأثنت على الخيزران عنده. وقالت: ما على أمير المؤمنين حشمة[4]، أنا في عِداد حرمه، وقعدت ساعة، ثم قامت إلى منزلها فخلفتها عند الخيزران كأنها لم تزل في ذلك القصر[5].

---

(١) في (ب ـ ج ـ د): إليها.

(٢) في (ب ـ د): لقيتها به.

(٣) أحشمه: بمعنى آذاه وأغضبه. وحشمه: أخجله.

(٤) الحشمة: الاستحياء.

(٥) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ٢١ ـ ٢٣؛ الفرج بعد الشدة، ج ٤ =

وقيل: إن المهدي لما حج، أنفق في حجِّه ثلاثين ألف ألف درهم، وخمسمائة ألف دينار. وفرَّق من الثياب مائة ألف وخمسين ألف ثوب، وهو الذي وسَّع المسجد الحرام، وبناه على ما هو عليه اليوم[1].

وقيل: نذر[2] المهدي، دم رجل من أهل الكوفة، كان يسعى في فساد دولته، فجعل لمن دلَّ عليه، أو جابه مئة ألف درهم. فأقام الرجل متوارياً ثم إنه ظهر يوماً ببغداد، فبينما هو يمشي في بعض نواحيها، بصر به رجل من أهل الكوفة، (فرفعه)[3] فأخذ بمجامع ثيابه، وقال: هذا بغية أمير المؤمنين، فبينما الرجل على تلك الحال، إذ سمع وقع الحوافر من ورائه فالتفت فإذا معن بن زائدة، فقال: يا أبا الوليد[4]، أجرني أجارك الله، فوقف، فقال

= ص ٧٥ ــ ٨٢؛ مروج الذهب، ج ٢ ص ٢٤٨ ــ ٢٥٠ وذكرها بصيغة أخرى وإن كان المضمون واحد.

(١) البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٣٢؛ الطبري، ج ١٠ ص ٤٨٣؛ أخبار مكة، ج ٢ ص ٢٣٧؛ تاريخ ابن خلدون، م ٣ ص ٢٠٩؛ ورواية الطبري في حوادث سنة ١٦٠هـ قال: وقسم المهدي في هذه السنة بمكة في أهلها، فيما ذكر مالاً عظيمًا، وفي أهل المدينة كذلك. فذكر أنه نظر فيما قسم في تلك السفرة، فوجد ثلاثين ألف ألف درهم وصلت معه، ووصلت إليه من مصر ثلاثمائة ألف دينار، ومن اليمن مائة ألف دينار، وأما توسيع المسجد الحرام فالذي ذكره الطبري أنه وسع في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي ذكره ابن كثير أنه استفتى مالكاً في إعادة الكعبة إلى ما كانت عليه أيام ابن الزبير فنهاه مالك فتركها وكساها كسوة حسنة.

(٢) الإنذار: الإبلاغ، ولا يكون إلا في التخويف والاسم النذر بضمتين ومنه قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾، أي إنذاري. مختار الصحاح.

(٣) في (ب ــ ج ــ د): فعرفه.

(٤) هو أبو الوليد معن بن زائدة بن عبدالله. كان جواداً شجاعاً، جزل العطاء. وحكاياته في الجود مشهورة، كان في أيام بني أمية منقطعاً إلى ابن هبيرة أمير العَراقين، فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس غضب المنصور على معن فاستتر عنه حتى كان يوم الهاشمية، وهو اليوم الذي ثار فيه أهل خراسان على المنصور. خرج معن متنكراً وقاتل بين يدي المنصور حتى أعجبه فأمنه المنصور فولاه اليمن، ثم سجستان، فلما كانت =

للرجل الذي هو متعلق به: ما شأنك؟ قال: بغية أمير المؤمنين، نذر دمه وبذل لمن ق/٥٠ دل عليه مئة ألف درهم. فقال: يا غلام، إنزل عن دابتك واحمل الرجل عليها، فصاح المتعلق بالرجل: يا للناس أيحال بيني وبين طلبة أمير المؤمنين، فقال له معن: إذهب فاخبره أنه عندي، فانطلق الرجل إلى باب المهدي، فأخبر الحاجب فدخل إلى المهدي، فأخبره فأمر بإحضار معن، فأتته الرسل، فدعا أهل بيته ومواليه، وقال: لا يخلصن إلى هذا الرجل، وفيكم عين تطرف. ثم سار إلى المهدي، فدخل فسلَّم عليه، فردَّ عليه السلام[1]. وقال: يا معن أتجير علينا، قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: ونعم أيضاً! فاشتد غضبه. فقال: يا أمير المؤمنين، قتلت في طاعتكم في اليمن في يوم واحد خمسة عشر ألفاً، إلى أيام كثيرة قد تقدم بلائي وحسن غنائي، فما رأيتموني أهلاً أن يوهب لي رجل واحد، فأطرق المهدي طويلاً، ثم رفع رأسه وقد سرى عنه. وقال: قد أجرنا جارك، فقال معن: إن رأى أمير المؤمنين أن يصله فيكون قد أحياه وأغناه. قال: قد أمرنا له بخمسين ألف درهم، قال معن: إن صلات الخلفاء لا تكون إلا على قدر جنايات الرعية، وإن ذنب الرجل عظيم فأجزل له (العطية)[2]. فقال: قد أمرنا له بمائة ألف درهم، قال: تعجَّلها يا أمير المؤمنين، فإن خير البر عاجله، فأمر بتعجيلها له. وانصرف معن بالمال إلى الرجل وقال له: خذ صلتك والحق بأهلك وإياك ومخالفة خلفاء الله تعالى[3].

= سنة ١٥٢هـ قتل غيلة على يد قوم من الخوارج. النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ١٩؛ وفيات الأعيان، م ٥ ص ٢٤٤؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ١٣١ ـ ١٣٢؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٠٩.

(١) جميع المراجع تذكر أن المهدي لم يرد السلام. ولفظ العقد الفريد للملك السعيد: فرد سلامه، أي رفضه.

(٢) في (ج ـ د): الصلة.

(٣) البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٥٤؛ العقد الفريد للملك السعيد، ص ١٢٢؛ المستجاد =

(ذكر)[1] المنصور لمعن بن زائدة (بعد كلام له)[2]: قد بلغ أمير المؤمنين عنك شيء، لولا مكانك عنده ورأيه فيك (لصعب عليك الأمر)[3].

قال: وما ذاك يا أمير المؤمنين، فوالله ما تعرضت به منك، قال: إعطاؤك مروان بن أبي حفص[4] ألف دينار في قوله فيك:

مَعْنُ بنُ زائِدةَ التي زِيدتْ بـه ... شَرَفاً عَلَى شَرَفٍ بَنُو شَيْبَانِ

إنْ عُـدَّ أيّامُ الـرجال فـإنها ... يَـوْمَاهُ يَـومُ نـدا ويَـوْمُ طِعَانِ

فقال ما أعطيته لهذا ولكن لقوله:

مـا زِلْتَ يـومَ الهـاشِميَّةِ مُعْلِمـاً ... بـالسيفِ دونِ خليفـة الـرحمـان

فحميت حـوزتـه وكـنت وقـاءه ... مِن وقْـعِ كـلِّ مُهَنَّـدٍ وسِنـانِ

فاستحيا المنصور فقال ما أعطيته إلا لهذا. قال نعم يا أميرالمؤمنين فوالله لولا مخافة (الشنعة)[5]، عندك لمكنته من مفاتيح بيوت أموالي وانحلته إياها. قال المنصور: لله درك من أعرابي ما أهون عليك ما يعز على الرجال وأهل الحزم[6]. قيل أقام أعرابي على باب معن بن زائدة فلما طال مقامه كتب إليه رقعة فيها:

= من فعلات الأجواد، ص ٢٠٠ ــ ٢٠١؛ غرر الخصائص، ص ١٧، وخبر البداية والنهاية: قد قتلت في دولتكم أربعة آلاف وليس فيها ذكر اليمن.

(١) في (ب ــ ج ــ د): وقال.

(٢) في (د): بعد كلام طويل.

(٣) في (ج): لغضب عليك.

(٤) هو أبو السمط مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة، الشاعر المشهور. كان جده أبو حفصة مولى مروان بن الحكم، فأعتقه يوم الدار لأنه أبلى يومئذ. ولد سنة ١٠٥هـ قدم بغداد ومدح المهدي والرشيد ومعن بن زائدة وكان يتقرب إلى الرشيد بهجاء العلويين، مات ببغداد سنة ١٨٢هـ. النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ١٠٦؛ وفيات الأعيان، م ٥ ص ١٨٩.

(٥) في (ج): السمعة.

(٦) العقد الفريد، ج ٢ ص ٣٣؛ مروج الذهب، ج ٢ ص ٧٢٧؛ ربيع الأبرار، ج ١ =

فما في يديك الخير يا معنُ كله وفي الأرض أسباب وفيها مذاهب
سيأتي بنات العم مـا أنت صانـع إذا افتتحت عند الإياب الحقائب

ووكل من يوصلها إليه وسار فلما وصلت الرقعة إليه وقرأها أمر برده وقال والله لتفتشن عن خير كثير وأمر فملئت حقيبته دراهم[1].

وحضر ببابه شاعر فأقام مدة لا يتهيأ له الدخول عليه، فقال يوماً لبعض خدمه إذا دخل الأمير البستان فعرفني فلما دخله أعلمه. فكتب بيتاً على خشبة وألقاها في الماء، الذي يدخل البستان. فلما نظر معن في الخشبة أخذها فقرأها فإذا فيها مكتوب:

أيا جود معن نـاج معنا بحـاجتي فمـالي إلى معن سـواك رسـول

فقال من صاحب هذه، فدعا بالرجل فقال له كيف قلت أنشد البيت، فأمر له بمائة ألف درهم، فأخذها ووضع الخشبة تحت بساطه. فلما كان اليوم الثاني أخرجها من تحت بساطه، وقرأها فدعا بالرجل، فأمر له بمائة ألف أخرى، وكذلك في اليوم الثالث فلما أخذها الرجل، تفكر في عظم ما أخذ وخاف أن يسترجعها منه فخرج فلما كان في اليوم الرابع قرأ ما فيها ودعا بالرجل ق/٥١ فلم يوجد. قال معن حق على أن أعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار[2].

= ص ٧١٢؛ الفرج بعد الشدة، ج ٤ ص ٥٤ ــ ٥٥؛ وفيات الأعيان، م ٥ ص ٢٤٧، ولم تذكر هذه المصادر البيت الثاني من البيتين الأولين.

(١) وفيات الأعيان، م ٥ ص ٢٤٤ ــ ٢٤٥، هذا وأمثاله يحسبه القارىء في هذا العصر من قبيل الخيال والمبالغة، من موالي لدولة يتزلف لرجالها بمدحهم بالكرم ليستدر بذلك عطفهم. ولكن إذا عرفنا مقدار الثروة الفائضة عن نفقات الدولة عند العباسيين هان تصديق ذلك من الخلفاء ومن يتصل بهم فقد ذكر المسعودي أن ما خلفه المنصور زائد عن نفقات الدولة ٦٠٠,٠٠٠,٠٠٠ درهم و ١٤٠٠٠,٠٠٠ ديناراً؛ مروج الذهب، ج ٢ ص ٢٤٣.

(٢) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١٧٤؛ أعلام الناس بما وقع للبرامكـة مع بني العباس، ص ١٦١ ــ ١٦٢؛ ثمرات الأوراق على هامش المستطرف، ص ١٤٥.

قيلَ خرجَ على هارونَ الرشيدِ[1] بعضُ الخوارجِ ، فأنهضَ إليهِ جيشاً فَظَفِرَ به، فِلَمَّا دخلَ عليهِ، قالَ لَهُ ما تريدُ أنْ أصنعَ بِكَ قالَ الذي تريدُ أن يصنعَ اللهُ بِكَ، إذا وقفتَ بينَ يديه. فأطرقَ مليًّا ثُمَّ رَفَعَ رأسَهُ وأمرَ بإطلاقِهِ فَلَمَّا خرجَ قالَ بعضُ مَنْ حَضَرَ يا أميرَ المؤمنينَ يقتلَ أهلَكَ ويُفنِي أموالَكَ وتطلقُهُ لِكلمةٍ واحدةٍ، تأمل هَذا، فإنَّه يُجَرِّيءُ، عليكَ أهلَ الشر. فأمرَ بردِّهِ فلمّا مَثَل بينَ يديهِ، عَلِمَ أنه قَدْ سعَى بِهِ عِنْدَهُ، فقالَ يا أميرَ المؤمنينَ لا تطعْهُ فَلَوْ أطاعَ اللهَ فيكَ، ما استخلَفَكَ لحظةً واحدةً فأمرَ بإطلاقِهِ وقالَ لا تعاودْوني في بَابِه[2].

وَعَنْ جُريمٍ بن أبـي يَحيى المُزَنيِّ قالَ: دَعاني، يوماً للأكْلِ مَعَهُ فَلَمَّا توسَّطَ الأكلَ، رفع رأسَهُ إلى رَجُلٍ ، يكلِّمُهُ بالفارسيَّةِ قُلْتُ يا أمير المؤمنينَ انْ كنتَ تريد أَنْ تُسِرَّ إليهِ، فإني أفهمُ الفارسيَّة، فَأْمرْني أتنحَّى إلى أنْ تُقدِّمَ إليهِ بما تُريدُ فَاعجبَ الرشيدَ كرمُ أخلاقِهِ وَصَدَّقَهُ وَخَاطَبَ الرَّجلَ سِرًّا بما أرادَ وأمرَ لجريمٍ بِصِلَةٍ سَنِّيةٍ[3].

---

(١) هو هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد أمير المؤمنين الرشيد بن المهدي بن المنصور، خامس خلفاء بني العباس وأجلهم وأعظمهم نال في الخلافة ما لم ينله خليفة قبله. ولد سنة ١٤٧هـ بالري، بويع له بالخلافة بعد موت أخيه موسى الهادي، بعهد من أبيه المهدي سنة ١٧٠هـ وكان عمره آنذاك إثنين وعشرين سنة ونصف اعتمد على البرامكة في دولته فزينوها، إلى أن أكثروا الدالة عليه ففتك بهم. وكان جواداً ممدحاً، ورعاً صالحاً كان يكثر من الحج والغزو يقتفي أثر جده المنصور في تدبير أمر الدولة، إلا في العطاء فإنه كان سريع العطاء جزله، توفي بطوس سنة ١٩٣هـ وله ست وأربعين سنة وكانت مدة خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين/ فوات الوفيات، ج ٤ ص ٢٢٥ ـ ٢٢٧؛ البداية والنهاية، ج ١٠؛ ص ٢١٣ ـ ٢١٧؛ المعارف، ص ١٦٦؛ الفخري، ص ١٩٣؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ١٤٢ ـ ١٤٣؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٣٣٤ ـ ٣٣٧.

(٢) حياة الحيوان الكبرى، ج ١ ص ٧٦؛ العقد الفريد للملك السعيد، ص ١١٤ ـ ١١٥.

(٣) الأذكياء لابن الجوزي وفيه أن يحيى المروزي هو الذي قال كنت أكل مع الرشيد، ص ١٤٠.

وَقيلَ استزارَ إبراهيمْ بنُ[1] المهدي، أخاه هارونَ الرشيدَ بـالرَّقـةِ، فَلَمَّا حَضَرَ الطعامُ وكانَ الرشيدُ لا يأكلُ حاراً قَبْلَ باردٍ. فَوضعَتْ البوارِدُ بينَ يديهِ على المائدةِ، فَرَأى فيما قرب مِنْهُ جاماً[2] فِيهِ قريشُ السَّمكِ، فاستصغرَ القِطَعَ فقالَ لإبراهيم لِمَ يُصَغِرْ طباخُك السَّمكَ. فقالَ إنَّهُ لَمْ يُصَغِّرْ القِطَعَ، وانَّما هذه ألسنةُ السَّمكِ، فقالَ شَبيهٌ أنْ يكونَ في هذا الجامِ مائةُ لِسانٍ فقالَ لَه مراقبُ[3] خادِمِ إبراهيمَ يتولّى قهرمتَه، فيه يا أمير المؤمنينَ أكثرُ مِنْ مائةِ لسانٍ فاستحلَفُه على مبلغِ ثَمنِ السَّمكِ، الذي مِنها هذهِ الألسنةُ. فأخبَرُ أنَّهُ ألفُ دِرهمٍ فَرَفَعَ هارونُ يَدَهُ مِنَ الطَّعامِ وَحَلَفَ أنْ لاَ يطْعَمَ دونَ أنْ يُحْضِرَ مراقبُ ألفَ دينارٍ، فأحضرَها فأمَرهُ أنْ يتصدَّقَ بِها. وقالَ لإبراهيمَ أرجو أنْ يكون هذا كَفارةً لِسَرَفِكَ في انفاقِكَ، على جامِ سَمَكٍ ألفَ دِرْهمٍ، ثُمَّ أخذَ الجامَ بيدِهِ، وَدَفَعَهُ إلى بعضِ خَدَمِهِ. وقالَ أُخرجْ مِنْ دارِ أخي، ثم انظرْ أوَّلَ سائِلٍ تراهُ، فادفعْهُ إليه. قالَ إبراهيمُ وكانَ شراءُ الجامِ على مئتينِ وسبعينَ ديناراً فغمزتُ بعضَ خَدَمِي أنْ يَخْرُجَ مَعَ الجامِ فيبتاعَهُ مِمَّنْ يُدْفَعُ إليهِ، وكأنَّ الرَّشيدَ فَهِمَ ذلكَ مِني فهتَفَ بالخادِمِ، وقالَ إذا دَفعتَ الجامَ إلى السائِلِ، فقلْ لهُ يقولُ لكَ أميرَ المؤمنين، احذرْ أنْ تبيعَ الجامَ بِأقل من مئتي دينار فإنَّه يُساوي أكثرَ مِنْها. فَفَعَلَ الخادِمُ ما أمَرهُ، قالَ فواللهِ ما أمكَنَ خادِمُ إبراهيمَ أن يشتريَهُ، ويردَّهُ إلى الدّارِ إلا بمائتي دينارٍ، كما أوصى أميرُ المؤمنينَ[4].

وَلمّا حُمِلَ الشَّافِعِيُّ[5] رَحمهُ اللهُ مِنَ اليمنِ إلى الرشيد، حينَ وُشِيَ بِهِ

---

(١) تقدمت ترجمته، ص ٢٠٣.
(٢) الجام قدح من خشب؛ القاموس المحيط.
(٣) لم أعثر له على ترجمة فيما لدي من مراجع.
(٤) مروج الذهب، ج ٢ ص ٢٨٦ ــ ٢٨٧، وفيه أن الرشيد كان يأكل الحار قبل البارد، تهذيب تاريخ ابن عساكر، ج ٢ ص ٢٧٩.
(٥) تقدمت ترجمته، ص ٢٩٠.

إليهِ فجرَى لَهُ مَعَهُ كلامٌ كثيرٌ إلى أَنْ قالَ لَهُ الرشيدُ، هَلْ مِنْ موعِظَةٍ تَعِظُ بها أميرَ المؤمنينَ. قالَ نَعَمْ (على تركِ الحشمَةِ وَرَفعِ الهيبَةِ)[1]، وقبولِ النُّصحِ والقاءِ رداءِ الكِبْرِ عن منكبِكَ. قالَ الرشيدُ لَـكَ ذلك، فَجَثى (الشافعيُّ)[2] على ركبتيهِ. وقالَ يا ذا الرَّجلِ، إنَّه مَنْ أطالَ عِنَانِ الأمرِ في العِزِّ، طَوى عذارَ الحذَرِ بالمهلةِ، وَمَنْ لَمْ يعوِّلْ على طريقِ النجاةِ، كانَ بجانِبِ قِلَّةِ الاكتِراثِ بالمراجَعَةِ إلى اللهِ مُقيماً. وَمَنْ أَحْسَنَ الظَّنَ، كَانَ مِنْ أَمَنَةِ المحذورِ، في مِثْلِ نسجِ العنكبوتِ، لا تأمنُ على نفسِهَا، وَتَحْجِزُها عن سَعْيِها، فَلَوْ جَرَّعَها مخالفَتَها وبادرَ خوفَ المراجعةِ، بالتزوُّدِ إلى دارِ المقامةِ، إنْ لَوْ فعلتَ ذلكَ يا رَجُلُ ما اهتدتْ إليكَ يَدُ النَّدامةِ وَلَأبدَرْتك غداً ق/٥٢ في القيامةِ، لكنَّكَ أتيتَ مِنْ حيثُ لا يُؤدِّي إلى فَهمِكَ، مَنْ أذنَ لمجِّ الكلامِ بسمعِكَ فَمِن ثَمَّ أعقبَكَ التَّواني، والاغترارُ بنفسِكَ وَلَوْ كانَ لَكَ (أميرٌ)[3] مِنْ عقلِكَ ينقد لكَ ما سقَطَ من عيوبِكَ، لشغلَكَ ذلكَ عن النَّظَرِ في عيوبِ غَيرِكَ وَلكنْ ضَرَبَ الهَوى عليكَ رِواقَ الحيْرَةِ فتركَكَ إذا خرجْت يدْ موعِظتِكَ، لم تكدْ تراها وَمَنْ لَمْ يجعلِ اللهُ لَهُ نوراً، فَما لَهُ مِنْ نورٍ. فَبَكى الرشيدُ حتَّى بَلَّ مِنديلاً كانَ في يدِهِ، ثُمَّ قالَ لَهُ خاصةُ مَنْ يقومُ على رَأسِهِ، اسكتْ فقدْ أبكيتَ أميرَ المؤمنينَ فالتفتَ إليهِمُ الشَّافعيُّ، رَحِمَهُ اللهُ، وقالَ: يا عبيدَ الدُّنيا، الذينَ باعـوا أنفسَهُم لمحبوبِ الدُّنيا، أمَا رأيتُم ما استُدرِجَ بِهِ مَنْ كانَ قَبْلَكُم مِنَ الامَمِ بالأماني ألَمْ تَروا كيفَ فَضَحَ اللهُ مستورَهُم، وأمطرتْ بواكيرُ الهمومِ عليهِم، بَعدَ سُرورِهِمَ فأصبحُوا بَعْدَ خِفضِ عيشِهم، ولينِ رفاهيتِهِم، في نسيم روضةِ البطَّالينَ حصائِدَ النِّقَمِ ومدارجَ المثولاتِ. فقالَ لَهُ الرشيدُ لَقَدْ سللتَ علينا

---

(١) في (ب ــ ج): على رفع الحشمة وترك الهيبة.

(٢) زيادة من (ج).

(٣) في (ب ــ د): أمين.

لِسَانَكَ وَهُوَ أمضى من سيفِكَ فقالَ لَهُ الشافعيُّ إنْ قبلتَهُ فهو لَكَ، وإلا عليكَ. قالَ فَهَلْ مِنْ حاجةٍ خاصّةٍ بَعْدَ العامةِ، قالَ بعدَ مكنونِ النَّصيحةِ، وتجريدِ الموعظَةِ تأمُرنُي ان أُسَوِّدَ وَجْهَ مَوعظَتي بالمسأَلةِ قالَ ثُمَّ ماذا قالَ النَّظَرُ في أمورِ الرَّعيّةِ والقِسمَةِ بينَهُم بالسَّويةِ، قالَ وَمَنْ يُطيقُ ذلكَ، قالَ مَنْ تُسمَّى باسمِكَ، وَنُسِبَ إلى موضِعِكَ. قالَ ثُمَّ ماذا قالَ الحبُّ أحِبْ اللهُ، وجيرانَ قبرِ رسولِ اللهِ صلى الله عليهِ وعلى آلهِ، أمّا واللهِ لَوْ أردتَ عِمارَةَ قَبْرِ رَسولِ اللهِ صلىَ اللهُ عليه وعلى آلهِ وسلّمَ لَلَزِمَكَ في ذلك مؤنةٌ. قالَ فأمَرَ الرشيدُ بمالٍ للمهاجرينَ والأنصارِ والعلويةِ، وأمرَ للشافعيِّ، رَحِمَهُ اللهُ، بخمسينَ ألفِ دينارٍ، وَحَمَلَهُ على فَرَسٍ[1].

وكانَ الرَّشيدُ يُصَلّي في كُلِّ يَومٍ مِئَة ركعةٍ، (إلى أَنْ تُوفيَ)[2] ويتصدّقُ في كُلِّ يَوم بمائةِ ألف درهمٍ، (فإذا حَجَّ حَجَّ مَعَهُ مائةٌ مِنَ الفقهاءِ كُلُّ فقيهٍ منهُم بزادِهِ وَراحِلَتِهِ)[3]. وُجِدَ ذلكَ في كِتابِ تَفاوتِ التواريخِ واللهُ أعلمُ[4].

قالَ الأصمعيُّ[5]: قصدتُ في بعضِ الأيـامِ، رجلاً كنْتُ أغشـاهُ

---

(١) خلاصة الذهب المسبوك، ص ٢١٠ ـ ٢١٢، مع اختلاف في بعض الجمل زيادة ونقصاً فقد ذكر الأربلي في الخلاصة ما جرى للشافعي مع هارون الرشيد من حين وفوده إلى أن تبين براءته وطلب موعظته ووعظه/ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٥٢، وذكر فيها كيف وشي بالشافعي إلى الرشيد فحمل إليه وناظره وتبين براءته/ شـذرات الذهب، ج ١ ص ٣٣٦، وذكر فيها بداية نصيحة الشافعي للرشيد.

(٢) زيادة من (ج).

(٣) زيادة من (ج ـ د).

(٤) تاريخ الطبري، ج ١١ ص ٧٤٠؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢١٤؛ فوات الوفيات، ج ٤ ص ٢٢٦؛ تاريخ الخلفاء، ص ٢٨٤، إلا أن المراجع تذكر أنه كان يتصدق كل يوم بألف درهم وليس بمئة ألف.

(٥) هو أبو سعيد عبدالملك بن قريب الباهلي، أحد الأئمة الأعلام، باللغة والأخبار والنوادر والملح، ولد سنة ١٢٢هـ ونادم الرشيد، وله تصانيف كثيرة، توفي بالبصـرة سنة =

لكرمه، فوجدتُ على بابِهِ بَوّاباً، فمَنعنِي مِنَ الدُّخولِ عَليه. فقالَ البوَّابُ واللـهِ ما أوقفَنِي على بابِهِ، لِأمنعَ مِثلَكَ الدّخولَ عليهِ، لرقة حاله وقصور يده، فكتبتُ رُقعةً أقولُ فيها:

إذا كـانَ الكـريمُ لَـهُ حِجـابٌ ... فَمـا فضـلُ الكـريمِ على اللَّئيم

ثُمَّ قلتُ أوْصِلْ رقعتي هذِهِ إليهِ ففعلَ. فعادتْ الرُّقعَةُ، وَقَدْ (كُتِبَ)[1] على ظهرِها:

إذا كـان الكـريمُ قليـلَ مـالٍ ... تَسَتَّـرَ بـالحجـابِ عَنِ الغـريمِ

ومع الرقعةِ صُرةٌ فيها خمسُمائةِ دينارٍ وَعذْرٌ. فقلتُ واللهِ لَا تحِفنَّ أميرَ المؤمنينَ بِهذا الحديثِ، فجئتُ إلى الرشيدِ فَلَمّا رآني قالَ مِنْ أيْنَ يا عبدَ الملكِ قلتُ مِنْ عِندِ رَجُلٍ، أكرمَ الأحياءَ حاشا أميرَ المؤمنينَ، قالَ وَمَنْ هُوَ قلتُ رَجُلٌ قَراني علِمَهُ مالَهُ، ثُمَّ دَفَعْتُ إليهِ الرُّقعةُ والصُّرةَ. قالَ هذا خَتْمُ بيتِ مالِي فلا بدَّ لِي مِنَ الرَّجُلِ، الذي دَفَعَها إليكَ. قلتُ يا أميرَ المؤمنينَ واللهِ إنِّي لأستحيَ أنْ أروعَهُ بِرُسِلِكَ، فقـالَ لِبعضِ خاصتِـهِ امضِ مَعَ الأصمعيّ، فإذا أراكَ الرّجلَ فَقُلْ لَهُ، أجبْ أميرَ المؤمنينَ مِنْ غيرِ ازعاجٍ. قالَ فَلَمّا حَضَرَ الرجلُ بين يديّ الرّشيدِ، قالَ لَهُ أما أنتْ بالأمسِ، وقفتَ بموكِبنا وشكوتَ رقةَ حالِكَ وأنَّ الزمانَ أناخَ عليكَ بكلكله، فَدَفعنَا إليكَ هذهِ الصُّرةَ لِتُصْلِحَ بِهَا حالَكَ فقصدَكَ الأصمعيُّ ببيتٍ واحدٍ فَدَفَعتها إليهِ، قالَ واللهِ ما كذبتُ فيما شكوتُ يا أميرَ المؤمنينَ مِن رِقةِ الحالِ وصعوبةِ الزّمانِ وَلكني استحيت مِنْ اللهِ تعالى أَنْ أعيدَ قاصِدي، إلا كمـا أعادَني أميـرُ المؤمنينَ. فقالَ لِلّهِ دَرُّكَ فما وَلَدتِ العربُ أكرمَ مِنْكَ، ثُمّ أَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دينارٍ،

= ٢١٦هـ؛ وفيات الأعيان، م ٣ ص ٧٠؛ تاريخ بغداد، ج ١٠ ص ١١٠؛ الفهرست، ص ٥٥.

(١) في (ب ـ ج ـ د): وقع.

فقلتُ أَلحِقني بِهِ يا أميرَ المؤمنينَ فتبسمَّ وَأَمَر أنْ تكملَ لي ألفَ دينارٍ، وعادَ الرَّجلُ مِنْ جملةِ ندمائِهِ[1] ق/٥٣.

وَقيلَ لَمّا حَجَّ الرشيدُ، وَرَجَعَ قافلاً دَعا صالِحاً، حينَ تَنكَّرَ للبرامِكةِ، فقالَ آخرجْ إلى منصورِ بنِ زيادٍ[2]، فقلْ لَهُ قَدْ صَحَّتْ عليكَ عَشَرَةُ آلافِ ألفِ درهمٍ، فاحملْها إليَّ مِنْ يومِكَ، فإنْ هُوَ دَفَعَها إليكَ كاملةً قَبلَ مَغيبِ الشمسِ من يومِكَ هذا، وإلا فاحملْ إليَّ رأسَهُ، وإيّاكَ وَمُراجَعَتي في شيءٍ مِنْ أمرِهِ. قالَ صالحُ فخرجتُ إلى منصورٍ فَعَرَّفتُهُ الخبرَ، فقالَ إنّا لِلّهِ وإنّا إليهِ راجعونَ ذهبتْ واللهِ نَفسي ثُمّ حَلَفَ أنَّه لا يعرفُ مَوضِعَ ثلاثمائةِ ألفِ درهمٍ، فكيفَ عَشَرةُ آلافِ ألفِ درهمٍ، فقالَ لَهُ صالحُ خُذْ في (عملِكَ)[3]. (قلتُ)[4] لَهُ امضِ إلى منزلي حَتّى أُوصِيَ وأتقدَّمَ في أمرِي فَمَا هُوَ إلاّ أنْ

---

(١) ثمرات الأوراق في المحاضرات على هامش المستطرف، ج ١ ص ٢٣٢ ـــ ٢٣٣؛ المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١٩٧ ـــ ١٩٨.

(٢) هو صالح صاحب المصلى، كما ورد ذلك في الوزراء والكتاب، سمي بذلك لأنه لما عرض أبو جعفر المنصور، خزائن علي بن عبدالله بن سليمان على قواده، اختار كل واحد شيئاً فاختار صالح حصيراً للصلاة من عمل مصر ذكروا أنها كانت في خزائن بني أمية وان النبي، صلى الله عليه وسلم، صلى عليها، أمره المنصور ببيع القراطيس ثم عدل عن ذلك وبعثه الرشيد لتخليص المال من ابن زياد/ تاريخ العيني، ج ١٣ ص ٣٤؛ الوزراء والكتاب، ص ١٣٨، ٢٢٢.

(٣) كان منصور بن زياد من جملة كتاب البرامكة، فقد كتب ليحيى بن خالد، والفضل بن يحيى، ولما ولي الرشيد الفضل أمر محاربه يحيى بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب استخلف الفضل منصور بن زياد بباب أمير المؤمنين، تجري كتبه على يديه وكانوا يثقون بمنصور وابنه في جميع أمورهم لقديم صحبته وأرسله يحيى بن خالد إلى عبدوية الأنباري عندما تغلب على إفريقيا هو ويقطين بن موسى/ الوزراء والكتاب، ص ١٧٨؛ الطبري، ج ١٠ ص ٦١٣ ـــ ٦٣٠.

(٤) في (ب ـــ ج ـــ د): أمرك.

(٥) في (ب ـــ د): فقال امض بنا.

دخلَ حَتّى ارتفعَ الصُّراخُ مِنْ منازِله، وَحُجَرِ نِسائِهِ، فَأَوْصى وَخَرَجَ وَما فيه لَحْمٌ ولا دَمٌ. فقالَ امضِ بِنا إلى أَبي عَليّ، يَعْني يَحيى بنَ خالدٍ[1]، فَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَأتِيَنا بِفَرَجٍ من جِهَتِهِ، فمضيتُ مَعَهُ فَدَخَلَ على يَحيى بن خالدٍ، فقالَ لَهُ يَحيى، مَـاوراءَكَ فَقصَّ عليـهِ القِصَّـةَ فَقَلِقَ يَـحيى لِأَمـرِهِ وأطـرقَ مُـفكـراً (وَدَعا جاريةً وَقالَ لَها كَمْ عِنْدَكِ مِنَ المالِ قالتْ خمسةُ آلافِ ألفِ دِرْهمٍ)[2] قالَ هاتيها فأحضرَتْها ثم وَجَّهَ إلى وَلَدِها الفضْلِ انَّكَ كنتَ أعلمتَني، فِداكَ أبوكَ أنَّ عِنْدَكَ ألفيْ ألفِ درهمٍ وددتَ أنَّكَ تَشتري بِها ضَيْعةً، وَقدْ وَجَدْتُ لَكَ ضيعةً يبقى ذِكرُها وَشُكرُها وَتحمدُ ثمرتَها فوجِّهَ إليَّ بالمـالِ، وقالَ للرسولِ امضِ إلى جعفرٍ فَقُلْ لَهُ ابعثْ لِي، فِداكَ أبوكَ، بألفِ ألفِ دِرْهَمٍ، لِحقٍّ لَزِمني فَوجها إليه فقالَ هذِهِ ثمانيةُ آلافِ ألفِ درهمٍ، ثُمَّ أَطْرَقَ طويلاً، لِأَنَّه لَمْ يكُنْ بَقيَ معهُ مِنَ المالِ شيءٌ ثُمّ رَفَعَ رأسَهُ إلى خادِمٍ لَهُ، فقالَ امضِ إلى دنانيرَ[3] فقلْ لَها وَجِّهِي إليَّ بالعِقْدِ الذي كَانَ أميرُ المؤمنينَ، وَهَبَهُ لك فجابَهُ فإذا هو عِقد كَعَظْمِ الذّراعِ، فقالَ لِصالحٍ اشتريتُ هذا بمائةِ ألفِ

---

(١) تقدمت ترجمته، ص ١٤٠.

(٢) في (ب ـ ج ـ د): ثم دعى خازنه فقال له.

(٣) هو أبو العباس الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك. أخو الرشيد من الرضاعة، تولى الوزراء الرشيد قبل أخيه جعفر، وكان الفضل أكرم من أخيه، جعفر مع تكبر فيه. وكانت ولادته سنة ١٤٧، توفي سنة ١٩٣؛ وفيات الأعيان، م ٤ ص ٢٧؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢١٠؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ١٤٠؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ٣٣٠.

(٤) مولاة يحيى البرمكي ومغنيه من مغنيات العصر العباسي كانت لرجل من أهل المدينة فلما رأهـا يحيى بن خالد البرمكي وقعت بقلبه فاشتراها، وظلت مواليه للبرامكة، حتى آخر عهدها بالحياة. فقد قيل ان الرشيد طلب منها الغناء بعد نكبة البرامكة فقالت يا أمير المؤمنين إني آليت أن لا أغني بعد سيدي أبداً/ أعلام النساء، ج ١ ص ٤١٧، ٤١٩.

وعشرينَ ألفِ دينارٍ، فَوَهَبَه أميرُ المؤمنينَ، لدنانيرَ وَقَدْ حسبناهُ بِألفي ألفِ دِرْهَمٍ وهذا تمامُ المالِ، فانصرفْ وخلِّ صاحِبَنا، لا سبيلَ لَكَ عَلَيهِ. قالَ صالحُ فأخذتُ ذلك ورددتُ منصوراً معي، فَلَمَّا صِرنَا بالبابِ أَنْشَد مُتمثِّلاً:

فما بُقْيَا عليَّ تركتماني ولكن خِفتما صَرِدَ[1] النبال

قالَ صالحُ فقلتُ مَا على وَجهِ الأرضِ، رَجلٌ أنبلَ مِنْ رَجُلٍ خرجنا مِنْ عِنْدِهِ ولا سمعتُ بِمثلِهِ، فيما مَضَى ولا يكونُ فيمنْ بَقِيَ، وَلاَ عَلَى وَجْهِ الأرضِ، رَجلٌ أخبثَ سريرةً، ولا أردأَ طبعاً، مِنْ هذا النبطيّ، إذا لم يَشكُرْ مَنْ أحياهُ. قالَ ثُمَّ صرتُ إلى الرّشيدِ، فقصصتُ عَلَيهِ قِصّةَ المالِ، وطويتُ عَنْهُ ما قالَ منصورٌ، لِأني خِفتُ إنْ سَمِعَهُ أَمَر بِضَرْبِ عُنُقِهِ. قالَ الرشيدُ أَمَا إنّي قَدْ عَلِمتُ، مَنْ نَجا لم ينجُ إلا بأهْلِ هذا البيتِ. وقالَ اقبضِ المالَ، واردد العقدَ على دنانيرَ لأني لَمْ أَكنْ لِأَهبَ هِبةً، فَترجَعَ إليَّ. قالَ صالحُ فَلَمْ أَطبْ نفساً، بِتركِ تعريفِ يحيى ما قالَ منصورُ، فقلتُ لَهُ بَعْدَ أَنْ أَطنَبْ في شُكرِه، وَوصفِ ما كانَ مِنهُ لقدْ أنعمتَ عَلى غيرِ شاكرٍ، قابلٍ أكرمَ فِعلٍ بالأمِ قولٍ. وَكَيفَ ذلكَ فأخبرتُهُ بِما قالَ، فَجَعَلَ واللهِ يطلبُ لَهُ المعاذيرَ. وقالَ يا أبا عَليّ إنَّ المُخوَّف القلبَ رُبّمَا سَبَقَ إلى لِسانِهِ ما ليسَ في ضَميرِهِ، وقَدْ كانَ الرَّجلُ في حالٍ عظيمةٍ. فقلتُ واللهِ ما أدْري أيَّ أمريكَ أعجبُ، أَمِنْ أوّلِهِ أَمْ مِنْ آخرِهِ، لكني أعلمُ أنَّ الدَّهرَ لا يخلفُ مثلَكَ أبداً[2].

قالَ يحيى بنُ خالدٍ مَن أحسنتُ إليهِ، فأنا مُرْتَهَنٌ بِهِ، وَمَنْ لَمْ أُحْسِنْ

---

(١) الصرد: مسمار في السنان يشك به الرمح ومن الجيش العظيم، القاموس المحيط.

(٢) الوزراء والكتاب، ص ٢٢٢، ٢٢٤؛ خلاصة الذهب المسبوك، ص ١٦١؛ المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١٣٨ ــ ١٤٠؛ الفرج بعد الشدة، ج ٤ ص ١٠؛ التر المسبوك على هامش سراج الملوك، ص ١٢٤؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٠٥.

إليهِ فَأَنا مُخَيَّرٌ فِيهِ(١). وقَالَ: ذِكْرُ النِّعمَةِ مِنَ المُنْعِمِ تكديرٌ، ونسيانُ المُنْعمِ عليهِ كُفْرٌ(٢). وقَالَ يَدُلُّ على كـرم الرَّجُلِ، سوءُ أَدَبِ غِلمانِهِ(٣). وقِيلَ لَهُ لِمَ لا تقولُ الشِّعْرَ فقالَ شيطانُهُ أخبثُ مِنْ أَنْ أُسَلِّطَهُ على عَقْلِي(٤). وقالَ: إذا أدبرَ الأمرُ كانَ العَطَبُ في الحيلَةِ(٥).

وقِيلَ رَكِبَ مُحَمَّدُ بْنَ إبراهيمَ(٦) دَينٌ ق/٥٤ فَرَكِبَ إلى الفضْلِ(٧) بْنِ يَحيَـى، وَمَعَهُ حُقٌّ فِيه جَواهِرُ، فقالَ لَهُ قَصَّرتْ بِنا غلاتُنا وأغفَلَ أمرَنا خليفتُنا وتزايدتْ مؤنتنا فَلَزِمَنَا دَيْنٌ احتَجنا إلى أدائِهِ وَهُوَ ألفُ ألفِ دِرْهَمٍ وكرهتُ بَذْلَ وَجْهي لِلتّجارِ، وأذالة(٨) عِرْضي مِنْهُم. ومعي رَهْنٌ وَثِيقٌ بذلك، فإنْ رأيتَ أَنْ تأمرَ بَعضَ غلمانِكَ بقبضِهِ، وحَملَ المالِ إلينا فعلتُ، فَدَعَا الفضلَ بالحُقِّ، فَرَأَى ما فيه وخَتَمَه بِخَتْمِ مُحَمّدِ بنِ إبراهيمَ، ثُمَّ قالَ لَهُ نَجْحُ الحاجَةِ، أَنْ

(١) تاريخ بغداد، ج ١٤ ص ١٢٩؛ الوزراء والكتاب، ص ٢٠٢؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٥.

(٢) التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٥.

(٣) التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٦؛ وفيات الأعيان، م ٦ ص ٢٢٧؛ الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء، ص ٩١.

(٤) الوزراء والكتاب، ص ١٩٧؛ التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٦.

(٥) التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٥؛ الوزراء والكتاب، ص ٢٢٧، وفيه إذا انقضت المدة كان الحتف في الحيلة.

(٦) هو محمد بن الإمام إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس الأمير أبو عبدالله الهاشمي العباسي. ولي إمرة دمشق لأبـي جعفر المنصور، ولولده المهدي، وحج بالناس عدة سنين، وكان عاقلاً جواداً ممدحاً توفي ببغداد وصلى عليه الأمين ودفن بالعباسية سنة ١٨٥هـ/ شذرات الذهب، ج ١ ص ٣٠٩؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ١١٨ ــ ١١٩؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ١٨٦.

(٧) تقدمت ترجمته ٣٣٩.

(٨) الاذالة: من الذل، أي لم أرد أن أذل نفسي حتى لا يستخف بـي التجار.

تُقِيمَ اليومَ عِنْدِي في مَنْزِلِي، فقالَ لهُ إنَّ المقامَ على مَشَقَّةٌ فقالَ: لَهُ ما يُشقُّ عليكَ مِنْ ذَلِكَ إنْ رأيتَ أنْ تَلْبَسَ بعضَ ثيابِنَا، دَعوتُ بِهِ وإلا أمرتُ بإحضارِ ثيابٍ مِنْ دارِكَ. فأقامَ ونَهَضَ الفضلُ فَدَعَا بوكيلِهِ، وأمرَهُ بِحَملِ المالِ وتسليمِ الحقِّ الذي فيهِ الجوهرُ إلى وكيلِ مُحَمّدِ بنِ إبراهيمَ وأخَذَ خَطَّهُ بذلكَ. فَفَعَلَ الوكيلُ ذلكَ، وأقامَ مُحَمّدُ عِنْدَهُ إلى اللَّيْلِ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ خبرٌ بشيءٍ مِنَ الأمرِ ثُمَّ انْصَرَفَ إلى مَنْزِلِهِ فَأَحْضَرَ الوكيل المال والحُقَّ فَغَدا على الفضْلِ لِيُشكَرَ لَهُ فَوَجَدَهُ قَدْ سَبَقَهُ بالرُّكوبِ إلى دارِ الرَّشيدِ فوقَفَ منتظراً له، فقيلَ لَهُ قَدْ خرَجَ مِنَ البابِ الآخَرِ، فاتبعَهُ فَوَجَدَهُ سَبَقَهُ إلى دارِ ابنِهِ فَوَقَفَ ينتظرُهُ فقيلَ له قَدْ خرَجَ مِنُ البابِ الآخرِ، قاصداً إلى منزِلِهِ، فانصرَفَ عَنْهُ فلمّا عادَ إلى مَنْزِلِهِ وَجَّهَ الفضلُ إليهِ بِألفِ ألفِ أُخْرى فغدا عليه فَشَكَرَهُ وأطالَ، فَأَعْلَمَهُ الفضلُ أَنَّهُ باتَ بليلةٍ طالتْ غَمّاً بِمَا شَكَاهُ إلى أنْ لَقِيَ الرَّشيدَ، فَأَعْلَمَهُ بِحالِهِ وَأَمَرَهُ بِالتَّقديرِ لَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُماكِسُهُ إلى أنْ تقرَّر الأمرُ مَعَهُ على ألف ألفِ درهمٍ، فقالَ إنَّهُ لم يَصِلْكَ بِمثْلِها قَطُّ ولا زادَكَ على عِشرينَ أَلفِ دينارٍ فشكرتُهُ، وسألتُهُ أنْ يصلكَ بِهَا صكّاً بِخَطِّهِ ويجعلَني الرَّسولَ ففعَلَ فشكره مُحَمّدُ. وَقَالَ صَدَقَ أميرُ المؤمنينَ أنَّهُ لَمْ يَصِلْني بأكثرَ مِنْ عِشرينَ ألفِ دينارٍ، وهَذا إنَّما تَهيأَ بِكَ وَعَلى يَدَيْكَ، وما أَقْدِرُ على القيامِ بِحَقّكَ ولا على شكرٍ أُجازي بِهِ معروفَكَ غَيْرَ أَنَّ عليَّ وَعَليَّ أيماناً مؤكدةً إنْ وقفتُ ببابِ أَحَدٍ سِواكَ ولا سألتُ غيرَكَ حاجةً أبداً، ولو سففتُ التّرابَ. فكانَ لا يركَبُ إلى غيرِ الفضْلِ، إلى أن كانَ مِنْ أَمْرِهِمْ ما حَدَثَ، فكانَ لا يركَبُ إلى غيرِ دارِ الرَّشيدِ ويَعُودُ إلى منزِلِهِ فعوتِبَ بَعْدَ تَقضّي (أمرِهِمْ)[1]، في تَرْكِ الرُّكوبِ إلى الفَضْلِ بنِ الرَّبيعِ، فقالَ واللّـهِ لو عَمَّرتُ أَلْفَ عامٍ ومصصتُ

(١) في (ب ــ د) أيامهم.

الثِّمادَ، ما وقفتُ بِبابِ أَحَدٍ، بَعْدَ الفضْلِ بنِ يَحيى، ولا سَأَلْتُهُ حاجةً أبداً حَتّى أَلقَى اللّـهَ تَعالى، فلم يزلْ ذلكَ حالُهُ حَتّى ماتَ[1].

وقيلَ: دَخَلَ مُسْلِمُ بنُ الوليدِ[2] على الفضلِ بنِ يَحيى، وَقَدْ كَانَ وَرَدَ عليهِ خَبَرٌ سرَّهُ، فَجَلَسَ للشعراءِ فَمَدَحُوهُ وأثابَهُم، ونَظَرَ في حوائجِ النَّاسِ فَقَضَاهَا، وتفرَّقَ الناسُ عَنْهُ، وخَلاَ في مَنْزِلِهِ، وَلَمْ يحضرْ مسلمُ ذلكَ، وإنَّما بَلَغَهُ حينَ انقضَى المجلسُ، فَدَخَلَ عليهِ فاستأْذَنَهُ في الإنشادِ فَأَذِنَ له فأنشدَهُ قولَهُ:

أَتتْـكَ المـطايَا تهتـدي بِمَـطِيَّـةٍ ... عَلَيْهَا فَتًى كالنَّصْلِ يُؤْنِسُهُ النَّصلُ
وردتُ رواق الفضـل آمـلَ فضلهُ ... فحطُّ الثنـاءِ الجزلِ نـائلُهُ الجزلَ
فَتى تَـرْتَعِي الآمـالُ مُـزْنَـةَ جُـودِهِ ... إذا كَانَ مَرْعَـاهَا الأمـانيُّ والمطلُ
تُسـاقِطُ يُمْنَـاهُ النـدى وَشِمـالُـهُ ... الردى وعيونُ القَوْلِ مَنْطِقُهُ الفصل
أَلَحَّ عَلَى الأَيَّامِ يَفْـري خُطُوبَهـا ... عَلَى مَنْهَجٍ ألفى أباهُ بِـهِ قَبْـلُ
أَنَافَ على العَلْيَاءِ يَحْيَـى وخـالد ... فَلَيْسَ لَـهُ مِثْـلٌ وَلا لَهُمـا مِثْـلُ
فـروع أصـابت مغـرسـاً متمكنـاً ... وأصلاً فطابت حيث وجهها الأصل
بِكَفِّ أبـي العباسِ يُسْتَمْطَرُ الغِنَى ... وَتُسْتَنْزَلُ النُّعْمى وَيُسْتَرْعَفُ النَّصْل

---

(١) المحاسن والمساوى، ج ١ ص ٣٣٣ ــ ٣٣٥؛ الوزراء والكتاب، ص ١٩٥؛ المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١٣٦ ــ ١٣٨.

(٢) هو أبو الوليد مسلم بن الوليد الأنصاري. المعروف بصريع الغواني أحد فحول الشعراء، ومولى أسعد بن زرارة الخزرجي. كان أول أمره خاملاً يعمل أجير فران، فانقاد له الشعر، وكسب به الأموال العظيمة ثم اتصل بابني سهل الحسن والفضل فولوه بريد جرجان وله مدائح في الرشيد والبرامكة توفي سنة ٢٠٨هـ/ فوات الوفيات، ج ٤ ص ١٣٦ ــ ١٤٢؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ١٨٦؛ تاريخ بغداد، ج ١٣ ص ٩٢؛ الشعر والشعراء، ص ٣٩٩.

فطرِبَ الفضلُ طَرَباً شديداً، وأَمَرَ بأنْ تُعَدَّ الأبياتُ، فَعُدَّتْ فكانَ مَبلَغُهَا ثمانينَ بيتاً. فَأَمَرَ لَهُ بثمانينَ ألفِ دِرْهَمٍ وقالَ: لَولا أنَّه أكثرُ ما وُصِلَ بِهِ شاعرٌ لزدتُكَ وَلكنَّهُ شيءٌ لا يمكن تَجاوزَهُ يَعْني أَنَّ الرشيدَ (رَسَمه)[1] لِمروانَ بنِ أبـي حَفْصَةَ[2].

وَروَى أَنَّ مروانَ بنَ أبـي حفصةَ[3] ــ ق/٥٥ ــ دَخَلَ على الرَّشِيدِ فَأَنْشَدَهُ مدحاً فيه، فقالَ مَنْ أنتَ قالَ شاعِرُكَ مروانُ بنُ أبـي حفصةَ فقالَ ألستَ القائلَ:

أقمنا بالمدينة بعد مَعْن ... مُقاما لا نُريدُ به زوالا
وَقُلْنَا أَيْنَ نذهب بعد معنٍ ... وقَدْ ذَهَبَ النَّوالُ فلاَ نَوالاَ
وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمُ لِمَعْنٍ ... إِلَى أَنْ زَارَ تربَته عِيالاَ

فقد ذهب النوال كما زعمتم. فِلِمَ جئتَ تطلبُ نَوالَنا. لا شيءَ لَكَ عِنْدَنا جُروا بِرجلِهِ، (فجروا بِرجلِهِ)[4] حَتّى أُخْرِجَ فَمَكَثَ سنةً ثُمّ دَخَلَ عليهِ في جُملةٍ مِنَ الشُّعراءِ فأنشدَهُ قوله:

طَرَقَتْكَ (زائرةٌ)[5] فَحَيِّي خيلَهَا ... بَيْضَاءُ تَخْلِطُ بالحَياءِ دَلالَهـا
هَلْ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّماءِ نُجُومَها ... بِأَكُفِّكُمْ أَو تَسْتُرُونَ هِلاَلَها

(حتى بلغ قوله)[6]:

---

(١) في (ب) رصده.

(٢) ديوان صريع الغواني، ص ٢٦٣؛ المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١١٥ ــ ١١٦؛ الشعر والشعراء، ص ٨١٢.

(٣) تقدمت ترجمته، ص ٣٣١.

(٤) ساقطة من (ج ــ د).

(٥) في (ج) طائفة.

(٦) زيادة من (ب ــ ج ــ د).

أَوْ تَجْحَـدُونَ مَقالَـةً مِنْ رَبِّكُمْ جِبْـرِيـلُ بَلَّغَهـا النَّبـيَّ فَقـالَهَـا
شَهِـدَتْ مِنَ الأَنْفَـالَ آخِـرُ آيَـةٍ بِتُـراثِـهِـمْ فَـأَرَدْتُـمُ إِبـطـالَـهـا

فزحَفَ الرشيدُ حَتّى صارَ على البِساطِ. وقالَ: كَمْ هِيَ قالوا هِي مائةُ بيتٍ فأمرَ لهُ بمائةِ ألفِ دِرهَمٍ[1].

وقيلَ: دَخَلَ يزيدُ بنُ مِزيدِ[2] (على الرَّشيدِ)[3] فقالَ لَهُ: مَنِ الذي يقولُ فيكَ:

لا يَعْبَقُ الـطِّيبُ خـديه وَمَفْـرِقَـهُ وَلاَ يُمَسِّـحُ عَيْنَيْـهِ مِنَ الكُحُـلِ
قَدْ عَوَّدَ الـطَّيْرَ عـاداتٍ وثِقْنَ بِهَا فَهُنَّ يَتْبَعْنَـهُ في كـلِّ مُـرْتَحَـل

(فقلتُ)[4] لَهُ: لا أعرفُ قائِلَهُ يا أميرَ المؤمنينَ، فقالَ لَهُ: أيقالُ فيكَ

---

(١) وفيات الأعيان، م ٥ ص ٢٥٢ ــ ٢٥٣، وفيه حدث الفضل بن الربيع قال: رأيت مروان بن أبـي حفصة وقد دخل على المهدي بعد موت معن؛ الفرج بعد الشدة، ج ١ ص ٣٧٨؛ تاريخ بغداد، ج ١٣ ص ١٤٤؛ العقد الفريد، ج ١ ص ٢١٦، وجميع هذه المصادر تذكرها لمروان مع المهدي وقد ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان رواية أخرى عن الفضل بن الربيع أيضاً، فقال: فلم تلبث الأيام أن أفضت الخلافة إلى هارون الرشيد وقد رأيت مروان ماثلاً مع الشعراء بين يديه، وقد أنشده شعراً فقال له من أنت فقال شاعرك مروان بن أبـي حفصة، فقال له ألست القائل في معن كذا. وأنشد البيت، ثم قال خذوا بيده فأخرجوه/ وفيات الأعيان، ج ٥ ص ٢٥٣. وكانت إجازة الشعراء أمراً متعارفاً عليه، ومألوفاً ويشبه اليوم ما تنفقه الدول على الصحافة لتكسب تأييدها ومناصرتها، وتشبه الوزراء والأمراء بالخلفاء في ذلك.

(٢) هو أبو خالد يزيد بن مزيد بن زائـدة الشيباني، من الأمـراء المشهورين والشجعـان المعروفين، ولي أرمينيا فعزله الرشيد عنها ثم ولاه إياها ثانية، وضم إليه أذربيجان ثم ولاه الرشيد، محاربة الوليد بن طريف الخارجي، فتمكن منه وقتله وبعث برأسه إلى الرشيد توفي يزيد سنة ١٨٥هـ/ شذرات الذهب، ج ١ ص ٣٠٨؛ وفيات الأعيان، م ٦ ص ٣٢٧ ــ ٣٤١.

(٣) زيادة من (ب ــ ج ــ د).

(٤) في (ج) فقال.

مِثْلُ هذا الشِّعرِ، ولا تعرفُ قائِلَهُ؟ فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ خَجِلاً، فَلَمَّا صارَ إلى منزِلِهِ دَعَا حاجِبَهُ، وقالَ: مَنْ بالبابِ مِنَ الشُّعراءِ؟ قال: مُسْلِمُ بنُ الوليد. قالَ: فَكَيْفَ حَجَبْتَهُ عَنِّي، فَلَمْ تُعْلِمْنِي بِهِ، قالَ: أخبرتُهُ أنَّكَ مضيقٌ، وَأنَّهُ لَيْسَ في يَدِكَ مالٌ تُعْطِيهِ، وسَألْتُهُ الإمساكَ والمُقَامَ أياماً، إلى أنْ يتَّسِعَ عليكَ الحالُ، فقالَ: آدْخِلْهُ إليَّ، فَأَنْشَدَهُ قصيدَتَهُ التي يقولُ فيها:

مُوفٍ على مُهَجٍ في يوم ذِي رَهَجٍ ... كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إلى أَمَلِ

تَراهُ في الأَمْنِ في دِرْعٍ مُضاعَفَةٍ ... لا يَأْمَنُ الدَّهْرَ أَنْ يُدْعَى على عَجَلِ

لا يَعْبَقُ الطِّيبُ خَدَّيْهِ وَمَفْرِقَهُ ... وَلَا يُمَسِّحُ عَيْنَيْهِ مِنَ الكُحُلِ

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عاداتٍ وَثِقْنَ بها ... فَهُنَّ يَتْبَعْنَهُ في كُلِّ مُرْتَحَلِ

لِلَّهِ مِنْ هاشِمٍ في أَرْضِهِ جَبَلٌ ... وَأَنْتَ وَآبْنُكَ رُكْنَا ذَلِكَ الجَبَلِ[1]

فقالَ لَهُ: قَدْ أمرتُ لَكَ بخَمْسِينَ ألفِ دِرْهَمٍ فاقبضها وَأُعذرُ، فخرجَ الحاجِبُ فقالَ قَد أَمَرَنِي أَنْ أرهنَ ضيعةً مِنْ ضياعِهِ بمائةِ ألفِ دِرْهَمٍ، خمسونَ ألفاً مِنْها لكَ، وخمسونَ ألفاً لِنفقتِهِ، فأعطاهُ إيَّاهَا. فَكَتَب صاحبُ الخبرِ بذلكَ إلى الرَّشيدِ فأمرَ له بمائتي ألفِ دِرْهَمٍ وقالَ: اقبضْ الخمسينَ ألفِ دِرْهمٍ، التي أَخَذَها الشاعرُ وَزِدْهُ مِثْلَهَا، وخُذْ مائَةَ أَلْفٍ لنفقتِكَ، فَافْتَكَّ ضيعتَه وأعطى مسلماً خمسين ألفاً أُخرى[2].

---

(١) ديوان صريع الغواني، ص ٩.

(٢) وفيات الأعيان، م ٦ ص ٣٣١ ــ ٣٣٣؛ المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١٠٠ ــ ١٠٢؛ تاريخ بغداد، ج ١٤ ص ٣٣٤؛ فوات الوفيات، ج ٤ ص ١٣٦ ــ ١٤٢، وقد ذكر القصيدة بكاملها، أنه وإن كانت الأموال وفيرة في زمن العباسيين وخصوصاً الرشيد، إلا أن هذا لا يسوغ العطاء بهذه الكثرة لأن الفقهاء قالوا إن زادت موارد بيت المال عن مصارفه فأما أن يدخر لما ينوب المسلمين كما قال أبو حنيفة أو يوزع على الكافة حسب أعطياتهم والرسول صلى الله عليه وسلم كان يفرق بين صلات يعود نفعها على المسلمين عامة كإعطاء المؤلفة قلوبهم وبين صلات لا تعود =

وَرَوَى عَنْ مُسْلِمِ بنِ الوليدِ أَنَّهُ قالَ: جاءني رسولُ يزيدَ بنِ مزيدٍ فجئْتُهُ فوجدتُهُ خارجاً مِنَ الحَمَّامِ، وَهُوَ على كُرسي وَعَلَى رَأْسِهِ وصيفَةٌ بيدِهَا غِلافُ مرآةٍ، والمرآةُ بيدِهِ وَهُوَ يُسَرِّحُ لِحيَتَهُ فقالَ لي: أنشدْنِي فأنشدْتُهُ حتّى بَلغتُ قولي:

لا يعبقُ الطيبُ خَدَيـه[1] ومفرقَـه ولا يمسـحُ عينيـه مِنَ الكُحْـلِ

فوضَعَ المرآةَ مِنْ يَدِهِ وقالَ للجاريةِ انْصَرِفِي فَقَدْ حَرَّمَ علينا مُسْلِم الطِّيبَ والكحلَ. فَلَما فرغتُ مِنَ القصيدةِ، قالَ لِي: يا مُسْلِمُ أَتَدْرِي ما الَّذي حَداني على أني وجهتُ،إليكَ قلتُ لا واللّـهِ (ما)[2] أدري، فقالَ: كنتُ عِنْدَ أَمِيرِ المؤمنينَ فقالَ لي يا يزيدُ مَنْ الذي يقولُ فيك:

سَـلَّ الخليفَةُ سَيْفَـاً مِنْ بنَى مَطَرٍ يَمْضِي فيقتـطعُ الأجْسَادَ وَالهـامَـا
كـالـدَّهْـرِ لاَ يَنْثَنِي عمّـا يَهُمُّ بِـهِ قَدْ أَوْسَعَ النَّاسَ إنْعَاماً وإرْغاما[3]

فقلت واللّـهِ ما أدري، فقالَ الرَّشيدُ يا سبحانَ اللّـهِ إنَّكَ مُقيمٌ على أعـرابيتِكَ أيقـالُ فيكَ مِثـلَ هذا الشِّعـرِ، وَلاَ تَدْرِي مَنْ قـائِلُهُ. فسـألتُ ق/٥٦ ــ عَنْ قائِلِهِ فَأُخْبِرْتُ أَنَّكَ هُوَ، فَقُمْ حَتّى أُدْخِلَكَ على أميرِ المؤمنينَ، ثُمَّ قَامَ فَدَخَلَ عى الرَّشيدِ، فما علمْتُ حَتّى خَرَجَ الآذنُ عليَّ، فدخلْتُ على الرَّشيدِ فأنشدْتُهُ ما لي فيهِ مِنَ الشِّعرِ، فَأَمَر لِي بمائتي أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَلَمّا انصرفتُ أَمَرَ لِي يزيدُ بمائةِ ألفٍ وتسعينَ أَلفِ دِرْهَمٍ أخرى وقالَ لا يجوزُ أَنْ أعطيكَ

= بمصلحة على المسلمين فالأولى يدفعها من مال الفيء والثانية من ماله الخاص/ الأحكام السلطانية للماوردي، ص ١٤٥ ــ ١٤٦ ــ ٢٤٤.

(١) في فوات الوفيات عينيه/ وفي وفيات الأعيان كفيه.

(٢) في (ج) لا.

(٣) ديوان صريع الغواني، ص ٦٣.

مثلَ ما أعطاكَ أميرُ المؤمنينَ، وأقطعني إقطاعاتٍ تبلغُ غلتُها مائتي ألفِ دِرْهَم[1].

وَروي عن إسحاقِ بنِ إبراهيمَ، قالَ: كُنْتُ عِنْدَ المأمونِ[2] بدمشقَ، وَقَدْ كانَ المالُ عِنْدَهُ قليلاً، حَتّى ضاقَ وشكا ذلك إلى أخيه أبـي إسحاقَ[3]، فقالَ يا أميرُ المؤمنينَ قَدْ أمرْتُ بمالٍ يُحملُ إليكَ، وهو موافيكَ بَعْدَ جمعةٍ، فَلَمَّا وَرَدَ المالُ مِنَ النَّواحِي التي كانَ يتولاها، وكانَ ثلاثونَ ألفِ ألفٍ، قالَ المأمونُ لِيحيى بنِ أكثم[4] اخرجُ بِنَا ننظرَ إلى هذا (المالِ)[5]، قالَ يحيى:

---

(١) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١٠٨ ــ ١١٠، وفيه أن الرشيد أمر له بمائة ألف درهم.

(٢) هو عبدالله المأمون بن هارون الرشيد العباسي القرشي الهاشمي ولد سنة ١٧٠هـ ليلة توفي عمه الهادي، وتولى أبوه هارون الرشيد وأمه أم ولد، يقال لها مراجل، قرأ العلم في صغره وسمع من هشيم، وعباد بن العوام، ويوسف بن عطية، وأبـي معاوية الضرير، وبرع في الفقه على مذهب أبـي حنيفة، والعربية وأيام الناس. ولما كبر عني بعلوم الأوائل ومهر بالفلسفة، فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن، وكان من رجال بني العباس حزماً وعزماً، وحلماً ورأياً، وعلماً ودهاءاً، وهيبة وشجاعة، وسماحة وسؤدداً، نازع الأمين الخلافة فلما قتل الأمين بويع له البيعة العامة ببغداد سنة ١٩٨هـ وكان أماراً بالعدل يعد من كبار العلماء يختم كل رمضان ثلاثين ختمة توفي سنة ٢١٨هـ وكانت خلافته عشرين سنة وستة أشهر/ فوات الوفيات، ج ٢ ص ٢٣٥ ــ ٢٣٩؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٧٤ ــ ٢٧٦؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٢٢٥ ــ ٢٢٧؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ٣٩ ــ ٤٣؛ تاريخ الخلفاء، ص ٣٠٦ ــ ٣٠٧؛ الفخري، ص ٢١٦.

(٣) أبو إسحاق هو المعتصم.

(٤) هو أبو محمد يحيى بن أكثم، من ولد أكثم بن صيفي حكيم العرب كان عالماً بالفقه بصيراً بالأحكام، ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي رحمه الله وقال الخطيب في تاريخ بغداد كان يحيى بن أكثم سليمًا من البدعة، ينتحل مذهب أهل السنة، غلب على المأمون حتى لم يتقدمه أحد عنده قلده القضاء وتدبير المملكة وعز له المعتصم فلما ولي المتوكل قلده القضاء، ثم عزله واستصفى أمواله، فحج وعزم على أن يجاور بمكة توفي سنة ٢٤٢هـ/ شذرات الذهب، ج ٢ ص ١٠١؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٣٠٨؛ وفيات الأعيان، م ٦ ص ١٤٧ ــ ١٦١.

(٥) زيادة من (ج).

فَخَرجنا حَتّى أَصْحَرْنَا ووقفنَا ننتظرُهُ. وَقَدْ كانَ هُيِّءَ بِأَحْسَنِ هيئةٍ، وحُلِّيَتْ أبا عِرهُ، وَأُلبِسَتْ الأحلاسَ الموشّاة والجِلالَ المصبوغَةَ، وَقُلِّدْتِ العِهْنَ[1]. فَنَظَرَ المأمونُ إلى شيءٍ استحسَنَهُ وَعَظُمَ ليحيى في عَيْنِهِ، واستشرفَ النَّاسَ ينظُرُونَ إليهِ، ويتعجَّبُونَ مِنْهُ ويستظرفونَهُ فقالَ المأمونُ لِيحيى يا أبا مُحَمَّدٍ ينصرفُ أصحابُنَا هؤلاءِ الذين نراهُم إلى منازِلِهِمْ خائبينَ، وننصرفُ نَحْنُ بِهَذا المالِ، دونَهُم، إنا إذاً لَلِئَامٌ، ثم دَعَا إلى مُحَمَّدٍ بن يزداد وقالَ وَقِّعْ لِفلانٍ بكذا، ولفلانٍ بِكذا، فواللّـهِ ما زالَ كذلكَ حتى فرَّقَ أربعةً وعشرينَ ألفِ ألفٍ، ثُمّ أَمَرَ أَنْ يُصرفَ الباقي في عَطَاءِ الجُنْدِ[2].

وَقيلَ: كانَ بالبصرَةِ شاعرٌ مِنْ بَني تَميمٍ، فأرادَ جعفرُ بنُ سليمانَ[3] أَنْ يتقدَّمَ إلى المأمونِ، مادِحاً لَهُ ومعرضاً بِشكر الوالي. فأعطاهُ بختياً[4] ونفقةً، قالَ فركبتُ بُختي ومضيتُ أرومُ العَسْكَرَ، قاصداً إليهِ، فإذا بِكَهْلٍ على بَغْلٍ هملاجٍ[5]، قَدْ تلَقاني مواجهةً، وأنا أُرَدِّدُ نشيدَ أرجوزَتي فقالَ السلامُ عليكَ يا هَذا بصوتٍ جهوَري ولسانٍ فصيحٍ، فرددتُ السَّلَام، فقالَ لي قِفْ إنْ شِئتَ فوقفتُ فتضوعَتْ منه رائحةُ المِسْكِ والعَنْبَرِ، فقالَ لي مِمَّنْ أنتَ فقلتُ رَجُلٌ مِنْ مُضَرٍ، قالَ ثُمَّ مِنْ مَنْ قُلْتُ مِنَ بني تَميمٍ، ثُمّ مِنْ بَني سَعْدٍ، ثُمّ قالَ فَما أقدَمكَ هذه البلدَ قلتُ قصدتُ هذا الملكَ الذي ما سمعتُ بِمِثلِه قبلَهُ

---

(١) العهن: الصوف/ مختار الصحاح.

(٢) الطبري، ج ١١ ص ١١٤٣؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٧٨؛ الفخري، ص ٢١٦؛ الكامل في التاريخ، م ٥ ص ٢٢٨؛ بغداد في تاريخ الخلافة العباسية، ص ١٤٩.

(٣) ذكر الطبري أن اسمه محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان ومثله ابن الأثير في الكامل وكذلك البيهقي في المحاسن والمساوىء وقال وهو أمير البصرة.

(٤) البخت: نوع من الابل الواحد بختي/ المصباح المنير.

(٥) هملج البرذون هملجة مش مشبه سهلة في سرعة/ المصباح المنير.

أطولَ باعاً، ولا أندى راحةً منه، قالَ فَما الذي قصدتُه بِهِ قلتُ شِعْرٌ طيِّبٌ، يَلَذُّ على الأفواهِ، وتقتفيهِ الرواةُ وَيَحلو في آذانِ (السَّامعينَ)[1]. قالَ فأنشدنيه قال فغضبتُ وقلتُ لَهُ يا رَكيكَ العقلِ أُخبرَكَ أني قصدتُ الخليفَة بِمدحٍ حبَّرتُهُ فِيه، تقولُ أنشدنيه، قالَ وما الذي تأملُ مِنْه قُلْتُ ألفَ دينارٍ إنْ كانَ على ما ذُكِرَ عَنْهُ، قالَ لي فأنا أعطيكَ ألفَ دينارٍ، إن رأيتَ الشِّعر جَيداً، والكلامَ غَضّاً، وَأَضَعُ عَنْكَ العناءَ والتِّردادَ ومتى تَصلُ إلى الخليفةِ وبينَك وبينَه عَشَرةُ آلافِ رامِحٍ وسيفٍ فقلتُ لَهُ باللهِ عَليكَ أنتَ تفعلُ، قَالَ نَعَمْ قلتُ وَمَعَكَ الساعةَ ما تُعطيني قالَ لَك اللهُ عليَّ أَنْ أعطيكَ الساعةَ ألفَ دينارٍ فأنشدتُه أرجوزةً فيها:

مَـأْمُـونُ يَـا ذَا الْمِنَنِ الشَّـرِيفَـهْ	وَصَـاحِبَ الْمَـرْتَبَـةِ الْمُـنيفَـةْ
وَقَـائِـدَ الْكَتِيبَـةِ الْكَثِيفَـهْ	هَـلْ لَـكَ في أُرْجُـوزَةٍ ظَـرِيفَـهْ
أَظْـرَفَ مِـنْ فِقْـهِ أَبِي جَنِيفَـهْ	لَا والَّـذِي أَنْـتَ لَـهُ خَلِيفَـهْ
مـا ظُلِمَتْ في أَرْضِنَـا ضَعِيفَـهْ	أَمِيـرُنَـا مُؤْنَـتُـهُ خَفِيفَـهْ
والـذئبُ والنعجـةُ في سَقِيفَـهْ	واللصُّ والتـاجـرُ فـي قَطِيفَـهْ

قَال فواللـهِ ما أتممتُ إنشادَها، حتى أَقبلَ عَشَرةُ آلافِ فارِس، قد سَدُّوا الأفقَ وهم يقولونَ السلامُ عليكَ يا أميرَ المؤمنينَ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه، قالَ فأخذَني واللهِ الأفكلُ. يعني الرِّعدةُ ونَظَر إليَّ بتلكَ الحالِ، فقالَ لا بأسَ عليكَ ثُمَّ التفتُ إلى خادِمٍ نظيفِ الوجهِ والملبسِ كانَ قريباً مِنْهُ فقالَ أعطِهِ ما مَعَكَ فأخرجَ الخادِمُ كِيساً وجدتُ فيه ثلاثةَ آلافِ دِينارٍ، فقالَ لي هاكَ أَيُّها الرَّجُلُ ثُمَّ قالَ سلامٌ عليكَ ومَضى فكانَ آخرَ العهدِ بِهِ، فسألتُ عَنْه بعد ذَلكَ فَقيلَ «لي المأمونُ أميرُ المؤمنينَ لم يُرِدْ أَنْ يُعرِّفَكَ بِنفسِه»[2]، لِكَرمِ طِباعِه

---

(١) في (ب): المستمعين.

(٢) زيادة من (ب ـ ج ـ د).

وخلائِقِهِ[1]. وقيلَ إنَّ المأمونَ كانَ في مجلسٍ ـ ق/٥٧ لَهُ بِدمشقَ فغنَّاه علويةُ[2]:

برئتُ مِن الإسلامِ إنْ كانَ ذا الذي ... أتاكَ بِهِ الواشونَ حَقّاً كَما قالوا
ولكنَّهم لما رَأوكَ سريعةٍ لهجري ... تواصوا بالنميمةِ واحتالوا

فقالَ يا علويّة لِمن هذا الشِّعرُ قالَ لقاضِي دِمشقَ. فقالَ لِأخيه يا أبا اسْحَاق أحضرْهُ، فَلَم يكنْ بأسرعَ مِنْ أَنْ حَضَرَ شيخٌ قصيرٌ مخضوبٌ، فقالَ لَهُ المأمونُ مَن تكونُ قالَ أنا فلانُ بنُ فلانٍ، قالَ أ َ الذي تقولُ الشِّعرَ قالَ نعَم يا أميرَ المؤمنينَ، ونساؤه طوالقُ وكلُّ شيءٍ يملكُ في سبيلِ اللهِ، إنْ كانَ قالَ شِعْراً منذُ ثلاثينَ سَنَةٍ إلا في زُهْدٍ ومعاتبةِ صديقٍ. فقالَ لِأخيهِ أعْزِلْهُ، ما كنتُ لِأولّي رِقَابَ المسلمينَ، مَنْ يبدأ في هَزلِه بالبراءَةِ مِنَ الإسلامِ. ثُمّ قالَ لعلويةَ لا تَقُلْ برئتُ مِن الإسلامَ ولكن قل حُرِمتُ مُنايْ مِنك[3]. وقَالَ عمارةُ بنُ عُقيلَ[4] أنشدتُ المأمونَ قصيدةً، فكنتُ أبتدىء بِصدرِ البيتِ، وَهُو

---

(١) الطبري، ج ١١/ص ١١٤٤ ـ ١١٤٧؛ المحاسن والمساوىء، ج ١ ص ٣٨٥؛ الكامل في التاريخ، م ٥ ص ٢٢٩؛ بغداد في تاريخ الخلافة العباسية، ص ١٥٠ ـ ١٥٢.

(٢) علوية: هو علي بن عبدالله بن سيف، كان جده من الصغد اللذين سباهم عثمان بن الوليد، زمن عثمان بن عفان فأعتق بعضهم واسترق الباقين ويكنى علوية أبا الحسن، وكان مغنياً حاذقاً ومؤدباً محسناً، وضارباً متقدماً مع خفة روح وطيب مجالسه وملاحة نوادر عاش إلى أيام المتوكل ومات بعد اسحاق الموصلي بمده يسيره/ الأغاني، م ٥ ج ١٠ ص ١٢٠ ـ ١٢١.

(٣) الطبري، ج ١ ص ١١٤٩ ـ ١١٥٠، بغداد في تاريخ الخلافة العباسية، ص ١٥٤ ـ ١٥٥.

(٤) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الخطفي الشاعر. من أهل البصرة كان واسع العلم، غزير الأدب، قدم بغداد فأخذ أهلها عنه وروى عنه أبو العباس المبرد/ تاريخ بغداد، ج ١٢ ص ٢٨٢.

يبادرُني إلى عَجزِهِ. فقلتُ واللهِ يا أميرَ المؤمنينَ، ما سَمعها مِني أحدٌ قبلَك، فقالَ هكذا ينبغي أنْ يكونَ ثُمَّ أقبلَ عليَّ وقالَ أما بلغَك أنَّ عُمَرَ بنَ أبي ربيعةَ[1]، أنشَد عَبدَاللهِ بنَ عباسٍ[2] قصيدَتَهُ التي يقولُ فيها:

تَشُطُّ غَداً دَارُ جِيرَانِنا ....

فقالَ ابنُ عباسٍ:

.... ولَلدَّارُ بَعْدَ غَدٍ أبْعَدُ

حَتَّى أكملَ القصيدَ، كُلَّما أُنشِدُ صدرَ البيتِ أكملَهُ ابنُ عباسٍ، ثُمَ قالَ أنَا ابنُ ذلك[3]. وقالَ (ابنُ المبرِّدِ)[4] قالَ لِي عمارةُ قال لي عبدُالله بنُ أبي السَمَطِ[5] يا عمارةُ أما علمتَ أنَّ المأمونَ لا يُبصرُ الشِّعرَ، فقلتُ لَهُ وَمَن أفرسُ مِنْهُ فيه، (أنا أنشدتُه)[6] البيتَ، فيسبقَنا إلى عجزِهِ، مِنْ غيرِ أنْ يكونَ سَمِعَهُ. قالَ إني أنشدتُهُ بيتاً أجدتُ فيهِ، فلم يحركْه قلتُ وما هو قال:

---

(١) هو أبو الخطاب عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة القرشي المخزومي الشاعر المشهور. لم يكن في قريش أشعر منه، كان يتغزل في شعره بالثريا ابنة علي بن عبدالله بن الحارث، وكانت ولادة عمر بن أبي ربيعة في الليلة التي قتل فيها عمر بن الخطاب سنة ٢٣ للهجرة فكان الحسن البصري يقول: إذا جرى ذكر ولادة عمر بن أبي ربيعة يقول أي حق رفع وأي باطل وضع، توفي سنة ٩٣ للهجرة: وفيات الأعيان، م ٣ ص ٤٣٦؛ شذرات الذهب، ج ١ ص ١٠١.

(٢) تقدمت ترجمته، ص ١٠٨.

(٣) الكامل في التاريخ، م ٥ ص ٢٢٩؛ الطبري، ج ١١ ص ١١٥١ ــ ١١٥٢؛ بغداد في تاريخ الخلافة العباسية، ص ١٥٩.

(٤) في (ب ــ ج ــ د): المبرد: وهو أبو العباس محمد بن يزيد البصري المعروف بالمبرد النحوي، كان إماماً في النحو واللغة، وله التأليف النافعة في الأدب، منها كتاب الكامل وكتاب الروضة توفي سنة ٢٨٦هـ ببغداد ودفن في مقابر باب الكوفة في دار اشتريت له/ وفيات الأعيان، م ٤ ص ٣١٣ ــ ٣٢٢؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ١٩٠ ــ ١٩١.

(٥) لم أعثر له على ترجمة فيما لدي من المراجع.

(٦) في (ب ــ ج ــ د): إنا لننشده.

أَضْحى إِمَامُ الْهَدَى المأْمُونُ مُشْتَغِلاً   بِالدّينِ والنَّاسُ بالدُّنيَا قد اشتغلوا

فقلتُ: ما صنعتَ شيئاً، ما زدت على أَنْ جَعَلْتَهُ عجوزاً في محرابِها مسبحتُها في يدِها، فمن يقومُ بأمر الدنيا إذا كانَ مشغولاً عَنها، هلا قُلْتَ كما قالَ جريرُ[1] في (عمرَ بنِ عبدالعزيزِ)[2]:

فَلا هُوَ في الدُّنْيَا مُضِيعٌ نَصِيبَهُ   ولاَ عَرَضُ الدُّنْيَا عن الدّينِ شَاغِلُهْ[3]

وجاءت امرأةٌ إلى المأمونِ فقالتْ:

يا خيرَ مُنْتَصِفٍ يُهْدَى به الرَّشَدُ   ويا إماماً به قد أشْرَقَ البَلَدُ
تشكُو إليك عَمِيدَ الخلق أرملةٌ   عَدا عليها فلم يَتْرِكْ لها لُبَدُ
وابتز منها ضِيَاعاً مَنْعَتِها   ظلما وفرق منها الأهلُ والولَدُ

فأجابها وقال:

في دُونِ ما قُلْتِ زَالَ الصَّبرُ والْجَلَدُ   عَني وأقْرَح مَنِيّ القلبُ والكبدُ
هذا أوان صلاة العصرِ فانْصرفي   واحْضِري الخَصْمَ في اليوم الذي أعِدُ
والمجلسُ السبتُ أن يقضى الجلوسُ لنا   انصفك منه وإلا المجلس الأحَدُ

فلما كَانَ يومُ الأحدِ جَلَسَ فجاءته، فقالَتْ السَّلامُ عَليكَ يا أميرَ المُؤمنينَ، فردَّ وقالَ أينَ خَصْمكِ، قالتْ واقفُ على رَاسِكَ، وأومأت إلى

---

(١) هو أبو حرزه جرير بن عطية الخطفي الشاعر المشهور. كان من فحول شعراء الإسلام، كانت بينه وبين الفرزدق مهاجاه ونقائض، امتدح يزيد بن معاوية والخلفاء من بعده توفي سنة ١١٠هـ/ وفيات الأعيان، م ١ ص ٣٢١؛ البداية والنهاية، ج ٩ ص ٢٦٠؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٦٩.

(٢) الصواب عبدالعزيز بن الوليد على ما ذكره الطبري وابن الأثير في الكامل.

(٣) الطبري، ج ١١ ص ١١٥٩؛ الكامل في التاريخ، م ٥ ص ٢٣٠؛ ديوان جرير، ص ٣٤٩.

العبّاسِ[1] ابنِهِ فقالَ لأحمدَ بنِ أبي[2] خالِد خُذْ بِيدِهِ وَأَجْلِسْهُ مَعَها، فَفَعَل فَجَعَل كلامُهَا يعلو كلامَه، فقالَ لَها أحمدُ بنُ أبي خالِدٍ يا أمةَ اللـهِ، إنَّك بَينَ يَدِي أميرِ المؤمنينَ، وتكلمينَ الأميرَ فاخفِضِي مِنْ صوتِكِ. فقالَ المأمونُ دَعْها يا أحمدُ فَإنَّ الحقَّ أنطَقَها، والباطِلَ أخْرَسَهُ، ثُمّ قَضَى على ابنِهِ[3].

ومن شِعر المأمونِ:

بَعَثْتُكَ مُرْتَاداً فَفُزْتَ بِنَظْرَةٍ ... وَأَغْفَلْتَنِي حَتَّى أَسَأْتُ بِكَ الظَّنَّا

فَنَاجَيْتَ مَنْ أَهْوَى وَكُنْتُ مُبَاعَداً ... فَيالَيْتَ شِعْرِي عن دُنُوكِ ما أغْنَا

أرَى أثراً منها بِعَيْنَيْكَ لم يكن ... لقد سرقت عيناك من عينها حُسْنَا[4]

(وله أيضاً)[5]:

إنْ تَشْقَ عَيْني بِهَا فَقَدْ سَعُدَتْ ... عَيْنُ رَسُولِي وَفُزْتُ بِالْخَبَرِ

---

(١) هو العباس بن أمير المؤمنين المأمون، ولاه أبوه الجزيرة والثغور والعواصم وكان فصيحاً، جلس يوماً عن يمين المعتصم وابراهيم بن المهدي عن يسار المعتصم، فجعل إبراهيم يقلب خاتماً في يده، فقال له العباس يا عم ما هذا الخاتم فقال خاتم رهنته في أيام أبيك، فما فككته إلا في أيام أمير المؤمنين. فقال له العباس والله لأن لم تشكر أبي على حقن دمك مع عظيم جرمك، لا تشكر أمير المؤمنين على فك خاتمك فأفحمه/ وفيات الأعيان، م ١ ص ٤١ وج/٣ ص ٨٤.

(٢) تقدمت ترجمته، ص ٢٠٨.

(٣) العقد الفريد، ج ١ ص ٢٠ ـ ٢١؛ نهاية الارب، ج ٦ ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧؛ المحاسن والمساوىء، ج ٢ ص ٢٧٩؛ المصباح المضيىء، ج ١ ص ٤٩٣ ـ ٤٩٤.

(٤) الطبري، ج ١١ ص ١٢٥٢؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٧٩؛ المختصر في أخبار البشر، ج ٢ ص ٣٢؛ الكامل في التاريخ، م ٥ ص ٢٢٩؛ تتمة المختصر في أخبار البشر، ج ١ ص ٣٣١.

(٥) الصواب أن هذا الشعر للعباس بن الأحنف أخذ منه المأمون أبياته السابقة كما أشار إلى ذلك الطبري في تاريخه، وابن الأثير في الكامل فقال بعد أن ذكر الأبيات السابقة وإنما أخذ المأمون هذا المعنى من العباس بن الأحنف فإنه أخرج هذا المعنى وساق الأبيات.

وَكُلَّما جَاءَني الرَّسُولُ بها رَدَّدت عَمْداً في طَرْفِهِ نَظَري
يَظْهَرُ في وَجْهِهِ مَحَاسِنُها قَدْ أَثَّرَتْ فِيهِ أَحْسَنَ الأَثَرِ
خُذْ مُقْلَتي يا غلامُ عاريةً
فانْظُرْ بِهَا (واحتفظ)[1] على بَصَري[2] ق/٥٨

واعتلّ الفضلُ بنُ سَهْلٍ[3] فتأخَّرَ في بيتِهِ، فوردتْ عَلَيهِ رُقْعَةُ مِنَ المأمونِ بِخَطِّهِ يسألُهُ عَنْ حالِهِ وَفي آخرِها:

كَيفَ أصبحتَ بالسلامةِ (يا فضلُ)[4] وبالخيرِ رَبُّنا مَسَّاكَا
لا أراني الإلـه فقدَكَ يا فضلُ وعافاكَ عاجلاً وشافكا
قد أردتُ المجيءَ إذْ غلبَ الشوقُ وَقلبي لو يستطيعُ أتاكَا
فتذكرتُ عندَ ذاك بأني لستُ أستطيعُ أنْ أراكَ كَذاكا
فأينَ يا وقتُ فيك حَذاري كيفَ أنتَ الغداةَ مِن شكواكا[5]

(باب في خُطبِهِ ومناقبِهِ)[6]:

(قيلَ خَطَبَ يومَ جمعةٍ)[7] فقالَ الحمدُ لِلَّهِ الذي (استخلص)[8] الحمد لنفسه، واستوجبه على خلقه، أحمده واستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه،

---

(١) في الطبري واحتكم.
(٢) تاريخ الطبري، ج ١١ ص ١١٥٢؛ الكامل في التاريخ، م ٥ ص ٢٢٩، بغداد؛ في تاريخ الخلافة العباسية، ص ١٦٠.
(٣) تقدمت ترجمته، ص ١٦٢.
(٤) في (ج ـ د): صبحت.
(٥) تاريخ العيني (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان مخطوط رقم ح/٨٢٠٣ بدار الكتب المصرية، ج ١٢ ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨.
(٦) ساقطة من (ب ـ ج ـ د).
(٧) في (ج ـ د): ومن خطبة الجمعة قوله.
(٨) في (ب ـ د): مستخلص.

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون: أوصيكم عباد الله بتقوى الله، والعمل لما عنده، والانجاز لوعده والخوف من وعيده، فإنه (لم)[1] يسلم إلا من اتقاه، وخافه ورجاه وعمل له وأرضاه، فاتقوا الله عباد الله، وبادروا آجالكم بأعمالكم، وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزولُ عَنكُم، وتَرحَلُوا سِراعاً فقدْ جَدَّ بِكُم الرّحيلُ، واستعِدُّوا لِلموتِ فَقَدْ أَظَلّكُم ما تحذَرون، وكونوا قوماً صيحَ بِهِم فانتبَهوا، وَعَلِموا أنَّ الدُّنيا ليستْ لَهُم بدارٍ فاستبدَلوا، فإنَّ اللَّـهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يخلقْكم عَبَثاً، وَلَمْ يترُكْكم سُدىً، وما بينَ أحدِكم والجنةِ أو النّارِ إلا الموتُ أنْ يَنْزِلَ بِهِ، وأنَّ غايةً تنقصُها اللحظَةُ وتهدِمُها الساعةُ، لجديرةٌ بِقِصَرِ المُدَّةِ، وأنَّ غائباً يحدُوه الجديدانِ[2] لَحَرِيٌّ بسرعَةِ الاوبَةِ وإنَّ قادِماً يَحلُّ بالفوزِ أو الشَّقوةِ لَمُستَحِقٌّ لأفْضَلِ العُدةِ، فاتَّقى عبدربَّهُ، وَنَصَحَ نَفْسَه، وَقَدَّمَ توبتَه وَغَلَبَ شهوتَهَ، فَإنَّ أجلَهُ مستورٌ عَنْه، وأملَهُ (خاذَلُهُ)[3]، والشيطانَ موكلٌ بِهِ يُزَيِّنُ لَهُ المعصيةَ ليركبَهَا، ويَمنيهِ التَّوبَةَ ليسوفَها، حَتَّى تهجُمَ عليهِ مَنِيَّتُهُ، أغفلُ ما يكونُ عَنها، فيالَها حسرةً على ذِي غَفْلَةٍ أو يكونَ عُمُرهُ عليهِ حُجّةً، أَوْ تؤدِيه أيامُه إلى شَقْوةٍ. نسألُ اللـهَ أَنْ يجعلَنا وإياكُم، مِمَنْ لا تبطرُهُ نعمةٌ ولا تقصُرُ بِهِ عَنْ طاعِتِه غفلةٌ، وَلاَ تَحُلَّ بِهِ بَعْدَ الموتِ حَسْرةٌ إنهُ سَميعُ الدُّعاءِ، وَبِيدِهِ الخيرُ وَهُوَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ[4].

وخَطَبَ يومَ أَضحَى فقالَ بَعْدَ (التكبيراتِ الأولِ)[5] والتحميدِ والصلاةِ

---

(١) في (ب ــ ج ــ د): لا يسلم.

(٢) الجديدان: الليل والنهار.

(٣) في (ب ــ ج): خادع له.

(٤) عيون الأخبار، م ٢ ج ٥ ص٢٥٣ ــ ٢٥٤؛ العقد الفريد، ج ٤ ص ١٦٧؛ جمهرة خطب العرب، ج ٣ ص ١٢١ ــ ١٢٢.

(٥) في (ب ــ ج ــ د): التكبير الأول.

على النبيِّ صلى اللـهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّم والوصِّيةِ بِتقوى اللـهِ عزَّ وَجَلَّ:

إنَّ يومَكم هذا، يومٌ أبانَ اللـهُ عَزَّ وَجَلَّ فَضْلَهُ، وأوجَبَ تشريفَه، وَعَظَّمَ حُرْمَتَهُ وَوَفَّقَ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ صَفْوَتَهُ وابتلَى فيه خَلِيلَه وَفدى فيه مِنَ الذَّبحِ نبيَّه وَجَعَلَه خاتَمَ الأيامِ المعلوماتِ مِنَ (العَشْرِ)[1]، ومقدَمِ الأيامِ المعدوداتِ مِنَ النَّفرِ، يَومٌ حرامٌ مِنَ أيامٍ عِظامٍ، في شَهْرٍ حرامٍ، يومُ الحجِّ الأكبرِ، ويومٌ دَعا اللـهُ عَزَّ وَجَلَّ إلى مشهدِهِ، وَنزلَ القرآنُ بتعظيمِه. قالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَذِّنْ في النَّاسِ بالحجِّ يأتُوكَ رجالاً وَعَلى كُلِّ ضامِرٍ يأتينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عميقٍ﴾[2] فتقرَّبوا إلى اللـهِ في هذا اليومِ بذبائِحِكُم، وَعَظِّموا شعائرَ اللـهِ واجعلُوها مِنْ أطيبِ أموالِكُم، وَبِصحَّةِ التَّقوى من قلوبِكُم، فإنَّهُ يقولُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَن يَنالَ اللَّـهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُها وَلَكِن يَنالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾[3] الآية ثُمَّ قالَ بَعْدَ التحميد (والتكبير)[4] وَذِكرِ الجنةِ والنَّارِ اللهَ اللهَ فواللهِ إنه الجِدُّ لا اللَّعِبُ، وإنه الحَقُّ لا الكذِبُ، وَمَا هُوَ إلا المـوتُ والبعثُ والميزانُ، والحسـابُ والقصاصُ والصراطُ، ثُمّ الثوابُ والعقابُ. مَنْ نَجَا يومئذٍ فَقد فازَ، وَمَن هَوى يومئذٍ فَقَدْ خابَ، الخيرُ كُلّهُ في الجنةِ والشَّرُ كُلّهُ في النَّارِ[5].

وَخَطَبَ يومَ الفطرِ فقالَ بَعْدَ التكبير ألا وأنَّ يومَكم هَذا يومُ عِيدٍ وسنَّةٍ، وابتهالٍ ورغبةٍ، يومَ خَتَم اللـهُ فِيه صيامَ (شَهْرِ)[6] رمضانَ، وافتتحَ بِهِ حَجَّ بيتِهِ الحرامِ فجعلَهُ (خاتماً)[7] للشَّهْرِ، وأوَّلَ شهورِ الحَجِّ، وَجَعَلَهُ معقبَ

---

(١) في (ج): الشعر.

(٢) آية ٢٧ من سورة الحج.

(٣) آية ٣٧ من سورة الحج.

(٤) زيادة من (ب ـ ج).

(٥) العقد الفريد، ج ٤ ص ١٦٧ ـ ١٦٨؛ عيون الأخبار، م ٢ ج ٥ ص ٢٥٤؛ جمهرة خطب العرب، ج ٣ ص ١٢٢ ـ ١٢٣.

(٦) ساقطة من (ب ـ ج ـ د).

(٧) في (ب ـ ج): فجعله خاتمة لشهر الصيام.

المفروضِ مِنْ صيامِكم، ومتنفلَ ق/٥٩ قيامِكم، أحلَّ فيه الطعامَ لَكمِ، وحرَّم فيه الصيامَ عليكُم. فاطلبوا إلى اللـهِ عزَّ وجلَّ حوائِجَكم، واستغفرُوه لتفريطِكم، فإنَّه يقالُ: لا كبيرةً مَعَ استغفارٍ ولا صغيرةً مع إصرارٍ. فاتّقوا اللـهَ عبادَ اللـهِ، وبادِروا الأمرَ (الذي فيه عدلٌ بينَكم)[1] ولم يحتضِر الشَّكَ فيهِ أحدٌ منكُم، وهو الموتُ المكتوبُ عليكُم، وإنَّهُ لا يقالُ[2] بعدَهُ عثرةٌ ولا تقبلُ عِنْدَهُ توبةٌ. واعلموا أنَّه لا شيءَ قبلَهُ إلا دونَه، ولا شيءَ بعدَهُ إلا فوقَه على غصصِه وَعلزِهِ[3] وَكَربِهِ، ولا يعينُ على القبرِ وَظُلمتِهِ، ووحشتِهِ وَضِيقِهِ وهولِ مطلعِهِ، ومساءلةِ ملائكتِهِ إلا العملُ الصالحُ، الذّي أَمَر اللـهُ عزَّ وجلَّ بِهِ فمن زَلَّتْ عِندَ الموتِ قدمُهُ، فَقَدْ ظَهرت ندامتُهُ وفاتتْ استقالتُهُ وَدَعَا مِنَ الرَّجعةِ بما لا يجابُ إليهِ، وبذَلَ مِنَ الفديةِ ما لاَ يقبلُ مِنْهُ. فاللـهَ اللـهَ عبادَ اللـهِ وَكُونوا قوماً سألوا الرَّجعةَ، فأعطُوها إذْ مُنِعَها الذين طَلبُوها فإنّه لَيسَ يَتَمنّى المتمنونَ قبلَكم إلاَّ هذا المهلَ المبسوطَ لَكم، وأحذَروا ما حذَّركُم اللـهُ عَزَّ وجَلَّ، واتَّقُوا اليومَ الـذي يَجمعُكم اللـهُ فِيه لِـوضْعِ مـوازينِكم، ونشـرِ صُحُفِكُم الحـافِـظَةِ لأعمالِكم، (فلينظرْ عبدٌ ما يضَعُ في ميزانِهِ مِمّا يثقلُ بِهِ وما يُملُّ في صحيفتِهِ الحافِظَةِ لَهُ وعليهِ)[4] فَقدْ حَكى اللـهُ عزَّ وَجَلَّ لَكُم ما قالَ المفرطونَ عندَها إذْ طَالَ إعراضُكم عَنْهَا وهو قولُه عزَّ وعلاَ: ﴿وَوُضِعَ الكِتابُ فَترى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ ممَّا فِيه﴾[5] الآية. وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَومِ القِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفسٌ شَيْئاً﴾..[6] الآية.

---

(١) في عيون الأخبار والعقد الفريد الذي اعتدل فيه يقينكم.

(٢) الاقالة في البيع فسخه ويقال هنا يرفع أي لا ترفع بعد الموت خطيئة.

(٣) العلز محركه قلق وخفة وهلع يصيب المريض والأسير والحريص والمحتضر، القاموس المحيط.

(٤) ساقطة من (د).

(٥) آية ٤٩ من سورة الكهف.

(٦) آية ٤٧ من سورة الأنبياء.

وَلَسْتُ أنهاكُم مِنَ الدّنيا، بِأعظَمِ مِمَّا نهتكُم بِهِ الدّنيا عن نَفْسِها، فَإِنَّهُ كُلُّ مالَهَا يَنهَى عَنْهَا، وَكُلُّ ما فِيها يدعُو إلى غيرِها، وأعظمُ مما رأتهُ عيونُكم من عجائِبِهَا ذَمُّ كتابِ اللهِ عَزَّ وجلَّ لَهَا، ونهيَ اللهِ جَلَّ ثناؤُه عَنها، فإنَّه يقولُ تبارَكَ وتعالى: ﴿فلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ باللهِ الغَرُورُ﴾[1]، وقالَ: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾[2].. الآية، فانتفعوا بمعرِفَتِكم، وبإخبارِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنها. واعلَموا أَنَّ قوماً مِن عبادِ اللهِ أدركتْهُم عصمة الله، فَحذَرُوا مَصْرَعهَا وجانَبُوا خِداعَها وآثرُوا طاعةَ اللهِ تبارَكَ وتعالى فِيها، فأدرَكوا الجنة بِما تَركوا مِنْها[3].

وَرُوِيَ عَنْ واقدٍ[4] بنِ مُحمدِ الواقديِّ عَنْ أبيهِ أنَّهُ رَفَـعَ رُقعَةً إلى المأمونِ يذكرُ فيها دَيْنَهُ، وقِلَّةَ صَبْرِهِ عَلَيْهِ، فَوقَّعَ المأمونُ على ظَهْرِ الرُّقعَةِ، إنَّكَ رَجُلٌ اجتمعَ فيكَ خِصلتانِ، سَخاءٌ، وحياءٌ، أَمَّا السَّخاءُ فَهو الذي أَطلقَ ما في يدِكَ وأما الحياءُ فَهُو الذي يمنعُك تبليغَنا ما أنتَ فيهِ، وَقَدْ أمرتُ لَكَ بمـائةِ ألفِ دِرهمٍ، فَـإنْ كُنتُ قَـدْ أصبتَ فـازدَدْ في بَسْطِ يَـدِكَ، وإنْ لَمْ (تُصِبْ)[5] فجنايتُكَ على نَفْسِكَ وأنتَ حدَّثتني وكنتَ على قضاءِ الرَّشيدِ

---

(١) آية ٣٣ من سورة لقمان.

(٢) آية ٣٦ من سورة محمد.

(٣) عيون الأخبار، م ١ ج ٥ ص ٢٥٥ ــ ٢٥٦؛ العقد الفريد، ج ٤ ص ١٦٨ ــ ١٦٩؛ جمهرة خطب العرب، ج ٣ ص ١٢٣ ــ ١٢٤.

(٤) هو واقد بن محمد بن عمر بن واقد. اشتهر والده بلقب الواقدي وكان إماماً عالماً، تولى القضاء بشرق بغداد، وكان المأمون يكرم جانبه ويبالغ في رعايته. وفيات الأعيان، م ٤ ص ٣٤٨ ــ ٣٤٩.

(٥) في (ب ــ ج): أصب.

عَنْ مُحمدِ بنِ اسحاقَ[1] عَنِ الزهريِّ[2] عن أنسٍ[3] أنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ للزبيرِ بنِ العوَّامِ[4]: «يا زبيرُ إعلمْ أنَّ مفاتيحَ أرزاقِ العبادِ بإزاءِ العَرْشِ يبعثُ اللهُ إلى كُلِّ عَبْدٍ بِقَدَرِ نفقتِهِ فَمَنْ كَثَّرَ كَثَّرَ اللهُ (عَلَيهِ)[5] وَمَنْ قَلَّلَ قَلَّلَ اللهُ (عَلَيْهِ)»[6] وَأَنْتَ أعلَمُ. قالَ الواقديُّ: فَوالله لمذاكرةُ المأمونِ إيايَ الحديثَ، أَحَبُّ إليَّ مِنَ الجائزَةِ[7].

---

(١) هو أبو بكر وقيل أبو عبدالله محمد بن اسحاق بن يسار صاحب المغازي والسير، كان ثبتاً في الحديث عند أكثر العلماء، وأما في المغازي والسير فلا تجهل إمامته فيها، قال ابن شهاب الزهري: من أراد المغازي فعليه بابن إسحاق، توفي ببغداد سنة ١٥١هـ ودفن في مقبرة الخيزران. وفيات الأعيان، م ٤ ص ٢٧٦ ــ ٢٧٧.

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٨٨.

(٣) هو أنس بن مالك بن النضر، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم يكنى أبا حمزة، أمه أم سليم الأنصارية، قدم رسول الله المدينة وله من العمر عشر سنين، شهد بدراً وهو غلام يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي سنة ٩٣هـ. الاستيعاب، ق/١ ص ١٠٩.

(٤) هو أبو عبدالله الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي، حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصاحب الهجرتين، لم يتخلف عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش، وكان الزبير أول من سل سيفه في سبيل الله، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد أصحاب الشورى، قتله عمر بن جرموز سنة ٣٦هـ. المعارف، ص ٩٦؛ الطبقات الكبرى، ج ٣ ص ٧٠؛ البداية والنهاية، ج ٧ ص ٢٤٨؛ الاستيعاب، ق/٢ ص ٥١٠.

(٥) في (ب ــ ج ــ د): له.

(٦) في (ب ــ ج ــ د): له. والحديث ذكره السيوطي في الجامع الصغير، ج ١ ص ٩٨ بلفظ: (إن مفاتيح الرزق متوجهة نحو العرش فينزل الله تعالى على الناس أرزاقهم على قدر نفقاتهم فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له) وقال: ذكره الدارقطني في الافراد عن أنس وقال عنه بأنه ضعيف.

(٧) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١٧٢ ــ ١٧٣؛ بهجة المجالس وأنس المجالس، ص ١٦٤ ــ ١٦٥؛ وفيات الأعيان، م ٤ ص ٣٤٩؛ تاريخ بغداد، ج ٣ ص ١٩.

قالَ يحيى بنُ أكثمَ القاضي[١]: تغدّيْنا في يوم عيدٍ، عندَ المأمونِ فظننتهُ أَنَّهُ وضعَ على المائدةِ، أكثرَ مِنْ ثلاثِمائةِ لونٍ، فَكُلَّما وُضِعَ لون، نَظَرَ إليهِ فيقولُ هذا نافع لكذا، وضارٌّ مِنْ كذا، فمنْ كانَ صاحبُ صفراءَ فليأكلْ مِنْ هذا، وَمَن غَلَبَ عليه السوداءُ فلا يأكلْ مِنْ هذا، وَمَنْ أحبَّ الزيادةَ في لَحْمِهِ، فليأكلْ مِنْ هذا. فواللهِ ما زالَ يقولُ كذلكَ، في كُلِّ لونٍ حَتَّى رُفِعَتْ المائدةُ. فقلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ إنْ خُضْنا في الطِّبِّ، كنتَ جالينوسَ[٢] في معرفتِهِ، وإن تكلَّمنا في النُّجومِ، كنتَ هرمسًا[٣] في حِسابِهِ، أو في الفقهِ كنتَ عَليّاً بن أبي طالبٍ[٤] صلواتُ اللهِ عليهِ في عِلْمِهِ. فقالَ: يا أبا مُحَمّد أينَ فضلُ الإنسانِ على غيرِهِ من الحيوانِ إنما هو بعقلِهِ، ولولا تفاضلُ العقولِ لتساوى الناسُ[٥].

قالَ يحيى بنُ أكثمَ: كانَ المأمونُ يجلسُ لِلنَّاسِ، في يومِ الثُّلاثاءِ ق/٦٠ للمناظرةِ فإذا حَضَرَ الفقهاءُ وَمَنْ يناظرُ مِنْ أهلِ المقالاتِ، أدْخِلوا حجرةً مفروشةً وقيلَ انزَعُوا أخفافَكُم، وأحضِرتِ الموائِدُ، وقيلَ أصيبوا مِنَ الطَّعَامِ، وَجدِّدوا الوضوءَ ومن ثقلتْ عليهِ قُلنسوتُهُ فليضعْها. فإذا فَرَغوا أتوا

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٣٤٨.

(٢) يسمى خاتم الأطباء والمعلمين ظهر بعده ٦٦٥م من وفاة أبقراط وإليه انتهت الرياسة في عصره في الطب. الفهرست، ص ٢٨٨؛ سرح العيون، ص ٢١٨.

(٣) هو الذي تزعم الصابئة أنه نبيها، ويسندون إليه شريعتهم في تعظيم الكواكب. وهو أول من تكلم في الأشياء العلوية من الحركات النجومية وله كتب كثيرة في النجوم، منها كتاب عرض مفتاح النجوم الأول، وكتاب طول مفتاح النجوم الثاني، وكتاب المكتوم في أسرار النجوم. الفهرست، ص ٢٦٧؛ سرح العيون، ص ٢٠٥.

(٤) تقدمت ترجمته ص ١٨٠.

(٥) تاريخ الخلفاء، ص ٣١٥ ــ ٣١٦ مع اختلاف في بعض الجمل؛ الأخبار الموفقيات، ص ٤٠ ــ ٤١؛ بغداد في تاريخ الخلافة العباسية، ص ٣٠ ــ ٣١.

بالمجامِر[1] وتطيبُوا، ثُمَّ خرجوا إليهِ فاستَدْنَاهُم حَتَّى يقربُوا منه، فيناظرَهُم أحسنَ مناظرةٍ وأنصفَهَا وأبعدَها عن مناظرةَ المتجبِّرينَ، فلا يزالُ كذلكَ إلى أنْ تزولَ الشَّمسُ ثُمَّ يقومُ إلى الصَّلاةِ فبينَما هُوَ يوماً جالس، إذْ دَخَلَ عليهِ عليُّ بنُ[2] صالحِ حاجبُهُ، فقالَ: إنَّ في البابِ رجلاً، عَليهِ ثيابٌ غِلاظٌ مشمرةٌ، يَطلبُ الدُّخولَ للمناظَرةِ. قالَ: ائذنْ لَهُ فَدَخَلَ ونعلُهُ في يَدِهِ، فَوَقَفَ على طَرفِ البساطِ، وقالَ: السَّلامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه. فقالَ المأمُون: وعليكُمُ السَّلامُ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ، قالَ: أتأذنُ في الدّنوّ منكَ، قالَ: نَعَمْ، فَدَنا مِنْهُ، فقالَ لَهُ: إجلسْ فَجَلَسَ، فقالَ: أتأذنُ في كلامِكَ قالَ: تَكَلَّمْ، قالَ: أخبرْني (عن)[3] هذا المجلسِ، الذي أنتَ فيهِ جالسٌ، أَجَلَسْتَهُ بإجماعِ المسلمينَ واختيارٍ لَكَ ورضىً بِكَ، أمْ بالمغالَبَةِ لَهُم، والقوّةِ عَلَيْهِمْ بسلطانِكَ. قالَ المأمونُ: لم أجلسْهُ بواحِدٍ مِنهُما ولكنْ كان يَتولّى أمرَهم سلطانٌ قبلي احتملهُ إمَّا عَلَى رِضىً مِنْهُم، و إمَّا على كُرْهٍ، فَعقَد (لِي ولايةَ الأمرِ بعدَهُ)[4] باتفاقِ مَنْ حَضَرَ مِنَ المسلمينَ، فأعْطوا ذلكَ إمَّا طائعينَ، وإمَّا كارهينَ، فَلَمَّا صارَ الأمرُ إليَّ، علمتُ أنِّي محتاجٌ إلى إجماعِ كافةِ

---

(١) المجمرة، بكسر الأول: هي المبخرة والمدخنة. قال بعضهم: والمجمر، بحذف الهاء: ما يبخر به من عود وغيره. المصباح المنير.

(٢) هو علي بن صالح، سمي جده صاحب المصلى، لأنه كان مع أبي مسلم الخرساني وكان من أولاد ملوك خرسان، فاستخصه أبو جعفر بنفسه فلما جرت قصة علي بن عبدالله بن عباس وعرض أبو جعفر خزائنه اختار جده حصيراً للصلاة من عمل مصر، ذكر أنها كانت في خزائن بني أمية وأنهم ذكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم صلىّ عليها. وتولى علي بن صالح التوقيعات للأمين فترة خلافته وكان من جملة حجاب المأمون. تاريخ العيني، ج ١٣ ص ٣٤ مخطوط؛ خلاصة الذهب المسبوك، ص ١٧٤ و ١٩٤.

(٣) زيادة من (ب ــ د).

(٤) في مروج الذهب: فعقد لي وللآخر معي ولاية هذا الأمر بعده؛ وفي بدائع السلك: فعقد لي ولأخي معي ولاية هذا الأمر بعده.

المسلمينَ، في مشارِقِ الأرضِ ومغارِبِها على الرِّضى بي، ثُمَّ نظرتُ فرأيتُ أنِّي مَتَى تَخلَّيتُ عَنْ هذا الأمرِ اضطربَ المسلمونَ، وَغَلَبَ على الناسِ الهرجُ والفتنةُ، وَوَقَعَ التنازعُ فتعطَّلتْ أحكامُ اللهِ وَلَم يُؤخذْ لِمظلومٍ مِنْ ظَالِمٍ، وانقطعتْ السُّبلُ ولم يُحَجَّ بيتَ اللهِ ولم يُجاهدْ في سبيلِهِ إذْ لَمْ يكنْ سلطانٌ يجمعُهُم ويسوسُهُم، فقمتُ بهذا الأمرِ حِياطةً للمسلمينَ، إلى أنْ يجتمعَ المسلمون على رَجُلٍ تتفقُ كلمتُهم على الرِّضى بِهِ، وأسلِّمَ الأمرَ إليهِ وأكونَ أنا كَرجُلٍ مِنَ المسلمينَ.

وأنتَ أيُّها الرَّجلُ، رَسُولي إلى جميعِ المسلمينَ بِهذا. فقامَ وقالَ: السلامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ. قالَ: فأمرَ المأمونُ عليَّ بنَ صالحٍ أَنْ يُوجِّهَ مَنْ يتبعُهُ حَتَّى يَعْلَمَ أينَ يَقْصِدُ، فَفَعَل ثُمَّ رَجَعَ، فقالَ: مَضَى إلى مَسْجِدٍ فيهِ جماعةٌ على هيئتِهِ وَزيِّهِ، فقالوا: لقيتَ الرجلَ، قالَ: نَعَمْ، وَقَصَّ عليهِم القصةَ، فقالوا: ما نرى بِهذا بأساً وافترقُوا. فأقبلَ المأمونُ على يَحيى بنِ أكثمَ وقالَ: يا أَبَا مُحمّدٍ قَدْ كُفينا مؤنةَ هؤلاءِ بأيسرِ خَطْبٍ[1]. قالَ ابنُ أكثمَ: ما رأيتُ ولا سمعتُ بأكرمَ مِنَ المأمونِ، وأخذَ في الحديثِ عَنْهُ، قالَ: بِتُّ عِنْدَهُ ليلةً فانتبهَ باللَّيْلِ فَظَنَّني نائماً، فجعلتُ أُراعِيهِ وَقَدْ عَطِشَ فَلَمْ يدعُ بالغلامِ، لِئلَّا يُنبهَني، فقامَ مُتسلِّلاً حافياً، يقارِبُ (الخطوَ[2])، حَتَّى أتى البرادَةَ فتناولَ كوزاً مِنْها فشربَ، ثُمَّ رَجَعَ يُخفِي وَطْئَه كأنَّه لِصٌّ حَتَّى اضطجَعَ في مَضجعِهِ، وأَخَذَهُ سُعالٌ فرأيتُه يجعلُ كُمَّه في فِيهِ، لِئلَّا أسمعُ سُعَالَهُ فأنتبه، وطلَعَ الفجرُ وأرادَ القيامَ وقد تناومتُ إلى أنْ كادَتِ الصَّلاةُ تفوتُ، فتحرَّكتُ، فقالَ: اللهُ أكبرُ، يا غلامُ هاتِ نَعْلَ أبي مُحمّدٍ، فقلتُ:

---

(١) مروج الذهب، ج ٢ ص ٢٤٠ ـ ٣٤٢؛ تاريخ الخلفاء، ص ٣٢٧؛ بدائع السلك في طبائع الملك، ج ١ ص ٥٠٧ ـ ٥٠٨.

(٢) في (ب ـ د): الخطوات.

يا أميرَ المؤمنينَ إنَّ بعيني جميعَ ما كانَ الليلةَ من صُنْعِكَ ولذلكَ جعلَكُم اللهُ لَنا مواليَ وجَعَلَنا لكُم عبيداً[1]. قالَ: وَلَقَدْ سايرتُهُ يوماً إلى البُستانِ، فحاذيتُهُ مِن جِهةِ الشَّمسِ لِأسترَهُ مِنْها، فَلَمَّا عادَ في طريقِهِ دارَ في الموضِعِ الذي كنتُ فِيه، وقالَ: مِنْ حَقّ المسايرَةِ، أن آخذَ بنصيبٍ مِنَ الشَّمْسِ، كما أخذتَ أنتَ مِنْها، فقلتُ: واللهِ يا أميرَ المؤمنينَ لو قدرتُ أنْ أقيكَ هولَ المطلَعِ لفعلتُ، فقالَ: لا بدَّ، فَستَرَني مِنَ الشَّمسِ حتى عُدْنا[2].

قالَ: وكانَ ابنُ أَبـي خالدٍ[3] يعرضُ الكتبَ بينَ يديهِ يوماً فجاءته عَطْسةٌ شديدةٌ، ق/٦١ فَأَدخَلَ وجهَهُ في كُمِّهِ وكَتَمَها، فكادتْ تأتي عَلَى نفسِهِ وَفَطِنَ المأمُونُ لَهُ، فقالَ: يا أحمدُ بِئسَ ما صنعتَ بِنفسكَ، إنا لا نحمَدُ أحداً على هذِهِ الخطةِ، فقالَ: يا أميرَ المؤمنينَ ما سمعتُ لِأحدٍ مِنَ الملوكِ بمثلِها، فقالَ المأمونُ: بَلَى، أرادَ الأبرشُ[4] أن يعممَ سليمانَ بنَ عَبدِالملكِ[5]، فقالَ: إنا لا نتَّخذُ الإخوانَ خَوَلاً[6]. قالَ يحيى بنُ أكثمَ: وتوضأتُ يوماً عِنْده، فلما

---

(١) إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، ص ١٧٨؛ الأخبار الموفقيات، ص ١٣٣؛ المصباح المضيء في خلافة المستضيء، ج ١ ص ٣٨٢ ــ ٤٨٣؛ تاريخ الخلفاء، ص ٣٢١.

(٢) سراج الملوك، ص ٤٦؛ عيون الأخبار، م ١ ج ١ ص ٢٣؛ المحاسن والمساوىء، ج ١ ص ٢٩٤ ــ ٢٩٥؛ المصباح المضيء، ج ١ ص ٤٨٣؛ خلاصة الذهب المسبوك، ص ١٩٢.

(٣) تقدمت ترجمته ص ٢٠٨.

(٤) هو سعيد بن الوليد بن جبلة الكلبي يكنى أبا مجاشع عرف بأبرش الكلبي، كتب لهشام بن عبدالملك الأموي وخص عنده، ثم لزم الوليد بن يزيد وساعد مروان بن محمد حتى استولى على الملك. تاريخ الطبري، ج ٨ ص ٨٣٨؛ ج ٩ ص ١٨٠٥.

(٥) الصواب: هشام بن عبدالملك، كما في اعتاب الكتاب لابن الابار وغرر الخصائص وزهر الآداب.

(٦) زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٧٢؛ الوزراء والكتاب، ص ٥٩؛ اعتاب الكتاب، =

أتيتُ بالوضوءِ إذا بالإبريقِ لَه أنبوبٌ طويلٌ، نحو مِن أربعِ أذْرعٍ، فجعلتُ أتعجَّبُ مِنه وأديرُ فيه الفكرَ وأُحِدُّ النَّظَرَ، فقالَ لي المأمونُ عِندَ ذَلكَ: يا أبا مُحَمَّدٍ كأنَّكَ تعجَبَ من طُولِهِ، قلتُ: نَعَمْ يا أميرَ المؤمنينَ، فقالَ: إنَّ هذا الغلامَ قَدْ اعتادَ أن يوضئني، وَلَهُ صحبةٌ قديمةٌ، وهو يأكلُ البَصَل كثيراً، فنهيتُهُ عَنْهُ (غيرَ)[1] مرّةٍ، فَلَمْ ينته، فأمرتُ بعملِ هذا لئلا أقطَعَه مِنْ شهوتِهِ وأتباعدَ عن رائحتِهِ. وروي أن دعبلاً[2] هجاهُ فقالَ:

وَيَسُومُنِي المأمُونُ خُطَّةَ عَارِفٍ ... أَوَ مَا رَأَى بالأَمْسِ رَأْسَ مُحَمَّدِ
يُوفِي على رؤوس الخلائق مثلما ... يُوفِي الجِبَالُ على رُؤُوسِ القَرْدَدِ
إني من القوم الذين هم هم ... قتلوا أخاك وشرفوك بمقعد
شادُوا بذكرك بَعدَ طول خُموله ... واسْتنقَذُوكَ من الحضيض الأوهَد[3]

فبلغَهُ ذلكَ فقالَ: قَبَّحَهُ اللهُ ما أبهتَهُ، مَتَى كنتُ خاملاً وَمِنْ حُجْرِ بالخلافةِ درجتُ وَبِدُرِّها غذيتُ. وظَفَرَ بِهِ بعدَ ذلكَ فعفا عنه[4].

= ص ١١٦؛ غرر الخصائص، ص ٢٧٨ وتطبق هذه المصادر على أن الذي كان يعرض الكتب بين يدي المأمون هو عمرو بن مسعدة وليس أحمد بن أبي خالد.

(١) زيادة من (ب ـ د).

(٢) هو أبو علي دعبل بن علي الخزاعي الشاعر المشهور. أصله من الكوفة وقيل دعبلاً لقب، واسمه الحسن، وقيل عبدالرحمن، وقيل محمد، ولد سنة ١٤٨هـ كان بذيء اللسان مولعاً بالهجاء، هجا الخلفاء الرشيد والمأمون، وكان يقول: منذ خمسين سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد أحداً، توفي سنة ٢٤٦هـ. النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٣٢٢؛ وفيات الأعيان، م ٢ ص ٢٦٦؛ تاريخ بغداد، ج ٨ ص ٣٨٢؛ الفهرست، ص ١٦١.

(٣) ديوان دعبل الخزاعي، ص ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٤) الفرج بعد الشدة، ج ١ ص ٣٨٢؛ تاريخ الطبري، ج ١١ ص ١١٥٥؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٩٣.

وَلَمَّا حبسَ يحيى بنُ أبي خالد[1] كتبتْ إليهِ أمُّ وَلَدٍ لَهُ: إنَّ جميعَ أمهاتِ أولادِك، قد نالوا فَضْلَ أيامِكَ سِواي، فوقَّعَ لها: قَدْ أعددتُ لَكِ الفضلَ بنَ سَهْلٍ[2]، فلمَّا وَرَدَ الفضلَ بنُ سهلٍ، وَبَلَغَ ما بَلَغَ، دَفعتِ الجاريةُ توقيعَ يحيى بنِ خالدٍ إليهِ، فَلمَّا رآه بَكَى، وأَمَرَ لها بِعَشَرَةِ آلافِ دينارٍ وقالَ: إذا فَنِيْ مِنكِ فطالِعينا. قالَ أحمدُ بنُ أبي خالدٍ: ما رأيتُ مِثلَ الفضلِ بنِ سَهْلٍ، أصبرَ على الجلوسِ، ولا أقوى على كتابٍ، ولا أنزَهَ نفساً، ولا أشدَّ ارتفاعاً عَنِ الدُّنيا، ولا أطلبَ لجميلِ الذِّكرِ، وحَسَنَ الأحدوثَةِ مِنْه، ما جمعَ مالاً قطُّ ولا ادَّخَرَهُ، وكانَ يَلبُس مِن ثيابِ المأمونِ، ويركَبُ مِنْ دوابِهِ وما وُجِدَ لَهُ يومَ قُتِلَ شيءٌ.

وكانَ الفضلُ بنُ سَهْلٍ في الحمّامِ، فهجَمَ عليهِ جماعةٌ من غِلمانِ المأمونِ[3]، فقتلوهُ فيه (فارتفعتِ الضجَّةُ وركبَ المأمونُ إلى الحمَّامِ)[4] حتى وَقَفَ على بابِ الحمَّامِ، فَأُخْرِجَ الفضلُ فنزلَ المأمونُ فوقَعَ عليهِ، وقَبَّلَ وجهَهُ وَهُوَ يَبكي وَمشَى المأمونُ مِنَ الحمَّامِ إلى الدَّارِ، ثُمَّ وَقَفَ عَليهِ حَتَّى غُسِّلَ وَكفَّنَهُ بيدِهِ وحَنَّطَهُ وَرَكِبَ حَتَّى صلى عليهِ، وغلبتْهُ العَبْرَةُ حَتَّى ارتفعَ صوتُهُ، فلمَّا انصرفَ طلبَ قاتليهِ فقتلَهم، ثم التفَت إلى عليٍّ بنِ موسى الرِّضى[5] عليهِ السلامُ، فقالَ: لقد أصبحتُ واللهِ بَعْدَ فقدِ ذِي الرِّياستين[6]،

---

(١) تقدمت ترجمته ص ١٤٠.

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٦٢.

(٣) ذكر الطبري، ج ١١ ص ١٠٢٧: أن الذين قتلوا الفضل من حشم المأمون وهم أربعة نفر، أحدهم غالب المسعودي الأسود وقسطنطين الرومي وفرج الديلمي وموفق الصقلبي؛ الكامل في التاريخ، م ٥ ص ١٩٢؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٤٩.

(٤) ساقطة من (ج).

(٥) هو أبو الحسن علي بن موسى بن جعفر القرشي الهاشمي العلوي، الملقب بالرضى، ولد سنة ١٥٣هـ، هم المأمون أن ينزل له عن الخلافة فأبى عليه فجعله ولي العهد من بعده، توفي سنة ٢٠٣هـ بطوس وصلى عليه المأمون ودفن بجنب الرشيد. شذرات =

بمنزلةِ رَجُلٍ في فلاةٍ، إن دَهِمَهُ الليلُ خافَ مِنَ السِّباعِ ، وإنْ وافاهُ نهارٌ خافَ العدُوَّ وهو ما بينَ ذلك مُعدمٌ مِنَ الزَّادِ. وَجَعَلَ يبكي وأخذَ بِيدِ عليِّ بْنِ موسى الرِّضى، وَدَخَلَ على أمِّ الفضْلِ[1] يُعزّيها فقالَ: أتجزعينَ يا أمةُ وَقد خَلّفَ لكِ ذو الرِّياستين ابناً، فقالت: كيفَ لا أجزعُ على من جعلكَ ابْني[2].

= الذهب، ج ٢ ص ٦؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ١٧٣؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٥٠.

(٦) الرياستين: السيف والقلم.

(١) هي أم الفضل بن سهل وزير المأمون الملقب بذي الرياستين، فلما قتل الفضل عزاها المأمون وكانت ذات فصاحة. وفيات الأعيان، م ٤ ص ٤٤.

(٢) وفيات الأعيان، م ٤ ص ٤٤؛ العقد الفريد، ج ٣ ص ٢٣١؛ زهر الآداب، ج ١ ص ٣٠٤.

وَمِن غيرِ الكتابِ مِمّا استُحْسِنَ ذكرُهُ في هذا الموضِعِ: ذُكِر أنَّ المأمونَ قالَ ما أسكتَني إلا جوابُ ثلاثةِ أنْفُسٍ أحدُها جوابُ أُمِّ ذات الرياستَيْنِ لَهُ في قتلِ ولدِها، والثّاني أُتِيَ إليهِ برجُلٍ ادَّعى النُبوةَ، فأمرَ بامتحانِهِ فَسَألَهُ المأمونُ مَنْ أنْتَ من الأنبياءِ قالَ موسى فقالَ لَهُ المأمونُ إنَّ موسى كانَتْ لَهُ دلائلُ وبراهينُ قالَ وما تِلْكَ الدلائِلُ والبراهينُ؟ قالَ: ضَمَّ يَدَهُ إلى جَنْبِهِ فأخرَجَها بيضاءَ، ورَمَى بعصاهُ فَصَارَتْ حَيَّةً تَسْعَى، قالَ نَعَمْ إنَّ ذاكَ لِفِرْعون عندما قالَ أنا رَبُّكُم الأعلى، فَإنْ شِئْتَ فَقُلْ كما ق/٦٢ قال: حَتَى أُظْهِرَ لَكَ تِلْكَ الآياتِ فَسَكَتَ، وأمّا الثّالِثُ فجاءَ أهلُ البصرةِ، يتظلَّمُونَ مِنْ والٍ وَلّيتُهُ عليهِمْ، وَلَمْ أُرِدْ نَزْعَهُ فأقَامُوا متظلّمين على بابي سنَةً، ثُمَّ أمرتُهُم أنْ يَدْخُلَ عليَّ مِنْهُمْ نَفَرٌ يفهمونَ عنّي ويُفهمونَني، فلستُ أقدرُ على كَثرتِهِم ولا سوءِ أدبِهِمْ فقالوا لَسنا بِكثيرٍ، وإنّما يدخُلُ مِنّا شيخٌ واحِدٌ، وهُوَ أصَمُّ فيصبرَ المأمونُ على صممِهِ فأدخَلُوهُ عليَّ فَلمّا مَثُلَ بينَ يديَّ قلتُ تِكَلَم، قالَ يا أميرَ المؤمنينَ وَلّيْتَ علينا هذا الوالي، فأوَّلُ سَنَةٍ أَخذ أموالَنا، والثانية أَخَذ ضياعنا، والثالثة سلّمنا أنفسنا، فقلتُ لَهُ كَذبتَ ما على بابي أَحَدٌ أعفُّ مِنْهُ، ولا أَخْيَرَ وإنّه لبعيدٌ مما قلتَ. قالَ صَدَقَ أميرُ المؤمنينَ، وكَذَبَ الشَّيْخُ غَيْرَ أنَّ هذا الرَّجُلَ إذا لم يكنْ في حاشيةِ أميرِ المؤمنينَ أعفُّ مِنْهُ، ولا أخيرَ فما يحلُّ لَهُ أنْ يختصَّ بِهِ أهلَ

رَجعنا إلى الكتابِ قالَ دَخَلَ أبو إسحاقَ المعتصمُ[1] على المأمونِ فقالَ لَهُ إنَّ عبدَاللَّهِ بنِ طاهرٍ[2] يميلُ إلى وَلَدِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ كرَّمَ اللَّهُ وجهَهُ، فَدَفَعَ المأمونُ ذلك وأنكَرَهُ، ثُمّ عادَ إليه بِمثلِ ذلكَ، فَدَسَّ المأمونُ إليهِ رَجلاً وقالَ لَهُ: امضِ إلى عَمَالةِ عبدِاللَّهِ بنِ طاهرٍ، إلى مصرَ على هيئة

البصرةِ، أكثر من ثلاثِ سنينَ، فينبغي لَهُ أن يُعَمِّرَ بلادَهُ فَلَمْ يَكُنْ لي جوابٌ إلا عزلَهُ(*).

(١) هو أبو إسحق محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور العباسي. ولد سنة ١٨٠هـ وأمه أم ولد من مولدات الكوفة، اسمها ماردة روى عن أبيه وأخيه المأمون وكان أمياً لا يحسن الكتابة، وسبب أميته ما ذكر أصحاب التواريخ أنه كان يتردد إلى الكتاب، مع غلام آخر فمات الغلام، فقال له أبو الرشيد ما فعل غلامك قال مات، واستراح من الكتاب، فقال الرشيد وقد بلغ منك كراهة الكتاب إلى أن تجعل الموت راحة منه والله يا بني لا تذهب بعد اليوم إلى الكتاب، فتركه فكان أمياً، وقيل بل كان يكتب كتابة ضعيفة، بويع له بالخلافة يوم وفاة المأمون، وكان من أعظم الخلفاء وأهيبهم، لولا ما شان سؤدده بامتحان العلماء بخلق القرآن. يقال له المثمن لأنه ثامن الخلفاء من بني العباس والثامن من ولد العباس، وثامن أولاد الرشيد، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، وفتح ثمان فتوح منها عمورية، وقتل ثمانية أعداء توفي سنة ٢٢٧هـ بسر من رأى/ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦؛ تاريخ الخلفاء، ص ٣٣٣ ـ ٣٣٧؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٢٥٠ ـ ٢٥١؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ٦٣ ـ ٦٤؛ الفخري، ص ٢٢٩.

(٢) هو أبو العباس عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي. وكان عبدالله سيداً نبيلاً عالي الهمة شهماً، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه، ولاه الدينور والشام ومصر توفي سنة ٢٣٠هـ/ وفيات الأعيان، م ٣ ص ٨٣ ـ ٨٨؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٣٠٢؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٢٥٨؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ٦٨.

(*) وواضحٌ أنَّ قولَ المأمونِ في إسكاتِ الثَّلاثةِ لَهُ حَتَّى لم يجدْ جواباً ليسَ مِنْ صُلْبِ كتابِ تهذيبِ الرياسةِ وإنما هو زيادةٌ من النَّاسخِ أشارَ إليها كما وأن بقيةَ النُسخِ المخطوطةِ لم تذكره ولم تعرضْ لَهُ.

النَّاسِكِ، فادعُ أهلَهَا إلى القاسِمِ(١) بنِ إبراهيمَ . طباطِبَا العلويِّ واذكرْ مناقِبَهُ وعِلْمَهُ، ثم إئْتِ عبدَاللّـهِ بنِ طاهرٍ، فادعُهُ وَرَغْبهُ وابحثْ لي عَنْ دفينِ نِيتِهِ، بحثاً شافياً وَجِئْنِي بِمَا تَسْمَعُ مِنْهُ، فَأَتى الرجلُ مصرَ فدعَا جماعةً من الرُّؤساءِ، وَقَعَدَ لعبدِاللّـهِ بنِ طاهرٍ فلمَّا انصرفَ مِنْ مَركبِهِ، قامَ إليه فأخرَجَ رُقْعَةً مِنْ كُمِّهِ فدفَعَها إليهِ، وأدخلَهُ عليهِ فقالَ: هاتِ ما عندَكَ قالَ بأمانٍ منْكَ قالَ نعَمْ، فَأَظْهَرَ لَهُ ما أرادَ وَدَعَاهُ إلى القاسِمِ بنِ إبراهيمَ عليهِ السلامُ، وأخبَرَهُ بفضائِلِهِ وَعِلْمِهِ وزهادَتِهِ، فقالَ عبدُاللّـهِ بنُ طاهرٍ أتنصِفُني قال: نَعَمْ، قالَ: هَلْ يَجِبُ شُكْرُ اللّـهِ على العبادِ، قالَ: نَعَمْ، قالَ: فَهَلْ يَجِبُ شكرَ بعضِهِمْ بعضٍ على الإحسانِ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فتجيءُ إليَّ وأَنَا في هذهِ الحالِ التي تراها، بنفذُ خاتمي مِنْ أَقْصى الشَّرقِ إلى أَقصى الغربِ ما ألتفتُّ يميني ولا شِمالي، ولا قدَّامي ولا خلْفي، إلا رأيتُ مِنَّةً مِنْهُ ونِعْمَةً عليَّ خَتَمَ بِهَا رَقبتي، فَتُدعوني إلى الكفرِ بهذِهِ النِّعمةِ، وتقولُ لي أغدرْ بِمَنْ ولاكَ هذا كلَّهُ، واسْعى في إزالةِ مُلْكِهِ، فسكتَ الرَّجُلُ فقالَ لَهُ عبدُاللّـهِ بنُ طاهرٍ قَدْ بَلَغَني خبرُكَ، وباللّـهِ ما أخافُ عليكَ إلا نفسَكَ، فارحلْ عَنْ هذِهِ البلدِ فإنَّ الخليفَةَ إنْ بَلَغَهُ أمرُكَ كنتَ الجّاني على نَفْسِكَ، فَرَحَلَ مِنْ وقْتِهِ حَتّى وافى المأمونَ، فأخبَرَهُ بِمَا سَمِعَ مِنْ عَبْدِاللّـهِ بنِ طاهرٍ، فاستبشَرَ بِهِ وقالَ ذلك غَرسُ يَدِي ونشْو أدبـي، فلم يظهرْ لِاحدٍ مِنْ ذلك شيءٌ ولا عَلِمَ بِهِ عبدُاللّـهِ إلا بعد موتِ المأمونِ(٢).

---

(١) هو القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. استتر في مصر في خلافة المأمون العباسي، ودعا إلى نفسه حين بلغه موت أخيه محمد، وبث دعاته وهو على حال استتاره، فبايعه خلق كثير فتشدد الخليفة في طلبه فعاد إلى الحجاز/ تاريخ الإسلام السياسي، ج ٢ ص ١٤٣ ــ ١٤٤.

(٢) الكامل في التاريخ، م ٥ ص ٢١٣؛ تاريخ الطبري، ج ١١ ص ١٠٩٤ ــ ١٠٩٥؛ بغداد في تاريخ الخلافة العباسية، ص ٧٩ ــ ٨٠؛ العقد الفريد للملك السعيد، ص ٨٤ ــ ٨٥.

وقيلَ اجتازَ عبدُالله بنُ طاهرٍ بالرّقةِ بمنزلِ العتابي[1] فقالَ أليسَ هذا منزلُ كُلثومٍ، قيلَ: بَلى، فثنى رِجلَهُ ودَخَلَ عليهِ، فألفاهُ جالِساً في بيتِ كتبِهِ فحادثَهُ وذاكَرَهُ ثم انصرفَ، وتَحَدَّثَ الناسُ في ذلك، فقالوا: إنَّ الأميرَ لَمْ يقصدْهُ، وإنَّما اجتازَ بِهِ فأخطَرَ بتلك الزيارةِ فكتبَ إليهِ:

يا مَنْ أفادَتْني زِيارَتُهُ	بَعْدَ الخمولِ نَباهةَ الذكْرِ
قالوا الزيارةُ خَطْرَةٌ عرضت	وبحارُ بِسرِّكَ لَيْسَ بالخطرِ
فادفَعْ مقالَتَهُم بثانيةٍ	تستَنْفِذ المجهودَ مِنْ شُكري
لا تجعلَنَّ الوِتْرَ واحدةً	إنَّ الثلاثَ تتمةُ الوِتْرِ

فبعثه الأبياتَ إلى أنْ زارَ ثلاثاً[2].

وحدَّث صالحُ بنُ[3] عليّ وكانَ مِنْ وجوهِ الكتابِ، قالَ: طالَتْ بِي العطلةُ، وبلغَ بي ذلكَ أعظمَ الحاجةِ، فبكَّرتُ ق/٦٣ يوماً إلى أحمدَ بنِ أبي خالدٍ، الوزيرِ، لِأعْلِمَهُ بجليلِ أحوالي وأسألَهُ لَمَّ شَعْثي، فخرجَ مِنْ بابِهِ وبينَ يديهِ قاصِداً بابَ المأمونِ، فلمَّا نَظَرَ إليَّ أنْكَرَ بُكوري وعَبسَ في وَجْهي وقالَ: في الدُّنْيا أحدٌ بَكَّرَ هذا البكورَ ليشغلَنا، قالَ: فقلتُ لَيس العجبُ مِنْكَ أصلحَكَ اللّهُ فيما لقيتَني بِهِ، إنَّما العجبُ منّي إذا أسهرتُ ليلتي وأسهرتُ جميعَ أهلي، يرقبونَ الصُّبحَ حتّى أصيرَ إليكَ، في صَلاحِ أحوالي بَعْدَ وقوعِ

---

(١) هوكلثوم بن عمرو العتابي الشاعر المشهور. أصله من الشام من أرض قنسرين صحب البرامكة وكان يتجنب غشيان السلطان قناعة وتزهداً غضب عليه الرشيد لأمر بلغه عنه، فهرب إلى اليمن فاحتال يحيى بن خالد حتى ترضى الرشيد عنه، صنف كتاب المنطق والآداب وكتاب فنون الحكم توفي في حدود ٢٢٠هـ/ وفيات الأعيان، م ٤ ص ١٢٢؛ فوات الوفيات، ج ٣ ص ٢١٩ ـ ٢٢١.

(٢) زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٢١؛ الأغاني، ج ١٣ ص ١١٨.

(٣) صالح بن علي: لم أجد له ترجمة فيما لدي من المراجع.

الاختيارِ عليكَ فيمـا آملُهُ عندَكَ، ولكنْ عليَّ وعليَّ أنْ وقفتُ لَـكَ بباب (أو سألتُكَ حاجةً)[1]، إلى أنْ تصيرَ إليَّ مُعْتَذِراً مما لقيتني بِهِ، وانصرفتُ مغموماً مُفكّراً فيهِ نادِمَاً على ما فَرْطَ مِني من اليمينِ، آيساً مِنَ الفرجِ لاستبعادِ مجيءِ الوزيرِ إليَّ واعتذارهِ مِني، راجعاً على نَفسي باللَّومِ، فإني لكذلِكَ إذْ دَخَلَ عليَّ بعضُ الغِلمانِ، فقالَ إنَّ الوزيرَ أحمدَ بنَ أبـي خالدٍ آخذاً في شارِعنا ودخلَ آخرُ فقالَ إنَّهُ دخلَ دَرْبَنَا، ودخلَ ثالثٌ فقالَ إنَّه قرَّب مِنَ (دارِنا)[2] ثم دخل رَابعٌ فقالَ: إنَّهُ دَخَل دارنا، فخرجْتُ مُسْتَقْبِلاً لَهُ فلمَّا استقرَّ بِهِ المجلسُ قال لي، كانَ أميرُ المؤمنينَ قَدْ أمرَني بالبُكُورِ إليهِ، في بعضِ مهماتِهِ فدخلتُ إليه وقَدْ غَلَبني الهمُّ والغمُّ بما فَرَطَ مِنِّي إليكَ، حتى أنكر حالي فقصصتُ عَلَيْهِ القِصّةَ، فقالَ قد أسأتَ إلى الرَّجُلِ ولا عليكَ أنْ تعتذرَ إليهِ قلتُ فامضي إليهِ فارغَ اليدِ، قالَ فتريدُ ماذا قلتُ تقضي دَيْنَهُ، قالَ وكَمْ ذلكَ قلتُ مائةُ ألفِ درهمٍ فأمرني بالتَّوقيعِ لَكَ بِهَا، قلتُ فإذا قضى دَيْنَهُ فيرجِعُ إلـيَّ ماذا قال فَوَقِّعْ له بمائةِ ألفِ دِرْهمٍ أخرى، يُصْلِحُ بها حالَهُ. قلتُ فولايةٌ يُشرَّفُ بها قالَ لَهُ مِصرُ أو غيرُها مما يشبهُها، قلتُ فمعونةٌ يستعينُ بِهَا على سَفَرِهِ، فأمرَ بأنْ يوقِّعَ لكَ بمائةِ ألفِ دِرْهَمٍ وهذِهِ التوقيعاتُ لَكَ بِكُلِّ ذلك فنشَرها وانصرفَ[3].

وقالَ محمدُ بنُ عبَّادٍ المهلبـيّ[4]: دَخَلَ أَبـي على المأمونِ فوصلَهُ بمائةِ

---

(١) في (ج ـ د) ولا سألتك حاجة.

(٢) في (ب ـ ج) بابنا.

(٣) الفرج بعد الشدة، ج ٣ ص ٢٣٠ ـ ٢٣١؛ أعتاب الكتاب، ص ١١٨ ـ ١١٩.

(٤) هو محمد بن عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبـي صفرة الأزدي، كان يتولى الصلاة والإمارة بالبصرة، وقدم بغداد وحدث بها عن أبيه وعن صالح المري وعن هشيم بن بشير وروى عنه ابن القاسم وإبراهيم الحربي، وكان محمد سخياً كريماً توفي بالبصرة سنة ٢١٤هـ/ تاريخ بغداد، ج ٢ ص ٣٧١ ـ ٣٧٣.

ألفِ درهَم ، فلمَّا قامَ مِنْ عِندِهِ تصدَّقَ بها، فأُخبِرَ المأمونُ بذلك فلمَّا عادَ إليهِ عاتَبَهُ في ذلكَ، فقالَ يا أميرَ المؤمنينَ منَعَ الجودُ سوءَ ظَنٍّ بالمعبودِ، فَوَصَلَهُ (بمائتي)[1] ألفِ دِرْهَمٍ[2].

وَأَنْهَى إلى المعتصِمِ[3] أنَّ الحَسَنَ بنَ سهلٍ[4] قد أضافَ إلى ضياعِهِ التي أُقْطِعَها، ضياعاً كثيراً خراجيةً، فتكرَّمَ المعتصمُ أنْ يأمُرَ بمناظرتِهِ دونَ سائِرِ أصحابِ الإقطاعاتِ، فأمرَ بكشفِ الإقطاعاتِ كلِّها، فدخلَ الحسنُ بنُ سهلٍ لمَّا بلغَ إليهِ ذلك عَنِ المعتصمِ ، فقالَ يا أميرَ المؤمنينَ ما كانَتْ لِي ضياعٌ ولا لِأبي مِنْ قَبلي، ولكنْ هي نعمتُكُمْ التي أنعَمْتُمْ بِها عليَّ وقد رددتُ جميعَها، إلى أيدي عُمالِ أميرِ المؤمنينَ، وما كَانَ لي فيها مُلكاً فأميرُ المؤمنينَ مِنهُ في حِلٍّ ، ولا أكونُ سبباً لهلاكِ (النَّاسِ)[5] وضَرَرِهِمْ فاستحيَا المعتصمُ وغضَّ طَرْفَهُ، وقالَ: لا أكشِفُ إقطاعاتِكَ ولا إقطاعاتِ غيرِكَ ولم يزلْ على بِرٍّ وإكرامٍ. وقالَ أحمدُ بنُ أبي داوودَ[6] القاضي ما رأيتُ أجمَعَ لفضيلةٍ ولا أوصلَ لِرَحْمٍ ، ولا أرقَّ قلباً على ذِي حاجةٍ، وأصدقَ وأوفى بقولٍ واكظم لغيظٍ وأعفى عَنْ مسيءٍ، وأشدَّ تفقداً للصاحبِ والخادمِ ،

---

(١) في (ب ـ ج) بمئة ألف.

(٢) الوزراء والكتاب، ص ٢١٥؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٧٨؛ نهاية الأرب، ج ٣ ص ٢٠٥.

(٣) تقدمت ترجمته، ص ٣٦٨.

(٤) تقدمت ترجمته، ص ٢٠٣.

(٥) في (ب) المسلمين.

(٦) أبو عبدالله أحمد بن أبي داوود الأيادي القاضي، ولي قضاء القضاة للمعتصم ثم للواثق كان مولده بالبصرة سنة ١٦٠هـ وكان موصوفاً بالكرم وغزارة الأدب صحب هياج بن العلاء السلمي فأخذ عنه الاعتزال وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن ثم ابتلى بالفالج نحواً من أربع سنين توفي سنة ٢٤٠هـ/ شذرات الذهب، ج ٢ ص ٩٣؛ وفيات الأعيان، م ١ ص ٨١ ـ ٩١.

وأشجعَ قلباً وأحسنَ سياسةً مِنَ المعتصِمِ، فأمَّا صِلَتُهُ للرَّحِمِ، فكانَ إبراهيمُ ابن المهدي[1] أعدى خلقِ اللّهِ لَهُ وأَشَدَّهُمْ استخفافاً لَهُ في أيامِ المأمونِ وكانَ المأمونُ زوَّجَ المعتصمَ لُبابَةَ بنتَ إبراهيمَ فمنحَهُ وقالَ لا أرضاهُ لَهَا فلما صارتْ إليه الخلافةُ برَّهُ وآثرهُ وكان أحظى النَّاسِ عِنْدَهُ.

وقَالَ المعتصمُ يا أبا عبدِاللّهِ لقدْ كُنْتُ أَلْقَى مِنْ جماعةٍ في أيَّامِ المأمونِ، كُلَّ ما أكرهُ ويذكرونَني لَهُ بِأسوءِ الذِّكْرِ، ويقولونَ في أقبحِ القولِ فظننتُ أني مَتى قَدِرْتُ عليهِمْ، لم أبقِ على أَحَدٍ مِنْهُمْ، وكَانَ أشدَّهُمْ قصداً ق/٦٤ لمكروهي وَعَيبي إبراهيم بنُ المهديِّ، وكان يذكُرني بالقُبْحِ إذا غبتُ وينتقصُني إذا حضرتُ، ويَحْكِي كَلَامي في مَجْلِس المأمونِ، ويهجوني بأقبحِ الهجاءِ حَتّى هممتُ مرةً بَعْدَ أُخرى، أنْ أفتكَ بِهِ في مَجْلِسِ المأمونِ، فَأُقَطِّعُهُ إرباً إرباً، فلمّا قدرتُ وصارَ إلى السُّلطان، ذهبتْ الحفيظةُ مِنْ قَلْبِي عليهِ وعلى أمثالِهِ، مِمَّنْ تقدمتْ إساءته فرأيتُ العفوَ عَنْهُم أحسنَ من المكافأةِ وأنفعَ في الآخرةِ.

وقالَ إبراهيمُ بنُ المهديِّ (لما وُلِيَّ المعتصمُ واللّهِ لقد ظننتُ)[2] أنَّهُ يأمرُ بِضَرْبِ عُنُقِي إذا وقعتْ عينُهُ عليَّ وَلَوْ أمكنَني الهربُ مِنْهُ لهربتُ فما دخلتُ عليه يوماً إلا جدَّدَ لي بِشراً وإكراماً ولا خرجتُ إلا بِصِلَةٍ وَخُلَعٍ وحُملانٍ.

وقالَ ابنُ أبي داوودَ وكانَ محمدُ بنُ قاسمٍ العلويُّ[3] خَرَجَ عليه

---

(١) تقدمت ترجمته، ص ٢٠٣.

(٢) في (ب ـ ج ـ د) والله لظننت لما ولي المعتصم أنه يأمر.

(٣) هو محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب خرج على المعتصم بخراسان، ودعا إلى الرضى من آل محمد واجتمع عليه خلق كثير، وحصلت بينه وبين عبدالله بن طاهر معارك حتى انهزم محمد بن القاسم وهرب إلى كور خراسان، =

(بخراسانَ)[1]، فحملَهُ عبدُاللّٰهِ بنُ طاهرٍ في الحديدِ إلى حَضْرَةِ المعتصمِ، فاطّلَعَ عليهِ يوماً مِنْ (مَشرفِهِ)[2]، فرآهُ وعليهِ جُبَّةُ صُوفٍ وفي رِجْلِهِ الحديدُ، وقَدْ تَغيَّرَ لونُهُ فَرَقَّ لَهُ ودمعتْ عيناهُ، ثُمَّ قالَ لي يا أبَا عبدِاللّٰهِ هذا ابنُ عمِّي وأدْنَى النَّاسِ رَحِماً، وما يحتملُ قلبي أنْ أراهُ على هذِهِ الحالِ، ثُمَّ دَعا بعضَ (الذي)[3] كانَ قائماً على رأسِهِ، فقالَ اذهبْ فَقُلْ لهُ ما الذي دعاكَ إلى الخروجِ عليَّ، ولم ينلْكَ مِنِّي سوءٌ قَطُّ، فَمَضَى الرسولُ فأبلغَهُ، فقالَ رأيتُ جوْراً شديداً، لَمْ يسعْني فيما بيني وبينَ اللّٰهِ إلا إنكارُهُ فقالَ المعتصمُ ارجعْ إليه فقلْ لَهُ هل هذا جَوْرٌ أحدثتُهُ (أنا)، أمْ كانَ شيئاً فعلَهُ سَلَفِي قبلي، قال بل كان فعله سلفك قبلك وسلكتُ سبيلَهُم، فقالَ ارجعْ وقلْ لَهُ أيّما أفضلُ أنتَ أمْ مَنْ تَقدَّمَ مِنْ سَلَفِكَ، فقالَ محمدُ بلْ مَنْ تَقدَّمَ مِنْ سَلَفِي، فقالَ قُلْ لهُ يا هذا كَيفَ وَسِعَ سلفُكَ مع فضلِهِم وسابقتِهِم، أنْ لا يخرجُوا على سَلَفِي، ولَمْ يسعْكَ أنْتَ إلا الخروجُ عليَّ، فأبلغَهُ ذلكَ فسكتَ وَلَمْ يُجِبْهُ. فَرَجَعَ الرسولُ فَعَرَّفَهُ ذلكَ. قالَ لِي يا أبا عبدِاللّٰهِ ما أصنعُ بِهذا، أخافُ واللّٰهِ إنْ أطلقْتُهُ معاودَةَ مِثلَ الذي كانَ مِنْهُ، فيسفُكَ دِمَاءُ المسلمينَ بينَنا (وبينَه)[4]، قَالَ قلت: الحبسُ الذي يؤمِّنُ مكروهَهُ، قالَ فأمرَ بِفَكِّ قيودِهِ

= فظفر به متولي نسا وبعث به إلى عبدالله بن طاهر، فبعث به إلى المعتصم فحبسه فهرب من السجن ليلة عيدالفطر سنة ٢١٩هـ واختفى/ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٨٢؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٢٣٠؛ تاريخ الطبري، ج ١١ ص ١١٦٥.

(١) في (ب) من خراسان.

(٢) في (ج ـ د) من موضع مشرف.

(٣) في (ب ـ ج ـ د) من.

(٤) في (ب ـ د) بيننا وبينهم.

في الوقتِ، وأَنْزَلَ عَنْهُ ثِقَلَ الحديدِ، ونقلَهُ إلى دارٍ وَوَسَّعَ عَليهِ في مَطْعَمه ومَشْرَبِهِ ومَلْبَسِهِ[1].

قالَ: وكنتُ يوماً عِنْدَهُ وقَدْ امتلأ غيظاً فَدَعى بِعُمَرَ بنِ فَرجٍ[2] وَهُوَ يتناولُهُ بالشَّتْمِ، فلمَّا جاءَهُ قالَ يا ٱبْنَ اللخناءِ، مَتى أمرتُكَ بجعلِ أصحابِ أخبارِ عليّ الطالبيِّينَ وتتبّعِ أمرِهِمْ، قالَ يا أميرَ المؤمنينَ بلغَني أَنَّ رَجُلاً مِنْهُمْ كاتَبَهُ أهلُ خراسانَ وأرمينيا، فأردتُ أنْ أَعْرِفَ وأتيقَّنَ حقيقةَ ذلك وأنهيَهُ إلى أميرِ المؤمنينَ، فقالَ وما الَّذي عليكَ مِنْهُم، فواللّهِ لأغفرنَّ ذنوبَهُم، وَلأصِلَنَّ أرحامَهُم، ولأعفوَنَّ عَنْ مُسيئِهِمْ ولأعطِفَنَّ على كَبيرِهم وصغيرِهِم، فإنْ أرادُوني بسوءٍ فاللّهِ بيني وبينَهُم.

قالَ: وَدَخَلْتُ إليهِ فقلْتُ إنَّ أهلكَ، وذوي رَحِمِكَ مِنْ آلِ أبي طالبٍ في ضُرٍّ شديدٍ بالمدينَةِ، وَقَدْ نالَتْهُم مجاعةٌ شديدةٌ وسنةٌ مجدبةٌ، وتأخرتْ أرزاقُهُم، فدعا ابنَ الزّياتِ[3] وقالَ يا محمَّدُ احملْ إليهم السَّاعَةَ ولا تتوقفْ

---

(١) البداية النهاية، ج ١٠ ص ٢٨٢، وفيها خبر خروج محمد بن القاسم على المعتصم ثم ظفر المعتصم به وأنه حبسه في مكان ضيق طوله ثلاثة أذرع في ذراعين فمكث فيه مدة ثم حول لأوسع منه وأجرى عليه رزق ومن يخدمه/ تاريخ الطبري، ج ١١ ص ١١٦٥؛ الكامل في التاريخ، م ٥ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢.

(٢) هو عمر بن فرج الرخجي وجهه المأمون إلى مصر مع خالد بن يزيد بن مزيد، على أن يتولى أمر الخراج بعد فتح مصر، وجعله الواثق مكان إبراهيم بن رباح، بعد أن سخط عليه حتى غلب على الواثق كما يقول اليعقوبي ثم سخط عليه المتوكل وعلى أخيه محمد فحبسه المتوكل ببغداد فأقام في الحبس سنتين/ تاريخ اليعقوبي، م ٢ ص ٤٥٦ ـ ٤٥٧ ـ ٤٨١ ـ ٤٨٣ ـ ٤٨٥.

(٣) هو أبو جعفر محمد بن عبدالملك بن أبان المعروف بابن الزيات وزير المعتصم، كان جده تاجراً يجلب الزيت من مواضعه إلى بغداد، وكان أديباً فاضلاً عارفاً بالنحو واللغة جواداً ممدحاً، وزر للمعتصم والواثق والمتوكل قتله المتوكل سنة ٢٣٣هـ/ وفيات الأعيان، م ٥ ص ٩٤ ـ ١٠٣؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٢٧١ ـ ٢٧٢.

مائتي ألفِ دِرْهَمٍ، ووواللّهِ لإنْ (أخَّرْتَ)[1] إلى غَدٍ، لأنهكتكَ عقوبةً فَحُمِلَ إليهم ذلكَ مِنْ وَقْتِهِ.

قالَ: وكنتُ عِنْدَهُ يَوماً فدخَلَ عليهِ بعضُ مَنْ يحضُرُ مَجْلِسَهُ فقالَ إنِّي كنتُ بالأمسِ عِنْدَ عبدِاللّهِ بْنِ أيوبَ[2]، قالَ فَمَا كانت حالَتُكُمْ فقال أطعمنا ثلاثةَ ألوانٍ ليسَ فيها لحمٌ، فقالَ ويلَكَ: ذلكَ حُسْنُ المروءَةِ وكَثيرِ الطَّعامِ قالَ أنفذْ إلى القصَّابِ رقعةً يُعْطِهِ وظيفته مِنَ اللَّحْمِ وإلا لَمْ يأكلْ هُوَ ولا (أولادُهُ)[3] لحماً فأطرقَ مُفَكِّراً وقالَ بلغتْ بِهِ الحالُ إلى هذا قُلْتُ نَعَمْ فَدَعَا بإيتاخَ[4] فقالَ احملْ إلى عبدِاللّهِ بنِ أيوبِ مائتي ألفِ درهَمٍ وقُلْ للرسولِ لا يأخذْ مِنْهُ شيئاً فإذا رَجَعَ مِنْ عندِهِ فاعط رسولَكَ (ألفي)[5] دِرْهَمٍ.

قالَ: ورأيتُهُ وَقَدْ حاصِرِ عمورية، وأنَّهُ لواقف والحجارةُ تأتي مِنْ كُلِّ موضِعٍ حتى ينالَهُ بعضُها وهو لا يزولُ، فقلتُ اللّهَ اللّهَ يا أميرَ المؤمنينَ نشدتُكَ اللّهَ لما تنحيتَ، فقالَ واللّهِ ما مِنْ مَوْضِعٍ يأتيني فيهِ الموتُ أحبُّ إلـيَّ مِنْ هذا الموضعِ، ق/٦٥ فقلتُ إنَّ أرواحَ المسلمينَ بروحِكَ معلقةٌ، فإنْ حَدَثَ حادِثٌ فإنَّهُمْ (مضيعةٌ)[6] جازِرٍ فما التفتُ إلى قولي وَثَبَتَ مكانَهُ.

---

(١) في (ب ــ د) تأخرت.

(٢) هو أبو محمد عبدالله بن أيوب التيمي من بني اللات بن ثعلبة أحد شعراء الدولة العباسية، له مدائح في الأمين والمأمون، وكان المأمون يستحسن شعره ويقول ما أشبه فروع الإحسان بأصوله/ تاريخ بغداد، ج ٩ ص ٤١١ ــ ٤١٣.

(٣) في (ب ــ د) عياله.

(٤) هو أحد الأمراء الكبار، وأصله غلاماً خزرجي لسلام الأبرش اشتراه المعتصم سنة ١٩٩هـ ورفع منزلته وحض عنده، وكذلك عامله الواثق ودعى له على المنابر في عهد المتوكل ثم سخط عليه وأمر نائبه على بغداد إسحاق بن إبراهيم أن يحتال في قتله فقتله سنة ٢٣٤هـ/ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٢٧٥؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٣١٢؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ٨٠.

(٥) في (ب ــ ج ــ د) ألف.

(٦) في (ب) فإنهم كضجيعة جازر وفي (د) كضجيع جازر.

وقالَ وخرجنَا فيْ تلكَ الغزاة، فكنتُ على جَمَلٍ في مَحْمَلٍ، وكانَ يجيءُ على فرسِهِ حتَّى يصيرَ تَحْتَ محملي ويحدِّثُني، فأقولُ: انزلْ واركبْ دابةً وأكونُ بينَ يديكَ يا أميرَ المؤمنينَ، فيقولُ لا واللـهِ لا فعلتُ، المحمَلُ أبرُّ بِكَ وأرفَقُ.

وَصِرْنا إلى مخاضةٍ فقال للجمَّالِ قف ثم انه تقدم حتى عرف مقدار الماء وجعل يقول للجمال خُذْ كذا خذْ كذا (بلطفٍ وَرِفْقٍ)[1] حَتَّى عبرتُ[2].

وقالَ يوماً وَنَحْنُ بعمورية، ما تقولُ في البسرِ يا أبا عبدِ اللهِ، فقلتُ نَحْنُ ببلادِ الرومِ والبسرِ بالعراقِ، فقالَ قَدْ جاءنا عِذقانُ. فقالَ يا ايتاخُ هاتِ أحدَ العِذقينِ، فجابَه فمدَّ المعتصمُ يَدَهُ وَحَسَرَ عن ذراعِهِ، وقالَ بِحياتي عليكَ كلْ مِنْ يدي فقلتُ جعلَني اللـهُ فِداكَ (يا أميرَ المؤمنينَ)[3]، بلْ تضعُهُ فآكلُ مِنْهُ كما أريدُ، قالَ لا واللـهِ إلا مِن يدي، قالَ أحْمَدُ. فواللهِ (إن زال)[4] حاسِراً ماداً يَدَهُ وَأنَا أجتَني، حَتَّى رَمَى بِهِ وما بِهِ بسرةٌ واحدةٌ[5].

قالَ وَوَقفَ يوماً على السُّورِ بعموريةَ، رَجُلٌ (فصيحٌ)[6] بالعربيَّةِ فَجَعَلَ يشتُمُ النبـيَّ صلى اللـهُ عليـهِ وسلَّمَ فاشتـدَّ ذلكَ على المعتصمِ وعلى المسلمينَ، وحاولوا قَتْلَهُ وراموهُ بِكلِّ مُرامٍ، مِنَ النُّشابِ والعرَّاداتِ[7] وغيرِها

---

(١) في (ج ــ د): برفق ولطف.

(٢) الطبري، ج ١٢ ص ١٣٢٥ ــ ١٣٢٦. تاريخ بغداد، ج ٣ ص ٣٤٥ ــ ٣٤٦.

(٣) زيادة من (ب ــ د).

(٤) في (ب ــ ج ــ د): ما زال.

(٥) تاريخ الطبري، ج ١٢ ص ١٣٢٥. الكامل في التاريخ، م ٥ ص ٢٦٥. المصباح المضيء في خلافة المستضيء، ج ١ ص ٥٠٨.

(٦) في (ب ــ د): يصيح.

(٧) العرادات بالتشديد شيء أصغر من المنجنيق وبالكسر الفيل والشجاع الصلب/ القاموس المحيط.

وَلَمْ يلحقْهُ شيءٌ حتَّى (رَمَى)[1] رجلٌ مِنَ الناشِبَةِ، فأصابَ نحوَهُ فوقَعَ اللعينُ من السُّورِ إلى خارجٍ، وَكَبَّرَ المسلمونَ وَسُرَّ المعتصِمُ بذلكَ سُروراً عظيماً، وقالَ: أخبروني عَمَّنْ رَمَى هذا السهمَ المبارَكَ، فأُوتِيَ بالرَّجلِ فأُدْخِلَ عَلَيهِ، فقالَ لهُ: سألتُكَ باللهِ لتبعني ثوابَ هذا السَّهمِ بمائةِ ألفِ درهمٍ، فقالَ الرجلُ: يا أميرَ المؤمنينَ ليسَ الثوابُ مما يُباعُ، قالَ فما زالَ يرغِّبُه حتَّى بَلَغَ مَعَهُ خمسمَائةِ ألفِ درهمٍ، فقالَ ما أبيعُهُ بالدُّنيا بأسرِها وما فيهَا، ولكنِّي أشْهَدُ اللهِ أنِّي قدْ جعلتُ نِصفَ ثوابِهِ لكَ يا أميرَ المؤمنينَ، فقالَ قَدْ رضيتُ بهذا أحسنَ اللـهُ جزاءَكَ، وأمرَ للرَّجُلِ بمائةِ ألفِ دِرْهمٍ، فقبضَها من ساعتِهِ.
وقيلَ لَمَّا وَقَعَ الحريقُ في الجانبِ الغربيِّ ببغدادَ وجَّهَ المعتصمُ ابنَهُ هارونَ[2] فقامَ بأمرِهَا حتَّى أُطفيتْ، وَأَمَر بِكَتْبِ أسماءِ مَنِ احترقَ لَهُ شيئاً، وَمبلِغ ما ذهبَ لَهُمْ ثم أَعطى كُلًّا مِنْهُم على قَدْرِ حَالِهِ فبلَغَ إعطاؤهم عشرينَ ألفِ دينارٍ وخمسمَايةِ ألفِ ألفِ دِرْهَمٍ[3].

وقالَ ابنُ أبي داوودَ القاضي ما رأيتُ رجلاً عرضَ على الموتِ فلمْ يكترثْ بهِ ولا عدلَ بِهِ عمَّا أرادَ، إلَّا تميمُ بنُ جميلٍ الخارجيِّ[4] وكانَ قَدْ خَرَجَ على المعتصمِ، فرأيتُهُ وَقَدْ جِيءَ بِهِ أسيراً، فَأُدْخِلَ عَلَيْهِ في يومِ مركبٍ، وقدْ جلسَ المعتصمِ للناسِ مَجْلِساً عاماً فدعا بالسَّيفِ والنِّطْعِ[5] فلمَّا مَثُلَ بينَ يديهِ، نظرَ إليهِ المعتصِمُ فأعجبَهُ حُسْنُهُ وقدُّهُ، ومشيتُهُ إلى الموتِ غيرَ مكترثٍ بِهِ فأطالَ الفكرَ فيهِ ثُمَّ استنطقَهُ لينظرَ أينَ عقلُهُ ولسانُهُ مِنْ

---

(١) في (ب ـ ج ـ د): حتى رماه.
(٢) هو الواثق ترد ترجمته عند الكلام على خلافته.
(٣) شذرات الذهب، ج ٢ ص ٥٦. وفيه أن الحريق وقع في الكرخ، سنة ٢٢٥هـ، فوهب المعتصم للتجار خمسة آلاف ألف درهم. ومثله النجوم الزاهرة، حوادث سنة ٢٢٥هـ.
(٤) هو تميم بن جميل أحد الذين خرجوا على المعتصم فظفر به فعفى عنه لحسن بيانه.
(٥) النطع: بساط من الأديم والجمع أنطاع/ المصباح المنير، مختار الصحاح.

جمالِهِ، فقالَ يا تميمُ إنْ كانَ لكَ عذرٌ فأْتِ بِهِ، فقالَ أمَّا إذَا أذِنَ أميرُ المؤمنينَ في الكلامِ فأنِّي أقولُ: الحمدُ للـهِ الذي أحسنَ كلَّ شيءٍ خَلْقَهُ، وبدأَ خَلْقَ الإنسانِ مِنْ طينٍ، يا أميرَ المؤمنينَ جَبَرَ اللـهُ بِكَ صَدْعَ الإسلامِ، وَلَمَّ بِكَ شَعثَ الأمةِ، وأخمدَ بكَ شهابَ الباطِلِ، وأنارَ بِكَ سبيلَ الحقِّ، إنَّ الذنوبَ تُخْرِسُ الألسنَةَ وَتَصْدَعُ الأفئدةَ، وأَيمُ اللـهِ لَقدْ عَظُمتِ الجريرةُ، وانقطعتِ الحجةُ وساءَ الظَّنُ وَلَمْ يبقَ إلا عفْوكَ أو انتقامُكَ، وأنتَ إلى العفوِ أقربُ، وَهُوَ بِكَ أشبَهُ وأليقُ ثُمَّ أنْشَدَ:

أرىَ الموتَ بينَ السَّيفِ والنِّطعِ كامناً ... يـلاحِظُني مِنْ حيثُ مـا أتلفتُ

وأكثـرُ ظنِّي أنـكَ اليـومَ قـاتِلي ... وأيُّ امرىءٍ عما قضَى اللـهُ يُفلتُ

فَمَنْ ذا الـذي يأتي بِعُـذْرٍ وَحُجَّةٍ ... وسيفُ المنايا بينَ عَيْنيه مُصْلَتُ ق/٦٦

يعز على الأوس بن ثعلبة موقفي ... يســل علّي السيفُ فيـه وأسكتُ

وما حزني[1] مِنْ أن أموتَ وإنني ... لأعلمُ أن المـوتَ شـيءٌ مؤقّتُ

ولكنّ خَلْفِي صِبْيـةٌ قـد تـركتهم ... وأكبـادُهم مـن حَسْـرةٍ تـتفـتَّتُ

كـأني أراهـم حين أُنـعَى إلـيهـمُ ... وقد لطموا تلك الخدود وصـوّتوا

فإن عشتُ عاشُوا خافضين بِغبْطَةٍ ... أذُودُ الرَّدَى عنهم وإن متّ موّتوا

وكم قـائـلٍ لا يُبعـدِ اللهُ دارهُ ... وآخـرَ فـرحـانُ يُسَـرُّ وَيَشْـمَتُ

قالَ: فبكى المعتصمُ ثُمَّ قالَ إنَّ مِنَ البيانِ لَسِحراً[2] كَمَا قالَ رسولُ

---

(١) في (ج ــ د): جزعي.

(٢) صحيح البخاري، ج ٨ ص ٤٢. مسند أحمد، م ٥ ص ١٢٥. سنن ابن ماجه، ج ٢ ص ١٢٣٥. سنن أبي داوود، ج ٤ ص ٣٠٢. وهذا الحديث قاله النبي صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه عمرو بن الأهتم والزبرقان بن بـدر وقيس بن عاصم، واختلف أهل الحديث هل هو مدح أم ذم، فقال البعض ذم لأن السحر تمويه، فقال إن من البيان ما يموه الباطل حتى يشتبه بالحق، وقال آخرون مدح لأن البيان من الفهم والذكاء، والصحيح أنه مدح وتسميته سحراً على جهة التعجب منه. عون المعبود، شرح سنن أبي داوود، ج ١٣ ص ٣٥٢ ــ ٣٥٣.

اللـهِ صلّى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قالَ يا تميمُ كادَ واللـهِ يَسْبِقُ السيفُ العذلُ، وَقَدْ وَهبتُكَ لِلّـهِ تعالى وللصبيةِ، وعفوتُ عن زلَّتِكَ. وَعَقَدَ لَهُ ولايةً على عَملِهِ وَخَلَعَ عليه وأعطاهُ خمسينَ ألفِ دينارٍ[1].

قِيلَ: وكانَ الأفشينُ[2] مغضباً على أَبـي دُلفٍ العجليِّ[3]، وحاسداً لَهُ على فضلِهِ فحملَ نَفسَهُ يوماً على قَتْلِهِ، فاستدعاهُ باستحثاثٍ وإزعاجٍ. وَكَانَ صَديقاً للقاضِي أحمدَ بنِ أبـي داوودُ[4] فبعثَ إليهِ أَنْ أدركْنِي، فَمِنْ أمري كيتَ وكيتَ فَرَكِبَ مُسْرعاً واستحضَرَ من حَضَرَهُ مِنَ الشُّهودِ، فَلمَّا وَرَدَ بابَ الأفشينِ قالَ لَهُ الغلمانُ نستأذِنُ لَكَ، فقالَ الأمرُ أعجلُ مِنْ ذلكَ، وَنَزَلَ وَدَخَلَ على الأفشينِ وهو جالسٌ في مَجْلِسِه، وَقَدْ أُقيمَ أبو دلف بينَ يديْـهِ في الصَّحنِ، فَلَمَّا رأى الأفشينُ القاضيَ قَدْ دَخَلَ بِلا إِذْنٍ بهتَ فقالَ: «إنَّ أميرَ المؤمنينَ أَمَرَني إليكَ أيُّها الأميرُ»[5] أنْ لا تحدِّثَ في أمرِ القاسِمِ حَدَثاً، إلا

---

(١) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١١٧ ــ ١١٩. زهر الآداب، ج ٢ ص ٧٨٤ ــ ٧٨٥. الفرج بعد الشدة، ج ٤ ص ٨٩. نهاية الأرب، ج ٦ ص ٦١ ــ ٦٣. فوات الوفيات، ج ٣ ص ٢٣١ ــ ٢٣٢. ونسبها الكتبي لمالك بن طوق التغلبي، صاحب الرحبة، والصحيح نسبتها إلى تميم بن جميل الخارجي.

(٢) هو حيدر بن كاوس، من أولاد ملوك الأكاسرة. والأفشين لقب لمن ملك مدينة أشروسنة، كان من قادة جيوش المعتصم، ثم غضب عليه واتهمه بالبقاء على دين أجداده الفرس، وأنه يسعى لإقامة المجوسية ويكاتب بذلك المازيار، فسجنه وضيق عليه حتى مات أو خنق، ثم صلب إلى جانب بابك الخرمي سنة ٢٢٦هـ. شذرات الذهب، ج ٢ ص ٥٨. النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٢٤٢ ــ ٢٤٣.

(٣) هو أبو دلف القاسم بن عيسى بن ادريس العجلي. أحد قادة المأمون والمعتصم، وكان كريماً مقداماً ذا وقائع مشهورة وصنائع مأثورة، صنف كتاب سياسة الملوك، وكتاب السلاح، وكتاب البزاة والصيد، وإليه ينسب الأمير أبو نصر بن ماكولا، صاحب كتاب الاكمال. توفي سنة ٢٢٦هـ. وفيات الأعيان، م ٤ ص ٧٣ ــ ٧٩.

(٤) تقدمت ترجمته، ص ٣٧٢.

(٥) في (ب ــ ج ــ د): فقال أيها الأمير أنا رسول أمير المؤمنين إليك.

بإذْنِهِ ثم التفتَ إلى الشُّهودِ، فقالَ: اشهدُوا أنِّي قد بَلَّغْتُ رسالةَ أميرِ المؤمنينَ، ثم خرجَ فأَتى بابَ المعتصِمِ مُسْرِعاً، فاسْتأْذَنَ عَلَيهِ فَأَذِنَ لَهُ، فلمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قالَ: يا أميرَ المؤمنينَ قدْ كذبتُ عليكَ واحدةً، ثُمَّ أرْجُو بِهَا الجنَّةَ، وَلَكَ الفخرُ، قالَ: وَما هِيَ، قالَ: كانَ مِنَ الأمرِ كيتَ وكيتَ، فَضَحِكَ المعتصِمُ وقالَ: أحسنتَ أحسنَ اللهُ إليكَ، ثُمَّ لَمْ يلبثْ أنْ جاءَ الأفشينُ مستأذِناً فَأَذِنَ لَهُ، (فَلَمَّا استقرَّ مجلسُه)[1] قالَ: يا أميرَ المؤمنينَ جاءَني رسالةٌ مِنْكَ مَعَ قاضي القضاةِ في معنَى أبي دُلَفٍ، فما تأمرُني في شَأْنِهِ، قالَ: نَعَمْ أنا أرسلتُ إليكَ فيهِ فاحذرْ أنْ تتعرَّضَ لَهُ إلا بالخيرِ، فأفلتُ مِنْ يدِهِ بذلكَ[2].

وَروي أنَّ بعضَ العمَّالِ رَفَعَ على خالدِ بنِ يزيدَ بنِ مزيدٍ[3]، أنَّهُ اقتطَعَ أموالاً (واحتجزَ بعضَها)[4] فَغَضِبَ المعتصمُ وَحَلَفَ ليأخذَنَّ أموالَ خالدٍ وليعاقبَنَّهُ، فَلَجأَ خالدُ إلى القاضي أحمدَ بنِ أبي داوودَ فاحتالَ أحمدُ حتى جَمعَ بينَهُ وبينَ خَصمِهِ الذي رَفَعَ عليه، فَلَمْ تَقُمْ على خالدٍ حُجَّةٌ، فَعَرَّفَ ابنُ أبي داوودَ المعتصَم بذلكَ، (وَشفَعَ)[5] إليهِ في خالدٍ، فَلَمْ يشفعْ فَأُحْضِرَ خالدٌ وأحضِرتْ آلاتُ العقوبةِ، وَقَدْ كانَ قبلَ ذلك قُبِضَ على أموالِهِ وَضياعِهِ وَصَرَفَهُ عن العملِ، فحضَرَ ابنُ أبي داوودَ المجلِسَ فَجَلَسَ دونَ مجلسِهِ

---

(١) في (ب): فلما استقر في المجلس.

(٢) الأذكياء، ص ٦٩. وفيات الأعوان، م ١ ص ٨٢. المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١٤٨ ــ ١٤٩. الفرج بعد الشدة، ج ٢ ص ٦٦.

(٣) هو خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني. كان أبوه من الأمراء المشهورين، وكان خالد ممدوح أبي تمام الطائي، وله فيه أحسن المدائح، تولى الموصل من جهة المأمون، ثم تولى الجيش الذي أرسله الواثق إلى أرمينيا. فاعتل في الطريق ومات في سنة ٢٣٠هـ ودفن بمدينة دبيل أرمينيا. وفيات الأعيان، م ٦ ص ٣٤١ ــ ٣٤٢.

(٤) في (ب): واحتجزها، وفي (د): واحتجن بها.

(٥) في (د): وتشفع إليه.

الذي كانَ يجلسُ فيهِ، فقالَ لَهُ المعتصِمُ ارتفعْ إلى مكانِكَ، فقالَ يا أميرَ المؤمنينَ ما استحقُّ إلاَّ دونَ هذا المجلسِ، قالَ وَكَيفَ قالَ (الناسُ)[1] يزعمونَ أَنَّهُ ليسَ مَحلِيّ محلَّ مَنْ يشفعُ في رَجُلٍ قُذِفَ ليسَ بِما ليسَ فيهِ، وَلَمْ يصحَّ عليهِ فَلَمْ يُشَفَّعْ. قالَ: فارتفعْ إلى موضعَكَ قالَ: مُشَفَّعاً أَوْ غيرَ مُشَفَّعٍ، قالَ: بَلْ مُشَفَّعاً قَدْ وهبتُ لَكَ خالداً ورضيتُ عَنْهُ، فقالَ: إنَّ الناسَ لا يعلمونَ بهذا، قالَ قَدْ وهبتُ عليهِ جميعِ ما قُبِضَ عليهِ مِنْ ضِياعِهِ وأموالِهِ، قالَ فَمنْ لَهُ بِفكِّ قيودِهِ والخلْعِ عليهِ ففعَلَ ذلكَ، قالَ قَدْ استحقَّ هو وأصحابُهُ رِزقَ سَنَةٍ، فإنْ رأى أميرُ المؤمنينَ أنْ يجعلَهَا صِلةً لَهُ لِتُحمَلَ مَعَهُ فَفعَلَ ذلكَ. ثُمَّ خرجَ خالدٌ وَعَليهِ الخِلَعُ والمالُ بينَ يديهِ، والنَّاسُ ينتظرون الإيقاعَ (بِهِ)[2]، فَلَمَّا رَأوهُ على تلكَ الحالِ سُرُّوا بذلكَ، وَصَاحَ بِهِ رَجُلٌ نَحمَدُ اللّهَ على خلاصِكَ يا سيِّدَ العربِ، فقالَ مَه سيِّدُ العَرَبِ واللهِ بَعْدَ أميرِ المؤمنينَ أحمدُ بنُ أبي داوودَ الذي طوّقني ق/٦٧ هذِهِ المكرمةَ[3].

قالَ أبو عبدِ اللّهِ النديمُ[4] لَقَدْ رأيتُ الملوكَ في مقاصيرِها ومجامِعِها، وَمَا رأيتُ أغزَرَ أدباً مِنَ الواثِقِ[5]، خَرَجَ إلينَا ذاتَ يومٍ وَهُوَ يقولُ

---

(١) ساقطة من (ب ـ ج ـ د).

(٢) زيادة من (ج ـ د).

(٣) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١٥٩ ـ ١٦٠. الفرج بعد الشدة، ج ٢ ص ٦٠ ـ ٦١.

(٤) أبو عبد الله النديم هو حمدون بن اسماعيل بن داوود النديم. قدم دمشق في صحبة المتوكل، وكان نديماً له سنة ٢٤٣هـ، توفي بسر من رأى سنة ٢٥٤هـ. تهذيب تاريخ ابن عساكر، ج ٤ ص ٤٣٥ ـ ٤٣٦.

(٥) هو أبو جعفر هارون بن المعتصم. ولد سنة ١٩٠هـ، وأمه أم ولد يقال لها قراطيس، وبويع له الخلافة بعهد من أبيه سنة ٢٢٧هـ، وكان كاتبه محمد بن عبد الملك الزيات، وحاجبه ايتاخ. وكان يقال له المأمون الصغير لشبه أحواله كلها بأحواله، دخل في القول بخلق القرآن وامتحن الناس، وقوى عزمه على ذلك ابن أبي داوود القاضي. ويقال أن الواثق رجع قبل موته عن القول بخلق القرآن، توفي سنة ٢٣٣هـ. فوات الوفيات، =

(لَعَمْري)[1] لقدْ عَرَّضَ عِرْضَه مَنْ عَرَّضَهُ لِقولِ الخُزاعيّ:

خليليَّ ماذا أرْتجي مِنْ غَدِ امرئٍ ... طوى الكشحُ عَني اليومَ وهو مكينُ
وإنَّ امرءًا قَدْ ضَنَّ يوماً بمنطقٍ ... يَسُدُّ بهِ فَقْرَ امرئٍ لضنينُ[2]

فانبرى أحمدُ بنُ أبـي داوودَ كأنَّما أُنشِطَ مِنْ عِقالٍ يسألُهُ في رَجُلٍ مِنْ أهلِ اليمامةِ فَأَسْهَبَ في الشَّفاعةِ وأطنبَ وذهبَ في القولِ كُلَّ مَذهبٍ.

فقالَ لَهُ الواثِقُ يا أبا عبدِ اللهِ لَقدْ أكثرتَ في غيرِ كثيرٍ وأطنبتَ فقالَ يا أميرَ المؤمنينَ إنَّه صديقي وأَنْشَدَ:

وأهونُ ما يُعطي الصَّديقُ صَديقَهُ ... مِنَ الهيِّنِ الموجودِ أَنْ يتكلَّما

قالَ الواثِقُ ما قَدر هذا اليماميُّ أَنْ يكونَ صديقَكَ، وإنَّما أحسبُهُ أَنْ يكونَ مِنْ بعضِ خَوَلِكَ، فقالَ يا أميرَ المؤمنين إنَّهُ قدْ (اشتهرَ)[3] بالاستشفاعِ بي عِنْدَكَ وَجَعَلني بمرأى وَمَسْمَعٍ من الرَّدِ والإسعافِ، فإنْ لَمْ أَقُمْ لَهُ هذا المقامَ، كُنْتُ كَما قالَ أميرُ المؤمنينَ:

وإنْ امرىءً قَدْ ضَنَّ يوماً بِمنطقٍ ... يَسدُّ بِهِ فَقرَ امرىءٍ لضنينُ

فقالَ الواثِقُ لِمحمدٍ بنِ عَبْدِ الملكِ الزَّياتِ، باللهِ يا محمدُ ألا عَجَلْتَ لابـي عبدِ اللهِ حاجَتَهُ، لَيَسْلَم من هَجْنَةِ المَطْلِ، كما سَلِمَ مِنْ هَجْنَةِ الرّدِ[4].

= ج ٤ ص ٢٢٨ ـ ٢٣٢. الفخري، ص ٢٣٦. خلاصة الذهب المسبوك، ص ٢٢٣. شذرات الذهب، ج ٢ ص ٧٥. النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣. تاريخ الخلفاء، ص ٣٤٠ ـ ٣٤١.

(١) زيادة من (ب ـ ج ـ د).
(٢) الأغاني، م ٩ ج ١٨ ص ٣٠.
(٣) في (ج): شهر، وفي (د): شهد.
(٤) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ٢٠١ ـ ٢٠٢. زهر الآداب، ج ٢ ص ٦٩٦ ـ ٦٩٧.

وقالَ أحمدُ بنُ اسرائيلَ[1] فرَّقَ الواثقُ في الصدقةِ ووجوهِ البرِّ على المساكينَ والفقراءِ واليتامى الذينَ أُقيمتْ لَهُم الكفاياتُ للتعليمِ، (خمسةَ ألفِ ألفِ)[2] دينارٍ (وفرَّقَ على التُّجارِ الذينَ ذهبتْ أموالُهُم في الحريقِ في زَمانِهِ سَنَةَ إحدَى وثلاثينَ ومَائتينِ خمسمَائةِ ألفِ ألفِ دينارٍ)[3]. وَكَانَ عُمَرُ بنُ فرجٍ[4] يقولُ: أَمَرَ الواثِقُ بِحملِ الأرزاقِ لآلِ أَبي طالبٍ إلى المدينةِ وكانَ يَصِلُ إليهِم في سَنَةٍ مائتا ألفِ دينارٍ فكانَ مبلغُ ما حُمِلَ إليهِم ألفَ ألفِ دينارٍ[5]. وَنَظَرَ عُمَرُ بنُ فرجٍ فيما تصدَّقَ بِهِ الواثقُ في عِلَّتِهِ التي تُوفي فيها، فكانَ ثلاثةَ ألفِ ألفِ دينارٍ، فَأَنْهى ذلكَ (إليهِ)[6] فاستقلَّهُ. وكانَ الواثقُ قَدْ أَمَرَ أَنْ تُبنَى حضائِرُ فيها بيوتٌ، يُجْمعُ فيها المساكينُ فيجرىَ لَهُم الطَّعامَ والكسوةَ، وَيُمنعُوا مِنَ السؤالِ في الطُّرقِ والأسواقِ والأبوابِ ببغدادَ وَبِسرَّ مَنْ رأى، وَأَمَرَ بكتاتيبَ للصبيانِ الأيتامِ والمساكينِ فيتعلمونَ القرآنَ. وقال ابنُ أبي داوودَ: لَقدْ فَرَّقَ الواثِقُ مِنَ الأموالِ، ما خِفْتُ أن يُخْلي بيوتَ الأموالِ،

---

(١) هو أبو جعفر احمد بن اسرائيل الأنباري. أحد الكتاب الحذاق الأذكياء، تولى الوزارة للمعتز، وكان يحفظ وجوه المال دخلاً وخرجاً على ذهنه، وثب عليه الأتراك واستصفوا أمواله، فشفع فيه المعتز وأمه إلى متقدم الأتراك، فلم يلتفت إليهم وضربه في أيام المهتدي، حتى مات سنة ٢٥٥هـ. الفخري، ص ٢٤٤ ــ ٢٤٥. شذرات الذهب. ج ٢ ص ١٣١.

(٢) في (د): خمسة آلاف دينار.

(٣) زيادة من (ب ــ ج ــ د).

(٤) تقدمت ترجمته، ص ٣٧٥.

(٥) تاريخ بغداد، ج ١٤ ص ١٩. المختصر في أخبار البشر، ج ٢ ص ٣٦. وفيه وكان الواثق يبالغ في إكرام العلويين والإحسان إليهم وفرق في الحرمين أموالاً عظيمة، حتى لم يبقى بالحرمين في أيام الواثق سائل. البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٣١٠. تاريخ الخلفاء، ص ٣٤٢. وفيه عن يحيى بن أكثم ما أحسن أحد إلى آل أبي طالب ما أحسن إليهم الواثق ما مات وفيهم فقير.

(٦) زيادة من (ب ــ ج ــ د).

فَلَا يوجدُ فيها شيءٌ إنْ جَرَى أمرٌ أو حدَثَ حادِثٌ، وَلَقدْ كُنْتُ أَعجبُ مِنْ تفرقَةِ المعتصِم الأموالَ، فلمَّا رأيتُ الواثِقَ وما فَعَلَ أنسانِيَ فِعْلَ المعتصِم.
قالَ وَكُنْتُ لا أُذكِرُهُ بِشيءٍ مِنَ الخيرِ وأبوابِ البرِّ، وَمَا فيهِ ثوابٌ وَقربةٌ إلى اللّـهِ تعالى إلا سرَّهُ ذلكَ، وشكرَني عَلَيهِ وجزاني خيراً، وَحضَّني على أنْ أذكِّرَهُ بِهِ.

وكانَ يجلسُ للمظالِمِ فيكونُ غايتُهُ انصافَ النَّاسِ، والإحسانِ إليهم وَدَفْع (الظّلمِ)[1] عنهُم وَرَدّ حُقـوقِهم إليهِم، فإذا فَعلَ مِنْ ذلكَ شيئاً حَمَدَ اللـهَ على ما وفّقَهُ وَأَجْرَى على يَديهِ مِنَ الإنصافِ. وكانَ ابنُ الزَّياتِ رُبَّما تكلَّمَ عِندْ تَظلُّمِ المتظلمينَ بِمَا يريدُ أنْ يُدافِعهُم بِهِ الواثقَ النصيحةَ والإشفاقِ فينتهرِهُ ويؤنِّبَهُ ويحذِّرَهُ الظُّلمَ.

ونالَ النَّاسَ بالعراقِ غلاءٌ شديدٌ سَنَةَ إحدى وثلاثينَ ومائتينِ حَتّى بَلَغَ الكرُّ[2] الدقيق مائةَ دينارٍ، فَجَهدَ الناسُ فأمرَ الواثِقُ بتفرقةِ الأموالِ ببغدادَ والكوفةِ والبصرةِ ومكةَ والمدينةِ فكانَ ذلكَ ستُمائةِ ألفِ دينارٍ[3]. وَبَلَغَ إليهِ أَنَّ العمَّـال يأخذونَ مِنَ السُّفنِ، التي تَرِدُ مِنَ الهنْدِ والصِّينِ العُشْرَ، فقالَ هؤلاءِ تُجَّارٌ مسلمونَ، يغدونَ بأموالِهم وأنفسِهم، ويركبونَ البحرَ فيطولَ مكثُهُم فيهِ، فَأَمَرَ بإسقاطِ العُشرِ عَنْهُم[4]. قيلَ وكـانَ يُصلي في دارِهِ الصلواتِ كلَّها

---

(١) في (ج): المظالم.

(٢) الكر: مكيال بابلي الأصل يساوي من القمح الآن ٢٩٢٥ كغم، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ص ٢٦٧.

(٣) تاريخ اليعقوبي، م ٢ ص ٤٨٣. وفيه فرق الواثق أموالاً جمة بمكة والمدينة وسائر البلدان على الهاشميين وسائر قريش والناس كافة، وقسم في أهل بغداد قسماً كثيرة مرة بعد أخرى على أهل البيوتات وعلى عامة الناس.

(٤) تاريخ اليعقوبي، م ٢ ص ٤٨٣. تاريخ الطبري، ج ١٢ ص ١٣٦٣. الكامل في التاريخ، م ٥ ص ٢٧٩. وذكر وفيها أي سنة ٢٣٢هـ، أمر الواثـق بترك أعشار سفن البحر وهو نص الطبري.

جماعةً، يُؤذِّنُ المؤذنُ فيقومُ فيركَعُ ثُمَّ يتقدَّمُ فيُصلِّي، وَيُصلِّي خَلفَه مَنْ حَضَرَ مِنْ أصحابِهِ وقوادِهِ وغلمانِهِ ق/٦٨، وكانَ يركبُ إلى الجامعِ فيخطُبُ وَيُصلِّي وكانَ كثيراً ما يخطبُ بخطبةِ المأمونِ المشهورةِ التي تقدَّمَ ذِكرُها في هذا الكتابِ. وَلَمَّا اعتلَّ عِلَّتهُ التي ماتَ بِهـا، اجتمعَ القـوّادُ إلى ابنِ أبـي داوودَ فقالوا كلِّمَه، يَعْقِدُ العهدَ لابنِهِ مُحَمَّدٍ، فذكَرَ لَهُ ذلكَ فأعرضَ عَنْهُ بوجهِهِ فَكلَّمهُ ثانيةً، فقالَ: يا أبا عَبدِ اللـهِ أما كفاني أني تقلدتُ الأمرَ (في حَياتِي)[1] حتى أتقلَّدَ تَبِعَتَهُ وأثمَهُ بَعْدَ وفاتي، إنْ عملَ مَنْ أعهدُ إليهِ صالحاً، كانَ لَهُ ثوابُهُ، وإنْ عَمِلَ سيئاً كانَ عليَّ وِزرُهُ، إذْ صيَّرتُ أُمورَ المسلمينَ إليهِ، وَمِنْ أينَ أجدُ رَجُلاً أرضىَ دِينَهُ وأمانَتَهُ وفضلَه، وَجَمَعَ القوّادَ فقالَ لَهُمْ: عليكُم بتقوىَ اللـهِ وأحسَنُوا الاختيارَ لِأنفسِكُم بَعْدي واللّه خليفَتي عليكُم وعلى جَميعِ المسلمينَ[1].

وَلَمَّا أزْمَعَ المتوكلُ[3] على الرَّحيلِ إلى دِمشقَ أمرَ ابنَهُ

---

(١) في (ب ــ ج): حياً، والكلمة ساقطة من (د).

(٢) تاريخ اليعقوبي، م ٢ ص ٤٨٣. وفيه قيل له في البيعة لابنه فقال لا يراني الله أتقلدها حياً وميتاً.

(٣) هو أبو الفضل جعفر بن المعتصم بن الرشيد بن محمد المهدي بن منصور العباسي. ولد بفم الصلح سنة ٢٠٧هـ وأمه أم ولد تسمى شجاع كانت من سروات النساء، كثيرة الصدقات والمعروف، وكانت تخرج في السر على يد كاتبها أحمد بن الخصيب كما ذكر الأتابكي في النجوم الزاهرة. بويع له بالخلافة بعد موت أخيه هارون الواثق سنة ٢٣٢هـ فاظهر الميل إلى السنّة، ونصر أهلها ورفع المحنة وكتب بذلك إلى الآفاق، واستقدم المحدثين إلى سامرا، وأجزل عطاياهم وأكرمهم، وكثر دعاء الخلق للمتوكل وبالغوا في الثناء عليه والتعظيم له، حتى قال إبراهيم بن محمد قاضي البصرة الخلفاء الثلاثة أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، قاتل أهل الردة حتى استجابوا، وعمر بن عبدالعزيز رد مظالم بني أمية، والمتوكل محا البدع وأظهر السنّة. وقال محمد بن عبدالملك بن أبـي الشوارب أني جعلت دعائي في المشاهد كلها، للمتوكـل وذلك أن عمـر بن عبدالعزيز جاء الله به لرد المظالم، وجاء المتوكل لردالدين. كان جواداً ممدحاً حتى قيل =

محمَّـدَ[1] المنتصرَ (المهلبـيِّ يزيدَ)[2] فقالَ بيتينِ على لسانِهِ، وَدَفَعَهُمَا إلى مَنْ يُحسِنُهما وغنَّى بِهِما المتوكلُ وهما:

إلى اللّهِ أشكـو عَبْـرةً نـتخيـرُ ... وَلَوْ قَدْ حدَى الحادي بِطلبِ يحذرُ
فَوا حسرتَنا انْ كنتُ في سُرَّ مَنْ رأى ... مقيماً وفي الشامِ الخليفـةُ جعفرُ

فَأُعجِبَ بِهما المتوكلُ وارتاحَ وبكَى ثمَّ قالَ مَنْ يقولُ هذا فقيلَ قَالَهُ محمدُ المنتصرُ فقالَ هو علَى لسانِه: لكنْ مَنْ قائِلُه قالوا: يزيدُ المهلبـيُّ فقالَ ادعُوه فواللهِ لأضحِكنَّه كما أبكاني فَلمّا دخلَ عليهِ أَمَرَ لَهُ بخمسينَ ألفِ درهمٍ[3].

= ما أعطى خليفة ما أعطى المتوكل، لولا نصب ظاهر كان فيه وانحراف عن آل البيت، بايع بولاية العهد لولده المنتصر، ثم أراد عزله وتولية أخيه المعتز لمحبة أمه، وكان يتهدد ولده ويشتمه لأنه سأله النزول عن ولاية العهد فأبـى، واتفق أن الترك انحرفوا عن المتوكل لأنه صادر أموال وصيف وبغى، فاتفقوا مع المنتصر على قتل أبيه فدخلوا عليه فقتلوه ووزيره الفتح بن خاقان سنة ٢٤٧هـ فكانت خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وأيام/ تاريخ الخلفاء، ص ٣٤٦ ــ ٣٥٤؛ وفيات الأعيان، م ١ ص ٣٥٠ ــ ٣٥٦؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٣٢٤؛ فوات الوفيات، ج ١ ص ٢٩٠ ــ ٢٩٢؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ١١٤ ــ ١١٥؛ الفخري، ص ٢٣٧؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٣٤٩ ــ ٣٥٢.

(١) هو محمد بن جعفر أمير المؤمنين المنتصر بالله بن المتوكل بن المعتصم بويع له بالخلافة بعد قتل أبيه سنة ٢٤٧، وكان وافر العقل راغباً في الخير، قليل الظلم محسناً إلى العلويين خلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد، الذي عقده لهما المتوكل بعده، ولكن أيامه لم تطل ومات بعد أبيه بستة أشهر سنة ٢٤٨هـ عن ست وعشرين سنة أو دونها تولى بعده أحمد بن المعتصم المعروف بالمستعين بالله/ تاريخ الخلفاء، ص ٣٥٦ ــ ٣٥٨؛ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٣٢٧ ــ ٣٢٨؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ١١٨ ــ ١١٩؛ الفخري، ص ٢٣٩؛ اليعقوبـي، م ٢ ص ٤٩٣؛ البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٣٥٢.

(٢) في (د): يزيد المهلبـي.

(٣) تاريخ العيني (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج ١٣ ص ١٥٣ ــ مخطوط =

وَرويَ أنَّ محمَّدَ بنَ عبدِاللهِ بنَ طاهرٍ[1] كانَ مولوداً بِحدِّ السرطانِ[2]، فلمَّا كانَ ذاتَ ليلةٍ جمَعَ أهلَ بيتِهِ، فقالَ لَهُم: إنِّي مولودٌ بِحدِّ السَّرطانِ وانَّ طالعَ السنةِ السرطانِ وانَّ القمرَ ينكسِفُ الليلةَ بالسرطانِ وهي ليلةَ الأحدِ فانْ نجوتُ (في هذه الليلةِ)[3] فسأبقى سنتينِ وانْ كانت الأخرى فإني ميت لا محالةَ. قالوا: بل يُطيلُ اللهُ عمرَكَ، قالَ فلمّا كانَ الليلُ دعا غلاماً لَهُ كانَ قَدْ عَلَّمَهُ النّجومَ[4]، فأصعدَهُ

= رقم ح ٨٢٠٣ وفيه سبب قدوم المتوكل إلى دمشق وانهم وصفوا إليه أنهارها وأشجارها فلما رآهـا أعجبته فنقل إليها أهله ودواوينه وعزم على المقام بها، وبنى له قصراً بداريا وخلف ابنه المنتصر بسامرا، فقال للمهلبي اعمل شعراً ترد أمير المؤمنين إلى العراق فعمل البيتين المذكورين وزاد المنتصر بيتين أحدهم:

يقـول محمـد تفـديـك نفسي ... أمـا تبقى عـلى من الفـراق

وذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء بيتين غير المذكورين ونسبهما إلى يزيد بن محمد المهلبي/ تاريخ الخلفاء، ص ٣٤٨.

(١) هو أبو العباس محمد بن عبدالله بن طاهر الخزاعي. كان شيخاً فاضلاً وأديباً شاعراً، أمير ابن أمير ابن أمير ولي إمارة بغداد في أيام المتوكل، وكان مؤلفاً لأهل العلم والأدب، توفي سنة ٢٥٣هـ/ النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٣٤٠؛ وفيات الأعيان، م ٥ ص ٩٢ ــ ٩٣؛ البداية والنهاية، ج ١١ ص ١٢؛ شذرات الذهب، ج ٢ ص ١٢٨.

(٢) حد السرطان: هو درجات كل برج من البروج الاثني عشر مقسومة بين الكواكب الخمسة المتحيرة (زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد) على غير سوية وكل قسم يسمى حداً وهو بالفارسية مرز وحد السرطان أو رأس السرطان في لغة التنجيم نقطة المنقلب الصيفي لأن الشمس إذا بلغته تناهى طول النهار وبدأ في النقصان وكسوف القمر قد يحدث في المنقلب الصيفي عندما تحول الأرض بينه وبين ما يقابله من شعاع الشمس في وسط الشهر عند تقابلهما طولاً وعرضاً. وكان هذا الكسوف ليلة أربع عشرة من ذي القعدة سنة ٢٥٣هـ على ما ذكره ابن الأثير، ج ١١ص ١٢، وقال في تلك الليلة مات محمد بن عبدالله بن طاهر والله أعلم/ مفاتيح العلوم، ص ١٢٣ ــ ١٢٦ ــ ١٢٩.

(٣) في (د): فان نجوت الليلة.

(٤) نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده عن التنجيم لما له من أثر في عقيدة المسلم ففي الحديث الذي ذكره السيوطي عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، =

إلى قبةٍ لَهُ فأعطاهُ بنادِقَ وأسطرلاباً[1]، وقالَ لَهُ خُذْ الطالِعَ فكلّما مضَى مِن انكسافِ القمرِ دقيقةٌ فاقذفْ إليَّ ببندقةٍ حتّى أعلمَ بذلكَ. وجلَسَ محمدُ مَعَ أصحابِهِ وَجَعَلَ الغلامُ كلّ ما مضَى مِن انكسافِ القمرِ دقيقةٌ قذَف إليهِ ببندقة، فلما انكسفَ مِنَ القمرِ ثلثُهُ قالَ لأصحابه: ما تقولونَ في رَجُلٍ مَعَكُم قاعدٌ يقضِي ويمضِي وقد ذَهَبَ منذ جالسَكُم ثُلثُ عمرِهِ قالوا: بلْ يُطيلُ اللهُ عُمرَكَ. فلمّا مَضى من (اللّيلِ)[2] ثلثاهُ، عَمَد إلى جوارِيه فأعتقَ مِنهنَّ مَنْ أرادَ عِتقَهَا، ووقفَ من ضياعِهِ ما أوقفَ. وقالَ لهم: ما تقولونَ في رَجُلٍ مَعَكُم يَقضي وَيَمضي، وَقَدْ ذهبَ جلُّ عُمرِهِ، فقالَ القوم: (بَلْ يطيلُ اللهُ عمرَكَ وبقاكَ أيُّها الأميرُ)[3] فَلمّا مضَى مِنَ الثُلثِ الثالِثِ دقيقتانِ، قالَ لهم:

= أنه قال: «إذا ذكر أصحابي فامسكوا وإذا ذكرت النجوم فامسكوا وإذا ذكر القدر فامسكوا» وعن عمر بن الخطاب انه قال تعلموا من النجوم ما تهدون به في البر والبحر ثم امسكوا. ونقل ابن أبي الحديد عن علي، كرم الله وجهه، انه قال: أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما تهتدون في بر وبحر فانها تدعو إلى الكهانة المنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار سيروا على اسم الله. وعلق ابن أبي الحديد على هذا فقال المعلوم ضرورة عن دين رسول الله، صلى الله عليه وسلم وآله، إبطال حكم النجوم وتحريم الاعتقاد بها، والنهي والزجر عن تصديق المنجمين. وعد الإمام الغزالي في الإحياء هذا من العلم المذموم الضار وقال انه مضر بأكثر الخلق، فإنه إذا ألقى إليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب، وقع في نفوسهم أن الكواكب هي المؤثرة وانها الآلهة المدبرة فيبقى القلب ملتفتاً إليها، ويرى الخير والشر محذوراً أو مرجواً من جهتها. وقال ابن خلدون: والنبوات أيضاً منكرة لشأن النجوم وتأثيراتها واستقراء الشريعات شاهد بذلك كالحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه، وأما من قال مطرنا بنوء كذا أو كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب. انظر: الجامع الصغير، ج ١ ص ٢٦؛ شرح نهج البلاغة، م ٢ ص ٧١ ــ ٧٦؛ إحياء علوم الدين، ج ١ ص ٤٩ ــ ٥٣؛ مقدمة ابن خلدون، ص ٤٩١.

(١) الاسطرلاب: مقياس النجوم وهو باليونانية اسطرلابون واسطر هو النجم ولابون هو المرآة/ مفاتيح العلوم، ص ١٣٤.

(٢) في (ب ــ ج ــ د): القمر.

(٣) في (ب ــ د): بل يطيل الله بقاء مولانا الأمير.

إذا استغرقَ القمرُ فامضُوا إلى أخي عُبيدِالله بْن عَبدِاللهِ بْنِ طاهرٍ[1]، ثُمَّ قامَ فاغتسلَ وَلَبِسَ أكفانَهُ وتحنَّطَ وَدَخَلَ إلى بيتٍ لَهُ، وَردَّ عليهِ الأبواب واضطجع فلما استغرق القمر في الكسوف فاضت نفسه فدخلوا عليه فإذا هو مَيّتٌ، فانطلقوا إلى عُبيدِاللهِ أخيهِ ليعلمُوه، فإذا عُبيدُاللهِ على طيارٍ لَهُ على بابِ القصرِ قد سَبَقَهُم، فقالَ لهُم: ماتَ أخي، قالوا: نَعم. قالَ: ما زلتُ آخذُ الطالِعَ حتّى استغرَقَ القمرُ في الكسوفِ فعلمتُ أنَّهُ قد قُبِضَ ثُمَّ دَخَلَ فأكبَّ عليهِ طويلاً.

ثم خرجَ وَهُوَ يقولُ:

هُدَّ ركنُ الخلافةِ الموطودُ ... زالَ عنها السّرادِقُ الممدودُ
حطَّ فسطاطَها المحيطَ عليها ... جَذُّ أطنابَها فمالَ العمودُ
أحد كان خدّه مثل حدُّ السيف ... والناد شبَّ منها الوقود
أحدٌ كان خدُّهُ مِن نُحوسٍ جُمِعَتْ ... حدُّها إليهِ الأجودُ
كُسِفَ البدر والأميرُ جميعاً ... فانجلى البدرُ والأميرُ عميدُ ق/٦٩
عاوَدَ البدرَ نورُهُ لتجليه ... ونورُ الأميرِ مالا يعودُ
أظلمتْ بَعدَهُ الخلافةُ ... فالدُّنيا عليها كآبةٌ وجمودُ
الأمورُ قدْ كانَ دَبَّرَ منها مبرمٌ ... قَدْ قضى وَمنها عتيدُ
قدْ بكاهُ العراقُ والشرقُ ... والغربُ فمنها تهائِمٌ ونجودُ[2]

فلما حُمِلَ على سريرِه أنشأ يقولُ:

تُداولُهُ الأكفُّ على سريرٍ ... ألا لِلّهِ ما حَمَلَ السريرُ

---

(١) هو أبو أحمد عبيدالله بن عبدالله بن طاهر. تولى شرطة بغداد خلافة عن أخيه محمد ثم استقل بها بعد موت أخيه إليه انتهت رياسة أهله، توفي سنة ٣٠٠هـ. وفيات الأعيان، م ٣ ص ١٢٠؛ النجوم الزاهرة، ج ٣ ص ١٨٠ ـ ١٨١.

(٢) مروج الذهب، ج ٢ ص ٤٥٢ ـ ٤٥٣، وذكر البيت الثالث والخامس والسادس/ وفيات الأعيان، م ٥ ص ٩٣، وذكر البيت الأول والخامس؛ تاريخ بغداد، ج ٥ ص ٤٢٢.

أكفٌ لو تُمدُّ إليه حيّاً إذا رَجعتْ وأطولُها قصيرُ
تباشرتِ القبورُ بهِ وأضحى تبكيهِ الأرامِلُ والفقيرُ

حُكِيَ أنَّ مُحمّدَ بْنَ زيدٍ العلويَّ[1] الدّاعي بطبرستانَ كانَ إذا افتتحَ الخراجَ نَظَرَ في بيتِ المالِ، مِنْ خراجِ السَّنةِ التي قَبْلَها، وفرَّقَهُ في قبائلِ قريشٍ على دعوتهِم، وفي الأنصارِ وفي الفقهاءِ، وأهلِ القرآن وسائرِ طبقاتِ الناسِ، إلى أنْ يُفرّقَ جميعَ ما بقيَ. فَجَلَسَ في سَنَةٍ من السنينَ ففرّقَ مِثْلَ ذلكَ على عادَتِهِ، فَلما بَدَأ بِبني عَبدِمُنافٍ وَقَدْ فرغَ مِنْ بَني هَاشِمٍ، دعا بِسائرِ بني عبدِمُنافٍ، فقامَ إليهِ رَجُلٌ فقال له مِنْ أيّ بني عَبدِ مُنافٍ (أنْتَ)[2]؟ فقالَ: مِنْ بَني أميةَ، قَالَ: مِنْ أيِّهِمْ فسكتَ فقالَ (لَعلّكَ مِنْ وَلَدِ معاويةَ)[3] قالَ: نَعَمْ فقالَ: مِنْ أيِّهم فسكتَ فقال: لَعلّكَ مِنْ وَلَدِ يزيدَ. قال: نعمْ. قالَ بِئْسَ الاختيارُ اخترتَ لِنفسِكَ مِنْ قصدِكَ بلداً وِلايتُهُ (إلى)[4] آلِ أبي طالبٍ وعندكَ ثأرُهُم في سيِّدِهِم، وَقَدْ كانتْ لَكَ مندوحةٌ عَنْهُم بالشّامِ والعراقِ عِندَ مَنْ يتولّى جدَّكَ وَيحبُّ بِرَّكَ، فإنْ كُنْتَ جِئْتَ عَنْ جَهْلٍ مِنكَ بِهذا فمَا يكونُ بَعد جهلِكَ شيءٌ، وإنْ كنتَ جِئتَ مستهزئاً بِهِم فقدْ خاطرتَ. فنظَر إليهِ العلويونَ نظراً شديداً وهمُّوا بِهِ، فصاحَ بِهِم محمّدٌ، فقالَ: كُفّوا عافاكُمُ اللهُ كأنّكم (تظنونَ)[5] في قَتلِ هَذا، درْكاً وثأراً بالحسينِ بنِ عليٍّ

---

(1) هو محمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان والديلم بعد أخيه الحسن بن زيد الذي ظهر بطبرستان سنة ٢٥٠هـ فلما قتل تولى محمد أمر طبرستان وقد كان محمد فاضلاً ديناً، حسن السيرة في ما وليه من تلك البلاد. وكان فيه تشيع قتله محمد بن هارون الذي أرسله إسماعيل الساماني بعد توجه محمد بن زيد إلى خراسان مات متأثراً بجراحات أصابته فدفن على باب جرجان سنة ٢٨٧هـ. البداية والنهاية، ج ١١، ص ٨٣؛ النجوم الزاهرة، ج ٣ ص ١٢٢؛ الطبري، ج ١٣ ص ٢٢٠٠.

(2) زيادة من (ب ــ ج ــ د).

(3) ساقطة من (د).

(4) ساقطة من (د).

(5) في (ج ــ د): تطلبون.

(عليهما السلامُ)[1] وأيُّ جُرْمٍ لهذا إنَّ اللهَ تعالى حَرَّمَ أنْ تطالبَ نفسٌ بغيرِ ما اكتسبتْ. واللهِ لا يعرضُ لَهُ أحدٌ إلاَّ أقدتُهُ بِهِ، واسمعُوا حديثاً أحد ثكُمُوهُ بِهِ يكونُ لَكُم قدوةً فيما تستأنفونَ، حدّثني أبي عَنْ أبيهِ قالَ عرضَ علي المنصورُ سَنَة حجٍّ جوهراً فاخراً فعرَفْهُ وقالَ كانَ هذا لهشامِ بنِ عبدِالملكِ[2] وهذا بعينِهِ قدْ بَلَغَني خبرُهُ عند ابنِهِ محمّدٍ[3]، وما بقيَ مِنهُم أحدٌ غيرَهُ، ثم قالَ للربيع إذا كانَ غداً، وصليتَ بالناسِ في المسجدِ الحرامِ وَحَصَلَ الناسُ فيهِ، فأغلِقِ الأبوابَ كُلَّها، وَوكلْ بِها ثقاتَك من الشّيعةِ واقفلْها وافتحْ للناسِ باباً واحداً وقفْ عليهِ، ولا يخرجْ أحدٌ الاّ مَنْ قَدْ عرفتَهُ، فلمَّا كانَ مِنَ الغدِ فعل الربيعُ ذلكَ. وتبينَ محمدُ بن هشامٍ القصةَ، فَعَلِمَ أنّه المطلوبُ وأنَّهُ مأخوذٌ، فَتَحيّرَ وأقبلَ مُحَمَّدُ بنُ زيدٍ بن علي بنِ الحسينِ بنِ عليٍّ بْنِ أبي طالبٍ (عليهِمُ السلامُ)[4] على أثرَ ذلكَ، فرآه متحيّراً وَهُوَ لا يعرفُهُ فأنكرَ أمرَهُ، فقالَ لَهُ: يا هذا أراكَ متحيراً متلدداً فَمَنْ أنتَ ولكَ أمانُ اللهِ تعالى العامُ التّامُ، وأنتْ في ذِمّتي حَتّى أخلصَكَ بعون اللهِ عَزَّ وجلَّ. قال: أنا مُحَمَّدُ بنُ هِشام بنِ عبدِالملكِ فَمَنْ أنتَ قالَ: أنا مُحَمّدُ بنُ زيدِ بنِ عليٍّ بنْ الحسينِ بنِ عليٍّ قالَ: فَعِندَ اللهِ احتسبتُ نَفْسي، قالَ لا بأسَ عليكَ يا ابنَ عَمٍّ فانّكَ لَستَ قاتلَ زَيدٍ، ولا في قتلِكَ إدراكُ ثأرِهِ، وَأنَا الآنَ بخلاصِكَ أولى مِنّي بإسلامِكَ، وَلكنْ تعذُرني فيما أتناولُكَ بِهِ من مكروهٍ وقبحِ مخاطبةٍ، يكونُ فِيهِ خلاصُكَ بمشيئةِ اللهِ وعونِهِ. فقالَ يا سيّدي أنتْ وذاكَ، فطرحَ رداءه على

---

(١) في (د): رضي الله عنهم.

(٢) تقدمت ترجمته، ص ٣٠٠.

(٣) هو محمد بن هشام بن عبدالملك أحد أولاد هشام بن عبدالملك بن مروان. العقد الفريد، ج ٥ ص ١٧٩.

(٤) في (د): رضي الله عنهم أجمعين.

رأسِهِ ووجهِهِ ولبَّبَهُ[1] بِهِ، وأقبلَ يَسْحبهُ فلمّا وقعتْ عينُ الرّبيعِ[2] عَلَيهِ، لَطَمَهُ لطماتٍ وجاءَ بِهِ إلى ق/٧٠ الربيعِ، وقالَ يا أبا الفضلِ أنَّ هذا الخبيثَ جَمّالٌ مِنْ أَهْلِ الكوفةِ، أكراني جمالَهُ ذاهباً وعائداً، وَقَدْ هَرَبَ مِنّي في هذا الوقتِ، وأكرى بَعضَ القوادِ الخرسانيةِ ولي عَليهِ بذلكَ شُهُودٌ فَضمّ إليَّ حرسيَّين يصيرانِ بِهِ معي إلى القاضي ويمنعانِ الخرسانيَّ مِن اعتراضِهِ إن اعترَضنا. فَضَمّ إليهِ حرسيَّينِ وقالَ امضيا بِهِ مَعَهُ فَلمّا بَعُدَ عَنْ المسجِدِ، قالَ لَهُ يا خبيثُ تؤدي إليَّ حقِّي، قالَ نَعمْ يا ابنَ بنتِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليهِ وعلى آلِهِ وسلّمَ. فقالَ للحرسيين انصرِفا في حفظِ اللهِ، فَلمّا بَعُدَا أطلقَهُ، فقبّلَ محمدُ بنُ هِشامٍ يَدَهُ وَرَأسَهُ وقالَ: بأبي أنتَ وأمّي، اللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالاتِهِ، ثُمّ أخرجَ جوهراً لَهُ قيمةٌ وقدرٌ عظيمٌ، وَدَفَعَهُ إليهِ وقالَ شرِّفني يا سيِّدي بقبولِهِ مِنِّي، فقال: اذهبْ بمتاعِكَ يا ابنَ عَمٍّ، فإنّا أهلُ بيت لا نقبلُ على المعروفِ مكافأةً، وقدْ تركتُ لكَ دَمَ زَيدٍ وَهُو أعظَمُ قدراً مِن ذلكَ، فانصرفْ راشداً ووارِ نفسَكَ عن هذا الرَّجُلِ إلى أنْ يخرجَ، فإنّه مُجِدٌّ في طلبِكَ. فمضى وتوارَى ثُمّ انَّ محمّدَ الدّاعي أمَرَ للأمويّ بِمثلِ ما أَمَر بِهِ لسائرِ بَني عَبْدِ مُنافٍ وضمَّ إليه جماعةً من مواليهِ وأمرَهم أنْ يُخرجُوهُ إلى الرَّي ويأتوهُ بكتابه بسلامتِه فقامَ الأمويُّ وَقبّلَ رأسَهُ ومضى وَمَعَهُ القومُ حتّى وَصلَ مأمنَهُ وجاؤهُ بكتابه بسلامته[3]. ق/٧١/ تقطيع بالأصل/ وصلاته على سيّدنا مُحَمّد وعلى آلِهِ ورضيَ اللهُ عن أصحابه.

---

(١) لببه: جمع ثيابه عند نحره في الخصومة ثم جره/ مختار الصحاح.

(٢) من هنا يبدأ تقطيع ورطوبة في نسخة الأصل تبدو معها بعض الكلمات ويغيب البعض الآخر والتكملة هنا من النسخة (ب ــ د): لأنها أيضاً ناقصة في (ج).

(٣) المستجاد من فعلات الأجواد، ص ١٤٩ ــ ١٥٢.



الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام.
- فهرس البلدان.
- فهرس القوافي.
- فهرس المراجع.
- فهرس المحتويات.



فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
البقرة	* وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِى الأَلْبَابِ	١٧٩	٢١٦
	* وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ .	٢٣٧	٢٠١
آل عمران	* وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ. .	٣٩	٧٩
	* وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ والعَافِينَ عَنِ النَّاسِ واللَّـهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ..........	١٣٤	٢٠١
	* وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّـهِ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ . . .	١٥٩	١٧٦/١٧٥
	* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا واتَّقُوا اللَّـهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . . .	٢٠٠	٢٤٥

السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
النساء	* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأمْرِ مِنكُم فإن تَنازَعْتُمْ فِي شيءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللَّهِ والرَّسُولِ إن كُنتُمْ تُؤمِنُونَ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وأحْسَنُ تأويلًا	٥٩	٩٢/٧٥ ١٠٦
	* مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تولَّى فَمَا أرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً	٨٠	١٠٩
	* مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيئَةً يكن لَّهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ مُقِيتاً ...	٨٥	١٦٣
الأعراف	* قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِن رَّبِكُمْ فَأَوْفُوا الكَيْلَ والمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أشْيَاءَهُمْ وَلاَ تُفْسِدُوا في الأرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إن كُنتُم مُّؤمِنِينَ	٨٥	٢٦٠
الأنفال	* وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّـهَ مَعَ الصَّابِرِينَ	٤٦	٩٣/٦٨
هود	* وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا المِكْيَالَ والمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأرْضِ مُفْسِدِينَ بَقِيَّتُ اللَّـهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إن كُنتُم مُّؤمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ..................	٨٥، ٨٦	٢٦٠
يوسف	* قَالُوا يا أيُّهَا العَزِيزُ إِنَّ لَهُ أباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ المُحْسِنِينَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَّأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ، إنَّا إذاً لظَالِمُونَ	٧٨، ٧٩	٢٨٧

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث		رقم الصفحة
٩٤	التؤدة والاقتصاد والتثبت جزء من ستة وعشرين من النبوة	٢٢٠
٩٥	من تأنى أصاب أو كاد.	٢٢٠
٩٦	إن لكل نبـي حواريا وحواريـي الزبير	٢٣١
٩٧	لا تتمنوا لقاء العدو وإذا لقيتوه فاصبروا	٢٣٥
٩٨	الحزم سوء الظن	٢٣٦
٩٩	الحرب خدعة.	٢٤٤
١٠٠	من ولى شيئاً من أمور الناس فاحتجب عنهم احتجب الله عنه	٢٤٧
١٠١	إن مفاتيح أرزاق العباد بإزاء العرش يبعث الله إلى كل عبد بقدر نفقته.	٣٦٠
١٠٢	إن من البيان لسحراً.	٣٧٩

فهرس الأعلام المترجم لهم بالرسالة

فهرس البلدان

فهرس القوافي والأشعار

فهرس المراجع

(١) الأحكام السلطانية والولايات الدينية:
تأليف علي بن محمد بن حبيب الماوردي ـ مراجعة الدكتور محمد فهمي السرجاني ـ دار التوفيقية للطباعة.

(٢) الأحكام السلطانية:
للقاضي أبي يعلي محمد بن الحسين الفراء الحنبلي ـ مطبعة الحلبي ـ الطبعة الثانية ١٩٦٦م.

(٣) الأخبار الطوال:
لأبي حنيفة الدينوري ـ تحقيق عبدالمنعم عامر ـ مراجعة الدكتور جمال الدين الشيال ـ الطبعة الأولى ١٩٦٠م.

(٤) الأخبار الموفقيات:
للزبير بن بكار ـ تحقيق سامي مكي ـ مطبعة العاني بغداد ١٩٧١م.

(٥) آداب ابن المعتز:
دراسة وتحقيق صبحي رديف ـ مطبعة الحوادث ـ بغداد ١٩٧٢م.

(٦) آداب السياسة بالعدل وتبيين الصادق الكريم المهذب بالعقل:
تأليف المبارك بن خليل الخازندار ـ مصور رقم ٤٣٠٠ ـ دار الكتب المصرية.

(٧) أدب الدنيا والدين:
تأليف علي بن محمد الماوردي ـ تحقيق السقا ـ الطبعة الرابعة ـ ١٩٧٣م.

(٨) الأدب الكبير والأدب الصغير:
تأليف عبدالله بن المقفع ـ المؤسسة العربية العامة للطباعة والنشر ـ بيروت.

(٩) الأذكياء:
لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ـ الناشر مكتبة الغزالي.

(١٠) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري:
تأليف أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ـ ١٣٠٥هـ الطبعة السادسة.

(١١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب:
تأليف يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر ـ تحقيق علي محمد البيجاوي ـ مطبعة نهضة مصر.

(١٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة:
تأليف عزالدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري المعروف بابن الأثير ـ أشرف على التحقيق محمد صبح ـ واشترك في التحقيق الشيخ محمود فايد، محمد عاشور، محمد البنا ـ مطابع الجمعية التعاونية للطباعة.

(١٣) الإسلام وأصول الحكم:
لعلي عبدالرزاق ـ دراسة ووثائق بقلم محمد عمارة ـ بيروت ١٩٧٢.

(١٤) الإسلام وفلسفة الحكم:
الدكتور محمد عمارة ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩م.

١٥ ـ أصول الدين:
تأليف الإمام عبدالقاهر بن طاهر البغدادي ـ الطبعة الثانية بيروت ـ لبنان ١٩٨٠م.

(١٦) أعتاب الكتاب:
لابن الأبار محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي ـ تحقيق صالح الأشتر ـ طبعة دمشق ١٩٦١م.

(١٧) الإعجاز والإيجاز:
للثعالبي ـ الناشر بغداد دار البيان ـ بيروت دار صعب.

(١٨) الأعلام:
تأليف خيرالدين الزركلي ـ الطبعة الثالثة ١٩٦٩م.

(١٩) اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس:
تأليف محمد المعروف بدياب الاتليدي ـ مطبعة الحلبي الطبعة الثالثة ١٩٥٥م.

(٢٠) إعلام النساء في عالمي العرب والإسلام:
تأليف عمر رضا كحالة ـ الطبعة الثالثة ١٩٧٧م.

(٢١) الأغاني:
لأبي الفرج الأصفهاني ـ دار الفكر بيروت ١٩٧٠ ـ تصوير عن طبعة بولاق الأصلية.

(٢٢) الأمالي:
لأبـي علي إسماعيل بن القاسم القالي ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م.
(٢٣) أمالي المرتضي:
للشريف المرتضي علي بن الحسين العلوي ـ تحقيق أبو الفضل إبراهيم ـ مطبعة الحلبـي ١٩٥٤م.
(٢٤) امراء البيان:
محمد كرد علي ـ الطبعة الثالثة ـ مطابع دار الكتاب بيروت ١٩٦٩م.
(٢٥) إنساب الاشراف:
لأحمد بن يحيى البلاذري ـ المجلد الثاني ـ طبعة بيروت ١٩٧٤م ـ الجزء الرابع ـ القسم الثاني ـ الناشر الجامعة العبرية ـ القدس ـ ١٩٣٨م ـ المجلد الخامس ـ الناشر الجامعة العبرية ـ ١٩٣٦م.
(٢٦) بدائع السلك في طبائع الملك:
تأليف أبـي عبدالله بن الأزرق تحقيق وتعليق الدكتور علي سامي النشار، منشورات وزارة الإعلام بالجمهورية العراقية ١٩٧٧م.
(٢٧) البداية والنهاية:
لأبـي الفداء الحافظ ابن كثير ـ دار الفكر ـ بيروت ١٩٧٨.
(٢٨) برد الأكباد في الإعداد:
للثعالبـي ـ مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٣١٧ أدب.
(٢٩) البصائر والذخائر:
للتوحيدي ـ تحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني.
(٣٠) بغداد في تاريخ الخلافة العباسية:
تأليف أبـي الفضل أحمد بن طاهر الكاتب ـ مكتبة المثنى بغداد ١٩٦٨م.
(٣١) بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد:
تأليف عبدالرحمن بن علي بن محمد بن عمر بن الربيع ـ تحقيق عبدالله الحبشي ـ مركز الدراسات والبحوث، اليمن ـ صنعاء.
(٣٢) بلوغ الآراب في لطائف العتاب:
لمحمد بن أحمد المقري ـ مخطوط دار الكتب المصرية رقم ١٤٤٣ أدب.
(٣٣) بهجة المجالس وانس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس:
تأليف الإمام يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر ـ تحقيق محمد موسى الخولي ـ مراجعة عبدالقادر القط ـ دار الكتاب العربـي للطباعة والنشر.
(٣٤) البيان والتبيين:

للجاحظ ـ بيروت ١٩٦٨م.
(٣٥) تاريخ ابن خلدون: (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر):
تأليف عبدالرحمن بن محمد بن خلدون ـ مؤسسة جمال للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٧٩م.
(٣٦) تاريخ ابن الوردي (تتمة المختصر في أخبار البشر):
لزين الدين عمر بن الوردي ـ تحقيق أحمد رفعت البدراوي ـ الطبعة الأولى ـ بيروت ١٩٧٠م.
(٣٧) تاريخ أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر):
للملك المؤيد عمادالدين إسماعيل أبي الفداء ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت.
(٣٨) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي:
تأليف الدكتور حسن إبراهيم حسن ـ مكتبة النهضة المصرية ـ الطبعة السابعة ١٩٦٤م.
(٣٩) تاريخ بغداد:
للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة والمكتبة العربية بغداد ومطبعة السعادة مصر ١٩٣١م.
(٤٠) تاريخ ثغر عدن:
تأليف أبي محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد بن مخرمة مع نخب من تواريخ ابن المجاور والجندي والأهدل ـ مطبعة بريل ـ ليدن ١٩٣٦م.
(٤١) تاريخ الخلفاء:
للإمام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ـ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ـ مطبعة السعادة ـ مصر ـ الطبعة الأولى ١٩٥٢م.
(٤٢) تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك):
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ـ الناشر مكتبة خياط ـ بيروت ١٩٦٥م.
(٤٣) تاريخ العيني (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان):
تأليف العلامة الحافظ نورالدين أبو محمد المعروف بالعيني ـ مخطوط دار الكتب المصرية ـ رقم ح ٨٢٠٣.
(٤٤) تاريخ غرر السير (المعروف بكتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم): المنسوب لأبي منصور الثعالبي ـ طبعة طهران ١٩٦٣م.
(٤٥) تاريخ اليعقوبي:

تأليف أحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي ــ بيروت دار صادر.
(٤٦) التبر المسبوك في نصائح الملوك:
لأبي حامد الغزالي ــ مطروع على هامش سراج الملوك ــ المطبعة الأولى ١٣١٩هـ.
(٤٧) تحفة الوزراء:
للثعالبي ــ تحقيق حبيب علي الراوي ــ مطبعة العاني ــ بغداد ١٩٧٧م.
(٤٨) التذكرة السعدية في الأشعار العربية:
تأليف محمد عبدالرحمن العبيدي ــ تحقيق عبدالله الجبوري ــ مطابع النعمان ــ النجف الأشرف ١٩٧٢م.
(٤٩) تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن):
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ــ تحقيق محمود محمد شاكر ــ مراجعة أحمد محمد شاكر ــ الطبعة الثانية ــ دار المعارف ــ مصر.
(٥٠) تفسير القرآن العظيم:
للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير ــ طبعة عيسى الحلبي.
(٥١) التفسير الكبير (تفسير فخرالدين الرازي):
طبعة بالأوفست عن طبعة المطبعة العامرة الشرقية ــ دار الفكر ــ بيروت ١٩٧٨م.
(٥٢) تقريب التهذيب:
لأحمد بن علي العسقلاني ــ تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ــ دار المعرفة ــ بيروت ــ الطبعة الثانية ١٩٧٥م.
(٥٣) التمثيل والمحاضرة:
لأبي منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي ــ تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو ــ القاهرة ١٩٦١م.
(٥٤) تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث:
تأليف الشيخ الإمام العلامة عبدالرحمن بن علي بن محمد الشيباني الشافعي ــ الناشر دار الكتاب العربي بيروت ــ لبنان.
(٥٥) تهذيب الأسماء واللغات:
للإمام النووي ــ المطبعة المنيرية ــ مصر.
(٥٦) تهذيب تاريخ دمشق الكبير:
تهذيب وترتيب عبدالقادر بدران ــ دار المسيرة ــ بيروت ــ الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
(٥٧) تهذيب التهذيب:
لابن حجر العسقلاني ــ دار صادر ــ بيروت.
(٥٨) توضيح المراد في شرح تجريد الاعتقاد:

الطبعة الأولى ــ إيران ١٣٨١هـ.
(٥٩) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب:
لأبي منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي ــ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ــ دار نهضة مصر للطباعة والنشر ١٩٦٥م.
(٦٠) ثمرات الأوراق:
لابن حجة الحموي على هامش المستطرف ــ مطبعة الحلبي ١٩٥٢م.
(٦١) الجامع الصحيح:
للإمام مسلم ــ مؤسسة الطباعة لدار التحرير للطبع والنشر ــ القاهرة ١٣٨٣هـ.
(٦٢) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير:
للإمام السيوطي ــ الطبعة الرابعة ــ مطبعة الحلبي ١٩٥٤م.
(٦٣) الجامع لأحكام القرآن: (تفسير القرطبي):
لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ــ الطبعة الثالثة ــ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٧م.
(٦٤) جمهرة خطب العرب:
تأليف أحمد زكي صفوت ــ الطبعة الثانية ــ مطبعة الحلبي ١٩٦٢م.
(٦٥) جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة:
لأحمد زكي صفوت ــ مطبعة الحلبي ــ الطبعة الثانية ١٩٧١م.
(٦٦) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغات العرب:
تأليف السيد أحمد الهاشمي ــ منشورات مؤسسة المعارف ــ بيروت.
(٦٧) حياة الحيوان الكبرى:
للشيخ كمال الدين الدميري ــ دار الفكر ــ بيروت.
(٦٨) الحيوان:
للجاحظ ــ تحقيق عبدالسلام هارون ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت ١٩٦٥م.
(٦٩) خاص الخاص:
لأبي منصور عبدالملك الثعالبي ــ بيروت ١٩٦٦م.
(٧٠) الخراج:
للقاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم ــ المطبعة السلفية ــ القاهرة ــ الطبعة الرابعة ١٣٩٢هـ.
(٧١) خلاصة الذهب المسبوك (مختصر سير الملوك):
تأليف عبدالرحمن سنبط الأربلي ــ تصحيح مكي السيد جاسم ــ مكتبة المثنى ــ بغداد.

(٧٢) ديوان ابن الرومي:
تحقيق الدكتور حسين نصار ـ مطبعة دار الكتاب ١٩٧٦م.
(٧٣) ديوان ابن المعتز:
شرح وتقديم ميشيل نعمان ـ الشركة اللبنانية للكتاب ـ بيروت ١٩٦٩م.
(٧٤) ديوان ابن نباته السعدي:
دراسة وتحقيق عبدالأمير مهدي حبيب ـ منشورات وزارة الاعلام ـ الجمهورية العراقية ١٩٧٧م.
(٧٥) ديوان الإمام علي أمير المؤمنين:
جمع وترتيب عبدالعزيز كرم.
(٧٦) ديوان أبـي تمام:
شرح وتعليق شاهين عطية ـ بيروت ١٩٦٨م.
(٧٧) ديوان أبـي العتاهية:
طبعة دار صادر للطباعة والنشر ـ دار بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٦٤م.
(٧٨) ديوان البحتري:
ضبطه بالشكل وعلق حواشيه رشيد عطيه ـ المطبعة الأدبية ـ بيروت ١٩١١م.
(٧٩) ديوان بشار بن برد:
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة.
(٨٠) ديوان جرير:
تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه ـ دار المعارف ١٩٦٩.
(٨١) ديوان الحماسة:
لأبـي تمام بشرح العلامة التبريزي ـ الطبعة الأولى ـ دار القلم ـ بيروت.
(٨٢) ديوان الحماسة:
للبحتري ـ الوليد بن عبيد البحتري ـ دار الكتاب العربـي ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ١٩٦٧م.
(٨٣) ديوان الخنساء:
المكتبة الثقافية ـ بيروت ـ لبنان.
(٨٤) ديوان دعبل الخزاعي:
جمع وتحقيق عبدالصاحب عمران الدجيلي ـ الطبعة الثانية ـ دار الكتابة اللبناني ـ بيروت ١٩٧٢م.
(٨٥) ديوان زهير بن أبـي سلمى:
المكتبة الثقافية ـ بيروت ـ لبنان ١٩٦٨م.

(٨٦) ديوان صريع الغواني (مسلم بن الوليد):
تحقيق وتعليق الدكتور سامي الدهان ــ الطبعة الثانية ــ دار المعارف ــ مصر ١٩٧٠م.
(٨٧) ديوان طرفة بن العبد:
تحقيق درية الخطيب، لطفي الصقال ــ مطبوعات مجمع اللغة العربية ــ دمشق ١٩٧٥م.
(٨٨) ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات:
تحقيق وشرح الدكتور محمد يوسف نجم ــ دار صادر للطباعة والنشر ــ دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٥٨م.
(٨٩) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة:
تحقيق الدكتور إحسان عباس ــ دار الثقافة بيروت ــ الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
(٩٠) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار:
للإمام محمود بن عمر الزمخشري ــ تحقيق الدكتور سليم النعيمي ــ مطبعة العاني ــ بغداد ١٩٧٦م.
(٩١) رسائل ابن المعتز في النقد والأدب والاجتماع:
جمع وتحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي ــ مطبعة الحلبي ١٩٤٦.
(٩٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء:
لأبي حاتم محمد بن حيان ــ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٩٧٥م.
(٩٣) زهر الآداب وثمر الألباب:
لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني ــ تحقيق علي محمد البيجاوي ــ الطبعة الثانية ــ مطبعة عيسى البابي الحلبي.
(٩٤) سراج الملوك:
لأبي بكر محمد بن محمد الطرطوشي ــ الطبعة الأولى ــ المطبعة الأزهرية المصرية ١٣١٩هـ.
(٩٥) سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون:
تأليف جمال الدين ابن نباتة المصري ــ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ــ دار الفكر العربي ــ القاهرة ١٩٦٤م.
(٩٦) سكردان السلطان:
لابن أبي حجلة ــ مطبوع مع المخلاة ١٩٧٩م.
(٩٧) السلوك في طبقات العلماء والملوك:

لبهاءالدين الجندي ـ مصور بدار الكتب المصرية رقم ٩٩٦ تاريخ.
(٩٨) سلوك المالك في تدبير الممالك:
تأليف شهاب الدين أحمد بن محمد ـ دراسة وتحقيق ناجي التكريتي ـ بيروت ١٩٧٨م.
(٩٩) سنن ابن ماجه:
للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ـ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ـ طبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٥٢م.
(١٠٠) سنن أبي داود:
للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث ـ راجعه وضبط أحاديثه الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد ـ دار إحياء السنة النبوية.
(١٠١) سنن الترمذي:
للإمام الحافظ محمد بن عيسى الترمذي ـ تحقيق الأستاذ عبدالوهاب عبداللطيف ـ دار الفكر ١٩٧٨م.
(١٠٢) سنن الدارمي:
للإمام أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي ـ أشرف على طباعته محمد أحمد دهمان ـ دار إحياء السنة النبوية.
(١٠٣) السنن الكبرى:
للإمام البيهقي أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ـ دار الفكر ـ بيروت.
(١٠٤) سنن النسائي:
بشرح الحافظ جلالالدين السيوطي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
(١٠٥) السياسة الشرعية في إصلاح الرعي والرعية:
لتقي الدين ابن تيمية ـ دار الكتاب العربي ـ مصر ـ الطبعة الرابعة ١٩٦٩م.
(١٠٦) سير أعلام النبلاء:
للحافظ الذهبي ـ الجزء الثالث ـ تحقيق محمد أطلس عسال ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٢م.
(١٠٧) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم:
لأبي محمد عبدالملك بن هشام مراجعة الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد.
(١٠٨) شذرات الذهب في أخبار من ذهب:
لابن العماد الحنبلي ـ طبعة بيروت ـ لبنان.
(١٠٩) شرح الأصول الخمسة:
للقاضي عبدالجبار ـ مطبعة الاستقلال ـ القاهرة ١٩٦٥م.

(١١٠) شرح الزرقاني على موطأ مالك:
دار المعرفة ــ بيروت ١٩٧٨.
(١١١) شرح العقائد النسفية:
لسعدالدين التفتازاني ــ المطبوع مع مجموعة الحواشي البهية على شرح العقائد النسفية ــ مطبعة كردستان العلمية ــ مصر ١٣٢٩هـ.
(١١٢) شرح مطالع الأنظار:
لشمس الدين بن محمود الأصفهاني على متن طوالع الأنوار للقاضي البيضاوي ــ المطبعة الخيرية ــ القاهرة ١٣٢٣هـ.
(١١٣) شرح نهج البلاغة:
لابن أبي الحديد ــ طبعة دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.
(١١٤) الشعر والشعراء:
لابن قتيبة ــ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ــ دار المعارف بمصر ــ ١٩٦٦م.
(١١٥) شعر الوليد بن يزيد:
جمع وتحقيق الدكتور حسين عطوان ــ المطبعة الاقتصادية ــ عمان ــ الطبعة الأولى ــ ١٩٧٩م.
(١١٦) شعر هدبة بن الخشرم العذري:
جمع وتحقيق يحيى الجابوري ــ دمشق ١٩٧٦م.
(١١٧) الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء:
لابن الجوزي ــ تحقيق ودراسة الدكتور فؤاد عبدالمنعم أحمد ومراجعة محمد السيد الصفطاوي.
(١١٨) الشكوى والعتاب:
لأبي منصور الثعالبي: مخطوط دار الكتب المصرية رقم ١٦٧٣ أدب.
(١١٩) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء:
لأحمد بن علي القلقشندي ــ نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ــ المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
(١٢٠) صحيح البخاري:
لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ــ مطابع الشعب ١٣٧٨هـ.
(١٢١) الصداقة والصديق:
لأبي حيان التوحيدي ــ شرح وتعليق علي متولي صلاح ــ المطبعة النموذجية ــ القاهرة ١٩٧٢م.
(١٢٢) طبقات الشافعية الكبرى:

تأليف تاج الدين أبي نصر عبدالوهاب بن علي السبكي ـ تحقيق محمود محمد الطانجي وعبدالفتاح محمد الحلو ـ مطبعة الحلبي ـ الطبعة الأولى ١٩٦٤م.

(١٢٣) طبقات الشافعية للأسنوي:
تأليف جمال الدين أبي محمد عبدالرحيم بن الحسن الأسنوي ـ تحقيق عبدالله الجبوري ـ طبعة بغداد ١٩٧٠م.

(١٢٤) طبقات فقهاء اليمن:
تأليف عمر بن علي بن سمرة الجعدي ـ تحقيق فؤاد سيد ـ مطبعة السنة المحمدية ـ القاهرة ١٩٥٧م.

(١٢٥) الطبقات الكبرى:
لمحمد بن سعد ـ دار التحرير للطبع والنشر ـ القاهرة ١٩٦٨م.

(١٢٦) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين:
تأليف أبي الطيب التقي الفاسي محمد بن أحمد الحسيني المكي ـ تحقيق محمد حامد الفقي ـ مطبعة السنة المحمدية ـ القاهرة ١٩٥٨م.

(١٢٧) العقد الفريد:
تأليف أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي ـ تحقيق محمد سعيد العريان ـ دار الفكر ـ بيروت.

(١٢٨) العقد الفريد للملك السعيد:
تأليف الوزير محمد بن علي بن طلحة النصيبيي الشافعي ـ مطبعة الوطن ١٣٠٦هـ.

(١٢٩) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية:
تأليف علي بن الحسن الخزرجي ـ تصحيح وتنقيح الشيخ محمد بسيوني عسل ـ مطبعة الهلال ـ مصر ١٩١١م.

(١٣٠) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده:
تأليف ابن رشيق القرواني ـ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ـ دار الجيل بيروت ـ الطبعة الرابعة ١٩٧٢م.

(١٣١) عهد أردشير:
تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ طبعة بيروت ١٩٦٧م.

(١٣٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود:
للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أيادي ـ تحقيق وضبط عبدالرحمن محمد عثمان ـ مطابع المجد القاهرة ـ الناشر المكتبة السلفية المدينة المنورة ـ الطبعة الثانية ١٩٦٩م.

(١٣٣) عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة:

تأليف أبي الحسن علي بن عبدالرحمن بن هذيل ـ مطبعة الحلبي ١٩٦٩م.
(١٣٤) عيون الأخبار:
لابن قتيبة الدينوري ـ مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ـ ١٩٢٥م.
(١٣٥) العيون والحدائق في أخبار الحقائق:
مجهول المؤلف ـ نشر وتحقيق عمر السعدي ـ دمشق ١٩٧٢م.
(١٣٦) غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائض الفاضحة:
للشيخ برهان الدين إبراهيم المعروف بالوطواط ـ المطبعة الأدبية المصرية ١٣١٨هـ.
(١٣٧) غياث الأمم في التيات الظلم:
لإمام الحرمين الجويني ـ تحقيق ودراسة الدكتور مصطفى حلمي والدكتور فؤاد عبدالمنعم ـ دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع.
(١٣٨) الفاضل والكامل (وصايا الملوك):
تأليف أبي الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى الوشاء ـ مخطوط دار الكتب المصرية رقم ش ٢٣ أدب.
(١٣٩) فتوح الشام:
تأليف محمد بن عمر الواقدي ـ دار الجبل للنشر والتوزيع والطباعة ـ بيروت.
(١٤٠) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية:
تأليف محمد بن علي بن طباطبا ـ المعروف بابن الطقطقا ـ دار صادر ـ بيروت ١٩٦٦م.
(١٤١) الفرج بعد الشدة:
تأليف القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي ـ تحقيق عبود الشالجي ـ دار صادر ـ بيروت ١٩٧٨م.
(١٤٢) الفصل في الملل والنحل:
للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٧٥م.
(١٤٣) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد:
تأليف فضل الله الجيلاني ـ المطبعة السلفية ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٨٨هـ.
(١٤٤) الفهرست:
لابن النديم ـ طبعة لندن.
(١٤٥) فوات الوفيات والذيل عليها:
تأليف محمد بن شاكر الكتبي ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت ١٩٧٣م.
(١٤٦) في ظلال القرآن:

للأستاذ سيد قطب ـ الطبعة الأولى ـ مصطفى البابي الحلبي:

(١٤٧) القاموس المحيط:
تأليف مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ـ مطبعة الحلبي ـ الطبعة الثانية ١٩٥٢م.

(١٤٨) قوانين الوزارة:
علي بن محمد الماوردي ـ تحقيق ودراسة الدكتور فؤاد عبدالمنعم أحمد والدكتور محمد سليمان داود ـ المطبعة العصرية ـ الإسكندرية ـ ١٩٧٨م.

(١٤٩) كتاب الأمثال للثعالبي:
لأبي منصور الثعالبي ـ طبعة الحلبي ـ مصر.

(١٥٠) الكامل في التاريخ:
لابن الأثير ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٦٧م.

(١٥١) الكامل في اللغة والأدب:
لأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد ـ مكتبة المعارف ـ بيروت.

(١٥٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:
تأليف أبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري ـ طبعة طهران.

(١٥٣) كليلة ودمنة:
وضع الفيلسوف الهندي وتعريب عبدالله بن المقفع ـ تحقيق مصطفى لطفي المنفلوطي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٦٦.

(١٥٤) كمال البلاغة (رسائل شمس المعالي قابوس بن وشمكير):
تأليف عبدالرحمن بن محمد اليزدادي ـ بيروت.

(١٥٥) كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق:
للإمام عبدالرؤوف المناوي على هامش الجامع الصغير ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ الطبعة الرابعة.

(١٥٦) لباب الآداب:
تأليف الأمير أسامة بن منقذ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(١٥٧) اللباب في تهذيب الانساب:
تأليف عزالدين بن الأثير الجزري ـ دار صادر ـ بيروت.

(١٥٨) اللباب في شرح الشهاب:
تصنيف أبو الوفاء مصطفى المراغي ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة.

(١٥٩) اللطائف الظرائف واليواقيت في بعض المواقيت:
لأبي منصور الثعالبي ـ جمعها أحمد المقدسي ـ مطبعة محمد علي صبيح.

(١٦٠) المبهج:
لأبي منصور الثعالبي ــ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣١٧ أدب.
(١٦١) المتشابه:
لأبي منصور الثعالبي ــ تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي ــ مطبعة الحكومة ــ بغداد ١٩٦٧م.
(١٦٢) مجمع الأمثال:
لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني ــ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ــ مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٥م.
(١٦٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:
للحافظ نورالدين علي بن أبي بكر الهيثمي ــ بتخريج الحافظين العراقي وابن حجر ــ دار الكتاب ــ بيروت.
(١٦٤) المحاسن والأضداد:
للجاحظ ــ تحقيق فوزي عطوي ــ الشركة اللبنانية للكتاب ــ بيروت ١٩٦٩م.
(١٦٥) مختار الصحاح:
تأليف الإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ــ مطبعة عيسى البابي الحلبي.
(١٦٦) المخلاه:
لبهاءالدين محمد بن حسين العاملي ــ بيروت ١٩٧٩م.
(١٦٧) مروج الذهب ومعادن الجوهر:
تصنيف أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ــ تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد ــ كتاب التحرير ١٩٦٦م.
(١٦٨) المستجاد من فعلات الأجواد:
لأبي علي المحسن بن علي التنوخي ــ نشر وتحقيق محمد كرد علي ١٩٧٠م.
(١٦٩) المستطرف في كل فن مستظرف:
تأليف شهاب الدين محمد بن أحمد الابشيهي.
(١٧٠) مسند الإمام أحمد بن حنبل:
الطبعة الثانية ــ المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ــ بيروت ١٩٧٨م.
(١٧١) مسند الحميدي:
تحقيق وتعليق الأستاذ حبيب الرحمن الأعظمي ــ عالم الكتب ــ بيروت ــ الناشر مكتبة المثنى ــ القاهرة ١٣٨٢هـ.
(١٧٢) مشكاة المصابيح:

تأليف الخطيب التبريزي ــ تحقيق محمد ناصرالدين الألباني ــ المكتب الإسلامي ــ الطبعة الثانية ١٩٧٩م.

(١٧٣) المصباح المضيء في خلافة المستضيء:
لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي ــ تحتيق ناجية عبدالله إبراهيم ــ مطبعة الأوقاف ــ بغداد ١٩٧٦م.

(١٧٤) المصباح المنير:
تأليف أحمد بن محمد بن علي المقري ــ المطبعة الأميرية ــ القاهرة ــ الطبعة السابعة ١٩٢٨م.

(١٧٥) المعارف:
لابن قتيبة الدينوري ــ صححه وعلق عليه محمد إسماعيل عبدالله الصاوي ــ الطبعة الثانية ــ بيروت ١٩٧٠م.

(١٧٦) المعتزلة وأصول الحكم:
تأليف الدكتور محمد عمارة ــ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٩٧٧م.

(١٧٧) معجم البلدان:
للشيخ شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي ــ دار إحياء التراث العربي بيروت ــ لبنان.

(١٧٨) معجم المؤلفين:
تأليف عمر رضا كحالة ــ دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت.

(١٧٩) مفاتيح العلوم:
تأليف محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت.

(١٨٠) المقامات الأدبية:
لأبي محمد القاسم بن علي الحريري ــ طبعة ١٣٠٥هـ.

(١٨١) مقدمة ابن خلدون:
طبعة دار الشعب ــ كتاب الشعب.

(١٨٢) مقصورة ابن دريد:
لابن دريد بشرح الخطيب التبريزي ــ تحقيق الدكتور فخرالدين قباوة ــ المكتبة العربية حلب ــ الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

(١٨٣) المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري:
تأليف فالتر هنتس ــ ترجمه عن الألمانية الدكتور كامل العسيلي ــ منشورات الجامعة الأردنية ــ عمان ١٩٧٠م.

(١٨٤) الملل والنحل:
تأليف أبي الفتح محمد عبدالكريم الشهرستاني ــ تحقيق الأستاذ عبدالعزيز محمد الوكيل ــ دار الاتحاد العربي للطباعة ــ الناشر مؤسسة الحلبي ١٩٦٨م.

(١٨٥) منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال:
على هامش مسند الإمام أحمد بن حنبل ــ طبعة بيروت ١٩٧٨م.

(١٨٦) منهاج السنة النبوية في نقص كلام الشيعة القدرية:
لابن تيمية ــ تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ــ مطبعة المدني ١٩٦٢م.

(١٨٧) الموشى (أو الظرف والظرفاء):
تأليف محمد بن إسحاق بن يحيى الوشاء ــ طبعة بيروت ١٩٦٥م.

(١٨٨) نثر الدرر:
للأبي ــ مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٢٢٨٠ أدب.

(١٨٩) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة:
تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى ــ الأتابكي ــ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب.

(١٩٠) نظام الحكم الإسلامي مقارناً بالنظم المعاصرة:
تأليف الدكتور محمود حلمي ــ دار الفكر العربي ــ الطبعة الثالثة ١٩٧٥م.

(١٩١) النظام السياسي في الإسلام:
للدكتور محمد عمارة.

(١٩٢) النظريات السياسية الإسلامية:
للدكتور محمد ضياء الدين الريس ــ الطبعة السادسة ١٩٧٦م.

(١٩٣) نهاية الأرب في فنون الأدب:
تأليف شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري ــ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ــ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

(١٩٤) الوزراء والكتاب:
تصنيف أبي عبدالله محمد بن عبدوس الجهشاري ــ تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي ــ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ــ الطبعة الأولى ١٩٣٨م.

(١٩٥) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:
لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ــ تحقيق الدكتور إحسان عباس ــ بيروت ١٩٧٨م.

(١٩٦) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر:
لأبي منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٩٧٩م.



فهرس محتويات الرسالة

الموضوع	الصفحة

القسم التحقيقي

الموضوع	الصفحة

القسم الثاني من تهذيب الرياسة وترتيب السياسة
في مناقب الخلفاء والوزراء والعمال والأمراء
الدالة على مناقبهم وارتفاع مراتبهم

الموضوع	الصفحة



